
دار ابن رشد
إيران
من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية
١٩٠٦ - ١٩٧٩
طلال مجذوب

طلال مجذوب



من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية
١٩٠٦ - ١٩٧٩

طلال مجذوب

دار ابن رشد للطباعة والنشر



صمم الغلاف عماد حليم

الاهــداء

الى أمي « ثروت » التي
بفضل تشجيعها ورعايتهــا
جعلت جمع مادة هذا الكتاب
واصداره أمرا ممكنا ٠

الفصل الأول

أوضاع ايران في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

كانت الهضبة الايرانية (١) الواسعة ملتقى لشعوب عديدة جاءتها مهاجرة مستوطنة أو مرت بها غازية ، كالمقدونيين والعرب والمغول والأتراك وغيرهم ، واتخذت جماعات كبيرة من هذه الشعوب ، من هذه الهضبة موطنا جديدا لها وامتزجت مع سكانها الأصليين من الجنس الآري (الهندو أوربي (٢)) وكانت من الكثرة بحيث تجاوزت نسبة السكان الأصليين • ولقد قامت على أرض الهضبة الايرانية دول وحكومات عدة في سلسلة طويلة

---

(١) تعني « ايران » موطن الآريين ، اما الدولة فعرفت بهذا الاسم رسميا منذ ٢٢ مارس ١٩٣٥ ، وكانت تعرف سابقا باسم « بلاد فارس Persia » وهو تحريف لكلمة « بارس » اسم المكان الذي الذي كانت عليه قصور الاسرة الاخمينية (من ٦٠٠ — ٥٥٠ ق.م.) ومنها اطلق على البلاد كلها ، كما عرفها العرب ايضا باسم « بلاد العجم » ولا تزال آثار عاصمة الاخمينيين برسيبوليس قائمة قرب شيراز وتدعى اليوم تخت جمشيد .

(2) Wilber, Donald - Iran past and present, p. 87.

تبدأ قبل الميلاد (دولة الميديين من ٨٣٥ ـ ٧٠٥ ق٠م) حتى وقتنا الحاضر (الأسرة البهلوية منذ ١٩٢٥) وكانت الأسرة القاجارية من (١٧٩٦ ـ ١٩٢٥) ، احدى تلك الحكومات الايرانية ، وفي عهدها نمت عوامل قيام الثورة الدستورية ، وكذلك وقعت كل أحداثها التي انتهت بقيام الحكم الدستوري لأول مرة في ايران :

أصل القاجار ووصولهم الى الحكم :

القاجار قبيلة تركية الأصل ، كانت تقيم في شمال غربي آذربايجان وكانت احدى القبائل السبع (٣) التي أسهممت في وصول الأسرة الصفوية للحكم (١٥٠٢ ـ ١٧٣٦) وعند وصول الشاه عباس الكبير الصفوي للحكم (٤) ، لم يرض عن النفوذ المتزايد لزعماء هذه القبيلة ، ففرقها الى ثلاث شعب ، أسكن أولاها في خراسان لتكون حاجزا أمام غارات القبائل الأزبكية وجعل مقر الثانية عند نهر جرجان (قرب بحر قزوين) لتحول دون هجمات القبائل التركمانية ، أما الثالثة فنقلها الى منطقة « قره باغ » في آذربايجان لتكون عونا للجيش الصفوي عند الحاجة ٠

بمرور الأيام انشقت المجموعة التي أقامت على ضفاف نهر جرجان الى طائفتين كبيرتين ، أما تلك التي أقامت على ضفة النهر اليمنى فعرفت فيما بعد باسم «يوخاري باش» وتلك التي سكنت

---

(٣) عرفت هذه القبائل باسم قبائل « قزل باش » اي ذوي الرؤوس الحمر.
(٤) هو اعظم ملوك الصفويين حكم بين ١٥٨٧ ــ ١٦٢٩ ٠

ضفته اليسرى « آشاقه باش » ومن هذه الطائفة نشأت الأسرة القاجارية (٥) ، وعند وفاة « نادر شاه (٦) » انفرط عقد الوحدة الايرانية ، واستقل في كل ناحية منها أمير أو زعيم وأخذ كل واحد يسعى جهده لتوسيع حدود منطقته والسيطرة على مناطق الآخرين ، وكان أوفرهم حظا « كريم خان زند » الذي استطاع تأسيس الدولة الزندية (٧) وجعل أغلب مناطق ايران تحت سيطرته ، وكان قد استولى على أراضي آشاقه باش وسجن زعيم القبيلة « آغا محمد خان قاجار » في شيراز ، وعند وفاة كريم خان استطاع آغا محمد خان الهرب من السجن وأخذ ينظم قبيلته من جديد وقد ساعده تفكك الأسرة الزندية بعد وفاة كريم خان وقيام منافسين للزنديين في كافة أنحاء ايران ، على أن يحقق طموحه بالسيطرة على البلاد وحكمها ، فانطلق من جرجان يقود فرسان قبيلته في حروب مستمرة كان النصر فيها غالبا حليفه ، وبالقضاء على « لطف علي خان » آخر ملوك الأسرة الزندية (١٧٩٤) لم يعد من منافس أمامه ، وأصبحت ايران كلها تحت حكمه ، واستطاع أن يضم اقليم « جورجيا (٨) » الى حكمه أيضا ، وكان أمراء هذا الاقليم يتأرجحون في الولاء بين روسيا وايران ، وتوج نفسه ملكا على ايران سنة ١٧٩٦ وبدأ

---

(٥) علي اكبر بينا — تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران — ج١ — ص٣٣.

(٦) من قواد ايران المشهورين حكم بين ١٧٣٦ — ١٧٤٧ ووصل في جيوشه الى بغداد غربا ودلهي شرقا وتفليس شمالا ، وهو مؤسس الاسرة الافشارية التي حكمت ايران فترة .

(٧) حكم منها ستة ملوك وكانت عاصمتها مدينة شيراز .

(٨) يطلق عليها الايرانيون اسم « كرجستان » وعرفها العرب قديما باسم « بلاد الكرج » .

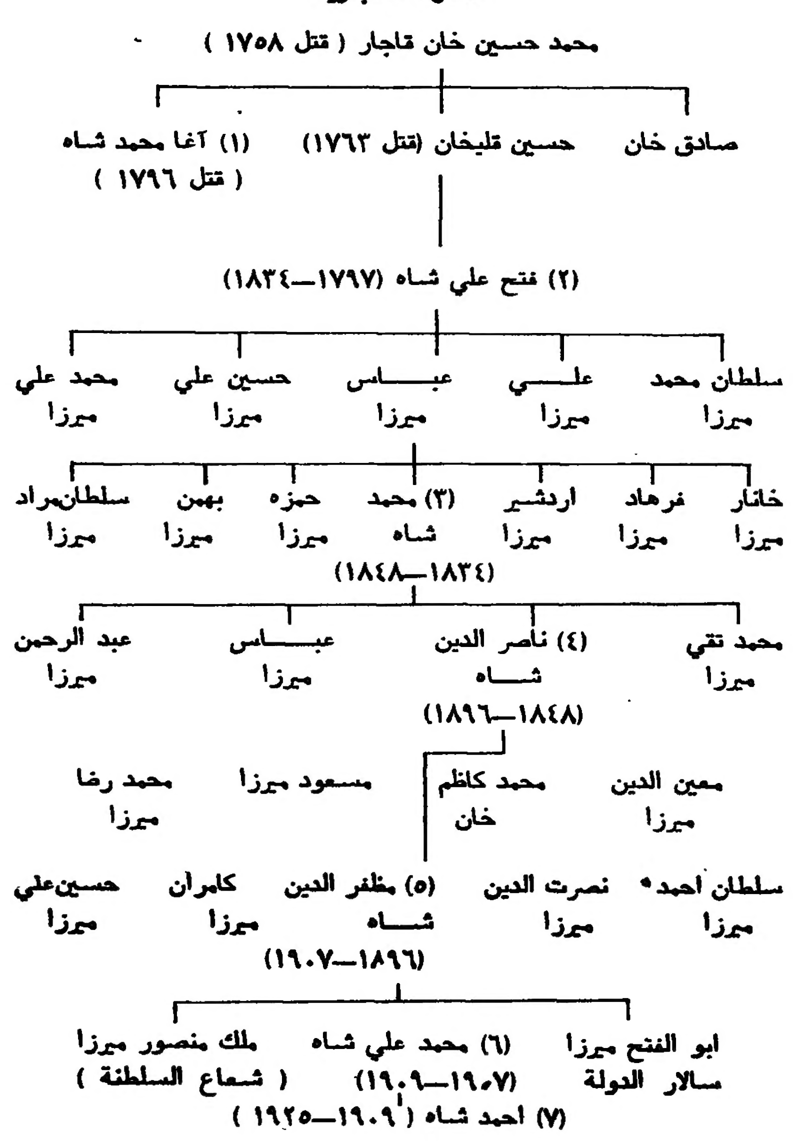
بذلك حكم الأسرة القاجارية ٠

حكمت الأسرة القاجارية ايران ، في عصر كان الشرق فيه تغيبه دياجير الجهل والانحطاط ، خصوصا وان الدولة العثمانية في هذه الفترة لم تعد قوية كالسابق ، ومن ناحية أخرى ، كانت أوروبا قد استكملت أسباب النهضة وتسلحت بوسائل التقدم والقوة ، وأخذت تتطلع منذ أواخر القرن الثامن عشر الى خارج حدودها ، تسعى للحصول على مواد أولية لصناعاتها ولفتح أسواق تجارية لبضائعها ، وكان الضعف الذي يعاني منه الشرق ، فرصتها الثمينة ، فراحت تدق أبوابه بعنف ، وكان هذا بداية الاتصال الحديث بين الشرق والغرب ، وكانت نتيجته سقوط أكثر دول المشرق صريعة الاستعمار الأوروبي أو وقوعها في دائرة نفوذه ، وكان لايران نصيب من هذا الاتصال بدأ مع بداية حكم الأسرة القاجارية واستمر يقوى حينا ويضعف حينا آخر تبعا لمناورات السياسة الأوروبية ، وقد أدى هذا الاتصال في النهاية الى سرعة العمل على يقظة الشعب الايراني وتحسسه حقيقة أوضاعه السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية ، ودعم بالتالي الحركة الوطنية المطالبة بالاصلاح ٠

الأوضاع السياسية ونظام الحكم :

كان الشاه في العهد القاجاري قمة جهاز الحكم ومحور السياسة فيه ، فقد كان ملكا مطلقا ، سلطاته لا حدود لها ، وكلمته هي العليا ، ومشيئته قانون لا يرد ، وكانت أقدار رعاياه بين يديه ان شاء قتل وان شاء عزل ، وكان يتصرف بثروات البلاد

الاسرة القاجاريه



وبخزائن الدولة كيفما جمحت به الرغبة أو مال به الهوى (٩) وكان يزيده استبدادا واستملاء المنافقون المتحلقون حوله الذين لا يعددون الا مناقبه ولا يحمدون الا مزاياه ولا يخاطبونه الا بألقاب التفخيم والتعظيم فهو مرة « ملك الملوك » وأخرى «واجهة الدنيا» وثالثة « قبلة العالم (١٠) » وغير ذلك من ألقاب·
ولم يقبل ملوك القاجار ـ حتى قيام الدستور ـ أن يشاركهم أحد في تحمل مسؤوليات الحكم ، بل ظلوا يقبضون على أزمة الأمور بأنفسهم ، ويحكمون حكما فرديا مطلقا ، بالرغم مما أقاموه من مجالس استشارية ، ووزارات ، الا أنها كانت مجالس شكلية ووزارات بلا حكم ، مع العلم ان الدول الايرانية القديمة لم تخل من مجالس استشارية كانت تخفف من صلاحيات الشاه ونفوذه (١١) ·

ولكن بعد أن تحولت ايران الى المذهب الشيعي ، أخذ رجال الدين الشيعة بما صار لهم من نفوذ شعبي يقاسمون الملوك صلاحياتهم ، وكان هذا الأمر يخفف من قوة استبداد الملوك في كثير من الأحيان ·

وكانت المعاملات والأحوال الشخصية تنظر فيها المحاكم الشرعية المعروفة باسم « محاضر شرع » ويجري الحكم فيها طبقا

---

(٩) ابراهيم تيموري ــ عصر بيخبري ياتاريخ امتيازات درايران ــ ص ٢٤.
(10) Kitto, John — The Court and the people of Persia, p. 11.
(١١) كان في الدولة الاشكانية (٢٤٩ ق·م· ــ ٢٢٦م) · مجلس شورى العائلة المالكة ومجلس الشيوخ ، وكذلك الحال في الدولة الساسانية (٢٢٦ ــ ٦٥٢م) وعند اجتماع المجلسين معا كان يطلق عليهما مجلس « مفستان » أي مجلس المجوس مما يدل على نفوذ رجال الدين في ذلك الوقت .

للشريعة الاسلامية ، ولم يكن يمين قضاة هذه المحاكم من قبل الحكومة ، بل كان الطرفان المتخاصمان يتفقان على اللجوء لأحد رجال الدين المشهورين بالتقوى والعدل ، في منطقتهم ، ولكن بعد مدة صار يترأس محاضر الشرع المدعون من أصحاب المطامع والجهلة بأمور الدين ، وتطرق الى هذه المحاكم الفساد الـذي شمل كل شيء بالعهد القاجاري ، ولم تعد تلك المحاكم في غالبيتها مركزا للعدل والحق ، ومما كان يزيد الأمور سوءا ان أحكام هذه المحاكم كانت لا تقبل الرد أو التغيير بحجة ان أحكام الشرع لا يجوز مسها ٠

كان الحكم يصدر شفهيا ، وأخذ الكثيرون من القضـاة في العهد القاجاري يطلبون مبلغا من المال مقابل اصدار الحكـم بالدعوى خطيا فيما أسموه « حق القلم » ٠

أما القضايا المدنية فكانت تنظر فيها المحاكم المعروفة باسم « ديوانخانه (١٢) » وكانت هذه المحاكم أكثر سوءا وفسادا، حيث لم يكن يوجد قانون مدون ، بل كانت تستمد أحكامها من العرف والعادة التي كانت تعود في الكثير من أصولها الى التراث الايراني القديم الممزوج بتعاليم الديانات الايرانية القديمة ، وكـان القضاة يحكمون حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية ، وابتدعوا نظام « ناسخ ومنسوخ » الذي كان القاضي يصدر بموجبه حكمين مختلفين مما في قضية واحدة ، حتى اذا وجد أحد المتخاصمين أن الحكم الأول لا يناسبه وكان قادرا على دفع مبلغ ما للقاضي ، فان هذا « ينسخ » الحكم الأول ويقر الحكم الثاني وبذا كان

---

(١٢) فريدون آدميت ــ امير كبير وايران ــ ص ١٣٢ ٠

العدل لمن يقدر على الدفع وليس لمن يستحق (١٣) ، كما لم يكن يوجد سجل للأحكام والقضايا تدون فيه (١٤) • وقد نتج عن عدم وجود قوانين ان العقوبات أيضا لم يكن لها نصوص محددة ، فقد كانت تترك مدة الحبس للظروف ، ودون أن تتناسب مع الجريمة ، فقد يبقى السجين بقية عمره داخل جدران السجن أو يطلق سراحه بعد وقت قصير ، وفي أحيان كثيرة لا يدري السجين فيم سجن ولماذا أطلق سراحه (١٥) •

كان السجناء يعاملون معاملة قاسية وكانوا يمضون أوقاتهم في زنزانات ضيقة ومعتمة ، ولم يكن يقدم لهم الا الحد الأدنى من الطعام ، وكانت تربط في أعناقهم وأرجلهم السلاسل الحديدية الثقيلة ، وكانت «الفلقة» أكثر أنواع العقوبات رواجا لسهولة تنفيذها(١٦)ولكن كثيرا ما لجأ الحكام القساة الى عقوبات وحشية كسمل العينين والدفن أحياء وصلب المتهمين من آذانهم والاغراق في الماء حتى الموت (١٧) ، ولما صارت الرشوة أكثر الوسائل المتبعة لجمع الثروات ، فقد أخذ مأمورو السجون ، بوضع السجناء مقيدين ، أمام أبواب السجن ليتسولوا من المارة ، وفي نهاية اليوم كانت حصيلة ما جمعه السجين توزع ثلاثة

---

(١٣) محمد اسماعيل رضواني ــ انقلاب مشروطيت ايران ص ٦٧ •

(١٤) حبل المتين ــ العدد ٥ ــ السنة ١٢ في ٣ اكتوبر ١٩٠٤ •

(15) Curzon, George — Persia and the Persian Question Vol. 1, p. 456.

(١٦) كان يسميها الايرانيون « فلك » وهي عقوبة معروفة في بلدان الشرق: حيث تربط قدما المتهم بعصوين وترفعان للاعلى بعد القائه على ظهره على الارض وتضربان بالعصا •

(١٧) انتشارات كاوه ــ تاريخ مختصر مجلس ــ ص ٧ •

أقسام ، احداها لأمور السجن والآخر لموظفيه والثالث للسجين نفسه ، وقد ظلت هذه المادة سارية حتى قيام الحكم الدستوري (١٨) .

ومما كان يزيد في الظلم الواقع على الايرانيين الامتيازات القنصلية المعروفة باسم « كابيتولاسيون » التي كان يتمتع بها الرعايا الأجانب في ايران (١٩) ، ولا شك ان هذا أضفى حماية بالغة على الرعايا الأجانب في ايران ، وتسبب في هدر حقوق الايرانيين وزيادة الظلم الواقع عليهم (٢٠) .

كانت الرشوة معمولا بها من الشاه ، قمة جهاز الحكم ، الى أصغر موظف بالحكومة ، فكان الصدر الأعظم نفسه يشتري منصبه بمبلغ من المال يؤديه للشاه ، كما كان الوزراء أنفسهم يقدمون الأموال والهدايا للصدر ـ وأحيانا للشاه ـ ليضمنوا بقاءهم في مناصبهم ، كما كانوا هم أنفسهم يتلقون من مرؤوسيهم الرشاوى ، بحيث كان مفهوم الوظيفة جلب المنافع الشخصية وليس الخدمة العامة مطلقا .

وقد بلغ من تفشي الرشوة والفساد بالعهد القاجاري ان كتب الوزير المفوض البريطاني في طهران لحكومته واصفا ذلك بأنه « .. يمكن شراء أي من الوزراء أو الموظفين الكبار بالدولة

---

(١٨) نصرت الله فتحي ـ آزاده كمنام يا خاطرات كاظم شاهرخي ـ ص١٦ .
(١٩) سوف يرد شرحها في الفصل الثاني .
(٢٠) علي باشا صالح ـ نظري بتاريخ حقوق ايران وسازمانهاي قضائي تاشهريور ١٣٤٠ ـ ص ٢٠ .

ببضعة تومانات (٢١) دون آية مبالغة (٢٢) » ٠

وكان تعيين حكام الولايات مقصورا على أمراء الأسرة القاجارية (٢٣) وعلى من يدفع مبلغا أكبر للشاه ، وبذلك لم يكن يصل لهذه المناصب الكبيرة الا الذين يجعلون من الرشوة طريقهم للحكم ، بينما يبقى ذوو الخبرة الأكفاء والرجال الشرفاء بعيدين عنها ، وبذلك كان وصول الحكام لمناصبهم وبقاؤهم فيها يعتمد على كونهم من الأسرة المالكة أو على مقدار ما يقدمونه للشاه ولأعوانه من أموال وهدايا وليس على مدى ما يظهرونه من كفاءة في العمل أو اخلاص فيه (٢٤) ٠ وحتى يظهر الشاه رضاه عن أحد حكام الولايات ، كان يرسل اليه قبل نهاية العام خلعة ، تعتبر بمثابة تثبيت له في منصبه للسنة التالية ، وكان الحاكم يرسل اليه بدوره مبلغا كبيرا من المال كان يسمى

---

(٢١) التومان : كلمة مغولية بمعنى عشرة الاف ، وهي وحدة نقد ايرانية وكان الجنيه الاسترليني يعادل خمسة تومانات ويعادل اليوم ثلاثين قرشا لبنانيا ٠

(٢٢) ف٠و ٢٨/٤١٦ من رسالة دف الى غري برقم ٢٢١٤٧/١٦٧ ــ قلهك ٢١ يونيو ١٩٠٦ ٠ و (ف٠و٠) يرمز بها لوثائق دار المحفوظات العامة بلندن ٠

(٢٣) كان حكام الولايات الايرانية في سنة ١٩٠٥ كما يلي : (وهم من الاسرة القاجارية) آذربايجان ــ محمد علي ميرزا (ولي العهد) ٠

فارس ــ الامير شعاع السلطنة — كرمان ــ الامير ركن الدولة

كرمانشاه ــ الامير فرمانفرما — كيلان ــ الامير اسد السلطنة

خراسان ــ الامير آصف الدولة — اصفهان ــ الامير ظل السلطان

يزد ــ الامير مؤيد الدولة — كردستان ــ الامير سالار الدولة

طهران ــ الامير علاء الدولة

(٢٤) روبرت واطسون ــ تاريخ ايران دورة قاجارية ــ ترجمة ع٠ مازندراني ص ٢ ٠

« خلعت بها (٢٥) » حيث يدخل خزائن الشاه الخاصة (٢٦) ٠

وكانت ايران مقسمة في عهد ناصر الدين شاه الى سبع ايالات كبيرة هي : آذربايجان ـ فارس ـ كرمان وبلوجستان ـ خوزستان وعربستان ـ كردستان ـ كيلان ـ طبرستان ٠ كما كان يوجد سبع عشرة مقاطعة أصغر تدعى كل منها «حكومت (٢٧)» وفي عهد مظفر الدين شاه وحتى نهاية الحكم القاجاري ، بقيت الايالات الكبيرة وأصبحت المقاطعات تدعى « ولايت » بينما أطلق اسم « حكومت » على ادارة المدن ، مثل حكومة طهران وحكومة أصفهان وغيرها ٠

كان اضطرار الحكام لشراء المناصب بالأموال ، يحتم عليهم اغتنام فرصة حكمهم لاسترداد ما دفعوه من أموال ولتنمية ثرواتهم الشخصية ، وكان الولاة يلجأون لشتى الأساليب والوسائل لجمع أكبر كمية من المال في أقصر وقت ، وجعلوا من هذه الوسائل أمرا الزاميا ، بحيث انها أصبحت من ميزات ذلك العهد ، فكانوا يجمعون مبالغ أكبر من الضريبة المقررة ، فيرسلون ما هو مطلوب منهم للعاصمة ، ويحتفظون بالباقي لأنفسهم ويسمونه « تفاوت عمل » وكانوا يوزعون جزءا من هذه المبالغ المتحصلة على محصلي الضرائب مكافأة لهم على جهودهم ، وكلما كانت المبالغ المجموعة أكثر كلما كانت مكافآتهم أكبر ، ولذلك كان هؤلاء يقبلون على عملهم بكل همة ولا

---

(٢٥) بها بمعنى ثمن او قيمة .

(26) Curzon, George — Persia and the Persian Question, Vol. 1, p. 446.

(٢٧) محمد حسنخان اعتماد السلطنة ـ المآثر والآثار ـ ص ٣٤ .

يتهاونون مع أفراد الشعب الذين كان عبء هذه الضرائب يقع على كواهلهم فيضيف الى فقرهم فقرا ، ويزيد من تعاسة أوضاعهم .

وكانت بعض الضرائب عينية وكان الجباة يطلبون من الفلاحين دفع ما يقابلها نقدا ، وكانوا يحاسبونهم طبقا لأسعارها الجديدة المرتفعة ، بينما كانوا هم يحاسبون العاصمة حسبما هو مسجل في سجل الضرائب ، بالأسعار القديمة ، وكانت المبالغ الناتجة عن فرق السعرين تعتبر دخلا مقبولا للوالي يسمونه « تسعيرات (٢٨) » وكان الولاة لا يعينون أحدا في أي منصب كان في ولاياتهم الا بعد أن يقدم مبلغا من المال يوازي منافع تلك الوظيفة ، وكانت هذه الأموال المتحصلة تسمى « مداخل » وتعتبر أيضا احدى وسائل زيادة دخل الحاكم ، وقد جاء وقت أصبح دفع الأموال فيه من أجل التعيين في أحد المراكز لا يجوز التسامح بشأنه (٢٩) .

ازاء كل هذه المغانم التي كان يجرها منصب الوالي لم يكن الولاة يهتمون بتقدم ورقي ولاياتهم أو يعملون على تحسين أحوال رعاياهم ، فكانت الزراعة في تدهور ، والطرقات خربة والأمراض متفشية ، وكانت أعداد السكان في تناقص مستمر ، وكان أسوأ مظاهر جشع الولاة وأطماعهم أنهم كانوا يحتكرون المواد الغذائية الأساسية ويبيعونها بأسعار فاحشة ، ففي عام ١٨٩٩ كان عشرون شخصا في طهران يملكون الأفران التي تصنع الخبز لأهل المدينة ، وكانوا يقدمون الخبز بأسعار عالية

---

(28) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 239.
(29) Sykes, Sir Percy — A History of Persia, Vol. 2, pp. 383-384.

ويخلطونه بالنشارة وقشر الأرز ، ومات بتلك السنة ألوف من الطهرانيين بسبب رداءة الخبز دون أن تحفل بذلك السلطات المسئولة (٣٠) ٠

وفي شيراز (عام ١٩٠٢ (٣١)) كان الوالي (الأمير شعاع السلطنة) يحتكر الخبز بحيث ارتفع سعره الى أربعة أضعاف سعره العادي (٣٢) ، واعتصم عدد كبير من المواطنين في « مسجد نو » بتلك المدينة ، فأرسل الحاكم أعـوانه يضربون النـاس ويفرقونهم ٠ والأمر نفسه حدث في مشهد التي تظاهر سكانها سنة ١٩٠٣ ضد حاكمها الأمير (نير الدولة) لاحتكاره تجارة القمح وبيعه اياه بأسعار عالية ، وقد أمر الحاكم جنوده باطلاق النار على المتظاهرين وقتل منهم ثلاثمئة دون أدنى رحمة أو شفقة (٣٣) ٠

كان بعض الولاة يتغاضون عن أعمـال اللصوص وقطـاع الطرق في ولاياتهم مقابل حصة مما يسلبون ، ووصل الاستهتار بأمور الناس أن عمد بعض هؤلاء الحكام الى تشكيل عصابات من اللصوص بالخفـاء لتعمل لحسابهـم وتكـون أرباحهم منهـا أوفر (٣٤) ، وهكذا كانت الأوضاع تزداد ترديا وكـان الفقر يشتد وخاصة في الولايات الايرانية البعيدة عن طهران ، وبلغ

---

(٣٠) حكمت / العدد ١٢ / السنة ٨ / في ١٧ ايلول ١٨٩٩ ٠

(٣١) مظفري ــ العدد ٦ / في ١٥ ذي الحجة ١٣١٩ هـ (١٩٠٢) ٠

(٣٢) كان سعر « من » الخبز ١ قران فاصبح ٤ قران ٠ و « من » وحدة وزن ايرانية تعادل ٣ كغم و « قران » وحدة نقد فضية وزنها يعادل وزن ٢٤ حبـة حمص ٠

(٣٣) حبل المتين ــ العدد ٣٤ ــ السنة ١٢ / في ٦ يوليو ١٩٠٣ ٠

(34) Sykes, Sir Percy — A History of Persia, Vol. 2, p. 384.

من كثرة المتسولين القادمين الى طهران،أن اضطر ناصر الدين شاه الى اصدار أمر سنة ١٨٦٣ يقضي بابعاد كل من يضبط وهو يتسول الى خارج المدينة (٣٥) ، دون النظر الى أسباب التسول ومحاولة علاجها ٠

وكان يزيد من جشع الحكام والولاة في جمع الأموال أنهم كانوا يعرفون أن فترة بقائهم في مناصبهم قصيرة ، وكانوا كثيرا ما يتعرضون لمصادرة أموالهم ، من قبل الشاه أو الصدر الأعظم، كلما وجد الشاه نفسه بحاجة الى مزيد من المال ، وفي عهد ناصر الدين شاه عند وفاة أحد الأثرياء أو أحد كبار رجال الدولة كان مأمورو الحكومة يختمون منزله ويمنعون ورثته من التصرف بأي شيء من أمواله أو ممتلكاته حتى يحصل الشاه على حصته التي كانت تبلغ ثلث التركة ، ولكن هذه العادة أبطلها مظفر الدين شاه في بداية حكمه (٣٦) ٠

وكانت الحريات معدومة وخاصة زمن ناصر الدين شاه الذي كان حكمه عنوانا للاستبداد المطلق ، وكان شديد الوطأة على الذين يظن أن لديهم أفكارا تحررية فكان يزج بهم في السجون سنوات طويلة ، مثلما فعل مع ميرزا محمد حسين خان ذكاء الملك حيث اتهمه بكتابة مقال ضد نظام الحكم في احدى الجرائد الفارسية الصادرة في لندن (٣٧) وغيره كثيرون ٠ ونتيجة لهذه

---

(٣٥) روبرت واطسون ـ تاريخ ايران دوره قاجاريه ترجمة ع. مازندراني ص ـ ٣٣ ٠

(٣٦) غلام حسين افضل الملك ـ افضل التواريخ مخطوطة برقم ٢١٦/ ٨١٨٠ مكتبة المجلس الوطني في طهران ٠

(٣٧) فريدون آدميت ـ فكر آزادي ومقدمة نهضت مشروطيت ـ ص٢٠٤٠

الأوضاع السيئة كانت الثقة بين المواطنين والطبقة الحاكمة مفقودة ، بما كانت تظهره تلك الطبقة نحو أفراد الشعب من كراهية واستهتار بآماله وآلامه ، وكان الشعب من جهته يعبر عن مشاعره ازاء رجال الحكم بما كان يقوم به بين فترة وأخرى، من اضرابات وحركات تمرد وثورات ، وليس أدل على ذلك من قيام ثمانية وعشرين حركة تمرد وثورة في شتى مناطق ايران في مدة لا تزيد على أربعين سنة من حكم ناصر الدين شاه (٣٨) ، وكانت زيارة الشاه لاحدى المناطق الايرانية تعني خراب تلك المنطقة وخلوها من القوت الضروري ، بسبب ما كان يقوم به مرافقو الشاه من خدم وحرس وغيرهم من أعمال نهب وتعديات على بيوت وحقول الفلاحين في قرى تلك المنطقة ، ولذلك حينما كان يصل لأسماع سكان احدى المناطق عن زيارة يزمع الشاه القيام بها الى منطقتهم ، كثيرا ما كانوا يسارعون الى رشوة المتنفذين في البلاط ليعدلوا من برنامج الرحلة بحيث يترك « شرف ! » زيارتهم لفرصة أخرى (٣٩) .

ومرة في احدى رحلات الصيد لمظفر الدين شاه هبت عاصفة ثلجية على معسكره ليلا ، فأمر بضعة جنود بامساك حبال خيمته لمنع سقوطها ، وعند الصباح وجد الجنود موتى وقد تجمدت أصابعهم على حبال الخيمة ، واغتنم المتملقون هذه الفرصة

---

(٣٨) محمد حسنخان أعتماد السلطنة — المآثر والآثار — ص ٣٧ ويلاحظ ان المؤلف وهو من الاسرة القاجارية عندما يتحدث عن هذه الحركات يشيد بنجاح الشاه في القضاء عليها .

(٣٩) روبرت واطسون — تاريخ ايران دورة قاجارية — ص ٣٠ .

ليهمسوا في أذن الشاه أن هذا دليل تضحية واخلاص للـذات الملكية (٤٠) .

ومن مظاهر تردي الأوضاع في العهد القاجاري ، ما ابتدعه رجال بلاط ناصر الدين شاه من بيع الألقاب التشريفية واضافة عائدها لخزائن الشاه ، وأقبل رجال الدولة على شراء الألقاب وحلت عند الكثيرين منهم محل أسمائهم الشخصية ، وكانت أعلى الألقاب تلك التي تنتهي بالكلمات « سلطنـة » و « دولـة » و « ملك » وكانت الأولى مقصورة على أفراد الأسرة القاجارية غالبا .

ولما كانت هذه الألقاب تضيف دخلا جديـدا للشاه ، الذي كان بحاجة الى الأموال لنفقاته المتزايدة ، فقد أخذ مستشاروه يبتكرون ألقابا جديدة مرة بمزج كلمات فارسية بعربية وأخرى بتركيب ألقاب مـن أسماء أعضـاء البـدن أو الكواكـب أو النجوم (٤١) ، ولما كثر الطلب وأعيتهم الحيل أخـذوا يركبون ألقاباً كيفما اتفق دون أن يكون لها معنى واضح أو مفهوم (٤٢) ، وأفلت الأمر من يد السلطات فأخذ الناس يطلقون على أنفسهم ألقابا فخمة ، وكان من نتيجة فوضى الألقاب أن اضطرت حكومة ناصر الدين شاه الى اصدار فرمان بمعاقبة كل من يحمل لقبا لم

---

(40) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 113.

(٤١) مثل عين الدولة ولسان الملك وعضد السلطنة وكذلك نجم الملـك وشمس الدولة الخ ..

(٤٢) مثل اعتضاد الملك ونصرت حضـور وحسام دفتـر وغيرها ويقول اعتماد السلطنة في كتابه المآثر والآثار ص ٢٣ متفاخرا انه اشتق ٧٥ لقبا تبدأ بحرف الالف و ٢٤ حرفا تبدأ بحرف الباء و ١١٥ تبدأ بحرف الجيم وهكذا .

تمنحه اياه الدولة رسميا (٤٣) ، وذلك لخشية ناصر الدين شاه من نقصان دخله من بيع الألقاب غاية الابتذال بحيث بلغ عدد من يحملون ألقابا في زمانه عشر سكان ايران (٤٤) ، وكذلك لم تكن الرتب العسكرية المالية بنجوة من هذا الأمر ، فبلغ عدد الذين يحملون تلك الألقاب من المدنيين ثلثي حامليها من العاملين فملا بالجيش ، وانتقلت عدوى الألقاب للمدن فأخذوا بتسميتها بالألقاب الرنانة الكبيرة (٤٥) .

من هذا كله يتضح ان الاوضاع السياسية والادارية في الفترة التي سبقت الحكم الدستوري كانت سيئة .

الأوضاع العسكرية :

ان الجيش الايراني ، الذي كانت راياته تخفق يوما على شواطيء البحر الأبيض المتوسط (٤٦) وسهول الهند وجبال أرمينيا (٤٧) ، أصبح في العهد القاجاري عاجزا عن مقاومة أي

---

(٤٣) جريدة ايران — العدد ٦١٣ في ١١ صفر ١٣٠٤هـ (١٨٨٧) .

(٤٤) مجلة يغما — السنة الثانية ص ٧٩ — سنة ١٩٥٠ .

(٤٥) يقول اعتماد السلطنة في كتابه المآثر والاثار صفحة ٣٤ انه كان يطلق على طهران لقب « دار الخلافة » وعلى قم « دار الايمان » وعلى كرمانشاه « دار الدولة » وعلى همدان « البلدة الطيبة » وعلى كاشان « دار المؤمنين » وعلى بروجرد « دار السرور » وعلى يزد « دار العبادة » الخ ...

(٤٦) في عهد الاسرة الساسانية .

(٤٧) في عهد نادر شاه القائد الايراني الكبير الذي وصل الى دلهي واستولى على عرش الطاووس المرصع بالجواهر ، كما قاد جيوشه الى تفليس بأرمينيا .

غزو أجنبي ، بل حتى عاجزا عن تثبيت الأمن الداخلي ويرجع ذلك للأسباب التالية :

١ ـ سوء نظام الخدمة المسكرية حيث لم يكن يوجد نظام محدد للتجنيد اذ كان يفرض على كل قبيلة أو عائلة تقديم عدد معين من الرجال ، ويبقى هؤلاء في الخدمة العسكرية طيلة الحياة، وبذلك كان الجيش يجمع في وقت واحد الفتيان القادمين حديثا للجيش ولم تتجاوز أعمارهم العشرين الى جانب الكهول الذين نيفوا على الستين ٠

٢ ـ جمود الجيش على أوضاعه القديمة في ميادين التدريب والتسليح وعدم تطوره فيهما بالرغم من استخدام بعثات تدريب عسكرية أوروبية عديدة بين فترة وأخرى ، بالاضافة الى عدم وجود مصانع للأسلحة والذخيرة بشكل كاف ٠

٣ ـ ضعف الروح المعنوية لدى أفراد الجيش الايرانـــي ؛ لشدة الاهمال الذي كانوا يعانونه من المسؤولين ، حيث لم يكن يوفر لهم التدريب والتسليح الكافيان ، وكانت فترة التدريب لا تتجاوز أسبوعا واحدا من صيف كل عام ، كما كانوا يحرمون من تلقي الرواتب لعدة أشهر وأحيانا لبضع سنوات ، ممـا جعلهم ينفرون من الحياة العسكرية ويمضون أغلب أيام السنة بعيدين عن المعسكرات (٤٨) يعملون في الاعمال المدنية كالخدمة بالمنازل أو حراسة بيوت الأثرياء ، بل وصل ببعضهم الامر الى حد مشاركة قطاع الطرق في جرائمهم ، وكانوا يعبرون عن عدم رضاهم عن النظام الحاكم في كثير من حركات التمرد والعصيان

---

(٤٨) روبرت واطسون ـ تاريخ ايران ـ ص ٢٧ ٠

التي قاموا بها ، مثلما فعلت حامية بوشهر في ٢٦ اغسطس ١٨٩٦ حيث أعلنت العصيان حتى أجيبت مطالبها بدفع رواتب أفرادها المتأخرة ، وكذلك بقيام أربعة وثلاثين من ضباط المدفعية باحتلال مركز قيادتهم في طهران في ٢٨ فبراير ١٨٩٧ واعتصامهم به حتى استجابة الحكومة لهم باعطائهم رواتبهم المتأخرة (٤٩) ، وكانت هذه الاحداث وأمثالها تدل على ضعف الجيش وفقدان الانضباط بين أفراده ، ولذلك أصبح عديم الفائدة من الوجهة العسكرية كما أنه لم يكن مستعدا لحماية النظام ضد خصومه ، ففي سنة ١٩٠٢ حينما ثارت قبائل « لرستان » في غربي ايران قامت بتجريد ٨٠٠ جندي من أسلحتهم دون أن يبدي أولئك أية مقاومة (٥٠) ٠

كان عدد أفراد القوات الايرانية طبقا للقوائم الرسمية سنة ١٩٠٦ مئة وخمسين ألفا وكان يضاف اليهم خمسون ألفا من الاحتياطي ، ولم يكن يوجد عدد ثابت ، وكذلك كان يوجد فرق كبير بين الأرقام الرسمية والأعداد الفعلية ٠

كانت القوات الايرانية تتشكل من الأقسام التالية :

المشاة ـ الفرسان وأغلبهم من قوات القبائل ـ رجال المدفعية ـ القوزاق ٠ وهناك حرس الطرق العامة الذين كانوا يسمون « قره سوران » ، أما رجال المدفعية فقد كانوا قد فقدوا أهيتهم منذ عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) لانقطاعهم

---

(٤٩) خاطرات الكولونيل كاساكوفسكي ص ٢٢٨ ـ ترجمها عن الروسية بالفارسية عباس قلي جلي ، وكان كاساكوفسكي قائدا لفرقة القوزاق الايرانية بين ١٨٩٤ ـ ١٩٠٣ ٠

(٥٠) المصدر السابق ص ٨٧ ٠

عن التدريب والمناورة (٥١) .

أما رواتب الجنود فقد كانت ضئيلة جدا ولم تكن تتجاوز سبعة تومانات سنويا ، «ونصف « من » من الخبز يوميا ، أما رواتب الضباط فكانت تتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ تومان سنويا حسب الرتبة (٥٢) ، ورغم ضآلة رواتب الجنود الا أنها لم تكن تؤدى لهم بانتظام ، وكان كثير من كبار الضباط يجبرون الجنود على توقيع وصولات باستلامهم رواتبهم بينما هم يعطونهم قسما منها ويحتفظون بالقسم الاكبر لأنفسهم (٥٣) ، كما أن كثيرا من مخصصات الجنود التموينية كانت تسرق قبل أن تصل لأيدي الجنود .

قامت بعض محاولات الاصلاح والتنظيم في الجيش الايراني، وعلى الرغم من أنها كانت تتم بين فترة وأخرى على مدى نصف قرن تقريبا الا أنها لم تؤد لتغييرات مهمة في وضع هذا الجيش لارتباطها بالمصالح السياسية الأوروبية . ولعل أول بعثات التدريب العسكرية الأوروبية في العهد القاجاري بعثة الجنرال غاردان الفرنسي (Gardane) والتي كانت تضم سبعين ضابطا من مختلف الاسلحة سنة ١٨٠٧ وقد أرسلها نابليون بونابرت ، وكان الغرض من ارسالها تدريب الجيش الايراني ليكون مستعدا لمعاونة الجيش الفرنسي عند تنفيذ

---

(٥١) ف.و. ٤١٦/٣٣ من تقرير الملحق العسكري البريطاني في طهران الى حكومته ١٩٠٧ .

(٥٢) هذا ما ذكره فريدون ادميت في كتابه امير كبير وايران صفحة ١٢٢ بينما ورد في مراجع اخرى ان رواتب الضباط كانت تتراوح بين ٤٠ — ٥٠٠ تومان سنويا حسب الرتبة .

(٥٣) فريدون آدميت — امير كبير وايران — ص ١٠٨ .

نابليون لخطته لغزو الهند عن طريق المرور عبر ايران ، ولقد كان للدسائس البريطانية أثرها في ترك البعثة الفرنسية لايران دون اتمام مهمتها • وجاءت سنة ١٨٠٨ بعثة عسكرية بريطانية برئاسة السير جون مالكولم (John Malcolm) حيث استطاع الاتفاق مع الشاه على أن يقوم البريطانيون بتدريب الجيش الايراني وتسليحه مقابل عدم السماح للفرنسيين بعبور الاراضي الايرانية اذا حاولوا غزو الهند ، ولم يكن الغرض من مجيء هذه البعثات العسكرية الا تثبيت المصالح الأوروبية المتنافسة ، وقد لاقت هوى في نفس فتح علي شاه الذي كان بحاجة الى اعادة تدريب جيشه والى العون الأوروبي ، لشعوره بخطورة الأطماع التوسعية لدى جارة ايران الكبيرة في الشمال (روسيا) ، وسرعان ما تحول الأمر الى صدام مسلح بين روسيا وايران استمر بشكل متقطع بين ١٨٠٤ ـ ١٨١٣ وانتهى بتوقيع معاهدة كلستان التي خسرت ايران بموجبها مساحات شاسعة من أراضيها ، وقد عادت روسيا الى اقتطاع أجزاء أخرى بعد حربها الثانية مع ايران (من ١٨٢٦ الى ١٨٢٨) في معاهدة تركمانجاي (٥٤) •

أخذت البعثات العسكرية تتتابع في هذه الفترة ، ولكنها جميعا كانت بهدف خدمة مصالح دولها الأوروبية فقط (٥٥) ، ولذلك لم تؤد الى نتائج مثمرة وظل الجيش الايراني على ضعفه وسوء تدريبه ، وكان تأسيس فرقة قوزاق ايرانية سنة ١٨٧٨

---

(٥٤) سوف يرد تفصيل هذه المعاهدات في الفصل الثاني •

(٥٥) منها بعثة الكولونيل شيل البريطاني (١٨٣٣) وبعثة الكونت دوسيرسي الفرنسي (١٨٣٩) •

أهم اصلاح عسكري جرى في العهد القاجاري ، حيث دربت على أحدث النظم العسكرية وزودت بأحدث الاسلحة آنذاك ، غير ان جعل قيادتها لضباط روس (٥٦) أفقد الجيش الايراني الفائدة المرجوة منها حيث أصبحت أقوى وسائل تدعيم النفوذ الروسي في البلاد ، رغم أنها كانت تكلف الخزينة الايرانية مبالغ كبيرة من المال (٥٧) ٠

وهذا الوضع العسكري السيء كان في صالح الحركة الوطنية الاصلاحية حيث لم يكن للحكومة قوات فعالة تسند النظام وتقف ضد الوطنيين ٠

الأوضاع الاجتماعية :

كان المجتمع الايراني في العهد القاجاري ، قبل الدستور ، مجتمعا مفككا ، يسوده الجهل والانحطاط ، وكان أبرز سماته انقسامه الى طبقات متمايزة لكل منها مصالحها الخاصة ، وكانت هذه الطبقات :

أ ــ طبقة أمراء الأسرة القاجارية وكبار رجال البلاط والدولة ، وكانت هذه الطبقة تستأثر بالمناصب الكبيرة وتقتني

---

(٥٦) ظلت تحت قيادةضباطروس حتى ٨ فبراير ــ شباط ١٩١٧ عندما تمرد رضا خان مع الضباط الايرانيين الاخرين وطردوا الضباط الروس منها واصبحت جزءا من القوات المسلحة الايرانية .

(٥٧) جاء في العدد ١٦ من مجلة تمدن بتاريخ ٢ ربيع ثاني ١٣٢٥هـ (١٩٠٧) ان نفقات فرقة القوزاق لذلك العام بلغت ٢٣٠٤٠٠ تومان وان راتب الضابط الروسي فيها كان يبلغ ٥٥٢٠ تومانا سنويا وهو يعادل عشرة اضعاف راتب الضابط الايراني .

الأملاك والاراضي الواسعة ، وتزداد مع الأيام قوة وثراء وتتمتع بامتيازات هائلة ·

ب ــ طبقة العلماء ورجال الدين (علما وروحانيان) كان لهم الهيمنة على أحوال الناس الشخصية ، وكان تحت تصرفهم مؤسسات دينية وخيرية واسعة ، وكانوا يتمتعون بنفوذ واسع ، خاصة بين الأوساط الشعبية ·

ج ــ طبقة التجار وصغار الحرفيين (تجار وكسبة) :

كانت العائلات تتوارث تجارة أو حرفة معينة ، وكان لكل نوع من التجارة أو الحرف نقابة خاصة (اصناف) وكانت أوضاع هذه الطبقة حسنة بشكل عام وكان مستواها يتأرجح تبعا للازدهار والكساد الذي يصيب البلاد ·

د ــ طبقة الفلاحين (روستائيان) : وهي السواد الأعظم من الشعب وكانت تعيش أسوأ أوضاعها ، ترزح تحت وطأة الفقر من جهة ، وتعاني من الاضطهاد والظلم من جهة أخرى · وكانت رغم فقرها معرضة دوما للنهب ومصادرة أموالها ، كما كانت تعاني من الجوع والأمراض ، وكانت في تناقص مستمر ، اما لهجرة أفرادها الى الصحراء والمدن ، أو لانتشار الأمراض بينهم ·

هـ ــ طبقة القبائل (ايلات) : وكان أفراد هذه الطبقة يكادون يكونون مجتمعا منفصلا عن بقية طبقات المجتمع الايراني بحكم موقع مناطقهم النائية ، وحيث كان لرؤسائهم نفوذ واسع على تلك القبائل يكاد يكون مستقلا ، وكانت أكثر المناطق التي تتجمع فيها القبائل هي مناطق فارس وكردستان وبلوجستان ، وكانت هذه القبائل تنتمي لأصول فارسية وعربية وكردية

وتركية (٥٨) ٠

وبشكل عام يمكن وضع الشعب الايراني في فئتين : احداهما فئة ممتازة تتمتع بالاعفاء من الضرائب وتملك الثروات والأراضي الواسعة ، ولها كل الغنم ، وفئة أخرى يقع عليها كل الغرم فتدفع الضرائب الباهظة وتحرم من حقوقها الأساسية وتعاني من الاضطهاد والمصادرة ، الأولى تدعى « خوانين » والثانية « رعيت (٥٩) »٠وهكذا كان الشعب الايراني في غالبيته يرزح تحت أعباء ثقال فرضها النظام الحاكم وسيئاته ، فكان السكان في تناقص مطرد ، وكانت الأمراض والمجاعات تفتك بهم ، وكانت المدن والقرى الايرانية خالية من وسائل الحياة الضرورية ، حتى طهران التي كانت تعد بين ٢٠٠ الى ٢٢٠ ألفا في أواخر عهد ناصر الدين شاه كانت ببيوتها الطينية وشوارعها المبلطة بالحجارة والتي تضاء بمصابيح البترول أشبه بقرية كبيرة (٦٠) ٠

ولم يكن الايرانيون يحسون بالأمن والاطمئنان على أرواحهم وممتلكاتهم ، ولم يجد اصدار ناصر الدين شاه سنة ١٨٨٨ بيانا

---

(٥٨) من اشهر القبائل الايرانية الفارسية الاصل قبائل بختياري وقشقائي ومن الكردية قبائل اردلان وسنجابي وحسنوند ومن التركية قبائل شكاك وفولادلو ومن العربية بني كعب وباوى والمنتفك .

(٥٩) خوانين جمع « خان » وهي كلمة مغولية بمعنى سيد او رئيس قومه او عشيرته ، « ورعيت » بمعنى التابع ، وهو يستعمل بنفس هذه الصيغة للاطلاق على الشخص الفرد او المجموع ، وقد امر الشاه محمد رضا بهلوي بالغاء هذا اللقب رسميا سنة ١٩٦٣ ضمن التغييرات التي ادخلها على نظام الاراضي والزراعة .

(60) Sykes, E., G., — Through Persia on a side Saddle, p. 14.

يؤمن فيه الايرانيين على أرواحهم وممتلكاتهم ، ويعد بعدم التعرض للأشخاص بالملاحقة أو الممتلكات بالمصادرة دون مسوغ مشروع (٦١) ٠

أما من الناحية التعليمية فيمكن القول ان الايرانيين في عهد القاجار كانوا شعبا من الأميين ، وأكبر دليل على مدى انتشار الأمية ، ان نسبة المتعلمين في طهران العاصمة ١٩٠٨ (أي بعد الدستور) والبالغ عددهم ثلاثمئة ألف ، كانت لا تتجاوز ٥ ٪ على أكثر تقدير (٦٢) ٠

وكان التعليم مقتصرا على مبادىء اللغة الفارسية والقرآن الكريم والحساب ، وكانت تقوم به ـ على الأغلب ـ المدارس الدينية ، أما القلة الضئيلة من أبناء الطبقة الحاكمة فكانوا يكملون تعليمهم في استانبول أو أوروبا ، أو في دار الفنون بطهران (٦٣) ، وكان تعليم البنات منحصرا بفئة قليلة منهن كن يتلقين تعليمهن داخل البيوت وتقوم بذلك سيدات مسنات في العادة ، وكن يتلقين مبادىء اللغة والدين ، أما بقية النساء الايرانيات فكن محرومات من نعمة العلم ، غارقات في الجهل ، يمضين حياتهن قابعات في بيوتهن ، وفي أوقات الفراغ كن يعكفن على تدخين الغليون الذي كان منتشرا بين النساء في هذه الفترة (٦٤) ٠

---

(61) Curzon, George — Persia and the Persian Question, Vol, 1, p. 467.

(٦٢) نداي وطن ـ العدد ٢١٠ في ١٩ اذار ١٩٠٨ ٠

(٦٣) روبرت واطسون ـ تاريخ ايران دورة قاجارية ـ ص ٢١ ٠

(64) Sykes, E., C. — Through Persia on a Side Saddle, p. 14.

من هذه الأوضاع يتضح ان المجتمع الايراني كان مجتمعا متخلفا ، وبذلك كان صالحا لأن تنمو فيه أفكار الحرية والاصلاح وتنضج بسرعة ·

الأوضاع الاقتصادية :

التجارة : فقدت التجارة الايرانية في العهد القاجاري الكثير من ازدهارها القديم ، نتيجة لخراب الطرق ، وانعدام الأمن ، وتوالي المجاعات ، وانحصرت تجارة ايران الخارجية بشكل واسع مع بلدين هما روسيا وانكلترا (ومعهما الهند أيضا(٦٥)) ، وكانت الرسوم الجمركية على البضائع الروسية والبريطانية ضئيلة جدا لا تتجاوز نسبة ٥ ٪ فقد كانت على البترول ٥ر١ ٪ وعلى السكر ٢٥ر٢ ٪ ، وكان هذا يضر بمصلحة التجار الايرانيين وتسبب في افلاس الكثيرين منهم (٦٦) ، وبينما كان التاجر الأوروبي معفى من كثير من الرسوم عن البضائع التي يحضرها لايران · كان على التاجر الايراني دفع رسم مقداره ٣ ٪ عن البضائع التي يصدرها بالاضافة الى رسوم أخرى عديدة ، مثل رسم البوابة ورسم الميدان ورسم العتبات ·· الخ (٦٧) ، وكانت هذه الرسوم قد وضعت في أواخر عهد ناصر الدين شاه ،

---

(٦٥) م. بافلوفيتش وزملاؤه ــ انقلاب مشروطيت ايران وريشه هاي اجتماعي واقتصادي آن ــ ترجمه عن الروسية م. هوشيار ــ ص ٢٦ ·
(٦٦) ايران اكونومست ــ ص ٣ ــ تموز ١٩٦٧ ·
(٦٧) يغما ــ العدد ٣ ــ السنة ١٤ ــ ١٩٦١ ·

وكان للروس مراكز تجارية في مدن شمال ايران (مثل رشت وانزلي وجلفا) ، كما كان للانجليز مثلها في موانيء ايـران الجنوبية (مثل بوشهر وبندر عباس) ، وزاد في تدهور التجارة الداخلية احتكار الولاة للمواد الضرورية وبيعها فيما بعد بأسعار عالية • والصناعات الايرانية القليلة كانت في تدهور مستمر حيث كانت صناعات يدوية ، ولم يكن بامكانها مجاراة الصناعات الأوروبية المتطورة والتي كانت تتمتع بحماية دولها لها •

نظام الأراضي والزراعة :

كانت الأراضي الزراعية في العهد القاجاري تصنف تبعـا للضرائب المفروضة عليها الى ما يلي :

أ) ـ أراضي خالصجات : جمع « خالصة » وهي الأراضي التي تملكها الدولة ، وكانت تشكل قسما كبيرا من الاراضـي الزراعية . وكان يضم اليها الاراضي المصادرة وأراضي المتوفين بلا ورثة ، كما كان الشاه يمنح منها لرجاله ، وعند ذلك كانت تسمى الأرض المنوحة « سيورغال » وجميع هذه الاراضـي كانت معفاة من دفع الضرائب •

ب) ـ أراضي « وقفيات » : جمع « وقفية » وهي الاراضي الموقوفة لأعمال الخير ، وكان يدير أمورها كبار رجال الدين ، كل في منطقته ، وكانت عائداتها تصرف على الأمور الخيرية والدينية وكانت معفاة أيضا من الضرائب •

ج) ـ أراضي « اربابي (٦٨) » : وهي أراضي كبار الملاك

---

(٦٨) كلمة « ارباب » العربية جمع رب ، تستعمل باللغة الفارسية للدلالة على « السيد المالك » المفـرد .

والاقطاعيين وكانت مساحتها بازدياد ، وكانت تجبى عنها الضرائب ، ولكن عبء هذه الضرائب كان يقع على عاتق الفلاح ، وليس مالك الارض ، فقد كان السواد الاعظم من الفلاحين الايرانيين لا يملكون أرضا وانما كانوا أجراء يعملون فيها لصاحب الارض ، وكان على الفلاح مقابل استغلاله أرض المالك تقديم ثلث المحاصيل الناتجة اليه ، وعند تقديم المالك للبذار والأدوات الزراعية بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت حصته ترتفع الى ٨٥ ٪ من المحصول الناتج ، وفي كلتا الحالتين فان الحكومة كانت تحصل نصيبها من الضرائب من حصة الفلاح مهما كانت ضئيلة وذلك على شكل ضرائب عينية (٦٩) .

الضرائب :

كانت الضرائب في العهد القاجاري منظمة ولكنها لم تكن عادلة ، سواء في نسبة توزيعها ، أو في اسلوب تحصيلها ، وكانت البلاد مقسومة الى ثلاثمئة وأربعين منطقة ضريبية يشرف على كل منها موظف يدعى « مستوفي » يشرف على تحصيل الضرائب من منطقته بموجب سجل خاص يدعى « كتابجه ماليات ـ سجل الضرائب » ، وكان يشرف على جميع المناطق موظف بالعاصمة يدعى « مستوفي الممالك (٧٠) » وكانت وظيفته بمثابة وزير للمالية ، ومن مساويء هذا النظام انه لم يكن يحدد أسلوب استيفاء الضرائب ، مما كان يتيح المجال للحكام أن يحصلوا

---

(٦٩) م. بافلوفيتش ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ١٣ .
(70) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 238.

الضرائب مقدما للعام القادم متى كانوا بحاجة للمال • وكذلك كانوا يلجأون لاستعمال أقصى وسائل العنف والقسوة في التحصيل ، والمتخلف عن دفع الضريبة ، وهو غالبا من الفلاحين الفقراء أو من أرباب الحرف المعوزين ، كان يجلد أمام أهالي قريته ، حتى يضطر هؤلاء الى جمع المبلغ المطلوب لانقاذ مواطنهم من التعذيب (٧١) •

ومن الضرائب الأخرى ما كان يسمى بضرائب « الصادر » وهي ضرائب كانت تفرض على الفلاحين وسكان القرى كلما حضر الى قريتهم موظف كبير أو سافر أحد المسؤولين الكبار في رحلة بعيدة ، وكذلك عند تزويج أحد كبار الموظفين في الولايات لأحد أولاده أو بناته حيث كان يفرض على المواطنين المذكورين في تلك المنطقة تقديم هدايا اجبارية سواء كانت من محصولاتهم أو نقودا (٧٢) •

ومن الضرائب المبتكرة بالعهد القاجاري ضريبة الأقنية (ماليات قنات) وكانت تحصل عن الاراضي التي تمر فيها أقنية الري ، والطريف ان هذه الضريبة كانت تظل تحصل سواء جفت القناة فيما بعد أو أصبحت الارض بورا (٧٣) ، كما كان يوجد ضريبة على الاشخاص باسم « ضريبة الرأس » وكانت بمعدل أربعة قرانات على الرجل و٢٥ر٢ قران عن كل من المرأة والطفل •

ازاء هذه الضرائب الثقيلة وأسلوب تحصيلها القاسي الذي

---

(٧١) ناظم الاسلام كرماني — تاريخ بيدارى ايرانيان — ج١ — ص ١٧٥•
(٧٢) علي اكبر بينا — تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران — ج١ — ص ٧١•
(٧٣) بروروش — العدد الخامس — السنة الاولى — في ٩ تموز ١٩٠٠ •

كان يعاني منه الفلاحون وصغار الحرفيين بشكل خاص ، فقد كره هؤلاء النظام القائم ، وعبروا عن كراهيتهم وسخطهم بحركات تمرد عديدة بين فترة وأخرى ، كان من أهمها حركة سنة ١٩٠٥ التي استطاعوا بها طرد جباة الضرائب من كثير من قرى الريف الايراني لعدة أشهر ٠

التلزيم والايجار :

كان التلزيم والايجار وجها آخر من أوجه النظام الاقتصادي السيء في العهد القاجاري ، حيث كانت الحكومة تلزم المرافق الهامة لأشخاص مقابل دفع مبلغ معين كل عام مثل : الجمارك ومصايد الاسماك والنقل على الطرق وسك النقود وغير ذلك ٠ وكان من نتيجة تلزيم دار سك النقود مثلا ان أصبحت النقود مغشوشة العيار وهبطت قيمتها وفقد الناس الثقة بها ، كما زاد الأمر سوءا وجود أكثر من دار لسك النقود في الولايات المختلفة وكان بعض الحكام لا يتورعون عن سك نقود مغشوشة كما فعل الأمير ظل السلطان حاكم أصفهان حيث تظاهر سكانها ضده بسبب ذلك ، وفي طهران عند عزل ملتزم دار سك النقود الحاج حسن محمد أمين الضرب وجدت في منزله قوالب لسك النقود المغشوشة (٧٤) ٠

عندما أصدر البنك الشاهنشاهي أول عملة ورقية بايران (سنة ١٨٩٦) رفض الناس قبولها لعدم ثقتهم بقيمتها ٠ كما

---

(٧٤) حافظ فرمانفرمائيان ــ خاطرات سياسي ميرزا علي خان امين الدولة ــ ص ٢٠٠ ٠

ان المرافق الهامة الأخرى التي كان يجري تأجيرها أو تلزيمها ، لم يكن هم ملتزميها الا تحقيق الأرباح الوفيرة لهم ، دون اهتمام بمصالح المواطنين .

زاد الوضع المالي سوءا رحلات ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه المتعددة الى أوروبا والتي كانت تكلف المبالغ الطائلة، وحين سرح مظفر الدين شاه نساء أبيه بعد وفاته منحهن تعويضات بلغت مليون تومان (٧٥) ، كما أنه سنة ١٩٠٥ أنفق قسما كبيرا من عائدات الدولة على رجاله وأقربائه بشكل هدايا وتسديد ديونهم الشخصية (٧٦) .

ان الاسراف الشديد في الانفاق مقابل قلة العائدات جعل الدولة عاجزة عن دفع رواتب موظفيها أو القيام بخدمات للمواطنين أو تحسين أحوالهم ، ويروي حبيب الله مختاري في كتابه « تاريخ بيداري ايران » ان « ... أحد الضباط أخبرني أنه لدى عودته من دراسته العسكرية في استانبول ظل بلا راتب عدة أشهر ، بدعوى عدم وجود مخصصات زائدة ، حتى نفق فيل كان مهدى للشاه من الهند ، فحولت مخصصاته التي كانت تبلغ ٦٠٠ تومان سنويا كراتب لهذا الضابط (٧٧) » .

لجأ ملوك القاجار المتأخرون ـ ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه ـ الى الاقتراض (٧٨) من الدول الاجنبية لرفع العجز

---

(٧٥) خاطرات الكولونيل كاساكوفسكي ـ ص ٩٥ .

(٧٦) ف.و. ـ ٢٤/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ١٨٣ قلهك في ٢٤ اغسطس ١٩٠٥ .

(٧٧) الجزء الاول ـ ص ٢٣ .

(٧٨) سوف تشرح بالتفصيل في الفصل الثاني .

المتزايد في خزينة الدولة ، وما تبع ذلك من رهن عائـدات الجمارك وغيرها من مرافق البلاد الهامة لضمان سداد أقساط تلك القروض ، وكان هذا الوضع عاملا هاما في ادراك الوطنيين المصير السيء الذي ينتظر بلادهم ، اذا استمرت الأحـوال في تدهورها ، وسعيهم القوي من ثم ، للعمل على قيام نهضـة اصلاحية تغير الوضع القائم وتجعل للشعب نصيبا في الاشراف على أموره المالية وغيرها ٠

الفصل الثاني

العوامل الخارجية والداخلية المؤثرة في قيام الثورة الدستورية

١ ـ ايران وأوروبا :

كانت الصلات بين ايران وأوروبا قائمة منذ زمن بعيد ، ولكنها لم تكن صلات وثيقة .

أ ـ ايران وروسيا :

نشأت العلاقة بين ايران وروسيا في وقت مبكر ، بحكم مجاورة روسيا لايران ، بالاضافة الى تصادف مجيء القاجاريين للحكم مع بدء الروس تنفيذ سياسة بطرس الاكبر في توسيع حدود روسيا نحو المياه الدافئة ، ولذلك اتسمت هذه العلاقة بطابع الصدام المسلح في حربين كبيرتين في مدة لا تتجاوز ربع قرن ، وقد حققت روسيا نتيجة لهما أغلب أهدافها التوسعية ، ومدت حدودها الى الجنوب باتجاه الخليج العربي مسافة بعيدة ، وعلى الرغم من أنها لم تصل فعلا في حدودها ـ لظروف دولية عديدة ـ الى مياه الخليج العربي ، فقد استعاضت عن ذلك

بالامتيازات التجارية وغيرها ، التي أخذت تتمتع بها في ايران ، وكذلك في بسط نفوذها الذي أصبح قويا في بلاط القاجار • وكانت روسيا غير راضية عن ضم جورجيا الى ايران ، ولذلك عند وصول القيصر اسكندر الأول للحكم (١٨٠١) أخذ بتطبيق سياسة التوسع الروسي على أوسع نطاق ، بادئا بضم جورجيا اليه ، وقد أدت هذه السياسة الى وقوع حرب بين الدولتين ، استمرت متقطعة من ١٨٠٤ ـ ١٨١٣ ، أحرز الايرانيون في بدايتها انتصارات كبيرة ، وكان ذلك يرجع بالدرجة الأولى الى مهارة القائد الايراني عباس ميرزا ولي عهد فتح علي شاه ، غير أن نقصان التدريب لدى الجيش الايراني ، وفقدان الذخائر الكافية والأسلحة الجيدة ، أنزل الهزائم المتلاحقة بالجيش الايراني حتى اضطرت ايران الى توقيع معاهدة كلستان (١٨١٣) خسرت بموجبها المناطق التالية من أراضيها : جورجيا ـ باكو ـ شيروان ـ شماخي ـ شكي ـ كنجه ـ قره باغ وبعض أجزاء من مغان وطالش • ولما كانت روسيا ماضية في سياستها التوسعية فقد استغلت فرصة ضعف الجيش الايراني والظروف الدولية المناسبة وشنت حربها الثانية على ايران (١٨٢٥ ـ ١٨٢٨) وقد انتهت هذه الحرب مرة أخرى بهزيمة جديدة للجيش الايراني ، وبتوقيع ايران وروسيا معاهدة تركمانجاي ، التي ضمت لروسيا أراضي ايرانية جديدة ، هي ايروان (يريفان الحالية) ونخجوان ، وأصبح نهر أرس الحد الفاصل بين الدولتين (١) •

---

(١) يشكل هذا النهر الان جزءا من الحدود الفاصلة بين الاتحاد السوفياتي وايران بموجب معاهدة تثبيت الحدود سنة ١٩٢١ •

كانت هذه المعاهدة أخطر المعاهدات التي تمت بين ايران وروسيا ، كما أنها كانت بداية علاقات جديدة بين البلدين ، فقد ضمنت روسيا بموجبها نفوذا قويا في ايران ، ومنحت امتيازات كثيرة أفقدت الاستقلال الايراني الكثير من جوهره ، وبموجب هذه المعاهدة كان على ايران دفع غرامة حربية قيمتها ثلاثة ملايين جنيه استرليني ، وسمح للأسطول الروسي فقط بالملاحة في بحر قزوين ، وبموجب الاتفاقية التجارية الملحقة بالمعاهدة فقد منح التجار الروس امتيازات تجارية مهمة حيث جعلت أعلى نسبة جمركية على البضائع التي يصدرونها لايران لا تتجاوز ٥ ٪ ، ومنحت بضائعهم حق الافضلية بالنسبة للبلدان الأخرى ، كما منح الروس امتيازات قنصلية (Capitulation) سمح لهم بموجبها بعدم الخضوع للقانون الايراني (العرف الايراني) عند تواجدهم في ايران ، وعند حدوث ما يستوجب المحاكمة ، تتولى محاكمتهم وزارة الخارجية الايرانية بحضور مندوب عن المفوضية الروسية ، ونظرا لضعف الحكومة القاجارية ولازدياد النفوذ الروسي ، فقد أصبح الرعايا الروس الموجودون في ايران لا يخضعون للقانون الايراني مطلقا ، وبدل أن تحاكمهم وزارة الخارجية الايرانية ، أصبحوا يسلمون مباشرة الى المفوضية الروسية لتقوم بمحاكمتهم في بلادها طبقا للقانون الروسي (٢) . وهذه الامتيازات القنصلية الممنوحة للروس استطاع الانجليز تحصيل مثلها ، وفعلت مثلهم الدولة العثمانية والدول الأوروبية الأخرى ، مستغلين بذلك ضعف الحكومة

---

(٢) الدكتور علي اكبر بينا ــ تاريخ سياسي وديپلوماسي ايران ــ ج١ ــ ص ٣٠٨ .

القاجارية ، وكانت هذه الامتيازات تدعيما للنفوذ الاجنبي في ايران وخاصة الروسي الذي ظل يقوى ويشتد ، وخصوصا زمن مظفر الدين شاه ، وعلى الرغم من منافسة الانجليز للروس الا أنه ظل لهؤلاء النفوذ الاول في بلاط القاجار حيث كان مدعما بالضغط والتهديد العسكري الدائم وظل كذلك حتى قيام الحكم الدستوري ٠

ب ـ ايران وفرنسا :

ان خوف القاجاريين من التسلط الروسي ومعرفتهم الاكيدة بعدم قدرتهم على مجابهته ، جعلتهم يفتشون عن حليف أوروبي يقف بجانبهم ، وكانت الظروف السياسية الأوروبية في ذلك الوقت ، قد هيأت فرنسا لأن تكون هي الحليف الذي تتطلع اليه ايران للاستعانة به وبذلك بدأت العلاقات السياسية بين البلدين بوقت مبكر ، ويرجع تطلع فرنسا الى اقامة علاقات مع ايران في هذه الفترة الى العوامل التالية :

١ ـ كان فتح علي شاه يخشى من محاولات روسيا للتوسع بعد احتلالها لجورجيا (١٨٠١) ، ولما كان نابليون بونابرت في حالة حرب معها ، فقد رأى فيه فتح علي شاه نصيرا قويا يدعمه مقابل الروس ، ولذلك رحب بتوثيق صلاته بفرنسا وشجعها ، رغم حذره من الدول الأوروبية ٠

٢ ـ كان نابليون يهدف الى استمادة هيبة ونفوذ فرنسا في الشرق بعد الهزيمة التي أصيب بها في حملته على مصر ، ورأى في توثيق العلاقات مع ايران فرصة لاستعادة هذا النفوذ ٠

٣ ـ تطلع نابليون الى الانتقام من الانجليز الذين أخرجوه

من مصر بضربهم في درة مستعمراتهم ، الهند ، واخراجهم منها ، وكان يرى في الطريق البري عبر ايران أسهل الطرق لتحقيق غرضه .

وهكذا وصلت بعثة الجنرال غاردان الى طهران في ١٨٠٥ حاملة رسالة « من نابليون أقوى ملوك أوروبا الى فتح علي شاه أعظم ملوك الشرق » كما جاء في تلك الرسالة ، وقامت البعثة باستطلاع أوضاع ايران واحتياجاتها ، وفي السنة التالية (١٨٠٦) جاء وفد فرنسي آخر برئاسة أميدي جوبير (Amede Jaubert) وقام هذا الوفد أيضا بدراسة أحوال ايران ودراسة الأسس التي تهيء ايجاد أفضل العلاقات بين البلدين ، ولما كان فتح علي شاه راغبا في سرعة قيام هذه العلاقات ، فقد أرسل وفدا ايرانيا الى فرنسا برئاسة محمد رضا خان وحمله هدايا قيمة (٣) الى نابليون ، وقد وقع هذا الوفد معاهدة مع نابليون في ٤ مايو ١٨٠٧ عرفت باسم معاهدة فنكنشتاين (Finkenstein) نسبة الى المعسكر الذي كان يقيم فيه نابليون في بروسيا الشرقية ، وكانت أهم بنود المعاهدة أن تساعد فرنسا ايران على استرجاع جورجيا من الروس ، وامدادها بالأسلحة والخبراء في تدريب قواتها ، ومقابل ذلك تعهدت ايران بقطع كل علاقاتها مع بريطانيا ، واعلان الحرب عليها تضامنا مع فرنسا ، وبالعمل على توحيد صف الأفغانيين لمقاومة الانجليز

---

(٣) ذكر علي اكبر بينا في كتابه تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران في الصفحة ١١٧ ان قيمة الهدايا بلغت ٣٣٢٦٠٠ فرنك واذا علمنا مدى بخل فتح علي شاه وعدم تفريطه باي مبلغ كان ، ادركنا مدى الاهمية التي كان يعلقها على اقامة العلاقات مع فرنسا بتقديمه تلك الهدايا القيمة.

في الهند ، والسماح للأسطـول الفرنسي باستخـدام الموانيء الايرانية على الخليج العربـي ، وكذلـك السماح للجيـوش الفرنسية بعبور الاراضي الايرانية عند تقدمها لغزو الهند(٤) ·
وتطبيقا للاتفاقية رجع الجنرال غاردان سنة ١٨٠٧ على رأس بعثة عسكرية كبيرة ضمت سبعين ضابطا ومدنيا ، وأخذت البعثة تقوم بتدريب الجيش الايراني وتنظيمه ، فأقامت مركزيـن للتدريب في طهران وتبريز ، وأنشأت بعضُ مصانع الذخيرة في طهران وأصنهان وتبريز ، ولكن حدث في السنة نفسهـا أن تغيرت الظروف الدولية ، فتوقفت ، الحرب بين روسيا وفرنسا ووقعتا معاهدة تيلسيت (Tilsit) ولم يعد نابليون يفكـر جديا بغزو الهند ، وكان من نتيجة المعاهدة أن توقفت بعثـة غاردان عن عملها ثم انسحبت دون أن تستفيد منها ايران كثيرا، واغتنم الانجليز الفرصة وأخذوا بالايقاع بـين الايرانيـين والفرنسيين ففترت العلاقات بين البلدين ، وانصرفت فرنسـا الى معالجة مشاكلها بالقارة الأوروبية بعد سقوط نابليون ، ورغم ان العلاقات لم تصبح عدائية بين البلدين الا أنها ظلت ضعيفة حتى قيام الحكم الدستوري في ايزان ، وساعد على بقائها حسنة بين البلدين امتناع فرنسا عن التدخل في شؤون ايـران الداخلية ، وفي سنة ١٨٣٩ جاءت بعثة دينية فرنسية برئاسة أوجين بوريه (Eugen Boré) حيـث قـامـت بتأسيس بعض المدارس الابتدائية في تبريز (٥) ، وفي نفس السنة جاء وفد

---

(٤) علي اكبر بينا ــ تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ج١ ص ١١٨ .
(٥) علي اكبر بينا ــ محاضرات غير مطبوعة القيت على طلاب قسم التاريخ في كلية الاداب في جامعة طهران سنة ١٩٦٤ .

فرنسي برئاسة الكونت دوسيرسي (De Sercey) واستطاع الحصول على فرمان من الشاه بانشاء المزيد من المدارس وكذلك الكنائس في ايران ، وفي هذه الفترة أخذت المسألة الافغانية بالظهور ، ووقف الانجليز ضد ايران ، فعملت هذه على اعادة تقوية علاقاتها بفرنسا علها تساعدها ضد الانجليز ، لكن الفرنسيين آثروا عدم توريط أنفسهم في مشاكل ايران السياسية ، وان ظلوا حريصين على تقوية صلاتها الاقتصادية معها ، فجاء الى طهران سنة ١٨٤٣ وفد فرنسي برئاسة الكونت دوسورتيش وحصل على فرمان من الشاه يجعل الرسوم الجمركية على البضائع الفرنسية لا تتعدى ٥ ٪ أسوة بالروس والانجليز ، وفي سنة ١٨٤٦ أرسلت ايران ميرزا (٦) محمد علي خان شيرازي الى باريس لجلب العمال والصناع الفرنسيين المهرة . وظلت علاقات ايران مع فرنسا قوية من الناحية التجارية ، كما أن الثقافة الفرنسية تمتعت بمركز مرموق في البلاط وبين أوساط الطبقة الحاكمة الايرانية ، بالاضافة الى أن كثيرا من المصلحين الايرانيين كانوا متشبعين بأفكار الثورة الفرنسية .

١

ج ــ ايران وانجلترا :

رغم ان الانجليز لم يكونوا من أوائل الدول الأوروبية التي أقامت علاقات مبكرة مع ايران الا أنهم كانوا أول من أقام علاقات وثيقة ومستمرة معها ، بين الدول الأوروبية ، وكان محوز

---

(٦) كانت تعني بالاصل « كاتب » واذا جاءت قبل الاسم دلت على ان صاحبه متعلم ، واذا جاءت بعده كانت تدل على لقب الامارة .

السياسة البريطانية في ايران يدور حول تأمين حدود الهند من أي غزو محتمل عن طريق الاراضي الايرانية ، وكذلك ابقاء أسواق ايران مفتوحة للبضائع البريطانية ، وقد ظل هذان العاملان محور السياسة البريطانية طيلة الحكم القاجاري • من جهة القاجاريين فقد كان عدوهم الدائم روسيا ، ولذلك كانوا يفتشون عن حليف ، مرة مع فرنسا وتارة مع انجلترا ، وكانت الادارة الانجليزية بالهند تشدد على تحسين الروابط بينها وبين ايران ، تأمينا لمصالحها التجارية وحماية لحدودها معها ، وقد جاء السير جون مالكولم لايران في أواخر سنة ١٨٠٠ وعقد معها معاهدة (في يناير كانون الثاني ١٨٠١) تعهدت فيها ايران بالعمل على عدم الصلح مع الافغانيين الا اذا تعهدوا بعدم غزو الهند ، وتعهد الانجليز مقابل ذلك بامداد ايران بالمساعدة العسكرية ضد أي غزو يقوم به الفرنسيون أو الافغانيون عليها (٧) • كما ألحق بالاتفاقية معاهدة تجارية أعطت الانجليز اعفاءات جمركية كبيرة في الموانىء الايرانية ، مساوية لتلك التي كان قد حصل عليها الروس سابقا (٨) •

في عام ١٨٠٨ وبعد انسحاب البعثة الفرنسية من ايران عاد مالكولم ثانية لايران ممثلا لحكومة الهند ، وجاء كذلك السير هارفورد جونز (Harford Jones) ممثلا للحكومة ، ووقعا في ١٢ مارس ١٨٠٩ معاهدة جديدة مع ايران تعهدت فيها بريطانيا بمساعدة الايرانيين ضد الفرنسيين طالما ظل الانجليز في حالة حرب معهم ، وكذلك تقديم مبلغ مئة وعشرين ألف جنيه

---

(٧) علي اكبر بينا ـ تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ـ ح١ ـ ص ١٠٣ .
(8) Sykes, Percy — A History of Persia, Vol. 2, p. 301.

استرليني لتسليح الجيش الايراني وتدريبه ، لكن هذه المعاهدة لم تدخل حيز التنفيذ (٩) .

وفي سنة ١٨١١ جاء السير غورا وزلي (Gore Ouseley) ومعه عدد من الضباط الانجليز الذين عملوا على تدريب الجيش الايراني على أساليب القتال الحديث ، ولما نشبت الحرب الروسية الايرانية بذل الانجليز جهدهم لعقد صلح بين الدولتين ليتفرغ الروس لمساعدة الانجليز في حربهم ضد نابليون . وقد دخلت المسألة الافغانية كأحد العوامل الهامة في تطور العلاقات الايرانية البريطانية ، فقد كان الروس قد استولوا في هذه الفترة على تركستان واقتربوا كثيرا من حدود الهند ، ولما كان للقاجاريين بعض السيطرة على الأمراء الافغانيين ، وكانت ايران تحت تأثير النفوذ الروسي بشكل كبير ، فقد خشي الانجليز أن يكون ذلك سببا في وقوع الافغانيين تحت النفوذ الروسي ، مما يزيل آخر حاجز يقف أمام وصول الروس لتخوم الهند ، ولذلك رأوا في نزع سيطرة ايران على الافغانيين ما يحد بالتالي من تغلغل النفوذ الروسي ويجعل الهند في مأمن من خطره ، وكانت الخطوة الثانية تقوية الافغانيين ليكونوا حاجزا دائما أمام التوسع الروسي نحو حدود الهند .

أخذت قوات كامران ميرزا ـ أمير هرات الافغاني ـ تعتدي على القبائل التركمانية القاطنة في خراسان ، فحاول محمد شاه منعها وزحف على الاراضي الافغانية في سنة ١٨٣٦ وحقق انتصارات كبيرة ولكن الانجليز ـ طبقا لمصالحهم السياسية ـ

---

(٩) علي اكبر بينا ـ تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ـ ج١ ـ ص ١٤٤ .

ساعدوا الافغانيين في مقاومة الجيوش الايرانية عند محاصرتها لهرات مما اضطره لفك الحصار والعودة لطهران ، وعند تزايد قوة الافغانيين خشي الانجليز من أن يغزوا الهند ، فجردوا عليهم حملة عسكرية كبيرة سنة ١٨٤٢ ، واحتلوا أغلب المناطق الافغانية (١٠) · وعندما حاول ناصر الدين شاه فرض الطاعة على الأمراء الافغانيين (١١) سنة ١٨٥٦ ، وقف الانجليز مرة ثانية الى جانب الافغانيين فلم يتمكن الايرانيون من تحقيق أي نصر عسكري ، واضطروا لتوقيع معاهدة باريس سنة ١٨٥٧ التي اعترفوا فيها بقيام حكومة افغانستان المستقلة ، وتنازلوا عن أي ادعاء في الاراضي الافغانية (١٢) ، وكرس الانجليز بذلك انفصال افغانستان عن ايران ، ومن الناحية الاقتصادية فقد حصل الانجليز خلال حكم ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه من بعده ، على امتيازات كثيرة باستثمار الثروات الايرانية وأصبح لهم نفوذ تجاري قوي ومصالح اقتصادية مهمة في تلك الفترة ، وكان الروس ينافسونهم في هذه الناحية ، وان ظل لهم التفوق السياسي في ايران حتى قيام الحركة الدستورية ·

---

(١٠) لوثروب ستودارد — حاضر العالم الاسلامي — ترجمة عجاج نويهض ج٢ ص ١٩٩ ·

(١١) بعد موت امير كابل دوست محمد خان (١٨٦٣) وحدوث خلاف بين ورثته دخل الانجليز كابل (١٨٧٨) ونصبوا الامير يعقوب خان حاكما على الافغان ، لكن الافغانيين هاجموا الانجليز فجاة وابادوا معظم حامياتهم بالبلاد ، فرجع هؤلاء بجيوش كبيرة وفرضوا الامير عبد الرحمن خان على عرش افغانستان ، وقد ظل هذا حتى سنة ١٩٠١ حيث تولى بعده ابنه حبيب الله خان الذي كان اول من تلقب بلقب ملك افغانستان وظل على العرش حتى سنة ١٩١٩ ·

(12) Wilber, Donald — Iran Past and Present, p. 80.

وهكذا نرى ان علاقات ايران مع الدول الأوروبية الكبرى قد اتسعت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وفي أواخر حكم ناصر الدين شاه كان يوجد في طهران سبع مفوضيات بالاضافة للسفارة العثمانية هي : البريطانية ـ الروسية ـ الألمانية ـ النمساوية ـ الايطالية ـ الاميركية ـ الهولندية .

واذا كانت المصالح السياسية الأوروبية قد فرضت ايجاد هذه العلاقات وتقويتها بين ايران والدول الأوروبية الكبيرة الا أن تأثيرها سرعان ما تجاوز السياسة الى مختلف النواحي الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية . ولما كانت ايران هي الطرف المتخلف بالنسبة للدول الأوروبية فقد كان تأثير هذه العلاقات في المجتمع الايراني قويا وبعيد المدى ، حيث أخذ الايرانيون بنقل واستخدام الكثير من أساليب الحياة الأوروبية، كما بدأ عدد الذين يسافرون الى أوروبا لتلقي العلم أو للتجارة يزداد ، ولقد أدرك ناصر الدين شاه خطر هذا الاتصال بين الشعب الايراني والمجتمعات الأوروبية المتقدمة ، على نظام الحكم القاجاري ، فعمل على تقييد السفر الى أوروبا رغم أنه قام بنفسه بثلاث رحلات اليها (في سنوات ١٨٧٣ و١٨٧٨ و ١٨٨٩) وهو صاحب القول المشهور « أرغب أن يكون رجالي أغبياء بلا ثقافة الى القدر الذي لا يعرفون فيه أن بروكسل اسم لمدينة أم لنوع من أنواع الخضر (١٣) » .

---

(١٣) حسن حلاج ـ تاريخ تحولات سياسي ايران ـ ص ٢١ .

٢) أثر الاصلاحات والحركات الثورية في الدول المجاورة لايران:
أ ـ في روسيا :

لم يكن الشعب الروسي ، وخاصة عماله وطبقاته الفقيرة ، راضيا عن أوضاعه الاقتصادية والسياسية ، وحاول العمال اللجوء لانشاء النقابات والقيام بالاضرابات ، ولكن الحكومة القيصرية كانت تقمع حركاتهم بكل قسوة وتطارد المتمردين في كل مكان ، وتزج بهم في السجون أو تنفيهم الى المعتقلات في سيبيريا ، وقد أدى ذلك الى قيام الأحزاب والجمعيات السرية التي أخذت تنشر أفكار الثورة والاصلاح بين جماهير الشعب الروسي وأدت هزيمة روسيا أمام اليابان سنة ١٩٠٥ ، الى قيام رد فعل عنيف بين الشعب الروسي ، فاشتعلت الثورة في ذلك العام ، مما اضطر القيصر نيقولا الثاني الى اعلان الدستور في ٣٠ اكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٠٥ ـ والى تشكيل برلمان منتخب من الشعب سمي « دوما » . وكان أقوى الأحزاب السرية حزب « العمال الاشتراكي الديمقراطي » الذي اتخذ من أفكار كارل ماركس مبادىء له ، وكان هذا الحزب قد تشكل سنة ١٨٩٨ واستطاع بفضل حسن تنظيمه وانتشاره بين أوساط العمال الاسهام بثورة ١٩١٧ بقيادة زعيمه لينين وأصبح يعرف منذ عام ١٩١٨ باسم « الحزب الشيوعي (١٤) » .

كانت قفقاسيا وأرمينيا مسرحا للحركات الثورية السرية المناوئة للحكم القيصري ، وكان من هذه الحركات جمعية

---

(١٤) الدكتور عبد الحميد متولي ـ القانون الدستوري والانظمة السياسية ـ ج١ ـ ص ٤١٨ .

« فدائي ـ الجمعية الفدائيــة » و « حركــة الديمقراطيــين الدستوريين(١٥) »التي أنشأها نريمان نريمانوف سنة ١٩٠٥ • أسهمت هذه الحركات في الثورة الايرانية بطبع المنشورات السرية وارسالها عبر الحدود الى ايران ، وفي تدريب الثوار الوطنيين على القتال ، وفي تهريب الأسلحة عبر شواطىء بحر قزوين أو عبر جبال القفقاس ، حتى في ارسال المقاتلين المدربين ، الى أن تمكنت الثورة الايرانية من النصر ، مما سيرد تفصيله في الفصل السابع •

يمكن ارجاع أسباب مساهمة الحركات الثورية الروسية في دعم الحركة الوطنية الايرانية الى ما يلي :

١ ـ أكثر الحركات الثورية القفقاسية كانت ترى في أسرة رومانوف والأسرة القاجارية عدوا مشتركا لمسلمــي قفقاسيا وايران • وكانت تعتبر مساعدتها لمسلمي ايران ضربا مــن الجهاد المقدس ، خصوصا وأن الصلات العائلية بــين مسلمــي قفقاسيا وآذربايجان كانت لا تزال قوية ومتينة حيث لم يكن قد مضى وقت طويل على انسلاخها عن ايران •

٢ ـ كان نشاط الحركات السرية الروسية قويا في منطقــة باكو الصناعية وكانت نسبة العمال الايرانيين المهاجرين لهــذه المنطقة كبيرة (١٦) •

٣ ـ كانت الحركة الثورية الروسية ترى أن انتصار الثورة

---

(١٥) ف. و. ٣٣/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٢٦٠٣٣/١٤٦ ـ قلهك في ١٤ تموز ١٩٠٧ •

(١٦) كريم طاهر زاده بهزاد ـ قيام آذربايجان در انقلاب مشروطيــت ايران ـ ص ١٦٩ •

الايرانية أسهل منالا من الثورة الروسية لعجز الحكم القاجاري الواضح ، ولعدم وجود جيش قوي لديه لقمع الثورة الوطنية •

ب ـ في الدولة العثمانية :

كانت الدولة العثمانية أكثر اتصالا بأوروبا من ايـران ، ولذلك كان الوعي الوطني والرغبة في الاصلاح أسرع في الظهور فيها منه بايران • ولعل بداية حركة الاصلاح العثمانية كـان صدور منشور « كلخانة » حيث وعد بمنح العدالة والمسـاواة لكافة طبقات الشعب العثماني (١٧) • وكذلك صدور الخط الهمايوني في ١٨٥٦ الذي منح المساواة التامة للرعايا العثمانيين دون تفريق بالمذهب والدين ، وكذلك الغاء نظام الالتـزام في الضريبة وجعله تبعا للدخل (١٨) •

ولكن الحركة الشعبية المطالبة بالاصلاح كانت تقوى وتشتد، وفي ٢٢ مايو ١٨٧٦ قام الآلاف من رجال الدين وأفراد الشعب بمهاجمة الباب العـالي والتظاهر أمـام القصر السلطانـي في استانبول ، حتى اضطروا السلطان عبد العزيز الاول الى عزل الصدر الاعظم الرجعي نديم باشا وتعيين رشيد باشا بدلا منه ، غير أن ازدياد الضغط الشعبي أدى في ٣٠ مايو ـ أيار ـ سنة ١٨٧٦ الى محاصرة قصر السلطان وتسليمه أمر العزل من شيخ الاسلام خير الله أفندي ، وارتقى العرش السلطان مراد الخامس، غير أنه في خريف ذلك العام خلع هذا السلطان أيضا وعين السلطان عبد الحميد الثاني الذي وقع وثيقة يتعهد فيها بمنـح الشعب

---

(١٧) نوفل نعمة الله نوفل ـ الدستور ـ ج١ ـ ص ٢ •

(١٨) توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ـ ص ٦ •

الدستور (١٩) ، وفعلا عين مدحت باشا ـ المصلح العثماني العظيم ـ صدرا أعظم فأعلن هذا أول دستور عثماني في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦ ، على الرغم من عودة السلطان عبد الحميد فيما بعد الى الحكم المطلق والغاء الدستور وقتل مدحت باشا رئيس الوزراء ، الا أن اعلان الدستور قد أحدث أثرا هاما في زيادة الوعي الوطني في كافة أنحاء الامبراطورية العثمانية ، وانتشرت فكرة الاصلاح بين أوساط الشعب وبين ضباط الجيش العثماني الشبان ، وازداد انتشار الجمعيات والأحزاب السرية الثورية ، على الرغم من شدة بطش حكومة الاستبداد بالوطنيين. وكان من هذه الجمعيات « جمعية العثمانيين المحدثين (٢٠) » التي كانت تهدف الى اقامة حكم دستوري وطني ، وفي سنة ١٨٩١ شكل الوطنيون العثمانيون المنفيون في جنيف جمعية أسموها « اللجنة العثمانية للاتحاد والترقي » والتي نشرت فروعها في أغلب العواصم الأوروبية ، وعقدت مؤتمرها الأول في باريس سنة ١٩٠٢ ، كما وضعت برنامجا اصلاحيا ثوريا في مؤتمرها الاول في باريس سنة ١٩٠٧ (٢١) ، كما كان يوجد بين ضباط الجيش العثماني الشبان خلايا ثورية سرية قوية كان لها أكبر الأثر في احداث الثورة الوطنية من جديد في ١٠ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٨ بالتعاون مع حركة « تركيا الفتاة » (التي تأسست سنة ١٨٩٦) واضطر عبد الحميد الثاني الى اعادة

---

(19) Knight, E., F. — The Awakening of Turkey, pp. 30-33.

(٢٠) عرفت باسم « يكي عثمانيللر » انظر توفيق علي برو ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ـ ص ٢٤ .

(21) Knight, E., F. — The Awakening of Turkey, pp. 30-33.

العمل بالدستور في ١٤ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٨ واجتمع مجلس « المبعوثان » العثماني من جديد في ١٧ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٨ (٢٢) .

كان المظهر الوحيد المباشر لتعاون الحركتين الوطنيتين العثمانية والايرانية انشاء بعض المنفيين من البلدين لجانا مشتركة في باريس لشرح مطالب الشعبين الوطنية للرأي العام الأوروبي .

٣ ـ أثر الحرب الروسية اليابانية :

كان للحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) أثر هام وصدى واسع في جميع أنحاء العالم ، حيث كانت المرة الأولى التي تنتصر فيها دولة شرقية صغيرة على أمبراطورية أوروبية ضخمة ، كما كان صداها عميقا بين جميع شعوب آسيا (٢٣) .

فقد أعطى النصر الياباني لدعاة الاصلاح الايرانيين دعما قويا باعتبار أن انتصار اليابان تم لأنها دولة دستورية (٢٤) ،

---

(٢٢) على الرغم من قيام بعض كتائب الجيش العثماني الالبانية بالتمرد ضد الحكم الدستوري في ١٣ نيسان ١٩٠٩ الا ان الجيش العثماني بقيادة محمود شوكت باشا استطاع السيطرة على استانبول في ٢٤ نيسان ١٩٠٩ وخلع عبد الحميد في ٢٦ منه ونفي الى سالونيك وعين السلطان محمد الخامس ، انظر كتاب
Hogarth, D.G., The Nearer East

(٢٣) ارسل السلطان عبد الحميد وفدا على بارجة حربية لتهنئة امبراطور اليابان بالنصر ، وفي مصر نظم حافظ ابراهيم القصائد في مدح اليابان، والف مصطفى كامل كتاب « الشمس المشرقة » جعل من اليابان قدوة الشعوب ، وفي سوريا نظم فارس الخوري قصيدة تمجد اليابانيين .

(٢٤) نالت اليابان دستورها سنة ١٨٩٩ .

وأن هزيمة روسيا كانت لأنها دولة استبدادية (٢٥) ، وأن الحكم الدستوري سبب نهوض الأمم وقوتها ، وقد أدت هذه الافكار الى تقوية صفوف الوطنيين وثقتهم بقدراتهم الخاصة على تقوية بلادهم وتقدمها (٢٦) ، وقالت احدى الجرائد الفارسية الصادرة في الهند ، حول ذلك ، ما ترجمته « ·· الايرانيون أمة واحدة ولهم لغة واحدة ، ومذهبهم واحد ··· وثروات بلادهم ضخمة وأرضهم واسعة خصبة فلماذا لا يترقون · ان السبب واضح وهو عدم حصول الشعب على حرياته الأساسية ، ومتى نالها صارت ايران يابان ثانية (٢٧) » · ولما كان الايرانيون قد انهزموا أمام الروس في حربين فقد فرحوا للنصر الياباني واعتبروه ثأرا لهم ، من الروس ، وزينت كثير من المدن الايرانية احتفالا بذلك وأخذ الايرانيون يهنىء بعضهم بعضا (٢٨) ، وأدت هزيمة الروس الى سقوط هيبة روسيا في نفوس الجماهير الايرانية (٢٩) ·

أما التأثير المادي الذي أحدثته هذه الحرب في ايران فهو في انقطاع وصول مادتي السكر والبترول من روسيا ، بسبب الاضطرابات الداخلية التي أعقبت الحرب ، وكانت ايران تعتمد في استهلاكها لهاتين المادتين على ما تستورده من روسيا ، وقد

---

(25) Lewis, Bernard — The Middle East and the West, p. 55.

(٢٦) ف·و· ٢٦/٤١٦ من رسالة دف الى غري رقم ٩٤٢٧/٥٣ طهران في ٢٧ تشرين ثاني ١٩٠٦ ·

(٢٧) حبل المتين ــ العدد ١٢ ــ السنة ١٢ ــ في ٢٠ تشرين ثاني ١٩٠٥ ·

(٢٨) م· بافلوفيتش وزملاؤه انقلاب مشروطيت ايران ــ ص ١٢٢ ·

(٢٩) ف·و· ٢٢/٤١٦ من رسالة هاردينغ الى لانسدون برقم ٣٩/٢٣٧ طهران في ٣٠ كانون اول ١٩٠٤ ·

أدى ذلك الى ارتفاع أسعار السكر بشكل كبير ، ولجأت الحكومة الايرانية الى وسائل غير حكيمة في معالجة ذلك وعاقبت بعض تجار السكر في طهران (٣٠) مما أدى الى غضب التجار وقيام اضراب تبعته الاحداث المتوالية التي أدت لاشتعال الثورة الوطنية في كافة أنحاء ايران ٠

٤ ـ أثر التنافس السياسي الروسي البريطاني في ايران :

كانت ايران وخاصة بعد الاهتمام الكبير الذي أخذت توجهه بريطانيا اليها منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مسرحا لتنافس سياسي شديد بينها وبين روسيا ، وكانت كل من الدولتين تحاول بسط نفوذها على ايران لتأمين مصالحها الاستراتيجية ، فبريطانيا كانت تسعى للمحافظة على مصالحها المتنامية في الخليج العربي والحيلولة دون سقوط ايران تحت نفوذ أي دولة أوروبية أخرى لحماية حدود الهند (٣١) ٠ وروسيا كانت تعمل للوصول للخليج العربي لتأمين تجارتها في تلك المناطق ، وهذا التنافس السياسي بين الدولتين الكبيرتين أفاد ايران في تلك الفترة حيث منعها من أن تقع تحت السيطرة الاستعمارية لأي منهما ، الا أنه من جهة أخرى أضر بالمصالح الوطنية الايرانية ، حيث كانت حكومة القاجار الضعيفة تضطر لمنح الامتيازات واستثمار ثروات البلاد الى احدى الدولتين كلما

---

(٣٠) ف.و. ٤١٦/٢٦ من رسالة دف الى غري برقم ٩٤٢٧/٥٣ طهران في ٢٧ شباط ١٩٠٦ .

(31) Wilber, Donald — Iran Past and Present, p. 78.

منحت الأخرى مثل تلك الامتيازات (٣٢) ، وحتى تحقق روسيا سياستها في ايران عمليا خاضت مع الحكومة القاجارية حربين كبيرتين ، واذا كانت نتائج الحربين لم تحقق للروس كافة أطماعهم في ايران ، ولم توصلهم لمياه الخليج العربي الا أن النفوذ الذي أصبح لهم فيها جعل يدهم عمليا تصل لمياه الخليج بيسر وسهولة ، مما أقلق الانجليز وجعلهم يحاربون النفوذ الروسي بمنتهى القوة ، ومنذ مطلع القرن العشرين حاول الانجليز الافادة من المشاكل التي كانت تعانيها روسيا في الشرق الأقصى ، بتقوية نفوذهم في ايران ، لكن الروس بالرغم من ذلك لم يغفلوا عن الاهتمام بايران وعدم ترك الميدان خاليا أمام الانجليز (٣٣) ، وعند قيام الشعب الايراني بالمطالبة بانهاء خدمة الموظفين البلجيكيين في الجمارك الايرانية (سنة ١٩٠٥) اتهمت كل من الدولتين الأخرى بأنها تسعى لاحلال موظفين من أبنائها في الجمارك الايرانية محل الموظفين البلجيكيين (٣٤) . وكان للروس نفوذ قوي في بلاط القاجار ، وكان مظفر الدين شاه في أواخر حكمه قد ترك ـ بسبب المرض ـ أمور البلاد لرجال بلاطه الذين كانوا ينفذون سياسة الروس ويعملون طبقا لتوجيهاتهم ، وأدرك الانجليز أن نفوذهم المتضائل سوف يتلاشى خصوصا عند تولي محمد علي شاه العرش ، حيث

---

(٣٢) ف.و. ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غرى برقم ١٩٤/١٨؛ طهران في ٦ شباط ١٩٠٧ .

(٣٣) الاهرام ـ العدد ٨١٥٥ ـ السنة ٣٠ ـ في ١٤ كانون ثاني ١٩٠٥ .

(٣٤) ف.و. ٢٤/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ٦٩ ـ طهران في ٢٤ اذار ١٩٠٥ ق

كان خاضعا تماما للنفوذ الروسي وكان حوله مستشارون من الروس ، وكان كثير الاعجاب بهم كما كان يفتخر بتعلمه اللغة الروسية وبلغ من اغتباطه بذلك أنه كان يوقع صوره التي يهديها لاصدقائه الأوروبين بالأحرف الروسية (٣٥) • وهذا الموقف أفاد الحركة الوطنية كثيرا حيث اضطر الانجليز للوقوف بجانبها حتى اذا انتصرت كان في الاصلاح والدستور حد من سلطات الشاه المطلقة وبالتالي تقليص للنفوذ الروسي ، كما أن الوطنيين سوف يشعرون بالعرفان لبريطانيا لمساندتها لحركتهم •

ومن ناحية أخرى فان هذا التنافس السياسي الروسي البريطاني زاد في وعي الجماهير الايرانية ويقظتها ، وادراكها مدى الأهمية التي تتمتع بها بلادها ، ومدى تناحر وتنافس الدول الأجنبية لاستغلال ضعف الحكم القاجاري لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية لها على حساب الشعب الايراني •

وكان سبب التفاهم البريطاني الروسي ظهور النفوذ الالماني في ايران حيث حاول طرد نفوذ البلدين الآخرين والحلول محلهما ، وقد أخذت ألمانيا تحاول استدراج مظفر الدين شاه وحكومته للاقتراض منها بشروط سهلة ، كما حاولت انشاء بنك ألماني ـ ايراني وكذلك ربط موانىء ألمانيا بموانىء ايران على الخليج العربي بخط ملاحي منتظم كما أسست مستشفى ومدرسة في طهران كما زادت من عدد الموظفين في مفوضيتها وأضافت اليها ملحقا عسكريا (٣٦) • كما أخذت

---

(٣٥) ف.و. ٤١٦/٢٤ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ١٢٥ ـ طهران في ١٠ يونيو ١٩٠٥ •

(٣٦) ف.و. ٤١٦/٢٧ من رسالة دف السرية الى غري برقم ١٥٨٦١/١٣١ ـ طهران في ٩ مايو ١٩٠٦ •

تعمل على استقطاب الشباب الايراني الذي تلقى علومه في ألمانيا حول سياستها في ايران ، وبدأت الحكومتان الروسية والبريطانية تتفاهمان حول اجراء اصلاحات مالية في ايران ووضع رقابة مشتركة منهما على مالية تلك البلاد بدعوى ضمان سداد القروض التي لهما على الحكومة القاجارية (٣٧) ، واستطاع البلدان الوصول لاتفاق مشترك سنة ١٩٠٧ حول تنسيق سياستهما في ايران لمنع تغلغل نفوذ أية دولة أوروبية أخرى (٣٨) ٠

العوامل الداخلية الممهدة للثورة الدستورية

١ ـ أثر المفكرين والمصلحين في وعي الشعب الايراني :

رغم ظلام الجهل وظلم الاستبداد الذي نشر ألويته على ربوع ايران ، فان عددا من أحرار المفكرين استطاع أن يوصل صوته الى أسماع الشعب الايراني ، همسا حينا وجهرا حينا آخر ، ناقلا اليه أفكارا لم يألفها عن حرية الفرد وحقوق المواطن وديموقراطية الحكم ، وقد لامست هذه الأفكار أعماق الضمير الايراني فحركته من جموده وأيقظته من غفوته ، وبثت فيه ارادة العمل للتغيير ، وسنتحدث بالتفصيل عن الذين أحدثوا أثرا هاما في هذا المضمار ٠

---

(٣٧) ف.و. ٢٨/٤١٦ من رسالة دف السرية الى غرى برقم ٢٣١٣٨/١٥٨ قلهك في ١٨ يونيو ١٩٠٦ .

(38) Pahlavi, Mohammad, Reza-Mission for my Country, p. 34.

أ ـ جمال الدين الأفغاني :

ولد سنة ١٨٣٨ في « أسد آباد » احدى قرى « كنر » التابعة لكابول العاصمة الأفغانية ، وكان أبوه « سيد صفدر » من سادتها ويرجع في نسبه للحسين بن علي رضي الله عنه ، كان مقدرا لجمال الدين ألا يقتصر وجوده على بلاد الأفغان وحدها ، بل انه يتعدى ذلك ليصبح ملكا للعالم الاسلامي كله ، ففي سن الثامنة عشرة رحل للهند للاستزادة من العلوم ، ومنها حج الى مكة المكرمة (٣٩) ، وهناك أسس « جمعية أم القرى » للدعوة للوحدة الاسلامية (٤٠) ، ثم رجع الى كابول ليعمل في بلاط الأمير دوست محمد خان ثم محمد أعظم خان ، وعند حدوث خلاف بين أمراء أفغانستان تركها الى الهند ثانية سنة ١٨٦٨ ، وقد أفزعه ما رآه من تخاذل الهنود أمام الانجليز ، فدعا الهنود مسلمين وهندوسا الى الوحدة لمقاومة الاحتلال البريطاني ، وجعل جريدة « حبل المتين (٤١) » منبرا لأفكاره ، ودوت صيحته المشهورة في أرجاء الهند « يا أهل الهند وعزة الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون بمئات الملايين ذبابا ، لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا ويجعل في آذان كبيرهم غلادستون وقرا ... ولو كنتم وأنتم مئات الملايين من الهنود ، وقد مسخكم الله فجعل كلا منكم سلحفاة وخضتم البحر وأحطتم بجزيرة بريطانيا لجرتموها الى القعر وعدتم الى هندكم أحرارا (٤٢) » .

---

(٣٩) عبد القادر المغربي ـ جمال الدين الافغاني ـ ص ٢٧ .
(٤٠) عبد المحسن القصاب ـ جمال الدين الافغاني ـ ص ١٤ .
(٤١) كانت تصدر في كلكتا باللغة الفارسية .
(٤٢) ثابت المدلجي ـ جمال الدين الافغاني ـ ص ١٩ .

خشي الانكليز من تأثر الهنود بأفكاره فأخرجوه من الهند سنة ١٨٦٩ . وقد ذهب الى الآستانة مارا بمصر ولم يمكث فيها الا أربعين يوما فقط ، أصبح منزله في خان الخليلي في تلك الفترة القصيرة ، مقصد الشباب المصري من كل مكان (٤٣) ، وفي الآستانة عينه الصدر الاعظم علي باشا عضوا بمجلس المعارف ، فأخذ يظهر آراءه الاصلاحية في التعليم ، وقد حسده شيخ الاسلام حسن فهمي أفندي على المكانة التي نالها في استانبول ، فاغتنم فرصة القاء جمال الدين خطابا في « دار الفنون » حول النبوة والحكمة (٤٤) ، وأصدر فتوى اتهمه فيها بالعمل على افساد المسلمين ، وتابعه بالهجوم علماء الدين في استانبول فاضطر للعودة لمصر في ٢٢ مارس ـ آذار ـ ١٨٧١ وأمضى فيها ثماني سنوات ، وتعتبر هذه الفترة بداية يقظة فكرية وطنية كان له الفضل الاكبر في بعثها في مصر ، وقد حاول وضع برنامج لاصلاح جهاز الحكم في مصر (٤٥) ، وكان الخديوي اسماعيل باشا يشجعه على البقاء في مصر وجعل له

---

(٤٣) عبد الرحمن الرافعي ـ جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق ـ ص ١١ .

(٤٤) لوثروب ستودارد ـ حاضر العالم الاسلامي ـ ترجمة عجاج نويهض ـ ج٢ ـ ص ٣٠٢ .

(٤٥) انضم جمال الدين للحركة الماسونية لتسهيل تحقيق افكاره الاصلاحية عمليا ، ولما وجد ان المحفل الاسكتلندي لا يساعده على ذلك انشأ محفلا مصريا تابعا لمحفل الشرق الفرنسي وطلب من اعضاء المحفل دراسة الخطط لاصلاح الدوائر بمصر ـ انظر ثابت المدلجي ـ جمال الدين الافغاني ـ ص ٣٢ وكذلك ايرج افشار ـ اسناد ومدارك جامب نشده درباره جمال الدين ـ تصوير رقم ٤١ .

راتبا شهريا ، حيث كان يعتبر وجوده فيها فتحا علميا (٤٦) ، لكن تلك الحفاوة لم تمنع جمال الدين من انتقاد حكم الخديوي بل والعمل على التخلص منه ، وعند مجيء الخديوي توفيق للحكم ، أمل منه جمال الدين أن يعمد الى انشاء حكم دستوري ، ولكن هذا خيب ظنه ، فأخذ يهاجمه بشدة حتى أمر بنفيه من مصر فغادرها في ٢٤ أغسطس ـ آب ـ ١٨٧٩ (٤٧) ، وكان تأثيره في مصر قويا حيث كان كثيرون من الذين خاضوا الحركة الوطنية فيما بعد من تلاميذه ومريديه (٤٨) • ترك جمال الدين مصر الى الهند ، ثم عاد وغادرها سنة ١٨٨٣ الى باريس وأنشأ فيها مجلة « العروة الوثقى » وعاونه في اصدارها تلميذه الشيخ محمد عبده الذي نفته الحكومة البريطانية من مصر بعد فشل الثورة العرابية ، وقد صدر أول أعدادها في ١٣ مارس ـ آذار ـ ١٨٨٤ وكانت تمثل فكر جمال الدين وأسلوب محمد

---

(٤٦) كان الخديوي اسماعيل يهتم بالمظاهر كثيرا ، وكان انشاؤه مجلس شورى النواب تقليدا للدول الاوروبية البرلمانية دون ان يكون لهذا المجلس اية سلطة فعلية .

(٤٧) جاء في حيثيات مجلس النظار المصري في سبب نفي جمال الدين « .. لانه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعين على فساد الدين والدنيا ... » انظر محمد عماره ـ جمال الدين الافغاني ـ ص ١٠ .

(٤٨) مثل الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ، كما ان الحزب الوطني الذي تأسس سنة ١٨٧٩ وجعل شعاره « مصر للمصريين » كان يتخذ من افكار جمال الدين برنامجا لعمله ، كما ان تأثير جمال الدين في الثورة العرابيـة كان واضحا .

عبده (٤٩) ، وبلغت هذه المجلة من الانتشار والخطر حدا دفع بريطانيا الى منع دخولها الى مستعمراتها كافة ، وكذلك منعت الحكومة المصرية دخولها الى مصر ، وبعد أن صدر ثمانية عشر عددا اضطر جمال الدين الى التوقف عن اصدارها حيث لم يعد فائدة من ذلك (٥٠) .

وقد وقعت مرة نسخة من مجلة العروة الوثقى بيد ناصر الدين شاه فأعجبه هجوم جمال الدين على الانجليز ، وأحب التعرف اليه فوجه له دعوة رسمية لزيارة ايران (٥١) ، وفي أول لقاء له مع ناصر الدين شاه بعد مجيئه لايران قال له : « انني كالسيف القاطع في يدك ، فاندبني لكل أمر ، وارم بي ضد أي سلطان » ، فتوجس منه الشاه خيفة وانصرف بعد ذلك عنه ، وقد أقام جمال الدين في منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب الذي كان يقدم له خمسين تومانا شهريا لنفقاته (٥٢) . وكان جمال الدين صريحا وجريئا كعادته ، فأخذ ينتقد الأوضاع المغلوطة التي رأى المجتمع الايراني يعاني منها في النواحي الادارية والاجتماعية ، ويدعو الايرانيين لليقظة ومقاومة التدخل والنفوذ الاجنبي ولما كثر أنصاره والمتشبعون بأفكاره أحست الحكومة القاجارية المستبدة خطر ذلك ، فأوفدته في مهمة مختلقة الى بطرسبورغ (٥٣) ، ولم يضع جمال الدين وقته

---

(٤٩) العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى للسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده — الناشر دار العرب للبستاني — ص ١ .
(٥٠) عبد القادر المغربي — جمال الدين الافغاني — ص ٣٢ .
(٥١) حافظ فرمانفرمائيان — خاطرات ميرزا علي خان — ص ١٢٨ .
(٥٢) مهدي ملكزاده — مشروطيت ايران — ج١ — ص ١٢٢ .
(٥٣) عبد القادر المغربي — جمال الدين الافغاني — ص ٣٥ .

سدى بل أخذ يكتب في الصحف الروسية مهاجما الحكومات الاسلامية الرجعية ، وسمح له الروس بذلك لاعتقادهم أنه يضعف من النفوذ البريطاني في الدولتين العثمانية والأفغانية ، وان كان يؤثر أيضا على نفوذهم في ايران ، وقد غادر روسيا الى أوروبا ، وفي باريس التقى ثانية بناصر الدين شاه سنة ١٨٨٩ وطلب منه هذا العودة لزيارة ايران وأظهر ندمه على ما كان منه نحوه ، وكان غرض ناصر الدين شاه في الحقيقة استرضاء جمال الدين ووضعه تحت مراقبته في ايران ، ولكن جمال الدين عاد الى ايران (١٨٨٩) بنفس ارادته وعزيمته السابقتين ، فما توانى عن العودة لذم الاستبداد وتمجيد الحكم الدستوري ، ويقال انه وضع مشروع دستور لايران وأقنع ناصر الدين شاه بقبوله ، غير أن رجال البلاط تكاثفوا ضد المشروع واستطاعوا صرف نظر الشاه عنه (٥٤) ، ولما لاحظ جمال الدين توجس الحكومة القاجارية منه ، وبثها الجواسيس حوله ، انتقل الى قرية « ري » القريبة من طهران واتخذ منها مركزا للجهر بآرائه ، والعمل على نفخ الروح الوطنية في نفوس الايرانيين ، ولم يكتف بالذين كانوا يستمعون اليه ، بل راح يكاتب زعماء المناطق وشيوخها ، يدعوهم جميعا الى توحيد جهودهم للنهوض ببلادهم وتحريرها من الاستبداد (٥٥) ، ولما خشي من انتقام الحكام منه التجأ الى ضريح شاه عبد العظيم في

---

(٥٤) ثابت المدلجي ــ جمال الدين الافغاني ــ ص ٣٢ .

(٥٥) حافظ فرمانفرمائيان ــ خاطرات ميرزا علي خان ــ ص ١٤٥ .

تلك القرية (٥٦) ، وظل مقيما فيه سبعة أشهر ، وبعد ذلك هاجمه جنود مختار خان ـ حاكم ري ـ ونقلوه الى حدود العراق في جو ثلجي عاصف بالرغم من أنه كان مصابا بالحمى آنذاك(٥٧)، وقد اتهمته الحكومة القاجارية بالخروج عن الاسلام ، وفي البصرة أخذ جمال الدين يصب شواظ غضبه على حكم الشاه الاستبدادي، وترجم عن الانجليزية كتاب جيمس ماريو « علي بابا » للغة الفارسية وأرسل نسخا عدة منه الى الوطنيين الايرانيين ليروا الى أي مدى يهزأ الأوروبيون بأوضاعهم ، وبأية طريقة ساخرة يصورون مجتمعهم (٥٨) ، ولم يكتف بذلك بل أخذ يحرض مجتهد الشيعة الأكبر في النجف ، آية الله ميرزا محمد حسن الشيرازي ضد الحكم القاجاري الذي يضع ثروات الشعب الايراني المسلم تحت سيطرة الاجانب « ... باع الشاه الجزء الأعظم من البلاد الايرانية لأعداء الدين .. المناجم والسبل الموصلة اليها ، والطرق الجامعة بينها وبين تخوم البلاد ، والخانات التي تبنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة . نهر قارون والفنادق التي تنشأ على ضفتيه الى المنبع وما يستتبعها من الجنائن والمروج . والجادة من الأهواز الى طهران ، وما على أطرافها من العمارات والفنادق والبساتين والحقول والتنباك وما يستتبعه من المراكز وبيوت العاملين والبائعين . وقد ادعى (الشاه) أن هذه معاهدات زمنية لا تطول أزيد من مئة

---

(٥٦) هو احد اولاد الامام التاسع (محمد التقي) هرب لهذه القرية في عهد المتوكل العباسي ، ومات فيها سنة ٢٣٩هـ وشيد القاجاريون على ضريحه مسجدا كبيرا اصبح مزارا للشيعة .

(٥٧) المنار ـ ج١١ ـ ص ٨٢٢ ـ في ٤ كانون ثاني ١٩٠٨ .

(٥٨) عبد القادر المغربي ـ جمال الدين الافغاني ـ ص ٣٥.

سنة (٥٩) ... » وكان لهذا الكتاب أكبر الأثر في صدور فتوى الشيرازي بتحريم التنباك ، والتي كانت نصرا لأفكار جمال الدين ضد حكم ناصر الدين شاه .

عندما أحس جمال الدين بتحرك السلطة العثمانية ضده غادر البصرة خلسة الى لندن ، وهناك اتخذ من صحيفتي « القانون » و « ضياء الخافقين » منبرا جديدا يندد فيه بالاستبداد عامة وبحكم ناصر الدين شاه بشكل خاص ، فيذكر فضائح القصر القاجاري ويدعو الايرانيين لمقاومة حكومتهم الظالمة . وقد كان لحملاته هذه أسوأ الأثر في نفس ناصر الدين شاه الذي اضطر لتوسيط السلطان عبد الحميد في ذلك ، وكان عبد الحميد بدوره يخشى قوة أفكار جمال الدين على سلطانه ، ورأى ان أفضل طريق للتخلص من قوة انتشار أفكاره دعوته للاقامة في استانبول ، وبعد الحاح السفير العثماني في بريطانيا رستم باشا على جمال الدين بقبول دعوة السلطان عبد الحميد له لزيارة استانبول ، جاء اليها سنة ١٨٩٢ (٦٠) ،ولم يغير من أسلوبه في مهاجمة الاستبداد ومقارعة الظالمين ، فأخذ يهاجم ناصر الدين شاه واستبداد القاجاريين على صفحات مجلة « اختر » التي كانت تصدر بالفارسية في استانبول، وعاد السفير الايراني في استانبول يلح من جديد على اسكات جمال الدين ، فلما طلب منه السلطان عبد الحميد ترك ناصر الدين وشأنه أعلن أنه يسكت اكراما لخاطر السلطان فقط ،

---

(٥٩) المنار ــ نفس العدد المذكور سابقا .
(٦٠) عبد القادر المغربي ــ جمال الدين الافغاني ــ ص ٣٥ .

وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التي كان السلطان عبد الحميد يحيط بها جمال الدين ، حيث خصص له قصرا كبيرا لاقامته وراتبا ضخما لنفقاته وجعله رفيقه في مجالسه ، الا أن جمال الدين كان يشعر أنه مقيد الحرية والحركة وكان عيون عبد الحميد يرصدون تحركاته ويراقبون زواره ، ولما جاءه خبر مقتل ناصر الدين شاه قال : « ان أمة يقوم من بينها من يأخذ بثأرها أمة حية لا تموت (٦١) » . واتهمته الحكومة الايرانية مع ثلاثة من الوطنيين الايرانيين المقيمين في استانبول بالتحريض على القتل ، وطلبت من الحكومة العثمانية تسليمهم لها ، ولكن هذه خشيت من ثورة الرأي العام الاسلامي اذا هي سلمت جمال الدين ، فاكتفت بتسليم الثلاثة الآخرين فأعدمتهم ايران فور تسلمهم (٦٢) ، وبعد مدة قصيرة مات جمال الدين في ١٩ مارس – آذار – ١٨٩٧ متأثرا من سرطان في فكه (٦٣) . وعلى الرغم من موته فقد ظلت أفكاره حية في أذهان الوطنيين في أرجاء الشرق ، وكانت ملهما للمصلحين الذين كانوا يهدفون الى خلق المجتمع الشرقي الناهض المتحرر من ربقة الاستبداد أو من السيطرة الأجنبية ، وكان يعتبر الدولة العثمانية قلب الاسلام ،

---

(٦١) لوثروب ستودارد – حاضر العالم الاسلامي ج٢ – ص ٢٩٧ .

(٦٢) لم تنتظر الحكومة الايرانية وصولهم الى طهران بل امرت بأعدامهم فور تسليم العثمانيين لهم في تبريز دون محاكمة ، وكانوا هاربين من الحكم القاجاري ولاجئين لاستانبول وهم : ميرزا آقاخان كرماني – الحاج ميرزا احمد كرماني – ميرزا حسنخان خراساني .

(٦٣) دفن بجامع التشويقية في نشان طاش باستانبول وكشف ضريحه سنة ١٩٢٦ ونقلت رفاته الى افغانستان سنة ١٩٤٤ – انظر عبد الرحمن الرافعي – جمال الدين الافغاني – ص ١٨٠ .

وعندما عرض عليه الانجليز عرش السودان رفض وأبلغهم أن رضاء المسلمين عنهم لا يتم الا برضاء الدولة العثمانية ، وان هذه لن تفعل الا اذا أعلنوا عن موعد خروجهم من مصر (٦٤) ٠

ب ـ ميرزا ملكم خان ناظم الدولة :

هو أحد الذين أسهمت كتاباتهم في نشر الوعي الوطني في ايران ، ولد في أصفهان سنة ١٨٣٣ من أصل أرمني ، وتعلم في أوروبا ، وعمل مترجما في « دار الفنون » في طهران ، وكان يرى أن تقدم ايران رهن بانشاء القوانين والانظمة فيها ، وعندما شكل ناصر الدين شاه وزارة على الأسس الحديثة قدم لها أفكاره الاصلاحية في كتيب باسم « كتابجه غيبي » ـ « كتيب الغيب » ، يضم مشاريع مئة وثمانين قانونا تنظم كافة الشئون الادارية والتجارية والمدنية في ايران ، وقد أبدى ناصر الدين شاه اعجابه بتلك الافكار واكتفى بذلك الاعجاب ٠ وقد انضم ميرزا ملكم خان للحركة الماسونية في طهران ، غير ان ناصر الدين شاه الذي كان يزعجه وجود أي تجمع أو تكتل ، مهما كان ، طارد أعضاءها فذهب ملكم خان الى استانبول ، وبعد مدة رضي الشاه عنه وعينه قنصلا عاما لايران في مصر ، ولما قبل مبلغا من المال هدية من الخديوي اسماعيل (٦٥) عزلته الحكومة الايرانية،

---

(٦٤) ايرج افشار ـ اسناد ومدارك جاب نشده دربارة جمال الدين ـ تصوير رقم ١٠٠ ـ من رسالة ابراهيم المويلحي الى جمال الدين عما كتبه عن آرائه للباب العالي .

(٦٥) محمد محيط طباطبائي ـ مجموعة آثار ميرزا ملكم خان ـ الصفحات غير مرقمة .

فرجع الى استانبول وتعرف فيها على الحركات الاصلاحية ،وعند تولي ميرزا حسن خان رئاسة الحكومة في طهران (١٨٧١) استدعاه وعينه مستشارا له ولقب بناظم الدولة ، وقد اقترح تشكيل مجلس يسمى « مجلس تنظيمات حسنة » ويشبه في سلطاته وتركيبه المجالس النيابية ، ورغم اقتناع رئيس الوزراء باقتراحه ، الا أن محاولات الرجعيين في البلاط عطلت المشروع ، وقد كان ملكم خان وراء فكرة سفر ناصر الدين شاه الى أوروبا ، لاعتقاده أن ذلك يسهل اقناع الشاه بالقيام باصلاحات في ايران اثر مشاهدته التقدم والازدهار في الدول الأوروبية ، وكان رئيس الوزراء يعتقد بالفكرة نفسها ، وعين ملكم خان وزيرا مفوضا لايران في لندن ليعد برنامج الرحلة ، وسافر الشاه في رحلته الأولى سنة ١٨٧٣ وسرته الحفاوة التي قوبل بها ، ولكنه عند عودته لايران غضب على ملكم خان وعزله (٦٦) . بقي ملكم خان بعد عزله في لندن ، وأصدر جريدة « قانون » باللغة الفارسية (سنة ١٨٩٠) وأخذ يهاجم فيها حكم ناصر الدين شاه ، وأظهر مدى الاضطهاد الذي كان يعانيه الشعب الايراني ، الى درجة أنه اذا قام أحد بعمل في ايران لا يعرف أيؤجر عليه

---

(٦٦) كان ملكم خان قد طلب من ناصر الدين شاه اثناء زيارته الى لندن منحه امتياز انشاء يانصيب وطني في ايران ، ممنحه تلك الامتياز ، لكن ملكم خان باع حق الامتياز لشركة بريطانية بمبلغ اربعين الف جنيه استرليني ، وعند عودة الشاه لايران ثار علماء الدين ضد امتياز اليانصيب باعتباره نوعا من القمار ، واضطر الشاه لالغاء الامتياز وعند مطالبة الشركة لملكم خان برد المبلغ اليها رفض فاتهمته المحاكم الانجليزية بالغش والخداع واضطرت الحكومة الايرانية لعزله من منصبه .

أو يعاقب من أجله ، وقد أخذت أعداد جريدة « قانون » تصل الى ايران سرا ، وكان لمقالاته في جريدة « قانون » وكذلك لمؤلفاته الأخرى (٦٧) أثر هام في تكون أفكار الاصلاح والتغيير لدى الوطنيين الايرانيين ، وقد أعاده مظفر الدين شاه للخدمة ، وتوفي سنة ١٩٠٨ في سويسرا .

ج ـ الحاج ميرزا عبد الرحيم تبريزي :

اشتهر بلقب « طالبوف » وكان من الايرانيين الذين هاجروا الى القفقاس ، وكان يرى أن تقدم المجتمعات الشرقية يبدأ بالأخذ بالعلوم الحديثة ، وقد ضمن أفكاره هذه كتابة « سفينة طالبي أو كتاب أحمد » جعله على شكل محاورة بينه وبين ولد تخيله له يدعى أحمد ، وفي كتابه الآخر « مسالك المحسنين » يتصور فيه جماعة تقوم برحلة الى جبل دماوند (٦٨) ، وخلال الرحلة يتناقش أفراد الجماعة في أوضاع بلادهم الايرانية ويقترحون أنجع الحلول لاصلاحها ، وقد انتشرت أفكاره في آذربايجان بشكل خاص ، وكان له بين سكانها احترام كبير .

د ـ الحاج زين العابدين مراغي :

ضمّن أفكاره الاصلاحية في كتاب سماه « سياحتنامه ابراهيم

---

(٦٧) من اثاره الاخرى : اشتهار نامه اولياي آدميت ـ مرآت بلها ـ مبدا ترقي بوليتيكهاي دولتي .

(٦٨) اعلى قمم جبال البرز وتقع قريبة من طهران .

بيك » صور فيه شابا ايرانيا يدعى ابراهيم ، ولد وعاش في مصر ، وعند عودته الى بلاده في ايران راح يقارن أوضاعها بما كان يعرفه عن أوضاع مصر ، ويحاول أن يجد الصورة الصحيحة لما يجب أن تكون عليه حالة المجتمع الايراني (٦٩) ٠

كما قامَ بعض المفكرين أمثال حسنخان اعتماد السلطنة فروغى أصفهاني بتشكيل جمعية العلماء (انجمن دانشوران) لنقل روائع الكتب الأدبية والعلمية من اللغات الأوروبية للفارسية لترغيب الشباب الايراني في الاطلاع على نتاج الأمم المتقدمة (٧٠) ، وهكذا هيأ المفكرون الشعب الايراني ليبدأ ثورته ضد الاستبداد القاجاري ٠

٢) دور الصحافة الفارسية في محاربة الاستبداد :

كانت حرية التعبير عن الرأي مكتوبا أو ملفوظا ممنوعة في العهد القاجاري ، وخاصة في عهد ناصر الدين شاه ، الذي حرم دخول أي نوع من الصحف أو الكتب الى ايران ، وفي عهد مظفر الدين شاه أصدر قرارا في الجريدة الرسمية يمنع بموجبه دخول الصحف الفارسية الصادرة في الخارج الى ايران « ان الجرائد الفارسية التي تصدر بالخارج تنشر أخبارا غير صحيحة عن ايران ، ولما كان وجود هذه الجرائد في الخارج يجعلها تنشر مثل تلك الاخبار الكاذبة ، ولما لم يكن في أخبارها أي فائدة غير احداث التشويش ، فان الحكومة تمنع دخولها للبلاد حفاظا على

---

(٦٩) محمد اسماعيل رضواني ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ص ٤٧ ٠
(٧٠) حسن حلاج ــ تاريخ تحولات سياسي ايران ــ ص ٢٣ ٠

أفكار الناس ، ويمكن لأصحابها ومحرريها الحضور الى ايران وتأسيس صحف فيها كما يشاؤون (٧١) » ·

ذلك ان الصحف التي كانت تصدر في ايران لم تستطع أن تؤدي أي دور في ايقاظ الشعب الايراني وشرح أفكار المصلحين لديه ، وقد صدرت أول صحيفة (٧٢) في عهد ناصر الدين شاه سنة ١٨٥١ باسم « وقايع اتفاقية » التي أصدرها الصدر الأعظم آنذاك ميرزا تقي خان أمير كبير ، وقد سميت فيما بعد بجريدة « دولت علية ايران » ثم « روزنامة ايران » ثم « روزنامة ايران سلطاني » وقد ظلت جريدة الدولة الرسميـــة حتى بعد قيـــام الدستور حيث سميـــت حينـــذاك « روزنامة رسمـــي دولتـــي ايران » · وقد صدرت في عهد ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه صحف عديدة أخرى (٧٣) ، ولكن هذه الصحف جميعـــا كانت خاضعة للرقابة الحكومية ولم تكن تنشر الا الاخبار الرسمية من تعيينات الحكام والموظفين وتنقلاتهم ، والفرمانات التـــي تصدرها الدولة ، وكانت الصحف غير الرسمية تضيف الى ذلك بعض طرائف الاخبار وعجائب الاحداث من أنحاء العالم، وبشكل عام كانت هذه الصحف ضعيفة المادة ركيكة الأسلوب ، سطحية الأفكار ·

أما الصحف التي كانت تصدر بالفارسية خارج ايران فقد

---

(٧١) جريدة ايران العدد ٩٩٠ في ٢ اذار ١٩٠١ .

(٧٢) كانت اول صحيفة في ايران تلك التي اصدرها ميرزا صالح شيرازي سنة ١٨٣٧ باسم « اخبار ووقايع دار الخلافـــة طهران » وجعلهـــا شهرية ، غير انها ما لبثت ان توقفت عن الصدور .

(٧٣) مثل وطن (١٨٧٠) واشرف واطلاع (١٨٧٨) ومريخ وفرهنك (١٨٧٩) وشرافت (١٨٩٦) وتربيت (١٨٩٨) وغيرها .

اضطلعت بدور عظيم في توعية الشعب الايراني • وقد امتازت هذه الصحف ببساطة أسلوبها ، ووضوح أفكارها ، واخلاص كتابها وصدقهم في عرض آلام الشعب الايراني وبيان تطلعاته وآماله في مجتمع حر متقدم ، وكانت أهمها جريدة « حبل المتين (٧٤) » التي لعبت الدور الرئيسي في هذا المضمار وكانت ترى ان « اعادة المجد لايران وحفظ أموال البلاد وخزائن الدولة من الضياع ، لا يتم ، الا باقامة مجلس شورى وطني وبغير ذلك فان الأمل ببقاء هذه الأمة واصلاح أمورها شيء مستحيل (٧٥) » • وعندما أنشأ الأمير حبيب الله خان أمير أفغانستان مجلسين للشورى لمعاونة الحكومة الافغانية في ادارة أمور البلاد . قالت صحيفة حبل المتين ان ذلك سيجعل من افغانستان يابان ثانية (٧٦) • ودعت الايرانيين الى النهوض واستعادة أمجادهم السابقة بالعلم والتقدم (٧٧) ، وكانت تهتم بأحوال المجتمع الايراني وازالة كل ما يعيق حركته وتقدمه ، ودعت في أحد أعدادها النساء الايرانيات الى خلع الحجاب والعمل على المشاركة في بناء المجتمع الايراني (٧٨) •

والصحيفة الفارسية الثانية التي تركت أثرا في الحركة الوطنية الايرانية صحيفة « اختر » التي صدرت في استانبول (٧٩) ،

---

(٧٤) اصدرها في كلكتا بالهند سنة ١٨٩٤ مؤيد الاسلام .
(٧٥) حبل المتين ــ العدد ٢٣ ــ السنة ١٠ في ٣٠ اذار ١٩٠٣ .
(٧٦) العدد ٢٧ ــ السنة ١٠ في ١١ ايار ١٩٠٣ .
(٧٧) في العدد ٣٤ ــ السنة التاسعة ــ في ٣٠ حزيران ١٩٠٢ .
(٧٨) في العدد ١٠ ــ في ٧ تشرين ثاني ١٩٠٤ .
(٧٩) اصدرها سنة ١٨٧٥ الحاج ميرزا مهدي وتوقفت سنة ١٨٩٨ عن الصدور حيث ذهب في تلك السنة الى مصر واصدر فيها جريدة

والتي كانت تشرح فيها أوضاع ايران السيئة بشكل عام ، وكانت حملاتها تزداد شدة كلما وقع العداء بين العثمانيين والقاجاريين .

وقد ساهمت في نشر أفكار الاصلاح صحف فارسية أخرى مثل « حكمت » و « ثريا » (صدرت ١٨٩٩) و « بروَرش » (صدرت ١٩٠١) و « جهرة نما » (صدرت ١٩٠٤) وجميعها كانت تصدر في مصر ، وكذلك « قانون » التي كانت تصدر في لندن وتحدثنا عنها سابقا . وبرغم المنع الذي فرضه ملوك القاجار على دخول هذه الصحف الى ايران ، الا أنها كانت تصل سرا اليها بواسطة التجار وزوار العتبات المقدسة ، وبواسطة المسافرين القادمين من الاراضي العثمانية أو من أوروبا ،وكانت الأخبار التي تنشرها تلك الصحف تنتقل بسرعة البرق من مدينة لأخرى في ايران (٨٠) . وكان كل عدد من أعداد تلك الصحف يعتبر كنزا ثمينا تتداوله أيدي الوطنيين الايرانيين والمتعطشين للاصلاح بكل حرص وحذر ، أما الحرص فتقديرا للأفكار القيمة التي يحتويها كل عدد ، وأما الحذر فخوفا من أن يضبط أحد الوطنيين متلبسا « بجريمة » حيازة ذلك العدد أو بتهمة مطالعته، وكان الوطنيون يتداولون الاخبار التي تنشرها تلك الصحف ، ويناقشون الآراء الواردة فيها ، كما كان الكثيرون منهم يكتبون فيها سرا ، مبينين آراءهم في الاصلاح ومطالبين باقامة حكم قانوني ونظام دستوري في ايران .

وهكذا لم يستطع التحكم القاجاري منع الافكار الحرة من

« حكمت » بالفارسية .

(٨٠) ف.و. ٢٢/٤١٦ من تقرير القائم بالاعمال البريطاني في طهران الى حكومته برقم ٩١ في ٨ شباط ١٩٠٥ .

الوصول لأعين الناس وأسماعهم في ايران ، وبذلك تعمقت كراهية الحكم القاجاري لديهم ، وحفزتهم الى الثورة عليه ، وزرعت في نفوسهم الأمل بقيام حكم دستوري ينهض بالبلاد ويحقق لشعبها العدالة والازدهار ٠

٣ ـ انحياز رجال الدين للحركة الاصلاحية :

كان من حسن طالع الحركة الوطنية الايرانية أن كبار رجال الدين الايرانيين وقفوا ضد الحكم القاجاري منذ أواخر حكم مظفر الدين شاه ، واستمروا في وقفتهم المؤيدة لحقوق الشعب ، وأصبحوا عنصرا رئيسيا في الثورة الوطنية الاصلاحية ، بل وبلغ من تأثير رجال الدين في الحركة الاصلاحية انهم أعطوها طابعا دينيا بالاضافة الى طابعها القومي ٠

والعوامل التي أدت الى انحياز رجال الدين الكامل للحركة الوطنية ، تنبع من طبيعة المذهب الشيعي (٨١) ، الذي يعتبر الحكم محصورا في نسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأنه باختفاء الامام الثاني عشر (٨٢) فان رجال الدين الشيعة يعتبرون ورثته الشرعيين حتى يرجع من اختفائه ، فيتسلم

---

(٨١) اصبح المذهب الشيعي مذهبا رسميا في ايران منذ الحكم الصفوي ، حيث كانت الاسرة الصفوية نفسها تشكل طريقة صوفية شيعية ، كما ان هدف الصفويين من نشر المذهب الشيعي في ايران كان بغرض مقاومة التوسع العثماني في ايران .

(٨٢) هو الامام محمد بن الحسين الذي اختفى في سامراء بالعراق سنة ٨٧٨م . ويسمونه امام الزمان ويعتقدون انه سيظهر يوما باسم المهدي .

الحكم ، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما ، وبذلك فان كل الحكام الذين ليسوا من نسل الأئمة هم حكام غير شرعيين ، ويتوجب على الشيعة عدم طاعتهم ، وبهذا كانت مقاومة الحكم القاجاري تعتبر عملا دينيا مقدسا ، وهذا الامر أدى الى تخفيف نفوذ القاجاريين وأضعف مركزهم • هذا بالاضافة الى أن الناس كانوا يرجعون لرجال الدين في أحوالهم الشخصية من زواج وطلاق وارث ووصاية ، وحتى في معاملاتهم اليومية كالبيع والشراء والرهن والايجار ، كما أن كبار رجال الدين كانوا يقومون بالدور الذي تقوم به البنوك عادة ، من حفظ أموال الناس وكذلك المستندات والصكوك الخاصة بالبيع والشراء والأملاك والديون وغير ذلك ، وقد ساعد على هذا عدم وجود قوانين مدنية أو محاكم منظمة،وكذلك عدم وجود البنوك (٨٣) • وكان مما يقوي من نفوذ رجال الدين أنهم كانوا يديرون المؤسسات الضخمة كالمدارس والمساجد ، كما كان يوجد تحت تصرفهم الأوقاف الواسعة ، وبذلك كانوا في استقلال مالي ، وفي غنى عن مساعدة الحكومة لهم (٨٤) ، كما أن ابقاء باب الاجتهاد مفتوحا لمن تكتمل فيه شروطه ، أعطى المجتهدين الشيعة سلاحا قويا ليستخدموه لمصلحة الشعب في اصدار الفتاوى التي تحرم أمرا أو تكفر شخصا ، وبذلك أضعفوا موقف حكم

---

(٨٣) لا يزال كثيرون من الايرانيين المتدينين لا يتعاملون مع البنوك ويعتبرون ذلك حراما .

(٨٤) لا يزال الشيعة يقومون بتأدية انصبة الزكاة كما نصت عليها الشريعة الى رجال الدين في منطقتهم وكذلك الخمس من اموالهم وهو يشكل مصدر دخل ضخما للمؤسسة الدينية .

الاستبداد وشجعوا الشعب على مقاومته . والعامل الاخير الذي قوى مركز رجال الدين في ايران وجود المرجع الشيعي الأعلى خارج الاراضي الايرانية (٨٥) . وبذلك منحهم الحرية أكثر في الحركة وفي مقاومة انحراف الحكم القاجاري ٠

أدرك علماء الدين الايرانيون في وقت مبكر أن سوء الأوضاع الايرانية مرده الى الجهل الذي كان منتشرا ، والى كبت الحريات الذي كانت تفرضه الهيئة الحاكمة . فبدأوا في توعية المواطنين ، عن طريق تخليص أفكارهم الدينية من الشوائب والرواسب التي علقت بها ، وكان في طليعة رجال الدين العاملين في ذلك سيد محمد طباطبائي الذي كان يعقد في منزله حلقات أسبوعية تدرس أوضاع البلاد ومدى مطابقتها للدين الحنيف (٨٦) ، كما كانت تعقد مثل هذه الحلقات في مدرستي « صدر » و « الشيخ عبد الرحمن » الدينيتين في طهران (٨٧) ٠

ويمكن تسجيل بداية انغماس رجال الدين في الحركة ضد القاجار في شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤) حيث تقام في هذا الشهر الاحتفالات الدينية بذكرى استشهاد الحسين بن علي

---

(٨٥) تعتبر النجف، المركز الروحي للشيعة ، وفيها المرجع الشيعي الاعلى الذي يطيعه الشيعة في انحاء العالم كافة ، وبعد وفاة آية الله ميرزا محمد حسن الشيرازي وخلال احداث الثورة الوطنية الايرانية كان المرجع الديني بالنجف مقلدا لثلاثة هم :
ميرزا محمد كاظم خراساني ، وميرزا حسين الحاج ميرزا خليل، والحاج عبد الله مازندراني ٠

(٨٦) حسن حلاج — تاريخ تحولات سياسي ايران — ص ٢٥ ٠

(٨٧) يحيى دولت آبادي — تاريخ معاصر او حيات يحيى — ج٢ — ص١٤٠

في كربلاء (٨٨) ، وتعاد رواية أحداثها بشكل مؤثر ، وكانت تختم بلعن بني أمية وظلمهم ، والاشادة بتضحية الحسين في سبيل المبدأ ، وفي هذه المرة وصف خطباء المساجد تضحية الحسين وآله وشبهوا الحكم القاجاري بمظالمه وتعديه على حقوق الشعب بالحكم الأموي ، كما نددوا بالنفوذ الاجنبي المسيطر على مقدرات البلاد ، وكان لآراء الخطباء هذه أثرها البالغ في اثارة الجماهير ، خصوصا وأن المساجد في مثل هذه المناسبات تكون غاصة بالناس ، ولقد زاد من قوة رجال الدين اتفاق سيد محمد طباطبائي والسيد عبد الله بهبهاني (٨٩)،وكانا أكبر المجتهدين في ايران ، على العمل معا لتحقيق أهداف الشعب ، وازالة الحكم المطلق الذي يتنافى مع الدين ، وقد انطلق بهبهاني وطباطبائي في مقاومتهما للحكم القاجاري من معارضة التغلغل الأجنبي الذي كان مسيطرا على ايران ، وناديا بوجوب اخراج « نوز » (Nous) البلجيكي وكافة البلجيكيين من الجمارك الايرانية (٩٠) ، واتهموه بفرض الرسوم الجمركية العالية على التجار الايرانيين وتشجيعه البضائع الاجنبية . وتسليم الوظائف الادارية العالية في الجمارك للأرمن وغيرهم . واشتدت

---

(٨٨) تسمى هذه الاحتفالات « سوكواري » وتبلغ ذروتها في العاشر من محرم (عاشوراء) حيث تتوقف في هذا اليوم الحياة العامة ويقوم الشيعة باحياء الذكرى في المساجد والأماكن المقدسة .

(٨٩) لا بد من الاشارة الى ان سيد عبد الله بهبهاني كان من خصوم عين الدولة (الصدر الاعظم آنذاك) السياسيين ولذلك كان انضمامه الى صف الوطنيين المعارضين سهلا — انظر مهدي ملكزاده — مشروطيت ايران — ج٢ — ص ٢١ .

(٩٠) احضرت الحكومة الايرانية سنة ١٩٠٣ عددا من البلجيكيين على راسهم نوز لادارة الجمارك الايرانية وتنظيمها .

هذه الحملة حينما وقعت في يد عبد الله بهبهاني صورة لمسيو نوز مرتديا لباس رجل دين شيعي (ملا) في حفلة تنكرية أقامتها احدى الجاليات الأوروبية في طهران ، وقد اعتبر رجال الدين هذا العمل هزءا بالدين وطبعوا من الصورة آلاف النسخ ووزعوها بين الناس ، كما وزع العلماء منشورا صغيرا في كافة مدن ايران يقول « أيها المسلمون : مات الاسلام وقام الكفر ، والحاكم هو نوز ، والوزير هو لافرس (٩١) ، ورجال الحكم هم النصارى ، انها النهاية » • وازداد الحماس الوطني ضد الأجانب ، وجعل العلماء من نوز ورفاقه رمزا للوجود الاجنبي في البلاد ، وأعلن العالم سيد أبو طالب زنجاني أن طرد البلجيكيين يحسن وضع البلاد المالي لأن البلجيكيين يتقاضون من الخزينة الايرانية مرتبات عالية (٩٢) • كما ألقى بهبهاني خطابا في أحد مساجد طهران في ١٥ آذار ١٩٠٥ أعلن فيه أن كرامة المسلمين الجريحة لا تلتئم الا بقتل نوز وجماعته ، وحرض الشعب على مقاومة النفوذ الأجنبي بشكل عام ، وأنذر الحكومة بالاستجابة لمطالب الشعب خلال ثلاثة أيام ، وبغير ذلك سوف يستمر علماء الدين في حملتهم على الحكام والأجانب في ايران (٩٣) ، وكان ذلك يزيد من حماسة الجماهير التي كانت تسمع لأول مرة أشياء جديدة عن الثروات المهدورة والتغلغل الأجنبي ، وكذلك عن وجوب الرقابة الشعبية على صرف الاموال

---

(٩١) كان لافرس (Laverse) موظفا بلجيكيا اخر في الجمارك الايرانية .

(٩٢) ف.و. ٢٢/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ٤٠ في ٢٨ شباط ١٩٠٥ .

(٩٣) ف.و. ٢٣/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ١٩ في ٢٤ اذار ١٩٠٥ .

العامة ، وكان يبلغ أحيانا عدد المستمعين للخطبة الواحدة أكثر من ثلاثة آلاف شخص (٩٤) . ولم يتخل مجتهدو النجف عن تأييد علماء الدين ضد الاجانب وعلى رأسهم نوز وكانت فتواهم بذلك الى بهبهاني في ١٣ مايو ــ أيار ــ ١٩٠٥ واضحة قاطعة « ان شكوى الرعايا الايرانيين من نوز وصلت الى حدود لا يمكن تحملها ، وبما أنك منفذ لرغائب المسلمين ، ومن أجل الحفاظ على شرفهم وأرواحهم وممتلكاتهم ، فان واجب كل مسلم أن يقف ضد مظالم المفسدين ، وكل الذين يساعدون نوز ، تحت أي ادعاء ، هم آثمون ، مثلما هو نوز نفسه » ووقع الرسالة محمد كاظم خراساني ومحمد كاظم طباطبائي (٩٥) .

اضطر مظفر الدين شاه ازاء تلك الحملة القوية ضد نوز الى عزله وان لم يطرده من البلاد ، ولكن علماء الدين ، خاصة طباطبائي وبهبهاني ، لم يعد يقنعهم تحقيق بعض المطالب القليلة ، وانما أصبحوا يتطلعون الى تحقيق مكاسب للشعب أكبر ، خصوصا وقد رأوا الالتفاف الشعبي الكبير حولهم ، وأخذ الشعور ضد التسلط والسيطرة الاجنبية ينمو ويتعاظم في أنحاء ايران كافة ، وساعد النجف الأشرف في تقويته وتحريكه ، فأصدر محمد كاظم خراساني فتوى عامة بأن أي بيع أو شراء ينتج عنه تقوية الكفار واضعاف المسلمين لا يحل شرعا ، وبهذا حرم التعامل ببضائع الدول الاجنبية المعادية للمسلمين (٩٦) ،

---

(٩٤) ف.و. ٢٨/٤١٦ من رسالة دف الى غري برقم ٣١٤٧/١٦٧ قلهك في ٢١ حزيران ١٩٠٦ .

(٩٥) ف.و. ٢٤/٤١٦ من ملحق رقم ٢ برسالة هاردينغ الى لانسدون ــ طهران في ١٣ ايار ١٩٠٥ .

(٩٦) حبل المتين ــ العدد ٣٣ في ٢٠ نيسان ١٩٠٦ .

وأعلن علماء أصفهان عدم قبولهم أسئلة الاستفتاء أو اجـراء أية معاملات دينية على الورق المصنوع بالدول الاجنبية ، بل عدم تقبلهم اجراء المراسيم الدينية على أي ميت مسلم لم يستعمل في كفنه قماش مصنوع في ايران ، وأعلنوا أنهم لن يرتدوا بعد ذلك الا الملابس المصنوعة من القماش الايراني ودعوا المسلمين الى فعل ذلك أيضا (٩٧) • وفي شيراز وقف الحاج علي أكبـر شكستته على منبر أحد مساجدها ، بعد أن شهر سيفا من تحت عباءته وأعلن للحاضرين أنه قد طـاب الجهاد ومقاومة ظلـم الحكام (٩٨) ، وفي طهران أعلن سيد جمال أصفهاني في خطبة له بأحد مساجدها أن نظام الحكـم الاقرب للاسلام هـو النظـام الجمهوري ، وأيد ذلك بآيات من القرآن الكريم (٩٩) • وكان مجرد هذا الأمر يعتبر تحولا خطيرا في أفكار الشعب الايراني ، ولعل « قول أحد رجال الدين ان ما كانوا يهمسون به في السابق، أصبحوا الآن يقولونه بصراحة تامة (١٠٠) » ، يعطي صورة واضحة عن الدور الخطير الذي نهض به رجال الدين في قيادة الحركة الوطنية وفي توضيح مطالبها التقدمية •

٤ ـ تأييد الأقليات الدينية للحركة الاصلاحية :

في البلاد التي لا يحكمها القانون تكون الأقليات الدينيـة

---

(٩٧) المؤيد ـ العدد ٥٠٠١ في ٢٤ تشرين اول ١٩٠٦ •

(٩٨) اميد ايران ـ العدد ٦٧٦ / آب ١٩٦٧ •

(٩٩) ف•و• ٢٥/٤١٦ من تقرير دف الى لانسدون برقم ٢٦١ طهران في ٧ كانون اول ١٩٠٥ •

(١٠٠) ف•و• ٢٧/٤١٦ من رسالة دف الى غري برقم ١٢٩٥٠/٩١ طهران في ٣٠ اذار ١٩٠٦ •

عرضة للاضطهاد المستمر ، وهكذا كان الوضع في ايران قبل قيام الدستور ، لذلك اتجهت الأقليات الدينية الزرادشتية واليهودية والبهائية (١٠١) الى مناهضة الحكم القاجاري القائم على الاستبداد المطلق ، وتأييد الحركة الاصلاحية المنادية باقامة حكم دستوري يتمتع فيه جميع الايرانيين بالعدل والمساواة دون تمييز .

أما اليهود فكانوا أقلية قديمة المهد في ايران ، ولم يكن عددهم كبيرا ، وكانوا يتجمعون في أحياء خاصة بهم في مدن : طهران وأصفهان وهمدان ومشهد ، وكانوا ممنوعين من تولي المناصب العلمية ودخول الجيش ، وكان غير مسموح لهم ببناء منازل أعلى من منازل المسلمين المجاورين لهم ، وحينما خالف ذلك أحد اليهود في شيراز مثلا هاجمه المسلمون وكادت تحدث مذبحة لولا أن حسمها العقلاء (١٠٢) . والمعتقد أن اليهود المستائين من الحكم القاجاري ، قد أيدوا الحركة الوطنية ومع أنه لا تتوفر معلومات كافية عن الدور الذي لعبوه في ذلك الا أنه مما لا شك فيه أن دورهم لم يكن كبيرا مطلقا .

أما الزرادشتيون (١٠٣) فكانوا بقايا أتباع الديانة

---

(١٠١) لم يرد ذكر للمسيحية لقلة عدد اتباعها في ايران ولضعف نشاطها انذاك .

(١٠٢) جهره نما ـــ العدد ٧ ـــ ص ١٥ في ٢٨ كانون اول ١٩٠٥ .

(١٠٣) ظهر زرادشت في القرن السابع قبل الميلاد بديانته الجديدة في آذربايجان ، ثم انتشرت في انحاء ايران حتى وصلت الى الهند ، وتتلخص العقيدة الزرادشتية في ان العالم تتنازعه قوتان : قوة الخير ويمثلها اهورامزدا ، وقوة الشر ويمثلها أهريمان وان النزاع مستمر بينهما حتى ينتصر اهورامزدا ويسود حكمه العالم، والقرآن الكريم =

الزرادشتية الذين ظلوا على دينهم عند دخول الاسلام لايران ، وكان عددهم كبيرا ، وكانت أكبر تجمعاتهم في مدن : كرمان ويزد وطهران ، وكان محرما عليهم أيضا دخول الجيش أو تسنم المناصب العامة ، وكانت لهم مدارسهم ومعابدهم الخاصة بهم ، وكانوا معرضين في كل وقت للملاحقة أو المصادرة لأتفه الاسباب، وكانوا يعتبرون الحكم القاجاري سبب ما يعانونه من اضطهاد ، وكانوا يرون خلاصهم في قيام حكم يسوده القانون ، ولذلك عملوا على تأييد الحركة الوطنية بكل قوة ، فعمل بعضهم في الجمعيات السرية الثورية ، كما أمدوا الحركة الوطنية بالمال سرا ، حيث كان بينهم كثير من التجار الأثرياء ، وبذلك قام الزرادشتيون بدور سري في الحركة الوطنية ، ولم يعملوا علنا خوفا من ازدياد اضطهادهم .

أما البابيون أو البهائيون فقد ظهر مذهبهم في عهد محمد شاه ومن ثم انتشر في عهد ناصر الدين شاه حيث ظهر سيد علي محمد شيرازي سنة ١٨٤٤ في شيراز وادعى أنه المهدي المنتظر ولقب نفسه « باب الامام الغائب » لذلك عرفت دعوته بالبابية نسبة لذلك ، ولما تزايد أتباعه وانتشرت حركته قبضت عليه الحكومة

= لم يضع اتباع هذه الديانة مع المشركين كما جاء في الاية الكريمة « وان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس ، والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة » وكتاب الزرادشتيين المقدس هو « افيستا » وعرفه العرب باسم « ابستاق » ويشتمل على الاناشيد الدينية (كاتاها) والشعائر الدينية (يسنا) وانواع العقوبات والجزاء (نديداد) واقسام اخرى اقل اهمية . ويسمى الزرادشتيون في الهند باسم بارسيين — انظر كتاب نه كفتار در تاريخ اديان — ج١ .. ص ٤٨ — علي اصغر حكمت .

القاجارية وأعدمته في تبريز سنة ١٨٥٠ ولاحقت أتباعه ، ونكلت بهم وأذاقتهم العذاب الشديد « ... حيث كانوا يجرحون أجسام البابيين ويصبون على جروحهم الشمع المذاب حتى يموتوا (١٠٤) ... » وقد قام البابيون في ١٦ اغسطس ـ آب ـ ١٨٥٢ بمحاولة فاشلة لاغتيال ناصر الدين شاه ، وقد انتقم منهم هذا انتقاما رهيبا ، حيث أمر بقتل كل من يعتنق مذهبهم ، وحرض الناس على ذبحهم ، فقتل منهم ذلك العام أكثر من أربعين ألفا (١٠٥) .

ورغم تلك المذابح فقد استمرت البابية في الانتشار ، وكان قد انضم لهذا المذهب الاخوان « ميرزا يحيى نوري ولقبه صبح أزل » و « ميرزا حسين نوري ولقبه بهاء الله (١٠٦) » فأمرت الحكومة القاجارية بنفيهما الى بغداد سنة ١٨٦٣ ، ومن ثم انتقلا الى أدرنه وأصبح ميرزا يحيى رئيسا للبابية حتى وفاته

---

(١٠٤) مارخام ـ تاريخ مملكت ايران وسلطنت سلسلة جليلة قاجاريه ـ نسخة خطية ٨ مكتبة المجلس الوطني برقم ٤٧٠٢/٥٤٦٥ .

(105) Upton, Joseph — The History of Persia p. 11.

(١٠٦) نفت الحكومة العثمانية بهاء الله الى عكا فلحق به مئة وخمسون بهائيا ايرانيا وجعلها مركزا لدعوته ، وبعد وفاته قام ولده عبد البهاء بالتجول في البلاد العثمانية ، كما زار مصر واوروبا وامريكا ، يدعو لمذهبه ويتفقد شؤون اتباعه وعند وفاته في عكا سنة ١٩٢٢ تولى زعامة المذهب البهائي حفيده شوقي افندي ، وبعد وفاته سنة ١٩٥٨ اصبح يدير شؤون الطائفة البهائية رجال يسمونهم (ايادي أمر) . ويوجد للبهائيين اليوم معبد ضخم على ضفاف بحيرة متشيغان قرب شيكاغو ، وفي السنوات الاخيرة هاجر عدد كبير من البهائيين الى الاردن واوروبا ، ولكن بعد حرب عام ١٩٦٧ غادر اغلب البهائيين الاردن الى الولايات المتحدة الامريكية .

١٩١٢ . وكان أخوه ميرزا حسين قد انشق عنه وأسس دعوة جديدة عرفت بالبهائية نسبة اليه ، وبعد وفاته ١٨٩٢ سلم أمور الدعوة لابنه عباس أفندي الملقب عبد البهاء ، وقد انتهت البابية بينما انتشرت البهائية وكثر أتباعها ، وبسبب تعرض البهائيين للمذابح المستمرة وخصوصا في أعوام ١٨٨٨ و١٩٠٣ و١٩٥٤ (حيث أمرهم زعيمهم في هذه السنة بالجهر بعقيدتهم) فقد هاجر كثير من البهائيين الى فلسطين والأردن وبعض بلدان أوروبا وأمريكا وعملوا على نشر مذهبهم في تلك المناطق .

ونظرا للملاحقة الشديدة التي قامت بها ضدهم الحكومة القاجارية ، وكذلك لتعرضهم للقتل ولمصادرة الأموال من قبل العامة دون أن تحميهم تلك الحكومة ، فقد كانوا يكنون لها عداء شديدا وعملوا في السر على تقويض دعائم الحكم القاجاري (١٠٧) ، وتأييد الحركة الوطنية التي كانوا يأملون أن يجدوا في قيامها حرية العقيدة والمساواة التي حرمهم منها الحكم القاجاري ، ومن جهة أخرى فان حركات التمرد العديدة التي قاموا بها ، وملاحقة الحكومة القاجارية لهم طيلة نصف قرن قد استنزفت قوى القاجار وأضعفت مركزهم ، وأفاد ذلك الحركة الوطنية بشكل غير مباشر ، ولم يكن بامكان البهائيين العمل مباشرة مع الحركة الوطنية لأن رجال الدين الشيعة كانوا يعتبرونهم مرتدين عن الدين ، كما كانوا ينظرون الى مذهبهم

---

(١٠٧) ف.و. ٤١٦/٢٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ٣٨١ — طهران في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٥ .

الجديد على أنه كفر والحاد (١٠٨) ٠

٥ ـ نمو الشعور القومي المناهض للنفوذ الأجنبي :

أدى تناقص عائدات الدولة من الأموال وتزايد نفقاتها المستمر من جهة ثانية ، الى وقوع عجز مستمر في ميزانيتها أدى الى تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد ، مما اضطر الحكومة القاجارية ، لتلافي هذا العجز ، الى اللجوء لمنح امتيازات استثمار ثروات البلاد الى المتمولين الأجانب مقابل مبالغ صغيرة من المال ، وكذلك اضطرت الحكومة القاجارية الى الاقتراض من الدول الأجنبية مقابل رهن عائدات مرافقها الهامة لسداد تلك القروض ٠

وفي الحقيقة فان سبب تدهور الأوضاع الاقتصادية كان كامنا في النظام القاجاري بالذات ، هذا النظام الذي كان يعفي الطبقة الحاكمة والقادرة من دفع الضرائب ، وكذلك في عدم منح الايرانيين الأمن على أرواحهم وممتلكاتهم ليقوموا باستثمار أموالهم في مشاريع تعود بالخير على البلاد ، وكذلك في فرض

---

(١٠٨) تدعو التعاليم البهائية الى « الامية » ولا تعترف بالقوميات او بتعدد الاديان ، وتندد بالحروب وتدعو للسلام الدائم ، وقد جاء في احد كتبهم المقدسة « لا فخر لحب الوطن بل الفخر لحب العالم » ويمنعون المسكرات ويحرمون على النساء ارتداء النقاب ، وسنتهم ١٩ شهرا وشهرهم ١٩ يوما ، وكتابهم المقدس هو « ايقان » كما يوجد لديهم كتب دينية اخرى مهمة مثل : اقدس ــ اشراقات ــ هيكل ــ الواح ــ عهد ــ كلمات مكنون ــ النور الابهى (وقد طبع هذا الاخير في لندن سنة ١٩٠٨) ٠

الضرائب الباهظة على الأراضي الزراعية مما كان يـؤدي الى انصراف الفلاحين عن الزراعة والى ازدياد الاراضي البور ، هذا بالاضافة الى انتشار الرشوة والاختلاس بين العاملـين في أجهزة الدولة ، مما كان يقلل من عائدات الخزينة ويعرقل انتظام العمل • ويجب ألا ننسى رحلات ملوك القاجار الى أوروبا التي كانت تكلف الدولة نفقات باهظة لم يكن بامكانها تلافيهـا الا بالاقتراض • وقد قام ناصر الدين شاه بثلاث رحلات الى أوروبا، كما قام مظفر الدين شاه برحلتين مماثلتين ، ولتقديـر مدى النفقات التي كانت تستلزمها تلك الرحلات تكفي الاشارة الى أن نفقات رحلة مظفر الدين شاه الأولى الى أوروبا سنة ١٩٠٥ كلفت الدولة مع ما أحضره هو ورجال حاشيته من هدايا ، ما يقرب من ثمانمائة ألف جنيه استرليني (١٠٩) ، وفي رحلـة مظفر الدين شاه الثانية الى أوروبا لم تقل نفقاته ونفقـات حاشيته الضخمة عما تكلفته الرحلة الأولى ، خصوصا وأن عين الدولة خشي من قيام خصومه السياسيين أثناء غيابه بالتآمر ضده فضمهم الى حاشية الشاه في نزهة اجبارية وتطلب ذلـك نفقات اضافية ، كما أن الشاه وحاشيته عادوا محملين بعشرات أجهزة الحاكي وبنادق الصيد والمجوهرات وغير ذلك (١١٠) •

حاول ناصر الدين شاه تأمين الأموال اللازمة لنفقاتـه ، فأخذ يمنح امتيازات استثمار مرافق البلاد وثرواتها ، وأقبل

---

(١٠٩) ف.و. ٢٣/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون بـرقم ٧٧ — طهران في ٣ نيسان ١٩٠٥ .

(١١٠) ف.و. ٢٦/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى غرى برقم ٣٨١ في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٥ .

الأجانب من كل صوب يغتنمون الفرصة للكسب السريع ، خصوصا وأن الحكومة القاجارية لم يكن يهمها شروط الامتياز وطول مدته ، كما أن الايرانيين كانوا غير ميالين للحصول على امتيازات استثمار لتعرضهم في كل وقت للمصادرة دون أدنى سبب (١١١) ، وكانت أهم الامتيازات :

١ ـ امتياز جوليوس رويتر Julus Reuter البريطاني في ٢٥ يوليو ـ تموز ـ ١٨٧٢ ، وهو أعجب امتيازات الاستثمار في التاريخ ، حيث تمنح الحكومة الايرانية رويتر حق انشاء خطوط حديدية في أراضيها ، وحق استخراج كافة المعادن المخبوءة وحق استثمار كافة الغابات الايرانية ، وحق تحويل مجاري الأنهار وانشاء السدود عليها ، وصيد الأسماك منها في كافة الاراضي الايرانية ، ومدة الامتياز سبعون سنة ، مقابل مبلغ بسيط للشاه مقدما و١٥ ٪ من الأرباح السنوية للحكومة الايرانية ، ومن حسن حظ الشعب الايراني أن علماء الدين في ذلك الوقت وقفوا وقفة حازمة اضطرت الشاه الى الغاء الامتياز ، خاصة وأن الروس بذلوا مجهودا كبيرا لتعطيل الامتياز خوفا من تقوي النفوذ البريطاني ، ولأجل تعويض ورثة رويتر عن الخسارة التي لحقت بهم ، منحهم الشاه بعد مفاوضات طويلة ، امتياز انشاء البنك الشاهنشاهي (١١٢) في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩ لمدة ستين سنة مقابل حصول الحكومة الايرانية على نسبة

---

(١١١) ابراهيم تيموري ـ عصر بيخبري يا تاريخ امتيازات در ايران ـ ص ٨٩ .

(١١٢) ظل قائما حتى سنة ١٩٤٩ ثم غير اسمه الى « البنك البريطاني لايران والشرق الاوسط » وفي ١٩٥٣ اغلق كافة فروعه بايران .

٦ ٪ من الارباح ، وكان للبنك حق اصدار العملة الورقية الايرانية رسميا (١١٣) ٠

٢ ـ امتياز صيد السمك من شيلات (١١٤) بحر قزوين وأنهار ايران الشمالية في ١٢ يونيو ١٨٧٦ ، الى الروسي اسطفان ليانازوف (Stephan Lianazov) مقابل خمسين ألف تومان سنويا (١١٥) ٠

٣ ـ امتياز انشاء الحافلات الكهربائية (الترامواي) في طهران سنة ١٨٨٨ ، الى فابيوس بوافال الفرنسي ٠

٤ ـ امتياز نقل البضائع في نهر قارون لشركة لينش (Lynch) البريطانية ، وحق الملاحة فيه لجميع السفن حتى ميناء الأهواز ، لمدة عشر سنوات ، وتؤدي السفن العابرة رسوما بسيطة للحكومة الايرانية ، وأعطي الامتياز في ٣٠ اكتوبر ـ تشرين أول ـ ١٨٨٨ (١١٦) ٠

٥ ـ امتياز الريجي لشركة بريطانية لبيع وشراء وتصنيع التبغ والتنباك لمدة خمسين سنة ، ومقابل شروط مجحفة بايران (١١٧) ، سنة ١٨٩٠ ٠ وسيرد تفصيل ذلك في الفصل

---

(١١٣) جريدة ايران ـ العدد ٦٧٨ ـ في ١٧ شباط ١٨٨٩ .

(١١٤) جمع « شيل » وهو يطلق على سد يعمل من الخشب والاغصان لصيد السمك .

(١١٥) ظل مع ورثة ليانازوف حتى عام ١٩٢٢ ثم اشترته الحكومة الروسية منهم وفي عام ١٩٢٧ اصبح شركة مختلطة ايرانية روسية حتى عام ١٩٥٣ ، حيث اصبح مؤسسة حكومية ايرانية .

(١١٦) جريدة ايران ـ العدد ٦٧٧ في ١٠ شباط ١٨٨٩ .

(١١٧) امتياز نامه هاكه ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه داده اند ـ في مكتبة المجلس الوطني تحت رقم ٦٢ ـ خطي (فيروز) .

الرابع ·

٦ ـ منح الروس امتياز انشاء خطوط حديدية في شمال ايران سنة ١٨٨٩ بشرط عدم منح امتيازات مماثلة لأية دولة أخرى (١١٨) ·

٧ ـ امتياز استغلال غابات شمال ايران واستثمار أشجار الزيتون فيها لمؤسسة ثيوفيلاكتوس (Theophylactos) اليونانية في ٢٢ يونيو ـ حزيران ـ ١٨٩٠ لمدة خمس سنوات (تجددت لخمس سنوات أخرى) ، مقابل اثني عشر ألف تومان سنويا ·

٨ ـ امتيازات بسيطة منحت لبعض الايرانيين مثل امتياز انشاء مصنع للمصابيح الكهربائية في طهران الى يحيى خان مشير الدولة سنة ١٨٩٠ ، وامتياز تأسيس عربات للنقل في طهران أيضا الى ميرزا جواد خان سعد الدولة سنة ١٨٩١ (١١٩) ، وامتياز استثمار مرور العربات على طريق طهران ـ قم الى عسكر كاريجي سنة ١٨٩٣ ·

٩ ـ امتياز ربط طهران بالخليج العربي بطريق بري لمدة ستين سنة أعطي للانجليز سنة ١٨٩٠ ، ولكن الحكومة الايرانية ألغت الامتياز سنة ١٩٢١ ·

١٠ ـ امتياز انشاء بنك الاقراض الروسي في ٢١ مايو ـ أيار ـ ١٨٩١ (وقد صفى أعماله سنة ١٩٢١) ·

١١ ـ امتياز استخراج معادن منطقة قراجه داغ في آذربايجان

---

(١١٨) حسن تقي زاده ـ تاريخ اوائل انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ٣٠.

(١١٩) امتياز نامه هاكه ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه داده اند ـ مكتبة المجلس الوطني تحت رقم ٤٤٤٢٦/٥١٩٠ (او برقم ٦٢ خطي ـ فيروز) ·

للروس سنة ١٨٩٨ ·

١٢ ـ امتياز استثمار بترول جنوب ايران الى ويليام دارسي (William D'Arcy) الاسترالي في ٢١ مايو ١٩٠٣ لمدة ستين سنة ، وقد قدم للشاه ثلاثين ألف جنيه استرليني أسهما ، وعشرين ألفا للشخصيات السياسية الايرانية الكبيرة ، وقد أخذ البترول بالتدفق سنة ١٩٠٤ (١٢٠) ·

من هذا يتضح ان أغلب الامتيازات المذكورة سابقا منحت في عهد ناصر الدين شاه ، وبعضها منحت في عهد خلفه مظفر الدين شاه . كما كان ناصر الدين شاه هو الذي فتح الباب الآخر الذي ولج منه النفوذ الاجنبي ، وهو باب الاقتراض من الدول الأجنبية بفوائد باهظة وبشروط قاسية ، ورهن عائدات البلاد من الجمارك وغيرها للدول صاحبة القروض لضمان سداد أقساطها ، وكان أغلب تلك القروض من بريطانيا وروسيا ، اللتين رأتا في منح تلك القروض تثبيتا لنفوذهما في ايران ، وأول قرض أجنبي كبير حصل عليه ناصر الدين شاه كانت

---

(١٢٠) بدأ رويتر البحث عن البترول في ايران سنة ١٨٩٣ واشترى دارسي حصة في شركة البترول سنة ١٩٠٠ ومنذ ١٩٠٣ انتقلت ملكية الشركة اليه ، وبدأ البترول بالتدفق منذ سنة ١٩٠٤ ، وفي ٣١ يوليو ١٩٠٧ باع دارسي حصته الى شركة بورما اويل Borma Oil بمبلغ ٢٠٣ آلاف جنيه استرليني نقدا و ٩٠٠ الف اسهما ، وفي ١٣ ابريل ١٩٠٩ تشكلت شركة زيت بختياري ، وفي اليوم التالي اصبحت جميع الحصص ملك شركة انجلوا ويل Anglo Oil برأسمال قدره مليونا جنيه استرليني ، واتفقت الشركة مع شيخ المحمرة « الشيخ خزعل » على انشاء مصفاة في ارضه في عبدان مقابل مبلغ بسيط من المال ووعد بالحماية وانظر كتاب Sutton, E., and Paul, 1. — Persian Oil, p. 21.

قيمته نصف مليون جنيه استرليني من بريطانيا لمدة ثلاثين سنة، ووضعت جمارك ولاية فارس والجنوب ضمانة لسداده ، وعقد القرض في مايو ١٨٩٣ لدفع قيمة التعويض المطلوب لشركة الريجي لالغاء الحكومة القاجارية امتيازها (١٢١) ٠

وتتابعت القروض بعد ذلك من بريطانيا وروسيا حتى قيام الدستور ، حيث أصدر المجلس الوطني قرارا بعدم الاقتراض من الدول الاجنبية ، وحاول انشاء بنك وطني لاقراض الحكومة بشروط سهلة ٠

هذا بالاضافة الى القروض التي عقدتها الحكومة الايرانية مع التجار الايرانيين مثل تومانيانس والحاج كوئي والحاج فرج الصراف وارباب جمشيد وجهانيان ،والتي بلغت بمجموعها حوالي مليون تومان (٢٠٠ ألف استرليني تقريبا) بفائدة ١٨ ٪ سنويا ٠ وبهذا بلغ مجموع الديون المطلوبة من الحكومة القاجارية قبل قيام الدستور ما يقارب سبعة ملايين جنيه استرليني (أكثر من أربعة وثلاثين مليون تومان) ٠

واذا علمنا ان الميزانية الايرانية في ذلك الوقت لم تكن تتجاوز عشرة ملايين تومان أدركنا مقدار التدهور الذي قاد ملوك القاجار ايران اليه ، وفي أواخر عهد مظفر الدين شاه كان العجز الدائم في الميزانية يتراوح بين ٣٠٠ ـ ٤٠٠ ألف جنيه استرليني (بين مليون ونصف ومليوني تومان) ، وأخذ هذا العجز يتزايد بشكل خطير ٠

---

(١٢١) غلام حسين افضل الملك ــ افضل التواريخ ــ نسخة خطية بمكتبة المجلس الوطني تحت رقم ٨١٨٠/٢١٦ ٠

الفصـــل الثــالث

محاولات الاصلاح في عهد ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه

١ ـ في عهد ناصر الدين شاه :

شخصية ناصر الدين شاه :

كان ناصر الدين شاه قوي الشخصية ، ذكيا ، حلو الحديث ، ميالا للرفاهية والملذات ، منصرفا للصيد والرحلات ، ولكنه من جهة أخرى كان كثير الشكوك وكان محبا للحكم الفردي المطلق . ولقد كانت فترة حكمه (من ١٨٤٨ الى ١٨٩٦) أسوأ الفترات المظلمة في التاريخ القاجاري ، حيث حاول حبس الشعب الايراني داخل حدود ايران ، فلم يسمح للايرانيين بالسفر الى الخـارج وخاصة الى أوروبا رغم قيامه هو نفسه بثلاث رحلات اليها (١) .

المصلحون في عهده :

رغم كل التضييق الذي كان يمارسه ناصر الدين شاه على

---

(١) اميد ايران ـ العدد ٦٧٦ ـ اذار ١٩٦٧ .

الشعب الايراني ، الا أنه اضطر لاجراء اصلاحات عديدة ، ومع أنها لم تكن شاملة أو جوهرية ، غير أنها حققت بعض التغييرات في المجتمع الايراني ، ويرجع قيام ناصر الدين شاه بتلك الاصلاحات الى ما يلي :

١ ـ التغييرات التي فرضتها على المجتمع الايراني الصلات المتزايدة مع أوروبا ، التي أدت في زمانه الى حدوث تغييرات مباشرة وظاهرة في أسلوب الحياة الايرانية ، حيث أصبحت كثير من وسائل الحياة الأوروبية معروفة ومنتشرة في ايران مثل : العربات والحافلات ، واستعمال الساعات والمظلات ولفائف التبغ والكبريت ، وزراعة الشاي والقطن وقصب السكر والأناناس ، وارتداء الاحذية والقبعات الأوروبية ، وغيرها من المظاهر المادية الأوروبية التي أدت الى احداث تغيير في أفكار الناس وسلوكهم (٢) ·

٢ ـ رحلات الشاه الثلاث الى دول أوروبا ، واضطراره قبل اجراء كل رحلة الى القيام ببعض الاصلاحات الظاهرية ليبدو أمام رؤساء أوروبا بمظهر الملك المصلح ، وكذلك لامتصاص النقمة الشعبية المتزايدة ، رغم أنه لم يكن يحفل في زياراته لدول أوروبا الا بالتمتع « بالفرجة » ، ومشاهدة معالمها المختلفة، وفي احدى رحلاته لأوروبا وصف جمال البناء وضخامته في مجلس النواب البريطاني في لندن ، وكذلك فعل عند زيارته مبنى الجمعية الوطنية الفرنسية في باريس حيث اهتم باللوحات المعلقة على الجدران ووصف فخامة البناء وروعة مناظره ، ولم يهتم ، في الحالتين ، بما كان يدور من نقاش بين نواب

---

(٢) اعتماد السلطنة ــ المآثر والآثار ــ ص ١١٦ ·

الشعب (٣) • بل ان الشاه نفسه كان يصرح لخاصته أن غرضه منها النزهة والسياحة فقط (٤) •

٣ ــ حدوث اصلاحات واسعة في الدولة العثمانية في عهود السلاطين المعاصرين له ، وكان أهمها دستور ١٨٧٦ ، مما اضطره لاحداث بعض الاصلاحات الشكلية مجاراة لذلك •

وقد كان الرجال الثلاثة الذين قادوا حركة الأصلاح في فترة حكمه الطويلة هم : ميرزا تقي خان أمير كبير وميرزا جعفر خان مشير الدولة وميرزا حسين خان سبهسالار • وكان هؤلاء الثلاثة قد خبروا تطور المجتمعات الأوروبية والعثمانية عن كثب ، وبالتالي كانت لديهم قناعة تامة بأن تقدم ايران وقوتها يكمن في تغيير أسلوب الحياة في المجتمع الايراني ، ورفع كافة القيود أمام انطلاقه الفكري والسياسي والاقتصادي •

ميرزا تقي خان أمير كبير :

بدأت حياته السياسية بايفاده بمهمة رسمية الى روسيا من قبل الحكومة القاجارية • وبعد ذلك عمل مدة ثلاث سنوات في لجنة المفاوضة الايرانية لتعيين الحدود مع الدولة العثمانية ، واستوعب خلال اقامته باستانبول كل ما قامت به الدولة العثمانية من اصلاحات ، وعند توليه الصدارة العظمى في ايران (١٨٤٨ ــ ١٨٥١) أجرى اصلاحات عديدة ، غير أنها لم تعط ثمارهـا

(٣) سفرنامه ناصر الدين شاه ــ الصفحتان ١١٩ و ١٥٥ .

(٤) حافظ فرمانفرمائيان ــ خاطرات ميرزا علي خان امين الدولة ــ ص ١٤١ .

الكاملة حيث عزل بسرعة عن منصب الصدارة ، بسبب ما قام به حساده الكثيرون من تشكيك الشاه بنواياه نحو العرش ، فأمر بنفيه الى كاشان ، ولم يتركه أعداؤه يقضي بقية عمره بعيدا عن الحياة العامة ، بل ظلوا يلحون على الشاه بالتخلص منه ويوهمونه بخطره على عرشه حتى أمر بقتله وهو بالحمام في ٩ يناير ١٨٥٢ (٥) ، وخسرت ايران بموته واحدا من أعظم رجالها في العصر الحديث .

ميرزا جعفر خان مشير الدولة :

كان أحد الطلاب الخمسة الذين أرسلتهم حكومة فتح علي شاه للدراسة في أوروبا (٦) ، وبعد عودته تولى سفارة بلاده في البلاط العثماني بين ١٨٣٦ الى ١٨٤٣ ، كما كان عضوا بلجنة تعيين الحدود الايرانية العثمانية ، ومثل بلاده في انجلترا ثم ألمانيا ، وكان خلال هذه الفترة يبعث للشاه شخصيا بآرائه حول اجراء اصلاحات بالبلاد ، وكان يرى ان أول الاصلاحات الواجبة هي وضع قوانين للبلاد ، مما يبعث على الاستقرار ويوطد أركان الحكم نفسه (٧) . وتولى سنة ١٨٥٨ منصب رئيس مجلس

---

(٥) فريدون آدميت ــ امير كبيروايران ــ ص ١٩٦ .

(٦) في الحقيقة لم يكن فتح علي شاه يهتم بمثل هذه الامور وانما الذي امر بارسالهم ولي عهده الامير عباس ميرزا الذي كان واسع الافق ومتحرر الفكر ، ومياﻻ للنهوض بالمجتمع الايراني ، غير ان الاجل لم يمهله وتوفي مبكــرا .

(٧) اسماعيل رائين ــ انجمنهاي سري درانقلاب مشروطيت ايران ــ ص ١٠ .

الشورى وظل يشغله حتى وفاته سنة ١٨٦١ ٠

ميرزا حسين خان سبهسالار :

درس في فرنسا ، وتولى وظيفة قنصل ايران في بومبي ثم تفليس فاستانبول ، وفي سنة ١٨٥٨ رقي الى درجة سفير ، وظل كذلك حتى سنة ١٨٧٠ حيث غادر استانبول الى طهران ، وتقلد منصب وزير الأوقاف ثم العدلية ، وفي سنة ١٨٧١ تولى صدارة ايران العظمى ، ومنحه الشاه لقب « سبهسالار أعظم » بمعنى القائد الاعظم ٠ ظل في منصبه حتى سنة ١٨٧٣ وأقصي عنه بسبب تظاهر رجال الدين ضده ، لاستنكارهم اعطاءه بعض الامتيازات لاستثمار المشاريع الايرانية للأجانب (٨) ٠

الاصلاحات في عهد ناصر الدين شاه :

أ) الإداريـة :

كانت أول الاصلاحات الادارية انشاء ناصر الدين شاه سنة ١٨٥٨ « مجلس شورى الدولة » (مجلس شوراي دولت (٩)) ، وكان بمثابة حكومة على الطراز الحديث من ست وزارات :

---

(٨) يقال ايضا ان نساء قصر ناصر الدين شاه دبرن امر عزله لاعتقادهن انه كان السبب في منع الشاه من اخذهن معه الى اوروبا حيث اعادهن من روسيا واكمل رحلته الى اوروبا ــ انظر محمود فرهاد معتمد ــ سيهسالار اعظم ــ ص ٥٤ .

(٩) اطلق عليه ايضا اسم « خانه شوراى دولت » انظر خاطرات ميرزا علي خان صفحة ٥٤ .

الداخلية (داخلة) ــ الخارجية (خارجة) ــ الحربية (جنك) ــ المالية ــ المدلية ــ وظايف وأوقاف (١٠) ، وجمل على رأس الحكومة ميرزا جعفر خان مشير الدولة الذي كان هذا المجلس ثمرة لجهوده ، وأوضح الشاه الفرض من تشكيل المجلس بقوله في خطبة الافتتاح : « ... اليوم جئنا بأنفسنا لنفتتح دار الشورى هذه ، في هذه الفرفة التي كانت قبلا مخصصة لمجلس الوزراء ، وعلى الاعضاء الاجتماع فيها مرتين في الاسبوع ، السبت والثلاثاء ... ويقوم أمين الملك بضبط الجلسات ... وتتشاورون بأمور البلاد وأمور الشريعة ... فالمقل الواحد لا يدرك ما تدركه العقول المجتمعة ... وما نفتتحه اليوم يعرف في البلدان المختلفة باصطلاحات عدة ، ونسميه نحن دار شورى الدولة ومجلس الوزراء ... (١١) » .

وبهذا جمع هذا المجلس بين الصفتين التشريعية والتنفيذية معا ، كما بين ناصر الدين شاه في كلامه الى أمين الملك (١٢) بأن تعيين حكام الولايات والأمور الاخرى أصبحت من اختصاص هذا المجلس ، وطلب أن تضمن فيه حرية الكلام والنقاش ، وفي الحقيقة كان هذا المجلس شكليا ، حيث ظلت الكلمة النهائية للشاه نفسه ، ولم يظهر لهذا المجلس أثر يذكر في تغيير الحياة العامة الايرانية .

---

(١٠) عبد الله مستوفي ــ تاريخ اجتماعي واداري قاجاريه ــ ج١ ــ ص ١١٩ .

(١١) حافظ فرمانفرمائيان ــ خاطرات ميرزا علي خان امين الدولة ــ ص ٥٥ .

(١٢) هو نفسه الذي لقب فيما بعد بلقب امين الدولة وصاحب الخاطرات المشهورة .

وفي سنة ١٨٧٢ تشكل « مجلس مشـورت وزراء » ، أي مجلس شورى الوزراء ، والذي سمي أيضا « هيئت دولت (١٣) »، وجعله مؤلفا من تسع وزارات حيث أضيفت وزارات التجارة (تجارت) والصناعة (صنعت) والبلاط (دربار) للوزارات الست السابقة ٠

وكانت هذه الوزارة أوسع صلاحيات من الوزارات السابقة ، وقد خفف تشكيلها من قبضة الشاه الحديدية على الأمور الى حد ما ، غير ان ناصر الدين شاه سرعان ما عزل رئيسها ميرزا حسين خان سبهسالار ، وتشكلت وزارة غيرها ، وفي الحقيقـة فـان تأسيس مثل هذا المجلس والوزارات لم يكن ليؤدي لنتائج هامة لمصلحة الشعب ، لأن رجال البلاط وأمراء القاجار كانوا يحولون دون استمرار أي اصلاح (١٤) ٠

سنة ١٨٨٦ وقبل قيام ناصر الدين شاه برحلته الثالثـة لأوروبا شكل « مجلس شوراي كبرى » أي مجلس الشـورى الاكبر ، ومما جاء في فرمان التشكيل : « ٠٠٠ لما كنا قد قررنا تأسيس مجلس الشورى الاكبر ، ليكـون موضع حل وعقـد الأمور ، فانه ينبغي على هذا المجلس القيام بواجباتـه التـي سنعينها في نظام منفصل ، ونعين أعضاءه ، ولما كانت رئاسة هذا المجلس منوطة بنا ، وجب أن نعين شخصا من أسرتنا نثق بـه ونعتمد عليه ليقوم مقامنا ، وقد اخترنا الأمير ركن الدولـة محمد تقي ميرزا شقيقنا ، ومن تاريخ صدور هذا المنشـور يكون هو رئيس مجلس الشورى الاكبر الذي سينعقد كل يوم

---

(١٣) فريدون آدميت ــ فكر آزادي ونهضت مشروطيت ايران ــ ص ٧٩ ٠
(١٤) زهرا شجيعي ــ نمايندكان مجلس ــ ص ٣٥ ٠

عدا أيام المطلات (١٥) » ٠

جمل الشاه أعضاء المجلس من الأمراء والوزراء ورجال السياسة الآخرين ، وجعل « قوام الدولة » أمينا لسر المجلس (١٦) ، وبعد مدة اقتصرت اجتماعات المجلس على يومين بالأسبوع (١٧) ٠

عند عودة ناصر الدين شاه من رحلته الاخيرة لأوروبا ، جمع أعضاء هذا المجلس وطلب منهم « ٠٠٠ أن تنقبوا بين الكتب والمراجع لتوجدوا قانونا يتفق وشرع الاسلام ، ويعمل على ترقي البلاد ٠٠٠ (١٨) » وتكونت لجنة لذلك ، وقد وجدت اللجنة ان وضع قانون أو دستور خاص بايران يستغرق وقتا طويلا ، فترجم رئيس اللجنة دستور مدحت باشا للفارسية خلال يومين ، وعند عرض صيغته على أعضاء اللجنة ، أخذوا بحذف قسم من هنا وتعديل جزء من هناك ، حتى جاء ممسوخا بعيدا جدا عن الاصل الذي كان فيه ، ذلك ان الاعضاء كانوا يخشون تقديم مشروع دستور للشاه فيه انتقاص كبير من سلطاته ، غير ان أعضاء اللجنة انشغلوا فيما بعد بأمور ثانوية من مثل تسمية الدستور المقترح « قاعدة » أو « قانونا » لتخوفهم من رفض الشاه له (١٩) ، وفي النهاية لم تصل تلك اللجنة لأي

---

(١٥) عبد الله مستوفي تاريخ اداري واجتماعي قاجاريه ــ جا ــ ص ١٥١ .

(١٦) جريدة ايران ــ العدد ٦٠٠ في ١٣ شعبان ١٣٠٣هـ (١٨٨٦) .

(١٧) جريدة ايران ــ العدد ٦٨٤ ــ في ٣٠ نيسان ١٨٨٩ .

(١٨) حافظ فرمانفرمائيان ــ خاطرات ميرزا علي خان ــ ص ١٤١ .

(١٩) كان ميرزا حسن مترجم البلاط الملكي يقرأ لناصر الدين شاه الجرائد الاوروبية ، ولما كان يصل لكلمة « قانون » كان يترجمها فورا الى « قاعدة » لملاحظته مدى استياء الشاه من تلك الكلمة ــ انظر ميرزا علي خان ــ ص ٨٠ .

نتيجة ، خصوصا وأن الشاه ـ كعادته ـ فترت همته •

بعد مدة ألغى ناصر الدين شاه مجلس الشورى الاكبر وشكل بدلا منه مجلس البلاط (مجلس درباري) ، الذي ضم كبار رجال الدولة ، وفي الحقيقة لم يكن منتظرا من هذا المجلس تحقيق أي تقدم في البلاد لطبيعة تكوينه (٢٠) •

لم تثمر تلك التغييرات والاصلاحات في احداث تقدم جوهري في حياة الشعب الايراني ، وكانت تلك الاصلاحات تفقد قوتها بعزل أو موت الرجل المصلح الذي كان وراء فكرتها ، ولذلك فقد جاءت التغييرات التي تمت في عهد ناصر الدين شاه ضئيلة اذا ما قيست بالفترة الطويلة التي حكم بها البلاد والتي قاربت نصف قرن •

ب) الاصلاحات القضائية والثقافية :

ألغى أمير كبير أحكام « ناسخ ومنسوخ » لمنافاتها للعدالة ، ومنع تعذيب المتهمين وجعل العقاب متناسبا مع الجرم (٢١) ، وأعلن المساواة بين كافة الايرانيين ، ودعا الى حفظ حقوق الأقليات ، ومنع القوات العسكرية من مصادرة حاجاتها من المؤن من القرى الايرانية ، خلال مرورها بها ، وأمر بأن تدفع ثمن كل ما تأخذه من تلك القرى ، وقام سبهسالار بتنظيم العدلية والمحاكم الشرعية ، غير أن الامتيازات القنصلية الممنوحة

---

(٢٠) المصدر السابق ـ صفحة ١٤٢ .
(٢١) فريدون آدميت ـ فكر آزادي ـ ص ٥٤ .

للأجانب ، كانت عثرة كبيرة في طريق أي اصلاح قضائي (٢٢) ، كما ألغى المناصب والألقاب الوراثية ، وخلال وجوده في استانبول ترجم القانون التجاري الفرنسي وطلب من القنصليات الايرانية العاملة في الدولة العثمانية السير بموجبه ، بدلا من القواعد الشرعية والأعراف التي كانت متبعة حتى ذلك الوقت (٢٣) ·

ويرجع الفضل الاول الى أمير كبير في تأسيس مدرسة « دار الفنون » التي استقدم اليها الأساتذة من فرنسا وايطاليا والنمسا ، وكانت تدرس الطب والصيدلة والهندسة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والمعادن والعلوم العسكرية ، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات (٢٤) ·

أما تأسيس المدارس الابتدائية على الأسلوب الأوروبي الحديث فلم يبدأ الا في أواخر حكم ناصر الدين شاه ، وكانت أول مدرسة تأسست طبقا لذلك مدرسة « رشدية » التي أسسها ميرزا حسن رشدية سنة ١٨٨٨ في تبريز ، وكذلك مدرسة « مظفرية » في تبريز أيضا سنة ١٨٩٤ (٢٥) ·

وقامت الارساليات المسيحية في ايران ببعض الجهد في هذا

---

(٢٢) محمود فرهاد معتمد — سبهسالار اعظم — ص ٣٩ ·

(٢٣) فريدون آدميت — فكر آزادي — ص ٢٠٣ ·

(٢٤) ذكر G. Curzon في كتابه Persian and the Persian question, Vol. 1 في الصفحة ٩٣ ان مدة الدراسة فيبعض اقسامها كانت بين ٦—٧ سنوات ·

(٢٥) محمد اسماعيل رضواني — انقلاب مشروطيت ايران — ص ٤٥ ·

السبيل ، فقام الآباء اليسوعيون بتأسيس مدرسة في تبريز ، وكذلك أسس الارثوذكسيون مدرسة سوزانوف الروسية ، وفعل الآباء الاميركيون مثلهم بتأسيس مدرسة Memorial وكانتا في تبريز أيضا ، كما كان للآباء الاميركيين مدرسة أخرى في مدينة رضائية ، وكان للآباء الجزويت مدارس أيضا في أصفهان • وفي نواحي أخرى : منع سب الخلفاء الراشدين من على المنابر وسمح مقابله للشيعة في الدولة العثمانية بالجهر بعقيدتهم (٢٦) •

قام أمير كبير باصدار صحيفة « وقايع اتفاقية » سنة ١٨٥١، وفتح المجال بذلك لقيام نهضة صحافية لم تلبث أن ازدهرت بشكل كبير في عهد مظفر الدين شاه •

ج) الاصلاحات المالية والاقتصادية :

بدأ الاصلاحات الاقتصادية « أمير كبير » حيث عهد الى لجنة برئاسة ميرزا يوسف آشتياني (مستوفي الممالك) بتنظيم الأوضاع المالية ، فقام هذا بحصر العجز الحاصل بين نفقات الدولة وعائداتها فوجده يقارب مليون تومان ، ولما لم يكن للبلاد ميزانية بالمعنى المعروف ، فقد قام بتنظيم ميزانية لأول مرة في ايران ، ولتلافي العجز الحاصل فيها ، فقد أصدر أمير كبير قرارا بانقاص رواتب الموظفين ومخصصات الأسرة المالكة ،

---

(٢٦) كانت عادة سب الخلفاء الراشدين في ايران معمولا بها من العهد الصفوي — انظر اعتماد السلطنة — المآثر والآثار — ص ١١٦ .

وأنقص راتب الصدر الاعظم ألفي تومان (٢٧) ، كما خفض من رواتب حكام الولايات ومن مخصصات أمراء الأسرة القاجارية، وكان أولئك الأمراء يتقاضون مخصصات كبيرة رغم عدم قيام بعضهم بأي عمل ، مثل الأمير سيف الدولة القاجاري الذي كان يتقاضى مبلغا سنويا كبيرا بينما هو يعيش في انجلترا (٢٨) ٠

لتشجيع استثمار ثروات ومعادن ايران فقد صدر قرار باعفاء كل من يستخرج أي شيء منها من الرسوم للسنوات الخمس الأولى ، ولضمان اقبال الايرانيين على ذلك صدر سنة ١٨٨٨ منشور ملكي يطمئن الايرانيين على أرواحهم وممتلكاتهم ويحثهم على استثمار أموالهم في انشاء الشركات والمصانع « دون خوف أو شك ٠٠٠ ولا يحق لأحد التدخل بأمور رعايانا ، أو مصادرة أموالهم ، الا ما يكون تنفيذا لحكم الشرع أو العرف (٢٩) » ٠

كما أنه في عهد ناصر الدين شاه أوصلت مياه نهر كرج القريب الى طهران ، وقامت بعض مصانع النسيج والزجاج ، وبدىء باستعمال الهويات الخاصة بالسفر

تحريم التدخين أول تحد شعبي لنظام الحكم :

كانت قلة من المفكرين الوطنيين الايرانيين تدرك خطورة

---

(٢٧) كان راتبه بذلك الوقت يبلغ ٤٢ الف تومان سنويا (اكثر من ٨ آلاف جنيه استرليني) ٠

(٢٨) فريدون آدميت — امير كبير وايران — ص ١١٢ ٠

(٢٩) جريدة ايران — العدد ٦٥٧ — في ٣١ مايو ١٨٨٨ ٠

منح امتيازات استثمار ثروات البلاد ومرافقها للأجانب ، ذلك ان هذه الامتيازات لم تكن تمس الشعب مباشرة ، الا أن امتياز استثمار التنباك في ايران مس الشعب مباشرة ، فثار ضده حتى أجبر الشاه على الغائه ، وكانت تلك أول انتفاضة عامة يتحدى فيها الشعب الايراني السلطات الحاكمة ٠

ففي ٨ مارس ـ آذار ـ ١٨٩٠ منح ناصر الدين شاه لاحدى الشركات الانجليزية حق شراء وبيع وتصنيع التبغ والتنباك لمدة خمسين سنة ، مقابل ١٥ ألف جنيه استرليني للحكومة الايرانية وكذلك ربع أرباح الشركة سنويا ٠ ومنحت آلات وأدوات الشركة المستوردة الاعفاء من الرسوم الجمركية ، وفرض على ايران عدم ادخال أي نوع من التبغ من الخارج سواء كان خاما أم مصنعا ، كما تقرر عدم رفع الرسوم المفروضة على التبغ والتنباك طيلة مدة الامتياز ومنع المزارعون الايرانيون من بيع محاصيلهم من التبغ الا لفروع الشركة ٠ وباشرت الشركة أعمالها فتوزع موظفوها في كافة أنحاء ايران لحصر الأراضي التي تزرع التبغ ، ولتطبيق كافة شروط الامتياز ، كما أخذت تفتتح لها فروعا في المدن الايرانية ، وقد أحس الفلاحون بالغبن النازل بهم من جراء شراء الشركة لتبغهم بأسعار ضئيلة وبيعها التبغ المصنع (السجاير وتبغ الغليون) بأسعار عالية ، وكذلك للعجرفة والتعالي التي أخذ الموظفون الانجليز يعاملون بها الفلاحين البسطاء ، مما زاد من استيائهم ، وتحولت تلك النقمة الى ثورة جارفة حينما اغتنم بعض أولئك الموظفين الانجليز فرصة تجولهم في القرى الايرانية ، وحاولوا التبشير

بالمسيحية (٣٠) ، وعمت الثورة كل ايران ، ففي تبريز مزقه أفراد الشعب اعلانات الشركة من على الجدران ، ووضعوا البيانات المعارضة لها ، وهاجموا مكاتب الشركة ، وتجمع عشرون ألفا من سكان المدينة في المساجد مظهرين استمدادهم للقتال حتى انهاء الاتفاق ، وفي شيراز دعا الحاج علي أكبر شكسته الناس لمقاومة الشركة ، فنفته الحكومة الى البصرة ، ووقعت اثر نفيه مصادمات دموية بين الجنود والأهالي سقط فيها بعض الضحايا ، وفي أصفهان دعا الشيخ محمد تقي نجفي السكان لاعلان العصيان ضد الحكومة لتعاونها مع الأجانب ، وفي كلاردشت قاد المعارضة سيد علمكر ، وهكذا أصبح التمرد والعصيان قائما في كل مكان في ايران ، ولقد أدى الى تقوية موقف الشعب ، تلك الفتوى التاريخية التي أصدرها مجتهد النجف الاكبر « آية الله ميرزا محمد حسن شيرازي » الذي كان يعد المرجع الشيعي الأعلى في العالم ، وكان في شرح الحاج علي أكبر شكسته للوضع القائم في ايران ، وكذلك لرسائل جمال الدين الأفغاني اليه ، الأثر الهام في اقتناعه بالخطر الذي يتعرض له الشعب الايراني من جراء تغلغل النفوذ الاجنبي في ايران ، وما يمكن أن يحصل لعقيدته الدينية من ضرر بسبب محاولات موظفي الشركة الانجليزية تحويل الفلاحين الايرانيين عن دينهم ، وهكذا في ديسمبر ١٨٩١ صدرت تلك الفتوى التاريخية بتحريم التدخين « الآن استعمال دخانيات حرام است وبمثابه محاربه با امام زمان » ، أي « التدخين حرام وبمثابة محاربة

---

(٣٠) زهرا شجيعي ـ نمايند كان مجلس ـ ص ٦٣ .

لامام الزمان » . وانتشر نص الفتوى في جنبات ايران ، في مدنها وقراها ومزارعها بسرعة البرق ، بحيث انه بعد وصول خبر الفتوى الى طهران ببضع ساعات كانت آلاف النسخ التي تحتوي على نص الفتوى تدور بين أيدي الناس (٣١) ، وكان حماس الناس عظيما فأخذت النسوة يحطمن غلايينهن ويتلفن ما في بيوتهن من تبغ ، وأخذ الرجال يتسابقون في تجميع ما لديهم من غلايين وحرقها في الميادين العامة ، وأغلقت محلات بيع التبغ أبوابها ، وفي قصر الشاه نفسه حطم الخدم الغلايين الثمينة وأتلفوا كل ما في القصر من تبغ ، وعندما أراد ناصر الدين شاه التدخين ، أعلمه الخدم بما جرى ولما غضب وسألهم عن عدم استشارتهم له قبل ذلك ، أجابوه بأن ما أفتت به الشريعة لا ضرورة لسؤال السلطان فيه ، واضطر ناصر الدين شاه للسكوت ولم يجرؤ على التدخين طيلة تلك الفترة (٣٢) ، وقد أيد علماء الدين الايرانيون الفتوى التي أصدرها المرجع الأعلى في النجف الاشرف ، وخاصة موقف مجتهد طهران الكبير آية الله ميرزا محمد حسن اشتياني ، الذي كان له الفضل الاكبر في توضيح فتوى النجف ومساندتها ، وقد حاولت الحكومة الايرانية نفيه من طهران ، غير أن أربعة آلاف من الطهرانيين أحاطوا بمنزله مرتدين الأكفان ومسلحين بالعصي والخناجر ، وسارت النساء في الشوارع نادبات صائحات « واشريعتاه !! » وهاجمت جموع الناس مقر الحكومة وسقط عدد من الضحايا في صدام مع

---

(٣١) عبدالله مستوفي شرح زندكاني من يا تاريخ اجتماعي واداري دوره قاجاريه ــ ج١ ــ ص ٦٣٢ .

(٣٢) مهدي ملكزاده ــ مشروطيت ايران ــ ج١ ــ ص ١٢٨ .

الحرس ، واضطر الشاه ازاء هذا الاجماع الشعبي الى الغاء امتياز الشركة بالداخل وقصره على تصدير التبغ للخارج ، لكن الشعب ، ومعه رجال الدين ، استمر في ثورته الرائعة ولم يقبل هذا التراجع الجزئي ، وأراد أن يكون انتصاره كاملا ، وكانت نتيجة تعطل أعمال الشركة أن هبطت قيمة أسهمها في بورصة لندن (٣٣) ، وخشي ناصر الدين شاه ـ وقد رأى شدة تماسك قوى الشعب وتمسكها بمطالبها ـ من أن تتحول الى ثورة شاملة تنسف النظام الحاكم نفسه ، فاضطر الى اصدار فرمان في ٥ يناير ـ كانون الثاني ـ سنة ١٨٩٢ يلغي فيه الامتياز الممنوح للشركة كلية · « جناب أمين السلطان (رئيس الوزراء آنذاك) كنا قبل أيام قد أوقفنا مفعول امتياز التنباك بالداخل ، ونوقف الآن العمل به بالخارج أيضا ، اطلع العلماء والحكام وكافة الناس على ذلك ليطمئنوا (٣٤) » · وبعد صدور هذا الفرمان هدأ الشعب وأباح العلماء العودة للتدخين ·

ان حركة تحريم التدخين في ايران تعتبر علامة بارزة على طريق الكفاح الشعبي ضد الحكومة القاجارية المستبدة . كما أنها أظهرت ما لدى رجال الدين من نفوذ شعبي قوي ·

ويمكن حصر النتائج التي ترتبت على حركة تحريم التدخين فيما يلي :

١) كانت تلك الحركة أول تحد شعبي للحكومة القاجارية المستبدة ، وهيأ ذلك الشعب نفسيا لتحدي السلطات الحاكمة وهو واثق بانتصاره ومقتنع بحقه ·

---

(٣٣) زهرا شجيعي ــ نمانيد كان مجلس ــ ص ٦٥ .
(٣٤) محمد حسن هروي ــ تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ــ ص ٩ .

٢) كانت فتوى تحريم التدخين أول فتوى عامة في تاريخ ايران الحديث يصدرها النجف الاشرف ويعمل بموجبها الشعب الايراني قاطبة ، مما أدى الى تدعيم نفوذ سلطة رجال الدين ٠

٣) كان من ذيول الغاء امتياز الشركة البريطانية أن اضطر ناصر الدين شاه لدفع تعويض لها مقداره نصف مليون جنيه استرليني ، ولما لم يكن يوجد فائض من المال في خزائن الدولة فقد اضطر الشاه لاقتراض ذلك المبلغ من البنك الشاهنشاهي (البريطاني) ، وكان هذا أول قرض كبير يقترضه الشاه من الخارج ٠

اغتيال ناصر الدين شاه :

كان ناصر الدين شاه ، خلال فترة حكمه الطويلة ، يمثل قمة الاستبداد والطغيان ، وقد اعتقد قسم من الوطنيين أن بداية الاصلاح والتقدم في المجتمع الايراني تكون بوضع نهاية لحياة ذلك الشاه الطاغية ، وكان قاتله هو ميرزا رضا كرماني ٠ وكان هذا أصله من كرمان ، وكان والده رجل دين (ملا) يدعى حسين عقدائي ، وكان ميرزا رضا يعيش من بيع الشالات والمنسوجات التركمانية الفاخرة ، يتجول بها على كتفيه ، وباع مرة ما قيمته ألف تومان منها الى الأمير نايب السلطنة ، وماطله هذا بالدفع مدة عامين ، وبعد أن أكثر ميرزا رضا من مراجعته ، دفع له القيمة غير انه أخذ يضطهده ويستخدم نفوذه في القائه بالسجن كلما أخرج منه ، مما جعل كرماني في النهاية ينقطع عن

العمل ويتخفى (٣٥) ، وعندما جاء جمال الدين الافغاني لايران، حضر ميرزا رضا مجالسه واستمع لأفكاره فأعجب بهـا أشـد الاعجاب وأصبح من أخلص أنصاره ومريديه في ايران • وفي حركة تحريم التدخين كان ميرزا رضا ضمن الذين سجنوا بتهمة اثارة الجماهير ، وعندما أطلق سراحه سافر الى استانبول سرا والتقى بجمال الدين وشكا اليه ما وقع عليه من ظلم من حكام ايران ، وقد دعاه جمال الدين لمقاومة الظلم ، وأن أمر ازالة الظلم بيده ، وهكذا عاد ميرزا رضا سرا الى طهران وقد صمم على تخليص شعبه من ناصر الدين شاه رأس الاستبداد •

كان ميرزا رضا يعلم أن عيون الحكومة تبحث عنه فخشي من القبض عليه قبل اتمام ما عزم عليه ، لذلك تنكر واتخذ من ساحة حرم شاه عبد العظيم مكانا لمزاولة مهنة الطب الشعبي ، وخلال ذلك الوقت كانت الاستعدادات جارية في طهران للاحتفال بذكرى بدء العام الخمسين لحكم ناصر الدين شاه ، وفي أول مايو ـ أيار ـ ١٨٩٦ حضر ناصر الدين شاه في زيارة لمسجد شـاه عبد العظيم ، قبل بدء الاحتفالات في ذلك اليوم ، وكانت تلـك هي الفرصة التي انتظرها ميرزا رضا ، فتقدم من الشاه أثناء اجتيازه ساحة الحرم ، وبيده ورقة كأنما يريد تقديمها لـه ، وأخرج مسدسا فجأة وأطلقه على الشاه فقتله فورا ، وتكاثـر عليه مرافقو الشاه وقبضوا عليه (٣٦) ، وسجنوه في احـدى غرف القصر الملكي في طهران ، وخشيت الحكومة من أن يكون

---

(٣٥) حافظ فرمانفرمائيان ـ خاطرات ميرزا علـي خان امين الدولة ـ ص ١٣٢ •

(٣٦) جريدة ايران ـ العدد ٨٨١ ـ في ٦ مايو ١٨٩٦ •

ذلك الاغتيال مقدمة لمؤامرة كبرى ، فأعلنت حالة الطوارىء في طهران ، وأوكلت المحافظة على الأمن فيها الى القوة القوزاقية بقيادة الكولونيل الروسي كاساكوفسكي (٣٧) ، وأرسل الى ولي العهد في تبريز مظفر الدين شاه ليحضر الى العاصمة ويتولى العرش بعد اغتيال والده ٠

أظهر ميرزا رضا خلال التحقيق معه شجاعة فائقة ومتانة أعصاب ، ولم يبد أي أسف أو ندم على عمله بل افتخر بأنه قتل الشاه في المكان الذي شهد اهانة جمال الدين قبل ذلك بسنوات ، كما اعتبر نفسه المنقذ الذي خلص شعبه من كابوس جثم على صدره طيلة نصف قرن (٣٨) ٠ وفي جميع مراحل التحقيق نفى تهمة تواطؤ أحد معه أو وجود شركاء له ، وحصر كل العمل بنفسه ، كما نفى بشكل خاص أن يكون لجمال الدين الأفغاني يد بالموضوع من قريب أو بعيد (٣٩) ٠

كانت لجنة التحقيق مشكلة من ميرزا أبو تراب خان ناظم الدولة ، والحاج حسين علي خان رئيس الحرس الملكي ، وانتهت اللجنة في تحقيقها الى ادانة ميرزا رضا بالجريمة وحده (٤٠) ،

---

(٣٧) كاساكوفسكي ــ خاطر ات ــ ص ٣٥ .

(٣٨) المصدر السابق صفحة ٥٤ .

(٣٩) لم تذكر المصادر الايرانية ان ميرزا رضا قال عند قتله الشاه « خذها من يد جمال الدين » وقد وردت هذه الجملة بين المراجع العربية فقط ، ولا شك انه لو قالها لورد ذلك في التحقيق ، خصوصا وان المحققين حاولوا الصاق تهمة تدبير الاغتيال بجمال الدين ، وكان يمكنهم اتخاذ تلك الجملة دليلا على ذلك لو ان ميرزا رضا كان قد قالها فعلا .

(٤٠) عندما سئل ميرزا رضا في التحقيق عن التعليمات التي اعطاها له جمال الدين قبل سفره من استانبول اجاب بأنه لم يتلق اية تعليمات =

وان جمال الدين الافغاني كان له ضلع بالتحريض على الاغتيال وان لم يقم بالتخطيط لذلك ، كما استشهدت بما كان قد قاله للوزير المفوض الايراني في لندن عندما عرض عليه مبلغا من المال مقابل وقف حملاته على الشاه « لا أرضى الا أن تزهق روح الشاه ويبقر بطنه ويوضع في القبر (٤١) » ، وحققت اللجنة أيضا مع مطلقة ميرزا رضا ومع ولده ميرزا تقي ومع كل من كان له به صلة ، وانتهت الى أنه لم يكن لأحد منهم علم بنيته .

أظهر ميرزا رضا جرأة متناهية عند اعدامه ، وحينما صعد الى المشنقة لم يظهر عليه أي ضعف بل أدى الشهادتين وصاح في الحاضرين : « أيها الناس اعلموا اني لست بابيا ، بل أنا مسلم خالص » ، والتفت الى جلاديه وقال : « ابقوا هذه المشنقة

= وان كل ما قاله جمال الدين عن حكام ايران انهم ظالمون وان ذلك معروف ومشهور . وعندما سئل متى فكر بقتل الشاه ، اجاب بأنه لا يعرف متى لانه كان طول حياته مضطهدا وملاحقا من الحكومة القاجارية ، وانه امضى في سجن قزوين اربع سنين واربعة اشهر دون ذنب جناه ، وانه ارسل العرائض العديدة للشاه لانصافه فلم يفعل . وعندما سئل حول ما قيل من ان جمال الدين بشره بأن قبره سوف يصبح مزارا وانه سيموت شهيدا ، كان جوابه بأن جمال الدين لا يؤمن بالخرافات ولا يعتقد بالذهب والفضة ، ولا بزيارة الاضرحة ، وانه حينما كان يصف لجمال الدين ما كان ينزل به من مصائب على ايدي رجال العهد القاجاري كان يزجره بقوله « لا تقعد تعمل مناحة وتذكر المصائب ، تحدث ببشاشة ولا تعبس فالاجانب حينما يذكرون ما يحل بهم من مصائب في سبيل الخير يفعلون ذلك ووجوههم باسمة » . انظر نص التحقيق الرسمي في جريدة صور اسرافيل ــ العدد التاسع في ٧ يوليو ١٩٠٧ وما يليه من اعداد .

(٤١) المنار ــ ج١١ ــ ص ٨٢٦ في ٤ يناير ١٩٠٨ .

منصوبة فلست أنا آخر من ستعدمونه (٤٢) » • وتم اعدامه في ٣١ يوليو ـ تموز ـ ١٨٩٦ وبقي جسده معلقا لليوم التالي ، ثم ألقي في واد في غابة شميران خارج طهران حيث رفضت السلطات السماح بدفنه في مدافن المسلمين (٤٣) •

كانت أهم نتائج اغتيال ناصر الدين شاه ، زوال تلك القبضة الحديدية التي كانت تضغط على عنق الشعب ، ومجيء مظفر الدين شاه الملك الضعيف •

٢ ـ في عهد مظفر الدين شاه :

شخصية مظفر الدين شاه :

تولى الحكم بعد مقتل أبيه (١٨٩٦ ـ ١٩٠٦) وكان ضعيف الجسم ، منحرف الصحة ، لا يملك من صفات الارادة والعزم والدهاء التي كان يتصف بها والده شيئا • كان سريع البكاء والتأثر ، لا يرد لرجال حاشيته طلبا ، شديد الاعتقاد بالخرافات، وكان وصوله للعرش بهذه الصفات وفي سن كبيرة أدى الى نتيجتين هامتين بالنسبة لتطور الحركة الاصلاحية الوطنية :

الأولى سلبية حيث استغل رجال البلاط وأصحاب النفوذ عزلة الشاه وضعفه ، فأمعنوا في استغلال الشعب ، كما أن الدول الاجنبية اغتنمت حاجة الشاه الماسة للاموال فأخذت تمنحه

---

(٤٢) غلام حسين افضل الملك ـ افضل التواريخ ـ مخطوطة برقم ٨١٨٠/٢١٦ بمكتبة المجلس الوطني في طهران .

(٤٣) كاساكوفسكي ـ خاطرات ـ ص ٨٥ .

القروض المديدة مقابل رهن عائدات بعض المرافق الهامة ، أما النتيجة الثانية فكانت ايجابية ، وهي اغتنام الوطنيين فرصة التساهل والتراخي الذي ميز حكم مظفر الدين شاه بالنسبة لحكم والده ، فممدوا الى زيادة عقد الندوات والمجالس في المنازل والمساجد ، وفي الاكثار من تأسيس المطابع والصحف ، حتى انه يمكن اعتبار عهد مظفر الدين شاه بداية النهضة العلمية والثقافية في البلاد (٤٤) ٠

الاصلاحات في عهده :

تابع مظفر الدين شاه اجراء الاصلاحات الادارية وغيرها ، بما يتفق ومصالح الطبقة الحاكمة وليس وما يتفق ورغبات الشعب ، فنظم مجلس شورى الدولة من جديد وعهد برئاسته الى محسن خان مشير الدولة (٤٥) ٠ وخصص خمسة أيام بالأسبوع للاطلاع على تقارير الدوائر المختلفة ، و١٠ اغسطس ــ آب ــ ١٨٩٨ سمي رئيس وزرائه أمين السلطان « صدرا أعظم » بدلا من « الوزير الاعظم » ، وبذلك صارت الوزارة وزارة تفويض بعد ما كانت وزارة تنفيذ ، كما أحضر خبراء بلجيكيين لتنظيم الجمارك الايرانية وزيادة عائداتها (٤٦) ٠ وعاد سنة ١٨٩٩ وعهد برئاسة مجلس شورى الدولة الى ميرزا أسد الله خان ناظم الدولة ، باعتبار هذا المجلس أهم أجهزة

---

(٤٤) اسماعيل رائين ــ انجمنهاي سري ــ ص ٢٥ ٠

(٤٥) جريدة ايران العدد ٩٣٧ في ١٩ حزيران ١٨٩٨ ٠

(46) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 98.

الدولة وباعتبار رئيسه أكثر الناس كفاءة (٤٧) • وجمل أعضاء المجلس أربعة وعشرين • ورغم نصائح بعض المخلصين اليه بأن يعمل على تدوين القوانين وايجاد الحكم الدستوري للبلاد ، الا أنه استمر على سياسة أسلافه (٤٨) • وفي عهده اتسعت الاجهزة الحكومية ، وتفرع عن كل وزارة عدة دوائر •

استمر انشاء المدارس واصدار الصحف ، وكذلك أخذت المطابع بالانتشار ، وقد رأى الوطنيون أن الاكثار من انشاء المدارس هو السبيل الرئيسي لايقاظ الشعب الايراني من غفلته ، فأسس ميرزا يحيى دولت آبادي مدرستي « أدب » و « سادات » في طهران ، كما أسس ميرزا سيد محمد طباطبائي مدرسة « اسلام » وبذلك فتح المجال أمام رجال الدين لتأسيس مدارس جديدة على النمط الحديث • كما أسس ميرزا نصر الله ملك المتكلمين مدرستين احداهما في أصفهان والأخرى في انزلي (على شاطىء بحر قزوين) ، وفي تبريز أسس لقمان الملك مدرسة « لقمانية » ، وفي طهران أيضا أسس سعيد العلماء مازندراني مدرسة «أقدسية» ومرتضى قليخان مدرسة «كمالية»، ورافع الدولة مدرسة « دانش (٤٩) » ، كما قام بعض الوطنيين مثل : ملك المتكلمين وسيد نصر الله تقوى وميرزا آقا أصفهاني وميرزا محمد علي خان أمين الدولة ، ونصرت السلطنة بتأسيس

---

(٤٧) كما ورد ذلك في كتاب التكليف الذي بعثه الشاه الى ناظم الدولة ، انظر كتاب افضل الملك ، باسم افضل التواريخ وهي مخطوطة بدون ارقام للصفحات في مكتبة المجلس الوطني تحت رقم ٨١٨٠/٢١٦ •

(٤٨) يذكر ميرزا علي خان انه نصح الشاه كثيرا يجعل حكمه دستوريا دون جدوى ــ انظر خاطراته ص ٢٦٨ •

(٤٩) اسماعيل رائين ــ انجمنهاي سري ــ ص ٢٦ •

أول مكتبة عامة للجمهور في سنة ١٩٠٤ ، وقد أصبحت هـذه المكتبة أحد مراكز تجمع الوطنيين السرية •

نشاط التنظيمات السرية :

من المألوف في ظل الحكومات المستبدة ، لجوء الحركات الوطنية للعمل السري ، حتى تتمكن من نشر أفكارها ، ولضمان سلامة المناصر الوطنية من الوقوع في أيدي أعوان الاستبداد ، قبل أن تتهيأ الفرصة لهم لاعلان الثورة عند تكامل أسباب النجاح •

كانت القبضة المتراخية التي ميزت حكم مظفر الدين شاه حافزا للوطنيين للعمل السريع ولزيادة نشاطهم في ذلك (٥٠) ، فعملوا على تشكيل الجمعيات السرية الوطنية •

وقد لعبت هذه الجمعيات دورا مهما في الحركة الوطنية ، وكانت أهم تلك الجمعيات الوطنية :

١ ـ جمعية الاخوة (أنجمن أخوت) :

كانت أول جمعية سرية تتشكل في عهد مظفر الدين شاه ، حيث أسسها الحاج ميرزا حسن صفي علي شاه سنة ١٨٩٩ ، وضمت عددا محدودا من علماء الدين ، وكانت أهدافها تنحصر في تصحيح المفاهيم الدينية لدى الناس باعتبارها الطريق الاول للاصلاح في المجتمع •

---

(٥٠) حصل في زمن ناصر الدين شاه تنظيم سري واحد هو التنظيم الماسوني الذي اسسه ميرزا يعقوب خان سنة ١٨٥٩ بطهران ، وقضى عليه ناصر الدينشاه سنة ١٨٦١ •

٢ ـ جمعية الترقي الاسلامي (حوزة ترقى اسلامى) :

أسسها ميرزا سيد محمد طباطبائي في طهران سنة ١٩٠٢ ، وكان أعضاؤها يجتمعون في مدرسة « صدر » الدينية مساء كل جممة ، حيث يدور النقاش حول العمل على زيادة الوعي الديني الصحيح ، ومدى مطابقة ذلك لأحوال الناس وأوضاعهم (٥١) ٠

٣ ـ جمعية الرجال الأحرار (انجمن آزاد مردان) :

أسسها أربعون من رجال الدين والوطنيين المصلحين سنة ١٩٠٣ ، في طهران ، وكانت تسعى الى تقوية الشعور القومي ، كما كانت تسعى لجعل أحكام الشرع تنطبق مع مقتضيات المجتمع الايراني (٥٢) ٠

وهناك أيضا الجمعية السرية (انجمن مخفي) ، والتي أطلق عليها هذا الاسم بسبب عدم وضع اسم لها من قبل مؤسسها امعانا في التكتم ، وقد تألفت في بادىء الامر من أربعة وخمسين عضوا من قادة المفكرين والمثقفين الايرانيين وذلك سنة ١٩٠٤، وكانوا يجتمعون بمنزل أحد أعضاء الجمعية (سليمان خان ميكده) في طهران بحجة التداول بشأن فتح مكتبة عامة ، وبعد أن أقروا برنامج عمل الجمعية أقسموا بالقرآن الكريم وبالعلم الايراني على حفظ أسرار الجمعية والاخلاص لأهدافها ٠

---

(٥١) مظفري ـ العدد ٢١ في ١٥ شعبان ١٣٢٠هـ (١٩٠٢) ٠
(٥٢) زهرا شجيعي ـ نمايند كان مجلس ـ ص ٥٢ ٠

وعندما خشي الاعضاء من أن تثير اجتماعاتهم انتباه جواسيس الحكومة ، قرروا أن تقتصر الاجتماعات على لجنة دائمة من تسعة أعضاء سموها لجنه الثورة (كميته انقلاب) ، كما أرسلت الجمعية سيد أسد الله خرقاني الى النجف لجلب علمائها الى جانب الأهداف الوطنية التي تعمل لها الجمعية ضد نظام الحكم القاجاري . وكان لأعضاء الجمعية جهود طيبة في توعية الناس ونشر المقالات في الخارج ، وتوزيع المنشورات الثورية في الداخل ، وتعداد مساوىء الحكم القائم ، وكانت منشورات الثوار من مختلف الاتجاهات قد بدأت توزع سرا منذ عام ١٩٠١ ، وبلغ من انتشارها أنها صارت توزع في قصر الشاه نفسه سرا (٥٣) .

٤ ـ الجمعية السرية الثانية (انجمن مخفي ثانوي) :

تشكلت هذه الجمعية سنة ١٩٠٥ برئاسة ناظم الاسلام كرماني ، وكانت شديدة التكتم ، حتى انها لم تتخذ لها اسما ، ولما كان تأسيسها قد حصل بعد تأسيس الجمعية المذكورة آنفا ، فقد اصطلح المؤرخون على تسميتها بالجمعية السرية الثانية ، وبلغ من شدة الحرص على حفظ أسرارها ، انه كلما كان عدد الأعضاء يزيد عن ثلاثين كانوا يشكلون حلقة خاصة بهم ، ويربطهم بالحلقات الأخرى شخص يدعى « مرشد (٥٤) » ، ولا يعرف العضو ـ بهذه الطريقة ـ الا أعضاء حلقته فقط

---

(٥٣) اميد ايران ـ العدد ٦٧٦ ـ اغسطس ١٩٦٧ ـ ص ٣٦ .
(٥٤) ناظم الاسلام كرماني ـ تاريخ بيداري ايرانيان ـ ج١ ـ ص ٦٦ .

وليس سائر أعضاء الجمعية ·

كان لهذه الجمعية أثر هام في تكتيل التجار ورجال الفكر والعلماء حولها ، وقد جعلت اجتماعاتها في منزل « حكيم الملك » يومين في الاسبوع وذلك بعد منتصف الليل وحتى طلوع الفجر (٥٥) ·

وفي سنة ١٩٠٥ تشكلت جمعية تبريز الوطنية (انجمن ملي تبريز) التي كان لها نصيب وافر في دعم الثورة في تبريز وغيرها خصوصا في مراحلها النهائية (٥٦) ·

٥ ـ الرابطة الانسانية (جامع آدميت) :

وقد دعيت أحيانا الجمعية السرية الانسانية (انجمن مخفي آدميت) وقد شكلها ميرزا عباس قلي خان آدميت سنة ١٩٠٦ ، وقد تألفت من أربع مجموعات في طهران ، وكان يدير أمورها إثنا عشر شخصا يسمون « أمناء الانسانية » (أمناي آدميت) وامتدت لها فيما بعد ، بعض الفروع بالولايات الايرانية المختلفة ، وكان الاعضاء يسمون الاخوان (برادران) وكانت جميع منشوراتها يتصدرها الرقم ١٣١ وتعني « سلام » ·

في تبريز شكلت جمعية « الاشتراكيين الديموقراطيين » (سوسياليست دموكرات) من صغار التجار وأصحاب الحرف ، وكان لها صلة قوية بالجمعيات السرية المماثلة في قفقاسيا ، وكان لها دور كبير في حركة اعادة الدستور ، حيث اشتركت

---

(٥٥) مهدي ملكزاده ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ج٢ ـ ص ٢٢١ .
(٥٦) زهرا شجيعي ـ نمايندكان مجلس ـ ص ٥٦ .

تشكيلاتها المسكرية بالثورة الوطنية المسلحة (٥٧) • وقد أصبحت علنية بعد قيام الدستور غير أنها بعد تعطيله رجعت للسرية باسم مركز الفيب (مركز غيبي) وكان أعضاؤها يمتازون بالطاعة العمياء لأوامرها •

وكان أعضاؤها المؤسسون اثني عشر شخصا ، وكان هدفها اقامة الحكم الدستوري ورفع مستوى الفقراء ، ووسيلتها لذلك الجهاد في سبيل الدين •

وكانت أهمها جمعية « سعادت » في استانبول سنة ١٩٠٨ ، وكان يرأسها الشيخ أسد الله ممقاني ، وكادت في احدى فترات الثورة الايرانية أن تكون هي صلة ايران الوحيدة بالعالم الخارجي في نقل أخبار الثورة (٥٨) •

---

(٥٧) سميت هذه التشكيلات باسم « مجاهدين » واحيانا اخرى باسم « فدائيان » •

(٥٨) كريم طاهر زاده بهزاد ــ قيام آذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران ــ ص ٢٨٩ •

الفصـــل الرابـــع

أحـــداث الثـــورة الوطنية

عندما تهيأت الاسباب والعوامل لقيام ثورة وطنية في ايران ، انفجرت تلك الثورة في طهران ثم ما لبثت أن شملت ايـــران كلها ·

هدم مبنى البنك الروسي في طهران :

كان الشعب الايراني يرى الأيدي الاجنبية تتسلل الى كـــل مرافق حياته الهامة ، وكانت ثورة الشعب ضد البنك الروسي في طهران رمزا للثورة على كل تسلط ونفوذ أجنبي في البلاد ، ففي سنة ١٩٠٥ حصل الروس على امتياز انشاء بنك الاقراض الروسي ، ووقع اختيارهم على قطعة أرض في وسط طهـــران لانشاء مبنى البنك عليها ، وكانت الارض تابعة للأوقـــاف ، وكانت تضم خرائب مدرسة دينية ومقبرة اسلامية مهجورة · وعندما عرض الروس على سيد محمد طباطبائي شراءها رفض بيعها ، غير أنهم استطاعوا اقناع الشيخ فضل الله نوري ببيعها،

فباعها لهم بمبلغ سبعمائة وخمسين تومانا (١) ، وقد استنكر بقية علماء طهران صفقة البيع ، لأنها تزيد من النفوذ الاجنبي الذي كانوا يحاربونه • كما أن علماء النجف استنكروا البيع لما وصل اليهم خبره ، ولكن الروس لم يولوا كل تلك الاعتراضات أية أهمية ، ومضوا بالبناء حتى ارتفع نصفه أو كاد ، وكان يقوم بالبناء مئتا عامل ايراني باشراف مهندسين من الروس • وأخذ وعاظ المساجد ينادون بمقاومة التواطؤ القاجاري مع الأجانب ، وتسهيل سيطرتهم على البلاد ، وانتشرت في هذا الوقت أخبار عن اخراج جثث الموتى المسلمين من قبورها والقائها في بئر قريب ، فقام في ٢٦ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٠٥ الشيخ محمد واعظ خطيبا على منبر مسجد آشتياني في طهران ، وأعلن أن البنوك تقوم على الربا في عملها خلافا للشرع ، وأن العلماء حاولوا منع الاساءة لحرمة المقبرة فلم يقدروا ، وأنه « سيقوم الآن بزيارة المقبرة وقراءة الفاتحة على أرواح الأموات فيها ، الذين ستصبح قبورهم مواطىء لأقدام الروس (٢) » • ولما كانت صدور الناس مملوءة غيظا على الاجانب ، فان تلك الكلمات كانت كافية لاستثارة مشاعرهم الوطنية ، فتبعت جموعهم الغاضبة الواعظ حتى الارض التي كان يقوم الروس ببناء مقر بنكهم فيها ، وبدل أن يقرأوا الفاتحة أو يقفوا واجمين ، اندفعوا كرجل واحد ، يهاجمون المبنى ، ولم يتركوه الا بعد أن تحول الى أنقاض • وهكذا حطمت تلك الجماهير

---

(١) يحق للمجتهد الشيعي بيع ارض الوقف في منطقته على اساس تبديلها باحسن وتنفق حصيلة البيع لمصلحة المسلمين •

(٢) محمد اسماعيل رضواني انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ٩٠ •

الفاضبة في ساعتين المبنى الذي استغرق الروس آشهرا في بنائه (٣) •

نتج عن هذا العمل قيام الحكومة القاجارية بدفع مبلغ عشرين ألف تومان للبنك الروسي كتمويض عن خسارته الناتجة عن هدم مبناه (٤) • وتمتبر هذه الحادثة الشرارة الأولى التي أشملت نيران الثورة الايرانية والتي امتدت فيما بمد من طهران لتشمل كل مكان في ايران ولم يخب أوارها الا بعد أن حققت النصر للشعب •

اضراب طهران :

لم يكد يمضي اسبوعان على حادثة هدم مبنى البنك الروسي ، حتى وقعت حادثة أخرى أدت لوقوع صدام مباشر بين الشعب والسلطة •

فقد ارتفعت أسعار السكر في تلك السنة (١٩٠٥) لصعوبة استيراده من روسيا (التي كانت تعتمد عليها ايران في استهلاكها للسكر) بسبب أحداث الحرب الروسية اليابانية وما نتج عنها من اضطرابات في روسيا نتيجة لهزيمتها ، فقد اشتكى الناس من ارتفاع أسعاره (٥) ، ولم تظهر الحكومة القاجارية ـ كمادتها في اهمال مصالح الشعب ـ أي اهتمام بالأمر ، غير أن حاكم

---

(٣) ف.و. ٤١٦/٢٥ من برقية دف الى لانسدون برقم ١٦٠ طهران في ٢٧ نوفمبر ١٩٠٥ •

(٤) احمد كسروي تبريزي ـ تاريخ مشروطيه ايران ـ ج١ ـ ص ٥٧ •

(٥) ارتفع السعر من ٦ ونصف قران الى ٨ قران للمن الواحد ـ انظر حبل المتين ـ العدد ٢٩ ـ السنة ١٣ ـ في ٢٣ اذار ١٩٠٦ •

طهران الجديد « علاء الدولة » اعتقد أن تجار السكر متواطئون مع خصومه السياسيين لاظهاره بمظهر الحاكم الضعيف ، فأراد تعزيز مركزه واظهار قدرته كحاكم قوي ، فأمر بالقبض على تاجرين من كبار تجار السكر ، وهما الحاج سيد هاشم والحاج سيد اسماعيل خان ، حيث استاقهما الجنود الى قصر الحاكم ، وهناك ضربا ضربا مبرحا رغم شيخوختهما (٦) ・ وقد استاء تجار طهران من عمل الحاكم ، خصوصا وان التاجرين كانا معروفين بسخائهما في الانفاق على الأمور الخيرية ، وكان أحدهما (الحاج سيد هاشم) قد بنى في طهران ثلاثة مساجد على حسابه الخاص ، فأغلقت الأسواق وأخذ الناس بالتجمهر في الشوارع ، واعتلى رجال الدين منابر المساجد وأخذوا بالتنديد بالحكومة لاهمالها مصالح السكان ولجوئها الى أساليب القسوة والعنف ضد أبناء الشعب ومعالجتها للمشاكل ، ان فعلت ، بطرق ارتجالية غير حكيمة ، وكان أكثر رجال الدين حملة على الحكومة عبد الله كاوه والشيخ علي زركر ، وكذلك عبد الله بهبهاني ومحمد طباطبائي اللذان اجتمعا بالجماهير الطهرانية الغاضبة في مسجد شاه (٧) ・ وكانت النقمة موجهة بشكل خاص الى علاء الدولة ، ولكن بعض الوطنيين أخذوا يوضحون للجماهير أن سلطان عبد المجيد ميرزا عين الدولة (الصدر الاعظم آنذاك) هو رأس الفساد وسبب البلاء الذي يحل بالمواطنين ، وقد خشي عين الدولة من اتساع هذه الحركة ـ خصوصا وقد رأى رجال الدين يقفون وراءها يدا واحدة ـ فلجأ الى بث الفرقة بينهم

---

(٦) ناظم الاسلام كرماني ـ تاريخ بيداري ايرانيان ـ ج٢ ـ ص ٥ ・
(٧) مهدي ملكزاده ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ج٢ ـ ص ٤٩ ・

لاضعاف الحركة وبالتالي الاجهاز عليها ، فاستمال الى جانبه « ميرزا أبو القاسم امام جمعة » واتفق معه على خطة لضرب الحركة الجماهيرية الموجهة ضد الحكومة ، فجاء هذا الى مسجد شاه حيث كان مركز التجمع ، وفرق أنصاره سرا بين الناس ، بعد أن سلحهم بالعصي والخناجر ، وكان سيد جمال الدين واعظ يخطب في ذلك الاجتماع ، وعندما وصل الى قوله « ... واذا كان صاحب الجلالة الشاه مسلما حقا ، فسوف يستجيب لعلماء الدين ويمضي معهم ، واذا ... » وهنا صاح امام جمعة « ألا تحترم الشاه ؟ أتشتمه يا كافر ؟ » ولكن سيد جمال الدين رد عليه بقوله : « ان الجملة كانت شرطية والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله بقوله : ولو أشركت ليحبطن عملك ... » ولكن امام جمعة خشي أن يغلبه الخطيب ويفسد خطته ، فصاح في أتباعه فاندفعوا بين الناس حاملين عصيهم وخناجرهم ، وحدثت فوضى ، وساد الحاضرين اضطراب شديد وزاد اقتراب الظلام من وحشة الموقف ، وتفرق الناس في كل مكان (٨) . ورجع بهبهاني وطباطبائي الى منزليهما وقد أحاطت بهما جموع الناس لحمايتهما (٩) ، وكان ذلك في ديسمبر ـ كانون أول ـ ١٩٠٥. ، وظن عين الدولة وأعوانه من رجال الحكومة أن سخط الجماهير قد تلاشى ، ولكن الحقيقة ان هذه العادثة زادت من مشاعر السخط لدى الجماهير ، بل ان تصاعد الحوادث أدى الى وصول السخط الجماهيري الى الشاه نفسه (١٠) .

---

(8) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 113.

(٩) زهراشجيعي ـ نمايندكان مجلس ـ ص ٦٩ .

(١٠) ف.و. ٢٦/٤١٦ من رسالة دف الى غري برقم ٩٤٢٧/٥٣ ـ طهران في ٢٧ فبراير ١٩٠٦ .

اعتصام العلماء في حرم شاه عبد العظيم :

أدرك علماء الدين في طهران وخاصة كبار المجتهدين بينهم ، أن الاستبداد ممعن في طغيانه ، وأن الحكومة ستصل في بطشها الى كافة فئات الشعب ومنهم العلماء ، حيث كانت تعتبرهم عاملا رئيسيا في تحريك الجماهير ضدها ٠ وقد استقر رأي العلماء على مغادرة طهران والاعتصام في ضريح شاه عبد العظيم في بلدة « ري (١١) » ، اظهارا لاستيائهم من الحكومة وابرازا للأثر الذي تتركه مغادرتهم للمدينة في نفوس المواطنين ، وهكذا في ١٣ ديسمبر ـ كانون أول ـ ١٩٠٥ غادر طهران السيد محمد طباطبائي والسيد عبد الله بهبهاني وعائلتاهما وعدد من العلماء ، وانضم اليهم طلبة المدارس الدينية وبعض التجار بحيث بلغت جموعهم حوالي عشرة آلاف شخص (١٢) ٠ وقد حاول عين الدولة في البداية منعهم من الخروج ، ولكنه اضطر ازاء تصميمهم الى العدول عن ذلك ٠ كما أن كبار التجار ساهموا بدفع نفقات الطعام للمعتصمين بالحرم ، كما قام هؤلاء التجار بدافع وطنيتهم الصادقة الى تأدية نفقات اعاشة العائلات الفقيرة التي خرج عائلوها للاعتصام في حرم عبد العظيم (١٣) ، وكان هذا دليلا قويا على عمق الوعي الوطني وقوة الوحدة بين فئات الشعب المختلفة تجاه النظام الحاكم ٠

أما في طهران فقد كادت الحياة العامة تصاب بالشلل ، لأن

---

(١١) تقع على بعد عشرة اميال جنوبي طهران ٠
(١٢) زهرا شجيعي ـ نمايندكان مجلس ـ ص ٧٠ ٠
(١٣) مهدي ملكزاده ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ج٢ ـ ص ٤٩ ٠

غياب العلماء عطل الاعمال اليومية حيث توقفت صفقات البيع والشراء الكبيرة ، وتعطلت عقود الايجار والرهن ، وامتنع الناس عن الزواج والطلاق ، وغير ذلك مما كان يقوم به العلماء الغائبون ، وازداد التوتر في طهران وأصبحت مشاعر الجماهير مشحونة بالغضب ، واعتلت يوما امرأة خشبة في سوق طهران وأخذت تصيح : « أيها الناس لم لا تقاومون ؟ ذهب علماؤكم وسيجري عقود النكاح لبناتكم بعد الآن نوز البلجيكي (١٤) » ، ولما مضت بضعة أيام على غيبة العلماء وازداد قلق الناس حاول الصدر الاعظم ارهاب العلماء المتصمين ، فنزع رياستهم عن المدارس الدينية والمؤسسات الخيرية التي كانوا يديرونها وحولها الى مسؤولية العلماء القلائل الذين بقوا في طهران ، لكن هذه الاجراءات لم توهن عزائم المعتصمين واستمروا في اعتصامهم .

لجأ عين الدولة الى محاولة جديدة ، فعرض على سيد محمد طباطبائي مبلغ عشرين ألف تومان ليترك الاعتصام ، وكان غرضه من ذلك بث الفرقة والانقسام بين علماء الدين ، غير أن طباطبائي رفض هذا المبلغ الكبير باباء وأعلن تضامنه مع رفاقه حتى النهاية ، مما جعل عين الدولة ينحو نحو استعمال القوة ، فأرسل أمير بهادرجنك على رأس مئتي فارس ، وأخذ معه العربات لاحضار العلماء بدعوى مقابلة الشاه (١٥) ، ولكن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى ، حيث رفض العلماء مغادرة المسجد ، كما أن سكان طهران حالما سمعوا بخبر المحاولة ، تجمهروا في الشوارع وانطلقوا في مظاهرات كبيرة أخذت تنادي

---

(١٤) ناظم الاسلام كرماني — تاريخ بيداري ايرانيان — ج٢ — ص ٥٩ .

(١٥) احمد كسروي تبريزي — تاريخ مشروطيت ايران — ج١ — ص٦٦ .

بعودة العلماء الى طهران دون تأخير .

خلال هذه الاحداث ، كان الشاه يعيش وراء جدار من الصمت والعزلة أحاطه به عين الدولة وأعوانه من رجال البلاط ، فلم يكن يعرف ما يجري ، وصادف أثناء مرور موكبه في شوارع طهران متجها الى منزل أمير بهادر جنك ، حيث كان مدعوا للغداء ، أن اعترضت عربته امرأة ومدت يدها اليه برسالة مطوية ثم اختفت ، وكانت الرسالة تهدده بالقتل ان لم يعمل على عودة العلماء واعطاء الشعب حقوقه ورفع الضيم عنه (١٦) ، وفي طريق عودته اعترضت عربته نسوة كثيرات ، يبكين علماء الدين ، ويطالبن بعودتهم للمدينة ، وقد فوجيء الشاه بهذه الحالة التي لم يكن يدري عنها شيئا ، ولما كان بطبعه سريع الانفعال والتأثر ، فانه حال وصوله للقصر استدعى عين الدولة ، واستوضح منه عن الأوضاع في المدينة ، وحاول هذا التهوين من الأمر ، ولكن الشاه طلب منه العمل على اعادة العلماء فورا ، خشية تفاقم الوضع وازدياد الاضطراب ، ووعد الصدر الاعظم بتلبية ذلك ، ولكنه أخذ يماطل ويسوف ، وكان الالتحام بين طبقات الشعب يزداد قوة ، كما أضعف من مركز الحكومة ان خصوم عين الدولة السياسيين ، أيدوا الحركة المناوئة للحكومة ، وقدموا الاموال الوفيرة لسداد نفقات المتحصنين ، وكان على رأس الذين أيدوا المتحصنين بعض أمراء الأسرة القاجارية نفسها ، مثل أبو الفتح ميرزا سالار الدولة (ابن

---

(١٦) اختلف المؤرخون الايرانيون في عبارات الرسالة حيث اوردوها في صيغ مختلفة ولكنهم جميعا اتفقوا على ان مضمونها كان يحتوي تهديدا صريحا للشاه بالقتل .

الشاه وحاكم كردستان) الذي كان يطمع بالوصول لولاية العهد ، ومحمد علي ميرزا (ولي العهد) الذي أرسل برقية تأييد للعلماء من مقره في تبريز ، وقد فعل ذلك لما كان بينه وبين عين الدولة من عداء (١٧) • وقد أدت هذه الأمور الى تضعضع موقف الحكومة ، وكان بعض العلماء وعلى رأسهم الحاج زين العابدين قد اعتصموا بمبنى السفارة العثمانية (١٨) وقد عرض هؤلاء على السفير العثماني ـ شمس الدين بك ـ ان يوصل مطالبهم الى الشاه فقبل (١٩) ، وجرت اتصالات سرية سريعة بين العلماء المعتصمين في السفارة وزملائهم الملتجئين لحرم عبد العظيم ، واجتمع هؤلاء في احدى زوايا الحرم ومعهم بقية قادة المعتصمين ، واستمر النقاش والجدال يومين ، وكان ذلك أمرا طبيعيا لأنها كانت المرة الأولى في تاريخ ايران الحديث التي يلتقي فيها قادة الفكر والمطالبون بالاصلاح لتحديد مطالبهم الاصلاحية وتقديمها للنظام الحاكم • وكان تأثير العلماء في تحديد المطالب واضحا ، وكانت هذه المطالب تتضمن ما يلي :

١ ـ الغاء امتياز استثمار طريق قم ـ طهران الممنوح الى عسكر كاريجي ، لاستغلاله المسافرين عن طريق وضع الرسوم العالية على المرور •

٢ ـ اعادة العالم الحاج ميرزا محمد رضا من منفاه في رفسنجان الى كرمان •

---

(١٧) كان ولي العهد يعتقد ان عين الدولة يسعى لازاحته عن منصبه واعطائه لاخيه الامير شعاع السلطنة .

(١٨) حبل المتين ـ العدد ٤٦ ـ السنة ١٣ ـ في ٢٧ تموز ١٩٠٦ .

(١٩) رغم ان الدولة العثمانية كانت تحكم حكما مطلقا ، الا انه لم يكن امامها الا تأييد العلماء جلبا لقلوب مسلمي ايران .

٣ ـ اعادة رياسة مدرسة خان مروى الدينية للحاج الشيخ مرتضى ٠
٤ ـ عزل نوز البلجيكي عن ادارة جمارك ايران ٠
٥ ـ عزل علاء الدولة حاكم طهران من منصبه ٠
٦ ـ تأسيس محاكم عدلية (عد التخانة) في كافة أنحاء ايران ٠
٧ ـ تطبيق أحكام الشرع الاسلامي على سكان البلاد واشراف العلماء على ذلك ٠
٨ ـ اسقاط الرسوم المفروضة (٢٠) على أوراق المعاملات التي يصدرها العلماء (٢١) ٠

قام المجتمعون بتفويض يحيى دولت آبادي بايصال هـذه المطالب للسفير ليعرضها على الشاه ، وقد وجد دولت آبادي ان المطلب السابع غير شامل فعدله بحيث صار « التعهد باصـلاح كافة الأمور بحيث تراعي حقوق العلماء » ولكن السفير العثماني أعاد العريضة في اليوم التالي ، طالبا توضيح المقصود من المطلب السابع،فاجتمع القادة والعلماء وكتب أحدهم ـ ملك المتكلمين ـ توضيحا له كما يلي : « المقصود من الاصلاح في كافة الأمور ، هو تأسيس دار العدل طبقا للشريعة الاسلامية ، وتشكيل مجلس مشورة وطني لتطبيق المساواة في كافة البلاد ، بحيث لا يكون فرق بين شريف ووضيع ، ويصل كل ذي حق لحقه (٢٢) » ٠

---

(٢٠) كانت تبلغ حوالي خمسة بالمائة من قيمة المعاملة ٠
(٢١) تختلف المراجع في ايراد صيغة المطالب ، غير انها تتفق جميعها من حيث مضمونها العام ٠ انظر احمد كسروي ـ مشروطيت ايران ـ ج١ ـ ص ٦٧ وكذلك ف.و. ٤١٦/٢٦ من برقية دف الى غرى برقم ١٧٥١/٢١ ـ طهران في ١٤ كانون ثاني ١٩٠٦ ٠
(٢٢) يحي دولت آبادي ـ حيات يحيى ـ ج٢ ـ ص ٢٠ ٠

ولما قدموها للسفير العثماني قال : انها تعبر بصدق عن مشاعر الأمة بكاملها (٢٣) . وكانت مطالبة العلماء بايجاد « عد التخانه » مطلبا عادلا ، لأنه يرغم وجود عدلية ووزير لها (نظام الملك) الا أنه لم يكن يوجد حق ولا عدالة فمليه (٢٤) .

وفي الحقيقة فان مطالب الوطنيين فيما بعد لم تخرج عن التفسير الذي وضعوه للمطلب السابع ، وان كانت قد ازدادت مع الايام دقة وشمولا .

وعندما عرض السفير العثماني تلك المطالب على الشاه ، أبلغه انها مطالب صفوة رجال الدين وعلمائه ، وان ما يزعمه رئيس وزرائه من أنهم أوباش ونفعيون هو غير صحيح ، وازاء كل هذه المواقف ، اضطر الشاه لاصدار المنشور (دستخط) التالي الى رئيس وزرائه في يناير ـ كانون ثاني ـ ١٩٠٦ :

« جناب الاشرف الاتابك الاعظم ، حيث كنا قد بينا ارادتنا مرارا بأن تأسيس دار عدل حكومية لتنفيذ أحكام الشرع من أجل راحة الرعية ، هو من أهم الواجبات ، لذلك نكرر الآن بوضوح ، ان ارادتنا هي تنفيذ أحكام الشريعة الاسلامية من حدود وأحكام شرعية ، وأن يتم ذلك فورا في جميع الممالك الايرانية المحروسة ، على الوجه الذي لا يكون فيه تمييز بين طبقات الرعية ، ويمنع قطعيا الميل والانحياز لطرف دون آخر عند اجراء العقاب ، وسيجري تفصيل ذلك ضمن نظام خاص ، ضع كتيبا بهذا الخصوص مطابقا للشرع المطاع ، ورتب فصوله ، واعرضه علينا ، ليجري تنفيذه من ثم ، في جميع الولايات ،

---

(٢٣) مهدي ملكزاده ـ مشروطيت ايران ـ ج٢ ـ ص ٨٣ .
(٢٤) احمد كسروي تبريزي ـ تاريخ مشروطه ايران ـ ج١ ـ ص ٧٢ .

وستكون آراء ومقترحات العلماء موضع القبول دائما ، أبلغ هذا المنشور لجميع الولايات (٢٥) » ٠

وهكذا انتهى الاعتصام في ١٢ يناير ١٩٠٦ ، ورجع العلماء المتصمون الى طهران بالعربات الملكية يرافقهم وزير البلاط (أمير بهادر جنك) وبعض كبار رجال البلاط القاجاري ٠ وقرأ الشيخ محمد واعظ نص المنشور الملكي على المتصمين ، وهتف الحاضرون فرحا بالانتصار (٢٦) ، وقد ركب بقية المتصمين عربات استأجرتها الحكومة لنقلهم بلغ عددها الثمانين (٢٧) ، ودخل العلماء طهران في ١٣ يناير ١٩٠٦ بعد غياب استمر شهرا كاملا ، وسميت غيبة العلماء عن طهران تلك المدة « الهجرة الصغرى » وتعتبر احدى المراحل الهامة التي قطعتها الحركة الوطنية الاصلاحية ٠

قابل العلماء العائدون الشاه في قصر كلستان ، وكان ما جرى في هذه المقابلة خروج على القاعدة المألوفة في مقابلات ملوك القاجار . ودليل على تدهور هيبة الحكم وازدياد جرأة رجال الدين أمام الحكام ، فقد كانت العادة في مثل هذه الحالات ، أن يبدأ الشاه الكلام ، ويبقى هو المتكلم الوحيد ، وعلى الحاضرين الاصغاء ، واذا تطلب الامر اجابة من أحدهم ، فانه يبدأ كلامه « بالاعتذار ! » عن جسارته بالحديث أمام الشاه ، ولكن هؤلاء

---

(٢٥) حبل المتين ــ العدد ٣٦ ــ السنة ١٣ ــ في ١٨ مايو ١٩٠٦ ٠

(٢٦) اجمع المؤرخون على انها كانت المرة الاولى في تاريخ الشعب الايراني الحديث ، التي يسمع بها هتاف بحياة الامة (ملت) الايرانية ، وكان ذلك دليلا على تفتح الوعي الشعبي الجديد وقوة المشاعر القومية ٠

(٢٧) ف٠و٠ ٢٦/٤١٦ من رسالة دف الى غرى السرية برقم ٥٨٩٦/٢٣ ــ طهران في ٣٠ يناير ١٩٠٦ ٠

العلماء راحوا يردون على الشاه فورا ، بل ويقاطعونه ، كما أنها كانت المرة الأولى التي يقول فيها الشاه عن نفسه « أنا » وليس « نحن (٢٨) » • وعند انتهاء المقابلة وخروجهم من القصر ، التفت جموع الجماهير حولهم ، وواكبتهم حتى منازلهم، وزينت المدينة وفتحت الاسواق ، ودبت الحياة من جديد في طهران (٢٩) •

أخذ العلماء يراقبون تنفيذ الحكومة للوعود التي قطعتها في منشورها ، وعلى رأسها تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية وتأسيس دار للعدلية (محكمة) ، وتأمين المساواة والعدالة لجميع المواطنين • ولكن عين الدولة ظل على سياسته السابقة في المماطلة والتسويف ، فعمد الى تشكيل لجنة لدراسة تنفيذ المطالب الواردة في المنشور الملكي •

بدأت اللجنة اجتماعاتها في ٢٩ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٠٦ ، ودارت مناقشات عديدة بين أعضائها ، وقد كان احتشام السلطنة (الذي عمل فترة ممثلا لبلاده في برلين) أكثر الاعضاء حماسا لمنح الشعب كافة حقوقه ، بينما كان أمير بهادر أكثر الاعضاء تصلبا بالنسبة لهذه المطالب ، وكان يعتبر سلطات الشاه مقدسة لا يجوز الانتقاص منها • واحتدم الخلاف ، وكان عين الدولة يرغب في عدم اتفاق الاعضاء ، حتى يظهر أمام الجميع أنه ليس وحيدا في موقفه ، وأن هناك من يؤيده في آرائه (٣٠) ،

---

(٢٨) ناظم الاسلام كرماني ــ تاريخ بيداري ايرانيان ــ ج٢ ــ ص ٥٩ .

(٢٩) ف•و• ٢٦/٤١٦ من تقرير دفْ الى غرى برقم ٥٩٠٤/٣١ طهران في ١ فبراير ١٩٠٦ .

(٣٠) ف•و• ٢٧/٤١٦ من رسالة دف الى غرى برقم ١٩٨٣٢/١٤٦ طهران في ٢٣ مايو ١٩٠٦ .

ولما كان احتشام السلطنة من الأسرة القاجارية ، فان عين الدولة لم يستطع أن يعمل حياله شيئا سوى ارساله الى منطقة كردستان بحجة الاشراف على تنظيم الدفاع عنهما فيما اذا حاول العثمانيون مهاجمتها (٣١) ٠

أخذ العلماء يدركون نية الحكومة في عدم تحقيق ما ورد في المنشور الملكي ، لذلك قرروا الاتجاه مباشرة للشاه في محاولة أخيرة لتحقيق مطالبهم (٣٢) ٠ وهكذا أرسل طباطبائي باسم العلماء رسالة الى الشاه يعلمه فيها عن شكر العلماء لما تتضمنه منشوره الملكي ويؤكد له أن تحقيق ما ورد فيه يثبت عرشه ويدعم سلطته ٠ وعمد العلماء الى الاجتماعات السرية من جديد ، والى اصدار المنشورات السرية التي أخذت تملأ جدران الشوارع في طهران ، تنعت عين الدولة بالخيانة وتصم الحكومة بالكذب والخداع ، وتطالب بانشاء مجلس ينطق باسم الأمة ، وكانت تلك أفكارا جديدة متطورة (٣٣) ٠

يتبين مما تقدم ان الحركة الاصلاحية أبرزت طابعها الديني والقومي معا ، وكان اتحاد العلماء ذوي النفوذ الواسع بين الجماهير ، والوطنيين الواعين ، في قيادة تلك الحركة معا ، هو الذي أضفى عليها ذلك الطابع الذي قلما عرفه تاريخ الشرق الحديث ، حيث كانت تقوم فيه بين فترة وأخرى حركات ذات صبغة دينية بحتة أو صفة قومية مجردة ٠

---

(٣١) حبل المتين — العدد ٣٩ — السنة ١٣ — في ١٨ يوليو ١٩٠٦ ٠
(32) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 115.
(٣٣) احمد كسروى تبريزي — تاريخ مشروطه ايران — ج١ — ص ٧٩ ٠

عودة الاعتصام وبدء الصدام مع السلطة :

وجد العلماء أن سكوتهم عن تحقيق مطالبهم ، يؤدي لنكسة في الحركة الاصلاحية التي كانت على وشك تحقيق أولى انتصاراتها ، لذلك قرروا أن يلقي عبد الله بهبهاني كل ليلة جمعة حديثا في مسجد « سربولك » ومحمد طباطبائي حديثا آخر في مسجد « جاله حصار » ليلة كل اثنين ، وتوزع العلماء الباقون مساجد طهران الاخرى ، وأخذوا يندّدون بالحكومة ويهاجمونها بعنف ، حتى انهم اعتبروا وجود عين الدولة في منصب الصدارة العظمى أساسا من أسس الشر في البلاد ، ومما قاله محمد طباطبائي في احدى خطبه في تلك الفترة « ... ان داءكم هو الاستبداد ؛ ودواؤكم الشورى ، وسنظل نطالب بمجلس عدلية يتساوى فيه الشاه والفقير ، ولو بقينا كذلك عشر سنوات ... (٣٤) » .

حاول عين الدولة اللجوء مرة أخرى ، للمناورة والمداورة ، فأرسل الى محمد طباطبائي من يحاول اقناعه بأن اقامة أي نوع من أنواع الحكم القانوني في ايران لا يزال أمرا غير مستحسن ، لعدم نضج الشعب الايراني ، وأنه من الافضل للعلماء لو عملوا على فتح المدارس وزيادة تثقيف الشعب حتى يكون مستعدا لتقبل الحكم الدستوري ، كما أن ذلك يجعل للعلماء عند الله ، ثوابا أكبر ، بدل ما يقومون به الآن من مخالفة « أولي الأمر » واستعداء الجماهير عليهم ، غير أن طباطبائي لم يأبه لتلك

---

(٣٤) زهرا شجيعي — نمايندكان مجلس — ص ٧٣ .

المزاعم وأصر على تحقيق ما ينادي به العلماء (٣٥) ، وعندما رأى عين الدولة هذا الاصرار من العلماء فرض نظام منع التجول في طهران ، بعد غروب الشمس بثلاث ساعات وحتى طلوعها في اليوم التالي ، وكان كل من يخالف نظام منع التجول يوقف لليوم التالي ، ثم أخذ مأمورو الشرطة يخلون سبيل الموقوفين بمخالفات منع التجول مقابل تومان يدفعه كل منهم ، ولما رأى رجال الشرطة أن هذه المبالغ المتجمعة قد أصبحت تضيف اليهم دخلا جديدا ، أخذوا يعملون على تنميتها وزيادتها بالقبض العشوائي على الناس حتى قبل بدء وقت منع التجول ، بل وصاروا في بعض الليالي التي يشعرون فيها أن حصيلتهم من مخالفات منع التجول ضئيلة يعمدون الى تحويل مياه الاقنية الجارية في الشوارع الى المنازل الواطئة ليلا ، حتى اذا خرج رب المنزل ليرد الماء عن منزله ، قبضوا عليه بحجة مخالفته لنظام منع التجول (٣٦) . وقد أصبح متعذرا على الايراني الخروج من منزله بعد حلول الظلام ، خصوصا وان عين الدولة ملأ شوارع طهران بجنود القوزاق (٣٧) .

ازدادت الاوضاع سوءا منذ مايو ــ أيار ــ حيث لازم الشاه الفراش بسبب المرض ، فزادت عزلته ، وأصبح عين الدولة مطلق التصرف في الأمور ، ورأى في ذلك فرصته لتصفية كل معارضة ضده ، فنفى ثلاثة علماء في ١٧ يونيو ــ حزيران ــ ١٩٠٦ الى « كلات نادري » متهما اياهم بالبهائية ، وهم :

---

(٣٥) احمد كسروي تبريزي ــ مشروطه ايران ــ ج١ ــ ص ٩١ .
(٣٦) ناظم الاسلام كرماني ــ تاريخ بيداري ايرانيان ــ ج٢ ــ ص ١٤٤ .
(37) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 113.

الحاج ميرزا حسن رشدية ، ومجد الاسلام كرماني ، وميرزا آقا أصفهاني (٣٨) ، كما نفى بعد ذلك بقليل سيد جمال الدين واعظ الى قم ، وحينما أراد الجنود تنفيذ أمر بالقبض على الحاج محمد واعظ الذي كان شديد الانتقاد لعين الدولة ، تجمع الناس حولهم لانقاذ العالم الديني منهم ، كما هب طلاب المدارس الدينية المجاورة لنجدته ، وحاول الضابط المكلف بالقبض على العالم المذكور الأمر باطلاق النار على الجمهور غير أن الجنود امتنعوا عن ذلك ، فأطلق النار بنفسه وقتل « سيد حسن » أحد طلبة العلوم الدينية ، فاهتاج الناس واندفعوا كالعاصفة نحو الجنود واستطاعوا انقاذ العالم من بين أيديهم ، وكان ذلك في ١٣ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٦ ، وانطلقت جموعهم الثائرة في شوارع طهران هاتفة « يا حسين ، يا حسين » ، منددة بالظلم وهاتفة بسقوط الحكومة (٣٩) ، وجلب عين الدولة قوات اضافية وحول طهران الى معسكر كبير ، وعين محمد ولي خان سبهسالار حاكما عليها (٤٠) . ونشرت الحكومة بيانا بأن الذين يعارضونها عصاة ويعملون بوحي من الاجانب ، غير أن نار الثورة كانت أقوى من هذه المزاعم ، وكانت في انتشار وازدياد ، بحيث بدأت تصطدم مع السلطة مباشرة في تحد جماهيري واسع ، ففي أحد شوارع طهران التقت مجموعة من المتظاهرين الساخطين بعدد من الجنود يقودهم أحمد خان ياور ، وطلب منهم هذا التفرق ، فلم يذعنوا ، فأطلق النار بنفسه

---

(٣٨) حبل المتين ـ العدد ٩ ـ السنة ١٤ ـ في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٦ .
(٣٩) عباس اسكندري ـ تاريخ مفصل مشروطيت ـ ج١ ـ ص ١٥٠ .
(٤٠) حسن حلاج ـ تحولات سياسي ايران ـ ص٢٩ .

وأصاب أحد طلبة العلوم الدينية المسمى « سيد عبد الحميد » وأرداه قتيلا ، وكان هذا الطالب قد اندفع من بين الجموع ووبخ الضابط المذكور على تصديه للمتظاهرين وهم مسلمون مثله • وكانت حصيلة تلك الاشتباكات مقتل خمسة وستين من أبناء الشعب ، وكانت أول صدامات دموية بين السلطة والمطالبين بالاصلاح (٤١) •

تجمع المتظاهرون الوطنيون في « مسجد شاه » وقد قامت قوات القوزاق بمحاصرة المسجد والشوارع المحيطة به ، وانضم الى الحاضرين فيه العالمان بهبهاني وطباطبائي ، وحضر معهما عدد كبير من الاتباع مرتدين الاكفان علامة النضال حتى الموت، وقد رفع ذلك من معنويات الجماهير فاندفعت في الشوارع تكسر طوق الحصار وتهتف « يا محمد أمتك أبيدت » ولكن قوات الحكومة قابلتها بنيران غزيرة أدت الى سقوط المزيد من القتلى (٤٢) • وارتد الباقون للمسجد ، واستمر الحصار مضروبا عليهم ثلاثة أيام ، وقطعت عنهم المياه والمؤن ، وفي اليوم الثالث اعتلى عبد الله بهبهاني المنبر وأعلم الناس أن جواب الحكومة على مطالبهم هو الرصاص والمزيد من الرصاص ، واستحلفهم بالقرآن على العودة الى منازلهم ، وترك العلماء

---

(٤١) يحيى دولت آبادي — حيات يحيى — ج٢ — ص ٦٥ . وجاء في الجوائب المصرية بالعدد ١٠٤٢ للسنة الرابعة الصادر في ١٦ تموز ١٩٠٦ ان عدد القتلى بلغ اثني عشر شخصا من المتظاهرين واثنين من الجنود ، ويرجع الاختلاف الكبير في الارقام الى ان الحكومة دفنت القتلى سرا وفي مكان مجهول .

(٤٢) يقدر عددهم بين ٥٨ — ١١٥ شخصا — انظر محمد اسماعيل رضواني — مشروطيت ص ١١٤ .

صامدين في موقفهم حتى تتحقق جميع المطالب (٤٣) ، وغادر المسجد كثيرون وبقي العلماء معتصمين مع عدد قليل من الناس ، واستمر الحصار لليوم الرابع ، وأغلقت الحكومة مكتب البرق لمنع خروج أخبار طهران للمدن الاخرى (٤٤) ·

في اليوم الرابع اتصل الأمير نصر السلطنة ـ قائد حامية طهران ـ بالمعتصمين ورجاهم التعاون معه لاعادة الهدوء لطهران ، وترك الامر لمحادثات هادئة يجرونها مع الحكومة ، غير أن العلماء رفضوا ، واقترحوا أحد الحلول الثلاثة :

أما استجابة مطالبهم كاملة ، وأما قتلهم جميعا بحد السيف ، وأما ترك الحرية لهم لمغادرة طهران الى العتبات المقدسة في النجف وكربلاء ، وكان من الطبيعي عدم قبول الحكومة للحل الأول ، كما أنه لم يكن بامكانها أن تجرؤ على التفكير بالحل الثاني ، لما كان للعلماء من محبة واحترام في نفوس أفراد الشعب كافة ، ولم يبق الا الحل الثالث ، الذي قبلت به الحكومة ووافق عليه الشاه ، وغادر العلماء المحصورون مسجد شاه في ١٦ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٦ متجهين الى قم (٤٥) ·

خروج العلماء الى قم :

في ٢١ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٦ وصل علماء طهران الى قم ،

---

(٤٣) عباس اسكندري ـ تاريخ مفصل مشروطيت ـ ج١ ـ ص ١٥٠ .
(٤٤) زهرا شجيعي ـ نمايندكان مجلس ـ ص ٧٤ .
(٤٥) ف.و. ٢٨/٤١٦ برقية دف الى غرى برقم ٢٤٢٦١/١٨٥ طهران في ١٦ حزيران ١٩٠٦ .

واعتصموا فيها ، ولم يكملوا رحلتهم الى النجف ، ورغم أن عدد الذين تركوا طهران الى قم للاعتصام فيها لم يصل الى أعداد كبيرة (٤٦) ، كما أن المدة التي استغرقها الاعتصام كانت أقصر من المدة التي أمضاها العلماء في حرم عبد العظيم سابقا ، غير أن هذا الاعتصام عرف في تاريخ الحركة الاصلاحيـة باسـم « الهجرة الكبرى » لأن الهجرة كانت لمسافة بعيدة عن طهران اذا قيست بالمسافة التي تفصل شاه عبد العظيم عن طهران (٤٧) . كما أن نتائج هذه الهجرة كانت حاسمة.. حيث أدى اصـرار العلماء على البقاء في الاعتصام . والتطورات الأخرى التـي رافقت ذلك ، الى تحقيق مطالب الشعب الكاملة وصدور مرسوم الدستور فيما بعد .

كان على رأس العلماء المهاجرين ، عبد الله بهبهاني ومحمد طباطبائي ، وقد أرسل الاول الى ممثل بريطانيا في طهران المستر غرانت دف (Grant Duff) رسالة يحثه فيها على توسط حكومته لرفع الاضطهاد الواقع على أبناء الشعب ، ونظرا لأهميـة الرسالة في تاريخ الحركة الدستورية ، أدرج فيما يلي ترجمة لها:

« بالنسبة للأوضاع المتدهورة ، كما تعرف سيادتك ، بيني وبين الاتابك الاعظم (الصدر الاعظم) حول تنفيذ منشـور جلالته بشأن تأسيس المحكمة العدلية ، التي كنا قد وعدنا بها منذ ثمانية شهور ، فقد أسفرت هذه الاوضاع عن نتائج سيئة

---

(٤٦) جاء في كتاب سال بالصفحة ١٢٤ ان عددهم لم يتجاوز الف شخص بينما ذكر محمد اسماعيل رضواني في كتابه انقلاب ايران في الصفحة ١١٥ ان عددهم وصل الى ثلاثة الاف .

(٤٧) تقع على مسافة ٩٠ ميلا الى الجنوب من طهران .

في الايام القليلة الماضية ، ففي يوم الاربعاء الماضي (١١ يوليو ـ تموز ـ) قتل أحد السادة المحترمين ، دونما ضرورة لذلك . وتجمعنا نحن في مسجد جمعة ، والذي هو واحد من أكبر وأقدس المراكز في الاسلام ، من أجل مراسم الجنازة والدفن ، ولم يكن لدى الناس أية رغبة بالتهجم على الحكومة ، كما لم نكن نتوقع حدوث آي خطأ ، وكل ما كنا نريده هو تنفيذ ما جاء بالدستخط الملكي (المنشور الملكي) الصادر سابقا ، وقد لجأت الحكومة الى اتخاذ اجراءات شديدة ضدنا ، كانت السبب في ثورة الشعب ضدها ، وفي يوم الجمعة (١٣ يوليو ـ تموز ـ) كان عدد من الناس متجمعين في احدى ساحات المدينة يضربون صدورهم ويندبون ، عندما قتل جنود الحكومة سيدا معتبرا ، وجرحوا أربعة آخرين ، وخشية من وقوع حوادث أوسع ، وقتل مزيد من الناس ، واراقة دماء جديدة . فقد اضطررنا الى التوجه نحو ضريح ابن بابويه قرب شاه عبد العظيم ، ومن هناك سنتجه نحو العتبات المقدسة • وبالنظر للصداقة الوطيدة القديمة القائمة بيني وبين موظفي المفوضية البريطانية ، وخاصة معك ، لذلك فقد كتبت هذه الرسالة لأقول لك وداعا ، وأطلب اهتماما خاصا ، ولما كان هذا الشخص (الصدر الاعظم) يعمل في كل المناسبات على اهانة المسلمين ، وسفك دمائهم ، وبسبب اندلاع الاضطرابات في البلاد ، والله يعلم أنه غير قادر على منع نفسه من تدمير البلاد والسكان ، وانه سوف يستمر على ذلك ، لذا فأنا أطلب بالنظر لصداقتنا ، ألا تترك جهدا في سبيل وضع حد لهذا الاضطهاد ، ومع أن ثقتي هي بالله القدير على كل شيء ، فانما كتبت ما كتبت لأضعك أمام الحقائق ، ولأقول لك

وداعا (٤٨) » •

وفي الحقيقة فان هذه الرسالة كانت بداية التدخل البريطاني السافر في الحركة الوطنية الاصلاحية ، حيث كان الانجليز في السابق يحاولون التدخل بشكل غير مباشر ، ورغم أن جواب القائم بالأعمال البريطاني على رسالة عبد الله بهبهاني كان يعلن رفض الحكومة البريطانية مساعدة حركة موجهة ضد الحكومة الايرانية الشرعية (٤٩) ، غير أن جميع الاحداث التي تلت ، دلت بشكل قاطع ، على انغماس المفوضية البريطانية في الثورة الدستورية ، في محاولة منها لاستعادة النفوذ البريطاني المتدهور في ايران ، مما سيرد شرحه بعد قليل •

أما بالنسبة لموقف بهبهاني من ارسال الرسالة للمفوضية البريطانية فانه لا يخرج عن أحد احتمالين :

اما انه كان يائسا من قدرة الشعب على تحقيق مطالبه دون مساعدة خارجية ، ولذلك كانت لديه قناعة شخصية بقدرة المفوضية البريطانية على دفع ظلم الحكومة الايرانية لرعاياها ، وفي هذه الحالة فان عمله يعتبر جريئا جدا ، حيث انه لم يحدث في تاريخ ايران الحديث حتى ذلك الوقت ، ان قام مجتهد كبير مثل البهبهاني ، يطلب مساعدة حكومة أجنبية غير اسلامية ، خاصة في تلك الفترة التي كان العداء فيها للنفوذ الاجنبي قد

---

(٤٨) ف.و. ٢٨/٤١٦ نص رسالة عبدالله بهبهاني الى القائم بالاعمال البريطاني التي بعثها في ١٥ تموز ١٩٠٦ ليلة مغادرته طهران الى قم في ملحق رقم ٢ بالرسالة رقم ٢٦٧٥٤/١٩٤ التي بعثها دف الى غري في ١٩ تموز ١٩٠٦ .

(٤٩) ف.و. ٢٨/٤١٦ ملحق سري رقم ١ برسالة دف الى غري برقم ٢٦٧٥٤/١٩٤ قلهك في ١٩ تموز ١٩٠٦ .

بلغ الذروة .

وأما انه لجأ الى الاستعانة بالمفوضية البريطانية بتدبير سابق مع الانجليز ، بحكم الصداقة الوطيدة التي كانت تربطه بهم (٥٠) . حتى يبرر تدخلهم في الحركة الوطنية لمصلحة الثوار .

وفي كلتا الحالتين فان هذه الرسالة قد لعبت دورا خطيرا في تاريخ الثورة الدستورية ، حيث كانت بمثابة « فتوى » لجماهير الوطنيين باللجوء فيما بعد للمفوضية البريطانية ، وكذلك أدت الى اندفاع الانجليز في تأييد الحركة الاصلاحية الى أبعد الحدود.

أدى خروج العلماء من طهران الى ازدياد استياء الشعب ، فأغلقت الاسواق ،وساد الناس التوتر والقلق المشحونان بالسخط على الحكومة . كما أن أخبار طهران تسربت الى المدن الايرانية الأخرى ، التي نهض أبناؤها لمقاومة الحكومة في كل مكان ، وانقلب الاضطراب والتمرد الذي كان مسيطرا على طهران الى ثورة وطنية شملت كل أنحاء ايران (٥١) .

اعتصام الوطنيين بالمفوضية البريطانية :

بعد الرسالة التي بعث بها عبد الله بهبهاني الى القائم بالأعمال البريطاني ، تهيأت أذهان الوطنيين لقبول فكرة الالتجاء للمفوضية البريطانية في طهران ، حتى تستجيب الحكومة الايرانية لمطالبهم .

---

(٥٠) ف.و. ٢٣/٤١٦ من رسالة هاردينغ السرية الى لانسدون برقم ٦٩ في ٢٤ مارس ١٩٠٥ .

ان الظواهر الخارجية والظروف الموجودة آنذاك كانت تشير الى حتمية اللجوء للمفوضية البريطانية دون غيرها ، فقد كانت العلاقات العثمانية الايرانية سيئة بسبب خلافات الحدود ، كما أن النظام الاستبدادي الذي كان يفرضه السلطان العثماني على بلاده ، لم يكن يشجع الوطنيين على اللجوء الى السفارة العثمانية، على الرغم مما قيل من أن السلطـان العثماني تمنى لـو أن المعتصمين لجأوا للسفارة العثمانية باعتبارها سفـارة دولـة اسلامية (٥٢) . كما كانوا في شك من رغبة المفوضية الروسية في ايوائهم وحمايتهم اذا رغبوا بالالتجاء اليها ، حيث أنها كانت شديدة الميل للنظام القاجاري كما أنهـا كـانت تمثل نظامـا استبداديا قويا هو نظام حكم قياصرة آل رومانوف ، يضاف الى ذلك أن الحكومة الايرانية كانت قد حاصرت جميع المساجد في طهران خوفا من اتخاذها مراكز لتجمع الوطنيين واعتصامهـم فيها (٥٣) . ولا شك أنه كان للعملاء الانجليز دور خطير سري في توجيه الجماهير وقـادة الوطنيين نحـو فكرة الالتجـاء الى المفوضية البريطانية دون غيرها ، وقد كان حلقة الاتصال بين الوطنيين وبين المفوضية البريطانيـة « أرد شيرجي » وهـو زرادشتي ايراني كان متمتعا بالجنسية البريطانية (٥٤) .

---

(٥١) ف.و. ٢٨/٤١٦ من رسالة الى دف الى غري برقم ٢٦٧٥٣/١٩٣ قلهك في ١٩ تموز ١٩٠٦ .
(٥٢) حبل المتين ــ العدد ١١ ــ السنة ١٤ في ١٥ تشرين اول ١٩٠٦ .
(٥٣) ف.و. ٣١/٤١٦ من تقرير المفوضية البريطانية بطهران الى الخارجية في لندن في كانون ثاني ١٩٠٧ .
(٥٤) مهدي ملكزاده ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ج٢ ــ ص ١٦٨ .

وقد أوردت بعض المراجع الانجليزية (٥٥) ، أن بعض الاشخاص حضروا لمقر المفوضية البريطانية الصيفي في قلهك (٥٦) ، واستفسروا من القائم بالأعمال البريطاني عن موقفه فيما اذا رغب الوطنيون باللجوء لمفوضيته ، وكما أن المراجع الايرانية المختلفة لم تذكر أسماء الذين اتصلوا بالمفوضية البريطانية لهذا الغرض ، ولا يستبعد أن يكون أولئك الاشخاص مدفوعين من قبل تلك المفوضية نفسها لتبرير موقفها من فكرة لجوء الوطنيين اليها ، خصوصا وأن القائم بالأعمال البريطاني نفسه (غرانت دف) ذكر في رسالة الى وزير الخارجية البريطانية (ادوارد غري) أن شخصين مجهولين اتصلا بسكرتير المفوضية عباس قلي خان في ١٨ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٦ ، وأبلغاه أن حوالي خمسمائة تاجر يودون الاحتماء بالراية البريطانية (٥٧) ، وقد كان جواب القائم بالأعمال البريطاني انه لا يشجع مثل تلك الفكرة ، حتى لا تعتبر الحكومة ذلك تدخلا في شؤونها ، وتحريضا على الثورة ضدها ، ولكنه أفهمهم في الوقت نفسه ، أنه اذا جاء التجار الراغبون بالاعتصام بالمفوضية دفعة واحدة فانه لا يمكنه ردهم طبقا للعادة الايرانية المتبعة (٥٨) ، وفي

---

(55) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 116.

(٥٦) كانت تقع على بعد سبعة اميال شمال طهران وهي اليوم جزء منها .

(٥٧) ف.و. ٢٨/٤١٦ برقم ٢٦٧٥٣/١٩٣ في ١٩ تموز ١٩٠٦ .

(٥٨) كانت عادة الايرانيين عند الشعور بالاضطهاد اللجوء الى احد الامكنة المقدسة او الى منزل احد كبار رجال الدين طلبا للحماية ؛ وفي العهد القاجاري اصبح اللجوء للمفوضيات الاجنبية عادة متبعة ، وقد حدث ذلك اول مرة سنة ١٨٤٥ في اواخر حكم محمد شاه ، حيث لجأ بعض السياسيين الى المفوضيتين البريطانية والروسية هربا من بطش الحاج ميرزا آغاسي الصدر الاعظم انذاك . وعند انشاء

الحقيقة فان هذا الجواب كان دعوة صريحة للوطنيين لاتخاذ المفوضية البريطانية ملجأ لهم ، وأن يكون ذلك « دفعة واحدة وبأعداد كبيرة (٥٩) » .

وهكذا جاء في اليوم نفسه خمسون من رجال الدين والتجار للمفوضية طالبين حمايتهم من اضطهاد الحكومة القاجارية لهم (٦٠) ، وأخذت أعدادهم تتزايد حتى بلغت اثني عشر ألفا في أواخر يوليو ـ تموز ـ (٦١) ، ثم تجاوزته الى أربعة عشر ألفا في أوائل اغسطس ـ آب ـ (٦٢) . وقد أقام المعتصمون في حديقة المفوضية الواسعة ، في خيام نصبت لذلك ، بلغت

الخط البرقي في طهران وتمديد الخط الاول بين مركز البرق وقصر الشاه ، شاع بين العامة ان نهاية الخط مربوطة باحدى قوائم سرير الشاه ، لذلك فقد اصبحت مراكز البرق احدى اماكن اللجوء الهامة لاعتقاد الملتجئين ان صوت شكواهم يصل بسرعة لاذن الشاه ، ويقال ان ناصر الدين شاه حاول منع عادة الاعتصام فحذره بعض رجال البلاط من انها البديل الطبيعي لانعدام وجود القانون في البلاد ، حيث يجد فيها الضعاف والمضطهدون بعض الحماية والامان ، انظر « نداي وطن » العدد ٧٥ في ٨ تشرين اول ١٩٠٧ .

(٥٩) نفس رسالة دف السابقة الى غري برقم ٢٦٧٥٣/١٩٣ المؤرخة في ١٩ يوليـو ١٩٠٦ .

(٦٠) ف. و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٤٧٤٠/١٩١ طهران في ٢٠ يوليو ١٩٠٦ .

(٦١) ف. و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٥٨٣٠/٢٠١ طهران في ٣٠ يوليو ١٩٠٦ .

(٦٢) ف. و. ٤١٦/٢٨ من رسالة دف الى غري برقم ٢٦٤٤٥/٢٠٦ طهران في ٢ اغسطس ١٩٠٦ ، وقد ذكر Edward Browne في كتابه The Persian Revolution الصفحة ١١٨ ان عددهم وصل الى ١٦ الفا،كما جاء في كتاب Twenty years in Persia تأليف John Wishard في الصفحة ٣١٤ ان عددهم بلغ ٢٠ الفا وانهم كانوا يستهلكون نصف طن خبزا يوميا .

المئات، قدمت لهم منها المفوضية البريطانية خمسمائة خيمة (٦٣)، وأحضروا هم الباقي • وقد كانت غالبيتهم مؤلفة من التجار والعمال وصغار الحرفيين وبعض صغار رجال الدين ، وقد كان تنظيمهم مدعاة للاعجاب ، حيث لم ينتج عن اجتماع تلك الألوف العديدة أي شيء من الفوضى أو الاضطراب ، حيث جعلوا على كل مجموعة منهم شخصا ينظم أمورهم ، ويكون بمثابة ضابط ارتباط بينهم وبين القادة والمجموعات الوطنية الأخرى ، كما عمدوا الى تشكيل لجان توزعت المهام المختلفة فيما بينها ، فبعضها كان ينظم الحراسة والانضباط ، وغيرها يشرف على اعداد التموين لاطعام سكان مدينة الخيام الجديدة ، وأخرى كانت تشرف على توعية الجماهير المجتمعة ، بشرح الأهداف الاصلاحية التي تسعى اليها الحركة ، وطبع المنشورات الثورية وتوزيعها ، والقاء الخطب ، فكان الحاج عبد الحسين أفغاني يلقي كل ليلة خطبة حول حقوق الأفراد وفائدة الشورى والعدالة، كما كان « فخر الاسلام » يقرأ على الناس فوائد الحكم الدستوري ويستشهد بآيات من القرآن الكريم ، وقد قام بعض كبار التجار بالمساهمة في نفقات المعتصمين بالمفوضية ، كما أرسل خصوم عين الدولة السياسيون أموالا لقادة المعتصمين لينفقوا منها على حركتهم ، خصوصا وأن غالبية المعتصمين لم يكن بامكانهم الانفاق على أنفسهم لشدة فقرهم ، وقام أيضا بعض أمراء الأسرة القاجارية ، بدافع مصالحهم الشخصية ، بارسال الأموال للمعتصمين كما فعل سالار الدولة الذي كان سجينا في طهران بسبب ثورته على أبيه ، حيث ظن أنه بمساعدته

---

(٦٣) احمد كسروي تبريزي — انقلاب مشروطة ايران — ج١ — ص ١١٠ .

للوطنيين سوف يصبح وليا للعهد عند انتصار حركتهم (٦٤) ٠

لم تسهم تلك الأموال الا بجزء بسيط من نفقات اعاشة تلك الألوف العديدة ، وظل مصدر الانفاق الرئيسي عليهم مجهولا ، ولكن مما لا شك فيه ان مصدره كان المفوضية البريطانية ، حيث انه عندما استدعت الحكومة الروسية السفير البريطاني في بطرسبورغ ، واستفسرت منه عمن ينفق على تلك الألوف العديدة ، أجاب بأنه لا يقطع برأي ، ويعتقد أنه قد يكون من أصدقاء الحركة ، وفي هذا الجواب الديبلوماسي الدلالة القاطعة على أن المفوضية البريطانية كانت هي مصدر الانفاق الرئيسي، حيث أنها كانت « من أصدقاء الحركة » فعلا (٦٥) ٠

موقف الحكومة الايرانية :

في اليوم الذي لجأت فيه أول مجموعة من الوطنيين للمفوضية البريطانية أرسل القائم بالأعمال البريطاني لوزير الخارجية الايرانية (ميرزا نصر الله خان مشير الدولة) يعلمه بذلك (٦٦)، ومن الغريب ان الحكومة الايرانية لم تحرك ساكنا ، ولم تتخذ ـ في البداية ـ أي اجراء ، والمعتقد أنها لم تكن تقدر مدى اتساع الحركة وعمقها واعتقدت أنها سوف تقتصر على بضع

(٦٤) مهدي ملكزاده ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ج٢ ــ ص ٣٢ ٠

(٦٥) ف٠و٠ ٤١٦/٢٨ من رسالة نيكولسون الى غري برقم ٤٩٥/٢٦٨٥٧ ــ سانت بطرسبورغ في ١ اغسطس ١٩٠٦ ٠

(٦٦) ف٠و٠ ٤١٦/٢٨ من رسالة دف الى غري برقم ١٩٣/٢٦٧٥٣ قلهك في ١٩ تموز ١٩٠٦ ٠

عشرات أو مئات من الافراد يعتصمون في مبنى المفوضية لبعض الوقت ثم ينصرفون لحال سبيلهم ؛ غير أن الاحداث المتلاحقة خيبت ظنها ، واندفع الألوف الى المفوضية ، وعندما أحاطت الحكومة الايرانية الشوارع المحيطة بالمفوضية بالجنود ، جاءت خطوتها متأخرة ، بعد ما أصبحت حديقة المفوضية ملأى بالألوف الحاشدة ، كما أن الحصار لم يكن محكما ، وكان بامكان المزيد من الراغبين بالاعتصام ، التسلل الى حديقة المفوضية الواسعة ، وقد حاولت الحكومة ملاطفة المعتصمين واستمالتهم الى جانبها ، فأرسلت وفدا من بعض التجار المعتدلين لاقناعهم بالخروج من المفوضية والدخول مع الحكومة في محادثات ودية ، ولكن المعتصمين ردوهم خائبين ، وكذلك فعل العلماء في قم عندما جاءهم الوفد نفسه يرغبهم بالعودة الى طهران (٦٧) . وكان الشاه يعاني من آلام المرض ، تاركا عين الدولة يتصرف بأمور البلاد كيفما يشاء ، وقد أرسل محمد علي ميرزا ــ ولي العهد ــ من تبريز برقية الى المفوضية البريطانية يعلن فيها تأييده للحركة الوطنية،واستنكاره لاجراءات الحكومة الايرانية (٦٨) .

لم تستطع الحكومة الايرانية الاستمرار في تجاهل الحركة الوطنية ، خصوصا بعد العزم الأكيد الذي أظهره المعتصمون في البقاء في المفوضية حتى تجاب مطالبهم ، كما أن هذه الحركة لاقت تأييدا وتجاوبا واسعا في كافة أنحاء ايران (٦٩) .

---

(٦٧) يحي دولت آبادي ــ حيات يحي ــ ج٢ ــ ص ٨١ .

(٦٨) ف.و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٤٨٣٨/١٩٢ طهران في ٢١ تموز ١٩٠٦ .

(٦٩) ف.و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٥١٧٣/١٩٣ طهران في ٢٣ يوليو ١٩٠٦ .

واضطرت أخيرا للاذعان والدخول في مفاوضات مع قادة المتحصنين للعمل على تحقيق ما يمكن تحقيقه من مطالبهم ٠

دور الحكومة البريطانية :

يمكن القول أن بريطانيا لعبت في هذه الفترة دورا بارزا في الحركة الوطنية وفي سرعة وصولها لتحقيق مكاسبها ، وترجع أسباب تأييد الانجليز لها الى ما يلي :

١ ـ كان البلاط والحكومة واقعين تحت النفوذ الروسي ، وكان تأييد الانجليز لأي حركة مناوئة للحكومة يعتبر ـ بالتالي ـ حدا من النفوذ الروسي (٧٠) ٠

٢ ـ عمل الانجليز على تأييد الحركة الاصلاحية المطالبة بالدستور ، لتقييد سلطات الشاه الجديد عند توليه العرش ، خصوصا وأن مظفر الدين شاه كان على فراش الموت وكان هذا التقييد يحد من النفوذ الروسي على أجهزة الحكم ٠

٣ ـ كان النظام القاجاري مفككا وضعيفا ، بينما كانت الحركة الوطنية تشتد وتنتشر ، وقد ساند الانجليز هذه الحركة ، رغبة منهم في احتضان النظام الجديد وكسب النفوذ لديه ٠ « ان أي حل يرضي المتحصنين سوف يكون له تأثير ضخم في نفوذنا في هذه البلاد (٧١) » ٠

---

(٧٠) ف٠و٠ ٣١/٤١٦ من تقرير المفوضة البريطانية الى الخارجية في يناير ١٩٠٧ ٠

(٧١) ف٠و٠ ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٢٠١/٢٥٨٣٠ طهران في ٣٠ تموز ١٩٠٦ ٠

وفي الحقيقة فان الانجليز لم يألوا جهدا في تأييد المعتصمين والوقوف معهم بحزم ، وقد استخدمت الحكومة البريطانية ضغطا متزايدا على الحكومة الايرانية لتستجيب لمطالب شعبها ، وترفع الظلم عنهم (٧٢) ، وأوضحت للحكومة الايرانية أن خروج المعتصمين من المفوضية يتم باستجابتها للمطالب التي يقدمونها (٧٣) ، كما أنه عندما تناهى اليها أن الحكومة الايرانية تقوم باضطهاد وتعذيب عائلات المعتصمين احتجت لديها ، وهددتها بعدم السكوت على ذلك (٧٤) ، كما أن الوزير المفوض البريطاني في طهران ، طلب مقابلة الشاه ليشرح له الأوضاع ويعرض عليه مطالب المعتصمين بالمفوضية (٧٥) ، وقد ظل الانجليز يساندون الحركة الوطنية حتى تم لها الانتصار .

دور الحكومة الروسية :

كان موقف الروس حرجا ، فهم كدولة ملكية مطلقة ، ما كان بامكانهم أن يسندوا أو يدعموا أية حركة ضد الحكومة الايرانية ، حيث كان لهم عليها نفوذ قوي ، كما أنهم ما كانوا

---

(٧٢) ف.و. ٢٨/٤١٦ من رسالة غري الى دف برقم ٢٥٣١٠/١١٨ الخارجية في ٢١ تموز ١٩٠٦ .
(٧٣) ف.و. ٢٨/٤١٦ من برقية غري الى دف برقم ٢٥٤٩١/١٠٠ الخارجية ٢٥ تموز ١٩٠٦ .
(٧٤) ف.و. ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٢٥٢٨٦/١٩٤ طهران في ٢٤ تموز ١٩٠٦ .
(٧٥) ف.و. ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٢٥٥٥٤/١٩٧ طهران في ٢٦ تموز ١٩٠٦ .

يريدون للانجليز أن يحققوا عليهم أي مكسب بين أوساط الشعب الايراني ، وخاصة بعد فشل ثورة ١٩٠٥ الروسية ، غير أنه لما تبين للمفوضية الروسية أن الحركة الوطنية ذات عمق وانتشار بين فئات الشعب الايراني ، فانها حاولت دفع العامة الى الالتجاء اليها وقدمت أموالا بواسطة بنك الاقراض الروسي لكل من يلجأ اليها (٧٦) ، وذلك لتزايد على المفوضية البريطانية ، غير أن هذه الوسيلة فشلت في جلب الوطنيين اليها (٧٧) .

قلق الروس من السياسة البريطانية في ايران التي تعمل على هدم نفوذهم سرا ، فعملوا على التفاهم مع الانجليز والسعي للتنسيق بين سياستي البلدين تجاه الموقف ، وقد أسرع الانجليز بقبول التفاهم مع الروس حول هذه القضية ، حتى يزيلوا أي اتهام يلصقه بهم الروس بأنهم يعملون على احلال نفوذهم وحده محل النفوذ الروسي وأنهم دفعوا العامة الى اللجوء الى مفوضيتهم (٧٨) ، بالرغم من انكار الوزير المفوض البريطاني ذلك ، وكذلك انكاره سعي المفوضية البريطانية في منع الناس من اللجوء للمفوضية الروسية حيث أبلغ زميله

---

(٧٦) منح الروس تومانا لكل من يلجأ اليهم ولكن القلائل الذين قبلوا ذلك ضربهم طلاب المدارس الدينية بشدة انظر ف.و. ٢٨/٤١٦ من رسالة دف الى غري السرية برقم ٢٩٧٠٧/٢٠٦ قلهك في ١٣ اغسطس ١٩٠٦ .

(٧٧) ف.و. ٣١/٤١٦ من تقرير رايس الى غري ملحق بالرسالة رقم ٥٢٧٠/١٨ في ٢٩ يناير ١٩٠٧ .

(٧٨) ف.و. ٢٨/٤١٦ من برقية نيكولسون الى غري برقم ٢٦٣٠٦/١٧٣ بطرسبورغ في ١ اغسطس ١٩٠٦ .

الروسي أنه « يكون مسرورا لو حول للمفوضية الروسية بضعة آلاف من اللاجئين لمفوضيته ، فيما اذا هم قبلوا مغادرة أرض المفوضية (٧٩) » • وأخذ الوطنيون في كافة المدن الايرانية الأخرى يعتبرون القنصليات البريطانية في مدنهم ملاجىء يحتمون بها من مطاردة الحكومة الايرانية لهم ، حيث ينتظرون عندها العون والمساعدة (٨٠) • وهكذا كان انتصار الوطنيين انتصارا أيضا للسياسة البريطانية في ايران التي استطاعت اكتساب ود الثورة وهي في آخر مراحلها • ومن دراسة الوثائق المتعلقة في تلك الفترة يتبين أن المفوضية البريطانية رغبت في البداية بالعمل مع المفوضية الروسية للضغط على الشاه لعزل الصدر الاعظم عن منصبه تأمينا للهدوء والاستقرار في البلاد (٨١) وقد وافقت الحكومة البريطانية على خطة وزيرها المفوض في طهران ، وطلبت منه العمل بمنتهى الحذر حتى لا يعتبر عمله تدخلا في شؤون ايران الداخلية (٨٢) • غير ان الوزير المفوض البريطاني أدرك أن الحركة الوطنية بحاجة الى مساندة فعلية من بريطانيا ، والا ، فانها لا تستطيع مقاومة الحكم القاجاري الذي كان يدعمه الروس بكل قواهم ، وحث حكومته على دعم تلك

---

(٧٩) ف.و. ٤١٦/٢٨ من رسالة دف الى غري السرية برقم ٢٩٧٠٧/٢٠٦ تلهك في ١٣ اغسطس ١٩٠٦ •

(٨٠) احمد كسروي تبريزي ـــ تاريخ مشروطة ايران ـــ ج١ ـــ ص ١٥٥.

(٨١) ف.و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٣٥١٦/١٧٨ طهران في ١٠ تموز ١٩٠٦ •

(٨٢) ف.و. ٤١٦/٢٨ من برقية غري الى دف برقم ٢٣٥١٦/٩٢ الخارجية في ١٠ يوليو ١٩٠٦ •

الحركة حفظا لمركز بريطانيا من أن يزداد تدهـورا (٨٣) ، وعندما خشي من ازدياد نشاط المفوضية الروسيـة لجلـب المعتصمين اليها ، أرسل الى حكومته ، يطلب منها مزيدا من الدعم للحركة حتى لا يلجأ الناس الى المفوضية الروسية وينهار ما بقي لبريطانيا في ايران من سمعة ونفوذ (٨٤) ٠

تطور المطالب الوطنية :

كانت الفترة التي استغرقها اعتصام الوطنيين الايرانيين في حديقة المفوضية البريطانية في طهران ، والتي قاربت الشهر ، واحدة من أخطر الفترات في تاريخ الثورة الايرانية ، ومـن أكثرها أهمية ٠ فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تجتمع فيها الألوف العديدة من الوطنيين الايرانيين في مكان واحد ، فيمـا يشبه مؤتمرا قوميا ، حيث كانـت تلك فرصـة عظيمة ليقوم الوطنيون بتبادل الآراء ، ودراسة أوضاع ايران ، وقام قادتهم بجهد كبير لتوضيح أهداف الحركـة الوطنيـة ، لتلك الألوف المتحمسة من سكان طهران ، حيث انه اذا كان يجمع تلك الألوف قاسم مشترك واحد هو كرهها للنظام القاجاري ورغبتها بالخلاص منه ، الا أنها كانت تتفاوت الى درجة كبيرة في مدى وعيهـا ، وادراكها لاهداف الحركة الاصلاحية ، ويتضح من ذلك تطور المطالب الوطنية التي تقدم بها المعتصمون الى الحكومة الايرانية

---

(٨٣) ف٠و٠ ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٢٥١٧٣/١٩٣ طهران ٨ ٢٣ تموز ١٩٠٦ ٠

(٨٤) ف٠و٠ ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٢٥٤١٣/١٩٦ طهران في ٢٥ تموز ١٩٠٦ ٠

خلال تلك الفترة ، ففي البداية كان كثيرون من المتصمين يعتقدون أن المطلب الرئيسي هو تخفيض أسعار الخبز واللحم في أسواق طهران (٨٥) ، كما أن بعضهم احتج لدى موظفي المفوضية البريطانية من أنهم تعبوا وهم ينادون مطالبين بالدستور دون أن ينالوا ولو « قطعة ! » صغيرة منه (٨٦) ، كما أن بعضهم إعتقد أن المشكلة تنتهي باعتزال عين الدولة ويرجع بذلك كل شيء الى حالته الطبيعية • وهكذا جاءت مطالبهم الأولى بسيطة ومحدودة وهي كما يلي :

١ ــ أرواح الايرانيين وممتلكاتهم بدون أمان ، وتقوم الحكومة باضطهادهم بواسطة الجنود الذين وضعتهم في السوق •

٢ ــ يشتكي التجار من الكساد بسبب توقف العمل في كافة المعاملات التجارية لغياب العلماء عن طهران الذين يتم هذا الأمر عن طريقهم •

٣ ــ تأسيس محاكم قانونية وتسليم أمورها لموظفين أمناء •

٤ ــ الاصرار على تحقيق المطالب ورفض مغادرة المفوضية البريطانية ما لم يتحقق ذلك (٨٧) •

ولما كانت تلك المطالب لا تعبر عن مدى قوة الثورة الوطنية وعمقها ، لذلك فان الحكومة الايرانية استهانت بها وأجابت عليها في مذكرة الى المفوضية البريطانية بما يلي :

١ ــ تنفي الحكومة اضطهاد الجنود للوطنيين ، بل تعتبر

---

(85) Wishard, John — Twenty years in Persia, p. 314.

(٨٦) محمد حسن اديب هروي ــ تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ــ ص ٤٩ .

(٨٧) ف• و• ٤١٦/٢٨ من ترجمة مذكرة الوزير المفوض البريطاني الى وزير الخارجية الايرانية المرسلة في ٢٠ يوليو ١٩٠٦ ، ملحقة بالرسالة السرية رقم ٢٠٦ / ٢٩٧٠٧ من دف الى غري في ١٣ اغسطس ١٩٠٦ .

وجودهم في الشوارع عامل تهدئة وحماية للوطنيين من مهاجمة أفراد الشعب لهم ·

٢ ــ تعتبر الحكومة مهاجرة العلماء من طهران ، أمرا عاديا وممكن الحدوث في ايران ، وأن هجرتهم لم تؤثر على سير الأمور في العاصمة ، خصوصا وأن العلماء الباقين فيهما يقومون بكافة الأعمال ·

٣ ــ تعجب الحكومة من طلب تأسيس محاكم قانونية ، لأن مثل هذه المحاكم قائمة في ايران منذ عهد بعيد ، وتقوم بواجبها على أكمل وجه ، أما جعل الاشراف عليها للعلماء فهو أمر لا تقبل به الحكومة ، لأن المحاكم تتبع دائرة رسمية لا يجوز أن يشرف عليها غير مأموري الدولة ·

٤ ــ أما ادعاء المتحصنين أنهم لن يخرجوا من حماية العلم البريطاني الا بعد الاستجابة لمطالبهم ، فان الحكومة الايرانية ترى ألا تتابعهم المفوضية البريطانية على ذلك ، محافظة على حسن العلاقات بين البلدين ·

وفي النهاية رجت الحكومة الايرانية أن يعود المتحصنون لصوابهم ، ويكفوا عن ازعاج المفوضية البريطانية بمثل تلك الأمور (٨٨) · ولا شك أن جواب الحكومة الايرانية كان فيه الكثير من المغالطة والتحريف ، والبعد عن الواقع ، حيث كان الوطنيون فعلا يلاحقون ويعذبون من قبل جنود السلطة القاجارية ، كما كانت التجارة ، والحياة الاقتصادية بوجه عام ، متوقفة بسبب غياب العلماء ، ولم يكن يوجد عدالة وكانت حقوق الناس ضائعة لعدم وجود قانون حيث كانت المحاكم تطبق

---

(٨٨) أسماعيل رائين ــ انجمنهاي سري ــ الصفحات ١٠٦ ــ ١٠٩ ·

العرف وكان ، مع هذا ، يسودها الفساد والانحراف عن العدالة ·

كان جواب الحكومة الايرانية عاملا في زيادة تصلب الوطنيين في موقفهم ، كما أن هذا أتاح لهم الفرصة ليتدارسوا وضعهم ، حيث تقدموا بعد ذلك بمطالب أكثر شمولا وتحديدا وذلك بواسطة الوزير المفوض البريطاني ، الذي طلبوا منه تقديمها للشاه ، كما قام طلبة العلوم الدينية والصرافون بتقديم مطالب منفصلة خاصة بهم · أما المطالب الوطنية الجديدة العامة فكانت كما يلي :

١ ـ اعادة العلماء المهاجرين الى قم ، بكل احترام ·

٢ ـ عزل عين الدولة عن منصب الصدارة المظمى ·

٣ ـ افتتاح دار للشورى في ايران لتضع القوانين للبلاد ·

٤ ـ معاقبة قتلة شهداء الوطن الذين سقطوا في بداية أحداث الثورة ·

٥ ـ اعادة المنفيين من العلماء والتجار وغيرهم الى مناطقهم الأصلية (٨٩) ·

وكان الوزير البريطاني يعتقد أن الاستقرار لا يرجع الى طهران الا بعودة العلماء وباعتزال عين الدولة الحكم · حيث ان الحكومة البريطانية أصبحت تعتقد بأن وجود عين الدولة في الحكم يدعم النفوذ الروسي ، ويتعارض مع سياسة الانجليز في تنمية نفوذهم في ايران (٩٠) ·

كان لصلابة موقف الثوريين المتصمين في المفوضية البريطانية في طهران ، وكذلك اصرار العلماء المهاجرين الى قم على عدم

---

(٨٩) احمد كسروي تبريزي ــ تاريخ مشروطة ايران ــ ج ١ ــ ص ١١٢ .

(٩٠) ف· و· ٤١٦/٢٨ من برقية غري الى دف برقم ٢٥٤٩١/١٠٠ الخارجية في ٢٥ يوليو ١٩٠٦ .

العودة الى طهران قبل تحقيق مطالبهم ، أكبر الأثر في ازدياد انتشار الثورة في كافة أنحاء ايران ، ففي شيراز ثار أهلها واعتصم ثلاثمئة منهم في مبنى القنصلية البريطانية ، ورفضوا مغادرته الا بعد تحقيق كافة مطالب الشعب (٩١) ، وفي يزد أيضا اعتصم بعض الوطنيين في القنصلية البريطانية فيها (٩٢) ، كما شمل الاضراب والتظاهرات أغلب مدن ايران (٩٣) ، وهكذا تعاظم النفوذ البريطاني في البلاد (٩٤) .

ازاء هذا الوضع المتفاقم ، لم تجد الحكومة الايرانية بدا من التفاوض مع قادة المعتصمين ، وقد قام الوزير المفوض البريطاني بدور الوسيط بين الطرفين (٩٥) ، ولا شك ان هذه الوساطة أضافت الى مركز الحكومة البريطانية في ايران قوة جديدة . اقتصر ممثلو الوطنيين على التجار والعمال ، بينما لم يمثل رجال الدين أحد ، غير ان هذه المحادثات فشلت ، وأدى فشلها الى تصاعد الأحداث ، وزاد الوضع خطرا تهديد قسم من حامية طهران بالانضمام للوطنيين (٩٦) ، وحيال ذلك وافقت الحكومة الايرانية على المطالب التالية ، وقررت ارسال وزير خارجيتها

---

(٩١) ف. و. ٤١٦/٢٧ من برقية دف الى غري برقم ٢٠٥٦٩/١٦١ طهران في ١٦ يوليو ١٩٠٦ .

(٩٢) ف. و. ٤١٦/٢٨ من رسالة دف الى غري برقم ٢٣١٥١/١٧١ قلهك في ٢١ يوليو ١٩٠٦ .

(٩٣) ف. و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٥٤١٣/١٩٦ طهران ٢٥ يوليو ١٩٠٦ .

(٩٤) المقطم — العدد ٥٣٢٩ — السنة ١٨ — في ٨ اكتوبر ١٩٠٦ .

(٩٥) ف.و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٦٣١٢/٢٠٥ طهران في ٢ اغسطس ١٩٠٦ .

(٩٦) ف. و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٦٤٤٥/٢٠٦ طهران في ٢ اغسطس ١٩٠٦ .

الى قم لأخذ موافقة العلماء عليها ، وكانت كما يلي :

١ ـ انشاء مجلس وطني ٠

٢ ـ انشاء محاكم قانونية ٠

٣ ـ عودة المجتهدين بكل احترام ٠

٤ ـ تعويض عائلات الذين أصيبوا بالأحداث الاخيرة ٠

٥ ـ عودة المنفيين بسبب الحركات الاخيرة الى مناطقهم الاصلية، عدا طهران ٠

وبينما كان الوطنيون يدرسون تلك الوعود ، أقدم الشاه على خطوة جديدة في ٣٠ يوليو ١٩٠٦ ، حيث أمر بعزل عين الدولة وعين وزير الخارجية ميرزا نصر الله مشير الدولة صدرا أعظم (٩٧) ، وقد حاول الروس حث الانجليز على اخراج المعتصمين بدعوى أن مطلبهم الرئيسي باقالة رئيس الوزراء قد أجيب (٩٨) ، غير ان الانجليز لم يستجيبوا لذلك ٠

كان الصدر الأعظم الجديد أكثر ادراكا لعمق الحركة الوطنية من سلفه ، وانها ثورة شاملة وليست اضرابا محدودا ، ولذلك كان أول أعماله أن جعل الشاه يصدر في ٥ أغسطس الفرمان الشهير الذي عرف « بفرمان مشروطيت » ، كما صدر في الوقت نفسه فرمان آخر يتضمن ما يأتي :

١ ـ العفو عن الذين نفوا لاشتراكهم بالحوادث الاخيرة ٠

٢ ـ التعويض على عائلات الذين قتلوا بالاشتباكات الاخيرة ٠

---

(٩٧) عمل بوزارة الخارجية ، وتولى سنة ١٨٩٦ وزارة الحربية وفي سنة ١٨٩٩ تولى وزارة الخارجية ولقب بمشير الدولة .

(٩٨) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من رسالة غري الى نيكولسون برقم ٦٩٨٦/٣٦٤ الخارجية في ٣ اغسطس ١٩٠٦ .

٣ ـ منح الأمان لجميع المعتصمين بالمفوضية البريطانية في طهران ٠

٤ ـ اعادة رجال الدين من قم (٩٩) ٠

وقد سافر عضد الملك (رئيس الأسرة القاجارية) الى قم لعرض تلك الوعود على العلماء ، كما قام حسين خان (ابن مشير الدولة) بتلاوتها على المعتصمين في المفوضية البريطانية٠ وعلى الرغم من أن تلك المقترحات كانت تتضمن وعدا بانشاء مجلس يضم ممثلين عن كافة طبقات الشعب ، وهو أمر يحدث لأول مرة في تاريخ ايران ، الا أن قادة الوطنيين وجدوا أن نصوص الفرمان غامضة وغير محددة ، كما أنها لم تكن تحقق كل مطالبهم ، خصوصا وأن ثقتهم بوعود الحكومة الايرانية كانت معدومة (١٠٠) ، كما أن الفرمان لم يتضمن أية اشارة « للأمة » الايرانية ، وفي نفس الوقت أعلن العلماء المهاجرون الى قم رفضهم لهذه المقترحات ، وأرسلوا الى المعتصمين بالمفوضية يحثونهم على الصمود وعدم الانخداع بوعود الحكومة (١٠١) ٠

عادت الحكومة الايرانية من جديد وأصدرت في ٨ أغسطس ـ آب ـ فرمانا آخر يوضح الفرمان الأول ويعد بانشاء مجلس وطني منتخب من ممثلين عن طبقات الشعب كافة ، وعلى الرغم

---

(٩٩) ف٠ و٠ ٤١٦/٣٠ من تقرير رايس الى غري برقم ٤٥ ـ طهران في ٢٨ فبراير ١٩٠٧ ٠

(١٠٠) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢٦٤٤٥/٢٠٦ طهران في ٢ اغسطس ١٩٠٦ ٠ وعندما سمع مظفر الدين شاه برفض قادة الوطنيين لوعود الحكومة الايرانية ما لم تضمنها المفوضية البريطانية ، غضب وقال « لا اقبل مثل هذا الامر حتى اموت » انظر مجلة روشنفكر الصادرة في اغسطس ١٩٦٧ ٠

(١٠١) حبل المتين ـ عدد ١٣ ـ في ٢٩ اكتوبر ١٩٠٦ ٠

من أنـه لم يرد في الفرمان المذكور أيـة اشارة الى الأمـة أو الدستور ، الا أن قادة الوطنيين قبلوا به ، بعد أن جمعهم الوزير المفوض البريطاني ، ثانية ، مع ممثلي الحكومة الايرانية ، وعرف الفرمان الجديد باسم « فرمان متمم المشروطية » ٠

وهكذا انتصرت الثورة الوطنية ، فغادرت جموع المعتصمين حديقة المفوضية ، وتركوا ثلاثمئة منهم فيها ، لضمان تحقيق الحكومة لوعودها (١٠٢) ٠ وفي ١٦ أغسطس ــ آب ــ ١٩٠٦ رجع العلماء الى طهران بعد غياب شهر كامل ، فزينت المدينة أسوارها وشوارعها فرحا بقدومهم ، ونحرت أمام موكبهم مئات من الذبائح ترحيبا بعودتهم (١٠٣) ، وكان الشعب كله ورجال الحكومة وشقيق الشاه في استقبالهم (١٠٤) ، وكان الشاه قد أرسل خمسين عربة لاحضارهم لطهران (١٠٥) ، وسمي هذا اليوم « يوم الانتصار الوطني » (روز فتح ملي (١٠٦)) ، وكان فعلا انتصارا للثورة لا يعدله انتصار ٠

وفي ١٩ أغسطس ــ آب ــ ١٩٠٦ قابل العلماء الشـاه في قصره بناء على طلبه ، وفي هذه المقابلة أظهروا جرأة وقوة في مخاطبته ، وعندما حاول معاتبتهم على قيامهم بعملهم الاخـير (الهجرة الى قم) دون اعلامه ، كذبوا ادعاءه ، وأعلموه أنهم

---

(١٠٢) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من رسـالة دنف الـى غري السرية برقم ٢٠٦/ ٢٩٧٠٧ تلهك في ١٣ اغسطس ١٩٠٦ ٠

(١٠٣) محمد اسماعيل رضواني ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ص ١٢١ ٠

(١٠٤) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من برقية دنف الى غري برقم ٢١٤/٢٨٠٠٥ طهران في ١٦ اغسطس ١٩٠٦ ٠

(١٠٥) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من رسالة دنف الى غـري السرية برقم ٢٠٦/ ٢٩٧٠٧ تلهك في ١٣ أغسطس ١٩٠٦ ٠

(106) Browne, Edward, The Persian Revolution, p. 123.

قد قدموا اليه ، قبل أن يقوموا بأي عمل ، عدة عرائض والتماسات يطلبون منه فيها رفع الاضطهاد الواقع على الشعب ، واعطاء العلماء حقوقهم ، وكان أكثرهم جرأة وأعلاهم صوتا سيد عبد الله بهبهاني ، وقد أظهرت تلك المقابلة النفوذ المتزايد الذي كان يحرزه العلماء ، بحيث أنها أفزعت رجال البلاط منهم (١٠٧) .

---

(١٠٧) ف. و. ٤١٦/٢٩ من رسالة دف الى غري برقم ٣٢٩٩٥/٢٢٦ قلهك في ١١ سبتمبر ١٩٠٦ .

الفصل الخامس

قيـام الحكـم الدستـوري

فرمان الدستور وملحقه :

في أوائل أغسطس ـ آب ـ ١٩٠٦ أصبح مطلب الجماهير في طهران واضحا ، بعدم القبول بأقل من قيام حكم دستوري كامل ، تتأمن فيه مشاركة الشعب في الحكم ، وتتحدد من خلاله سلطات الشاه المطلقة ، ويحصل المواطنون على الأمان والاستقرار الذي ينشدونه ٠

هذا الوضوح في الأهداف الذي توصلت اليه الثورة الوطنية، وثبات قادتها والجماهير المساندة لها ، على موقفها في الاعتصام بمبنى المفوضية البريطانية في طهران ، حتى تتحقق كل مطالبها، يضاف الى ذلك الموقف الذي خلفه غياب علماء طهران عنهـا ، وكذلك الضغط الذي مارسته الحكومة البريطانية على السلطة القاجارية الحاكمة ، أدى في مجموعه للتأثير على مظفر الدين شاه، الذي لم يكن بطبعه ميالا للمقاومة والعنف ، وأراد القيام بعمل

يرضى عنه الشعب ، خصوصا وأنه كان على فراش المرض ، وهكذا صدر المرسوم الملكي في الخامس من أغسطس ـ آب ـ ١٩٠٦ ، والذي عرف باسم « فرمان مشروطيت » وفيما يلي نص ترجمته :

« جناب الأشرف الصدر الأعظم :

حيث ان حضرة الباري تعالى جل شأنه ، قد أودع كفنا ذات الكفاية ، أزمة أمور رقي وسعادة ممالك ايران المحروسة ، وجعل شخصنا الهمايوني حافظا لحقوق أهالي ايران قاطبة ، وحارسا لأمن رعايانا الصادقين ، لذا في هذا الموقع ، الذي ستجري فيه الاصلاحات اللازمة لدوائر الدولة ، من أجل رفاهية وراحة كافة أهالي ايران ، ومن أجل تثبيت أسس الحكومة ، فاننا قد عزمنا على أن يشكل وينظم مجلس شورى وطني من منتخبين عن الأمراء والقاجاريين والعلماء والأعيان والملاك والتجار والحرفيين ، في دار الخلافة طهران ، بحيث يشارك في المشاورة والدراسة اللازمة في شؤون الحكومة والدولة ، والمصلحة العامة، ويساعد هيئة الوزراء المساعدة الضرورية حول الاصلاحات التي ستعمل لخير وسعادة ايران ، ويعرض على شخص الدولة الأول آراءه ، بكل اطمئنان ، لما فيه خير الأمة والحكومة والصالح العام ، وحسبما تقتضيه متطلبات أهالي ايران كافة ، لتوشح ، من ثم ، بالمصادقة الهمايونية ، وتوضع موضع التنفيذ ، وبديهي أنه بموجب هذا المنشور المبارك ، فان نظام وأسس هذا المجلس ووسائل تشكيله ، سوف ترتب وتهيأ منذ هذا التاريخ ، حسب رأي الاعضاء المنتخبين ، لتقترن بموافقتنا الملكية ، وبعون الله تعالى ، فان مجلس الشورى المذكور ، الذي هو حارس لعدلنا ،

سوف يفتتح ويبدأ بتنفيذ قوانين الشرع المقدس ، ويجري الاصلاحات اللازمة لهذه المملكة .

تقرر أيضا أن تنشر نص هذا المرسوم المبارك ، ليطلع الأهالي كافة ، على حسن نوايانا نحو رقي الأمة والدولة الايرانية ، وليظلوا مرفهي الحال ، وينصرفوا الى الدعاء بدوام هذه الدولة ، وبعدم زوال هذه النعمة » ـ صاحبقرانيه في ١٤ جمادى الثاني ١٣٢٤ هجري (١) .

هذا الفرمان ، حقق مكاسب هامة للمواطنين تمثلت في ما يلي :

١ ـ اعترف لأول مرة بتشكيل مجلس وطني (ملي) منتخب عن كافة طبقات الأمة ، بينما كانت المجالس السابقة ، مجالس شورى حكومية (دولتي) عين أعضاؤها من قبل الشاه .

٢ ـ أوكل وضع نظام المجلس الداخلي وتحديد صلاحياته الى أعضائه ، حيث يقومون بذلك بعد انتخابهم . بينما كانت المجالس السابقة تحدد صلاحياتها وأنظمتها بمنشور يصدره الشاه نفسه .

٣ ـ منح المجلس سلطة اقتراح الاصلاحات التي يراها ضرورية لايران ، بينما كانت المجالس السابقة ذات صلاحيات محدودة ، كما أنها لم تكن تجرؤ على مخالفة الشاه وذوي النفوذ من رجال البلاط .

وهكذا حقق الوطنيون مكاسب كبيرة بصدور الفرمان المشار

---

(١) مذكرات مجلس ملي دورة اول ـ مكتبة المجلس الوطني تحت رقم ٣٤٩١٦ .

اليه ، غير أنه كان لهم بعض المآخذ عليه :

لم يرد في الفرمان ذكر للأمة صراحة ، وانما أشير الى أن المجلس يتكون من منتخبين عن القاجار والعلماء والأعيان والملاك والتجار والحرفيين ٠

كما أنه لم يرد ذكر للدستور ، وانما جاءت اشارة الى اجراء اصلاحات تتطلبها البلاد ، في عبارة غامضة غير محددة ٠

وقد قرىء الفرمان على المعتصمين في المفوضية ، كما طبع وعلق على الجدران في الشوارع ، واعتقد مظفر الدين شاه أن الأزمة انتهت ، وأنه أرضى الوطنيين ، خصوصا وأن رجال البلاط الرجعيين حاولوا جهدهم منع الوصول الى أي اتفاق بين الشاه والثوار ، لأنهم كانوا يعرفون أن ذلك يتم على حساب امتيازاتهم ٠ وقد وجدت الحكومة الايرانية نفسها في موقف حرج ، بعد رفض الوطنيين للفرمان ، وكانت تريد الخلاص من الأزمة بكل وسيلة ، كما أن الشاه كان يتعجل انهاء الوضع المضطرب ٠ يضاف الى ذلك أن الانجليز وضعوا كل ثقلهم السياسي ، لانهاء الحالة وخروج المعتصمين من المفوضية (٢) ، خصوصا وأن الروس أخذوا يضغطون على الشاه سرا للتراجع عن وعوده ، وعمدوا الى تحريك أعوانهم من رجال البلاط لزيادة تفاقم الوضع ، وخشي الانجليز أن يستغل الروس الأحداث لمصلحتهم (٣) ٠ وهكذا اجتمع ممثلون عن الوطنيين مع رئيس الحكومة وبعض الوزراء في منزل رئيس الحكومة في قلهك

---

(٢) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٢١٣/٢٧٨٨١ طهران في ١٥ اغسطس ١٩٠٦ ٠

(٣) ف٠ و٠ ٤١٦/٢٨ من برقية غري الى دف برقم ١١٢/٢٨٠٠٤ الخارجية في ١٦ اغسطس ١٩٠٦ ٠

في مساء السابع من أغسطس ـ آب ـ واتفقوا على صيغة جديدة يصدرها الشاه تحقق مطالب الثوار بشكل أوضح ، وهكذا صدر في الثامن من أغسطس ـ آب ـ مرسوم ملكي جديد عرف باسم « فرمان متمم مشروطيت » وكان نصه ما ترجمته :

« جناب الاشرف الصدر الاعظم :

اكمالا لمنشورنا السابق المؤرخ في ١٤ جمادي الثاني سنة ١٣٢٤ هجري ، الذي كنا قد أمرنا فيه صريحا بتأسيس مجلس عن منتخبي الأمة ، فاننا ـ مجددا ـ ولأجل أن يقف أفراد الأمة على أهدافنا الهمايونية كاملة ، نأمر ونقرر أن يبدأ المجلس المذكور العمل فورا ، حسبما ورد في منشورنا السابق ، وبعد انتخاب أعضاء المجلس ، ترتب أصول نظام مجلس الشورى الاسلامي ، حسب قرار الاعضاء المنتخبين ، بحيث يكون ملائما للأمة وللبلاد ولقوانين الشرع المقدس ، ويشرف بالتوشيح بتوقيعنا الهمايوني ، وطبق النظام المذكور يتحقق هذا الهدف المقدس ويتم تنفيذه (٤) » .

ان المنشور الثاني الذي جاء مكملا للمنشور الاول ، وموضحا له ، قد تميز بالنقاط التالية :

١ ـ ذكر أن المجلس يتكون من « منتخبي الأمة » (ملت) ، بينما في المنشور الاول اعتبرهم ممثلين للطبقات المختلفة فقط ولم يرد ذكر للأمة .

٢ ـ حدد بدء العمل لتشكيل المجلس من تاريخ صدور الفرمان، بينما المنشور الاول ترك أمر تحديد الوقت غامضا ، مما كان يفسح المجال للتسويف والتأخير ، ويعطل قيام

---

(٤) حسن فصيحي شيرازي ـ قانون اساسي وضمائم ومتمم آن ـ ص٩.

المجلس •

٣ ـ سمي المنشور الاول المجلس الجديد بأنه « مجلس شورى وطني » يسير طبقا للشريعة ، بينما دعاه المنشور الثاني « مجلس الشورى الاسلامي » ، وفي الحقيقة أثارت هذه التسمية جدلا شديدا فيما بعد •

كان مجرد صدور فرمان ملكي يشير الى قيام مجلس وطني منتخب من أبناء الأمة ، يشارك في الاشراف على اجراء اصلاحات في كافة الأمور ، في بلد مثل ايران ، كان يعاني ، في ذلك الوقت ، من السلطات غير المحدودة لملوك القاجار ، ومن الامتيازات الضخمة التي كانت تتمتع بها الطبقات الحاكمة على حساب حرمان بقية الشعب وبؤسه ، كان مجرد صدور ذلك الفرمان يعتبر نصرا ثوريا للشعب ، ولذلك اعتبر ذلك الفرمان بداية الحكم الدستوري الجديد في ايران ، كما اعتبر يوم الخامس من أغسطس ـ آب ـ بداية تاريخه •

ان الاصطلاح الذي درج الوطنيون في ايران على المطالبة به، للتعبير عن النظام المخالف للنظام الاستبدادي المطلق هو « مشروطيت » ، وقد تكون مأخوذة من « شرط » العربية ، بمعنى أن تكون الحكومة القائمة مشروطة أي مقيدة بشروط تجاه الشعب • أو أنها قد تكون محرفة عن الكلمة الفرنسية «Charte» بمعنى « الميثاق أو العهد » ، طبقا للنظرة الفرنسية للحكم القائلة بأن الحكومة الشرعية هي التي يقيمها الشعب ، مقابل تعهدها برعاية مصالحه ، ولعلها عرفت في ايران بواسطة الايرانيين الذين أتموا دراستهم في فرنسا ، وتأثروا بالفلسفة والحضارة الفرنسية ، فاشتقوا منها لفظة « المشروطة أو المشروطية »

كتعبير عن النظام الدستوري ، كما أنها قد تكون وصلت الى ايران عن طريق الدولة العثمانية (٥) ، التي كانت أسبق من ايران في ايجاد الاصطلاحات المتعلقة بالادارة ونظام الحكم العصري ، خصوصا وأنها نالت دستورها قبل ايران بثلاثين سنة (سنة ١٨٧٦) .

أما الدستور نفسه فقد سمي بالبداية « نظام نامه أساسي » ثم اصطلح على تسميته « قانون أساسي » ، وهو التعبير نفسه الذي كان سائدا أيضا في الدولة العثمانية (٦) ، أما مجلس النواب فقد عرف منذ البداية باسم مجلس الشورى الوطني (مجلس شوراي ملي) ولا يزال كذلك .

المجلس العالي :

ما ان صدر فرمان الدستور وملحقه حتى انصرف قادة الوطنيين الى العمل ، فالتقى ما يقرب من ألفين من علماء الدين وقادة الثورة الوطنية وزعمائها ، في ١٨ أغسطس ــ آب ــ ١٩٠٦ ، بالاضافة الى رئيس الحكومة والوزراء ، في احدى قاعات قصر كلستان الملكي (٧) ، للبحث في وضع خطة عمل تسير عليها

---

(٥) فريدون آدميت ــ فكر آزادي ومقدمة نهضت مشروطيت ــ ص ٢٣٨ .

(٦) من الطريف انه بينما اصطلحت ايران على استعمال التعبير العربي « قانون اساسي » ، لجأت الدول العربية الى استعمال كلمة « الدستور » الفارسية الاصل بمعنى « القاعدة او التعليمات » .

(٧) كان الصدر الاعظم يرغب بعقد اجتماع المجلس العالي في مدرسة سبهسالار الدينية لاتساعها ، غير ان العلماء رفضوا ذلك ، لان الحكومة اغتصبتها من ورثة سبهسالار ، ولم يقبلوا ان يكون اجتماع اول مجلس قام ضد الظلم في مكان اخذ من أصحابه ظلما ، وسبب اخر هو بعدها

الثورة الوطنية لتحقيق أهدافها بعد ما حل بينها وبين السلطة القاجارية الوئام والسلام · وقد أطلق المجتمعون على أنفسهم اسم « مجلس عالي » ، وكانوا بحق مجلسا أعلى للثورة ، حيث ان الاعضاء اجتمعوا دون قرار من أية هيئة باجتماعهم ، سوى ارادتهم في ذلك ، ولم يحدد أحد صفة الاعضاء الواجب اشتراكهم ، سوى شعور كل من كان له نصيب في قيادة الثورة وتوجيهها ، بحقه بالاجتماع ، وأما اشتراك رئيس الحكومة وأعضائهـا في الاجتماع ، فكان لأجل أن تظل على صلة بما سيتخذ من قرارات حيث أنها كانت مسؤولة عن وضع الترتيبات اللازمـة لاجراء الانتخابات وقيام المجلس الوطني ، وتعبيرا عن الوحـدة التي أصبحت تضم السلطة والشعب معا ·

· افتتح الجلسة الواعظ الشيخ مهدي (٨) ، وألقى رئيس الحكومة كلمة طلب فيها تعاون الجميع للوصول لأهداف الشعب العامة ، وبيّن أن الفرض من الاجتماع وضع الترتيبات اللازمة لقيام المجلس الوطني (٩) · كما تحدث سيد عبد الله بهبهاني باسم العلماء ، ورجا للمجلس التوفيق في مهمته ، وتكلم بمده الحاج ميرزا نصر الله ملك المتكلمين ، الذي شكر للشاه استجابته لمطالب الشعب ، وللحكومة تعاونها في هذا السبيل (١٠) ·

عن وسط المدينة . وكان قد بناها ميرزا حسين خان سبهسالار سنة ١٨٧٧ على غرار مسجد آيا صوفيا في استانبول ، وقد اوقفها في حياته على الاعمال الخيرية ، وجعل الشاه وصيا على الوقف ، ولذلك عنـد وفاته استولى ناصر الدين شاه عليها وحرم الورثة منها .

(٨) ف. و. ٢٩/٤١٦ من رسالة دف الى غري برقم ٣٢٩٩٥/٢٢٦ قلهك في ١١ سبتمبر ١٩٠٦ .

(٩) أحمد كسروي تبريزي ـــ تاريخ مشروطة ايران ـــ ج١ ـــ ص ١٢٢ .

(١٠) يحيى دولت ابادي ـــ حيات يحيى ـــ ج٢ ـــ ص ٨٢ . ويورد ايضا

رفعت الجلسة على أن تُعقد جلستان في الاسبوع ، حتى تنتهي مهمة الاعضاء في تنظيم قانون الانتخابات تمهيدا لاجرائها، وافتتاح أول مجلس وطني في البلاد • ولأجل صياغة قانون الانتخابات ، شكل المجلس لجنة من خمسة أعضاء •

ظلت اللجنة تعمل دون كلل ، حتى استطاعت أن تنجز قانونا للانتخابات قدمته للشاه للتوقيع عليه ، ولكن العناصر الرجعية ، التي أخذت تترصد تحرك الوطنيين وتحاول ايقافه ، حاولت منع التوقيع أو تأخيره قدر الامكان ، غير أن جماهير الشعب التي كانت تراقب تطورات الموقف بدقة ، أسرعت لحماية مكاسبها ، فأغلقت الأسواق وتجمهرت في الشوارع ، وزاد من خوف الناس عودة عين الدولة الى قصره الريفي القريب من طهران ، واعتصم خمسة وعشرون من قادة الحركة الوطنية بالمفوضية البريطانية في طهران ، وأعلنوا تمسكهم بالمطلبين التاليين حتى يرجع الهدوء والاستقرار للجماهير :

١ ـ نفي الوزير الأعظم السابق ووزير البلاط وبعض رؤوس الرجعية بالقصر •

٢ ـ سرعة توقيع الشاه على قانون الانتخابات ، ليبدأ العمل الفوري لتشكيل المجلس الوطني (١١) •

ملاحظة طريفة وهي ان الحاضرين كانوا يصفقون للخطباء قبل وبعد انتهاء كلماتهم ، وكان ذلك يحدث لاول مرة في تاريخ الاجتماعات العامة في ايران ، وكان ذلك ايضا مظهرا من مظاهر التغيير الجديد الذي أصاب الشعب الايراني ، وقد عارضه العلماء في البداية ، باعتباره تقليدا لا مبرر له .

(١١) ف. و. ٤١٦/٢٨ من برقية دف الى غري برقم ٣٠٣٦٩/٢٤٥ طهران في ٧ سبتمبر ١٩٠٦ .

ازداد استياء الناس في طهران ، وعم الاستياء سائر أنحاء ايران ، وأخذ السكان يلتجئون الى القنصليات البريطانية الموجودة في المدن الايرانية المختلفة ، ففي تبريز التجأ للقنصلية البريطانية فيها عشرون من قادة الوطنيين ، بينما لجأ الى القنصلية في رشت مئتان من السكان (١٢) ، وفي طهران أصر المعتصمون على البقاء، بينما في تبريز هدد الجنود بالانضمام للشعب (١٣)٠ وأخيرا رضخت الحكومة من جديد ، فأمرت الصدر الاعظم السابق بالابتعاد عن طهران ، فاتجه نحو خراسان ، ووقع الشاه على قانون الانتخابات ، وغادر المعتصمون الأماكن التي لجأوا اليها ٠

قانون الانتخابات :

على الرغم من أن كافة طبقات الشعب المحرومة ، وحدت جهودها في صراعها مع السلطات الحاكمة ، واشتركت معا في صنع الثورة الوطنية ، الا أنه ما كاد الصدام ينتهي مع السلطة ، حتى أخذت كل طبقة تسعى للافادة من انتصار الثورة بتحقيق أكبر ما تستطيع من مكاسب لأفراد طبقتها ، وتعمل على أن يكون لها النفوذ الاقوى في المجلس الوطني الجديد ، لتضمن توجيه القوانين التي تحقق لها الازدهار والتقدم ، وتعوضها عما عانته من حرمان واضطهاد في الفترة السابقة ٠ كما عمدت

---

(١٢) ف. و. ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٣١٠٩٨/٢٤٤ طهران في ١٣ سبتمبر ١٩٠٦ .
(١٣) ف.و. ٢٨/٤١٦ من برقية دف الى غري برقم ٣٢٠٢٨/٢٥٣ طهران في ٢٢ سبتمبر ١٩٠٦ .

كل طبقة الى تضمين قانون الانتخاب ، وبنود الدستور والقوانين الأخرى فيما بعد ، نصوصا تحميها من الوقوع ثانية فريسة للظلم والاضطهاد . أما الطبقة الممتازة فقد كان جهدها منصبا على حفظ امتيازاتها القائمة .

جعل قانون الانتخابات سن المقترعين لا تقل عن خمس وعشرين سنة ، وسن النواب لا تنقص عن الثلاثين ولا تتجاوز السبعين عاما . وفرض على المقترع والنائب أن يكونا ايرانيين، ومعروفين في منطقتهما .

كما اشترط على النواب ـ بالاضافة لذلك ـ أن يحسنوا التكلم بالفارسية ، وأن يعرفوا القراءة والكتابة بها ، وألا يكونوا داخلين في خدمة الحكومة ، وأن يكون لهم مقدرة وبصيرة في شؤون الدولة .

وحرم من حق الاقتراع والترشيح :

النساء ، والمفلسين عمدا ، والذين أقيم عليهم الحد الشرعي بسبب ارتكابهم أعمالا تستوجب ذلك (أصحاب السوابق) ، والذين تقل أعمارهم عن الحد المقرر في الحالتين ، والذين عُرف عنهم فساد عقيدتهم الدينية ، والعسكريين العاملين بالخدمة الفعلية برا وبحرا . كما حرم من حق الاقتراع وحده : الحكام والعاملين معهم من الموظفين ورجال الشرطة والتحري (المباحث) في مراكز أعمالهم .

وحدد النواب بأنهم الذين يمثلون الطبقات الست التالية : الأمراء والقاجاريين ، العلماء والطلاب ، الأعيان والاشراف ، التجار والملاك ، الفلاحين والحرفيين ، كما جعل عشائر كل منطقة تابعة لتلك المنطقة .

وعرف القانون المذكور الملاك بأنه صاحب الملك ، والفلاح بأنه المزارع ٠

ووضع شروطا لانتخاب الملاك والفلاحين بأن لا تقل قيمة أملاكهم عن ألف تومان (حوالي مئتي جنيه استرليني) ، أما التجار فاشترط أن يكون لهم تجارة معينة ، وأن يكون لهم محلهم الخاص بهم ، أما الحرفيون فقد اشترط أن يكون لهم حرفة معينة يعملون بها في محل خاص بهم ، لا تقل أجرته عن متوسط أجرة المحلات في منطقته ٠

كما جعل القانون لكل ناخب صوتا واحدا ، ومنعه من أن يصوت لأكثر من طبقة واحدة ، على أنه أجاز له أن ينتخب نوابا ليسوا من طبقته ٠

يتضح من العرض السابق مدى تأثير رجال الدين والتجار في صياغة مواد قانون الانتخابات المذكور ، حيث جعلت سلامة العقيدة الدينية وعدم اقامة الحدود الشرعية شرطا للاقتراع والانتخاب معا ، كما ظهر أثر التجار في قصر حق الانتخاب على من تزيد قيمة أملاكهم عن ألف تومان ، أو أن يكون لهم غرفة تجارة معترف بها وتجارة معينة يزاولونها ٠

من حيث طريقة الانتخاب ، فقد جعلت في طهران درجة واحدة ، يتم الاقتراع بها مرة واحدة ، أما في المناطق الأخرى فقد جعلت على درجتين ، بحيث تقوم كل طبقة ، في كل مدينة من مدن الايالة ، بانتخاب نوابها على حدة ، على أن يكونوا قاطنين في تلك المنطقة (١٤) ، ثم يرسل جميع المنتخبين الى

(١٤) لم يراع هذا الشرط في الانتخابات الاولى التي جرت في ايران ، حيث عمدت بعض الولايات الى انتخاب نواب لها من ابنائها المقيمين في طهران ٠

مركز الايالة ، حيث يتم انتخاب العدد المقرر من النواب من بينهم ، والذي يتراوح بين ستة الى اثني عشر نائبا لكل ايالة ، ويلاحظ أن الانتخاب يتم في المرحلة الأولى على أساس طبقي ، ولكن في المرحلة الثانية يتم حسب أكثرية الأصوات ، ومن هنا جاءت قوة نواب الولايات عندما حضروا الى طهران ، حيث كان انتخابهم أكثر ديموقراطية من انتخاب نواب طهران الذي كان مقيدا بالعدد المعين لكل طبقة ٠

وضعت الانتخابات تحت اشراف لجان تشكل من طبقات الشعب الست ، ويرأسها في الولايات الحاكم أو نائبه ، وفي المدينة أو البلدة حاكمها الاداري ، وبهذا كان للشعب رقابة تامة على الانتخابات ، بحيث ضمن اجراءها بنزاهة ، وأتيح للجميع حق الشكوى والطعن بالانتخابات الى اللجنة المحلية ، ويمكن للشاكي، اذا اعتقد أنه لم ينصف ، رفع شكواه الى لجنة الولاية ، ومن ثم الى المجلس الوطني نفسه اذا كان في ذلك ضرورة ٠ وكان هذا أيضا حق آخر أعطي للناخبين لضمان اجراء الانتخابات بحرية وتجرد ٠

ـ تضمن القانون أيضا الاعلان عن موعد الانتخاب قبل شهر على الأقل من اجرائه ، وأن يتم الاعلان عن ذلك بكافة وسائل الاعلام المتوفرة ٠

ـ منح القانون النواب حصانة كاملة فيما يقولونه أو يفعلونه ضمن واجباتهم كنواب ، ومنع القبض عليهم ، الا باذن المجلس ، الا في حالة مخالفة النائب لمصلحة البلاد العامة ، أو قيامه بما يخالف الشرع ، حيث يتم القبض عليه دون حاجة الى اذن المجلس ٠

ـ عيّن القانون عدد نواب طهران بستين نائبا ، وباقي الولايات بستة وتسعين نائبا ،ورغم أن عدد سكان طهران لا يجعل لها تلك النسبة الكبيرة من النواب ، والتي تزيد عن ثلث أعضاء المجلس جميعا ، غير أن هذه النسبة الكبيرة كانت ضرورية لضمان سير عمل المجلس الوطني ، وبالتالي حماية الثورة من الانتكاس ، وللوقوف أمام الطبقات الرجعية التي كانت تحاول وقف تقدمها وعرقلته ٠

فقد كان متوقعا أن يطول انتخاب نواب الولايات ، حيث كان الحكام يمارسون فيها أقسى أنواع الظلم والتحكم ، واذا كان الشعب في طهران قد ضغط على الشاه حتى حصل على مطالبه ، فان مثل هذا الضغط لم يحصل في الولايات الأخرى ، يضاف الى ذلك أن الوعي الوطني الذي كان موجودا في طهران ، لم يكن موجودا بالنسبة نفسها لدى سكان الولايات الأخرى ، كل ذلك كان يؤخر عملية الانتخاب ويعرقلها ، وحتى بعد انتهاء الانتخابات فان صعوبة المواصلات وانقطاع حبل الأمن على الطرق ، كانت تحول دون وصول نواب الولايات المختلفة بسرعة الى طهران ، مما كان يتيح المجال للقوى الرجعية للاستفادة من الفراغ الحاصل وضرب المجلس الوطني وهو لا زال وليدا ، لم يكتمل نموه بعد ، كما أن الوطنيين كانوا في حماس شديد لبدء العمل وانجاز الاصلاحات اللازمة ، وكان انتظار اكتمال حضور نواب الولايات يضيع وقتا ثمينا ، قد يطول أشهرا ، بينما الشعب بحاجة الى كل دقيقة لاجراء الاصلاحات التي يحتاجها ، ليعوض فترة الحرمان الطويلة التي عاشها في الماضي ٠ ومن أجل تحقيق ذلك ، فقد تقرر في القانون أن يبدأ المجلس الوطني

العمل حالما يتم انتخاب نواب طهران ، ويكون كل ما يصدر عن المجلس من قرارات قانونيا • ومما لا شك فيه أن تضمين قانون الانتخابات هذه المواد السالفة الذكر ، قد دل على ذكاء قـادة الثورة وعلى عدم ثقتهم بالطبقة الحاكمة •

ومن أجل ضمان سير عمل المجلس ـ دون انتظار حضور نواب الولايات ـ فقد تضمن القانون مادة تتشكل بموجبها هيئة ادارة المجلس (المؤلفة من رئيس ونائبين له وبعض أمناء السر) بالانتخاب من بين نواب طهران •

الانتخابات في طهران :

تنفيذا للقانون تألفت لجنة للاشراف على اجراء الانتخابات في طهران برئاسة مهدي قلي خان مخبر السلطنة ، وقام بالاشراف على الانتخابات في الولايات اللجان التي شكلت لذلك •

حاول أمراء القاجار عدم تسمية مرشحيهم للانتخابات ، في محاولة منهم لعرقلة سيرها ، غير أن الشاه جمعهم في قصره ، وطلب منهم الانضمام لبقية الطبقات والاشتراك في الانتخابات ، وعدم معارضة قيام المجلس « لأنه مجلسنا ، ورياسته لنا ، وان من يقف ضده يقف ضدنا (١٥) » ، وتراجع الأمراء أمام ضغط الشاه واشتركوا في الانتخابات •

---

(١٥) حبل المتين ـ العدد ١٥ ـ السنة ١٤ في ١٢ نوفمبر ١٩٠٦ . يتضح من كلام مظفر الدين شاه ، انه لا يدرك بعد ابعاد القوة الجديدة التي ابرزت المجلس الجديد ، وظن انه كالمجالس السابقة يكون هو رئيسا له في خلط غريب بين القوتين التنفيذية والتشريعية .

طريقة الاقتراع :

أقيم مركز اقتراع واحد في طهران هو القاعة العسكرية (أطاق نظام) في قصر كلستان ، ولم يكن الازدحام شديدا ، حيث ان عدد المقترعين الذين تنطبق عليهم شروط الاقتراع في طهران ، كان لا يتجاوز بضع مئات (١٦) ·

كان أحد أعضاء اللجنة يقرأ اسم المقترع من قائمة موجودة لديه ، ويسلمه ورقة بيضاء ، يدون عليها أسماء النواب الذين انتخبهم ويسلمها مطوية الى أحد أعضاء اللجنة الذي يضعها ، أمام الحاضرين ، في الصندوق المخصص لذلك ·

انتهت عملية الاقتراع دون حدوث أية مشاكل ، وجرى فرز الأصوات فورا ، ولما كان قانون الانتخاب قد أهمل ذكر المذهب الديني الذي ينتمي اليه النواب ، حيث أن الانتخاب تم على أساس طبقي ، فان جميع النواب كانوا من المسلمين ، وطالبت الأقليات المذهبية الاخرى (كالنصارى واليهود والزردشتيين) بأن يكون لها ممثلون في المجلس الجديد ، ومع ميل بعض قادة الثورة الوطنية الى قبول هذا الرأي ، غير ان العلماء رفضوا قبوله ، وخوفا من حصول شقاق بين قادة الثورة الوطنية ، وهي ما زالت في بداية طريقها ، فقد تم التراضي ، بالاتفاق مع زعماء الطوائف المذكورة ، على أن يدخل المجلس أيضا سيد عبد الله بهبهاني بمثابة نائب عن اليهود ، وسيد محمد طباطبائي بمثابة نائب عن المسيحيين ، وكان هذا الاجراء فريدا من نوعه

---

(١٦) ف.ف. و. ٢٩/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٣٦٢٦٠/٢٦١ طهران في ٧ اكتوبر ١٩٠٦ ·

في تاريخ الحركات الدستورية · أما الزردشتيون فقد أصروا على أن يمثلهم نائب منهم باعتبارهم أهل البلاد الأصليين ، وفعلا مثلهم نائب واحد هو أرباب جمشيد (١٧) · وهكذا أصبح لطهران فعليا أكثر من ستين نائبا ·

أما في الولايات فان الانتخاب لم يتم بسهولة ، حيث عمل أغلب حكام الولايات على عرقلة عملية الانتخاب ، وقام الوطنيون في رشت ومشهد وتبريز بالتظاهر والاضراب طلبا لاجراء الانتخابات ، ومما ساعد على تأخير الانتخابات ، أن سكان هذه المناطق لم يكن لديهم الوعي الكافي مثل سكان طهران ، ففي زنجان مثلا ، حينما طلب من السكان انتخاب نائبين يمثلونهم ، رفضوا بدعوى أنه لا يوجد بينهم وبين الحكومة منازعات ، وبالتالي فهم ليسوا بحاجة الى ارسال أحد منهم ليتصل بالحكومة في طهران ، غير أن بعض الوطنيين الواعين أقنعوهم بأن ارسال نواب عنهم هي الطريقة المثلى لتجنب حدوث مشاكل مع الحكومة، ولايضاح رأيهم لديها في حالة وقوعها (١٨) ·

وفي أصفهان أيضا ، أبدى النائب الذي انتخبه التجار رغبته بالبقاء فيها وعدم السفر الى طهران (١٩) ·

وقد تأخر وصول نواب بعض الولايات الى طهران ــ كما حسب الوطنيون ــ الى ما بعد قيام المجلس بأربعة أشهر ، فقد اكتمل وصول نواب آذربايجان الى طهران في أوائل شهر فبراير ــ شباط ــ من عام ١٩٠٧ ·

---

(١٧) محمد اسماعيل رضواني ــ تاريخ انقلاب مشروطيت ــ ص ١٢٦ ·
(١٨) يادكار ــ العدد ٥ ــ ص ٣٤ ــ يناير وفبراير ١٩٤٧ ·
(١٩) ف· و· ٤١٦/٣٣ من رسالة رايس الى غري برقم /٢٢١٣ طهران في ٤ يناير ١٩٠٧ ·

افتتاح المجلس الوطني :

بعد اكتمال انتخاب نواب طهران ، شرع المجلس في العمل فورا ، طبقا للقانون ودون انتظار حضور نواب الولايات . وأرسل رئيس الوزراء (مشير الدولة) دعوة لحضور حفلة الافتتاح الرسمي . وفي عصر يوم ٧ اكتوبر ـ تشرين أول ـ ١٩٠٦ جرى الاحتفال بافتتاح المجلس في قاعة « برليان » بقصر كلستان ، بحضور أعضاء السلك السياسي ، ورجالات الدولة ، وأمراء الأسرة القاجارية ، وعلماء الدين ، وزعماء الثورة الوطنية ، وامتلأت ساحات القصر والشوارع المحيطة به بالآلاف من أبناء الشعب ، التي حضرت لترى افتتاح أول مجلس يمثلها . عزفت الموسيقى وأطلقت بالميدان المقابل مئة وعشر طلقات (٢٠) وأحضر الشاه المريض محمولا على كرسي ،وافتتح الجلسة بصوت خافت قائلا : « منذ سنوات ، وأنا أرجو يوما كهذا ، والحمد لله أن تحقق حلمي القديم » ، وألقى عضد المُلك كبير الأسرة القاجارية ، خطبة الافتتاح باسم الشاه ، التي أعلن فيها أمله بأن يكون المجلس جسرا يوطد العلاقة بين الشعب والحكم ، وذكر النواب أنهم انتخبوا لخصائلهم ومزاياهم ورغبتهم في خدمة الشعب والوطن ، وان ما كانوا يقومون به في السابق من أعمال كان خيره وشره عائدا عليهم شخصيا ، ولكن نتيجة عملهم الآن تؤثر على العديد من الناس الذين انتخبوهم ووضعوا ثقتهم فيهم .

انطلقت الهتافات في المجلس بحياة الشاه والوطن ، وغادر

---

(٢٠) احمد كسروي تبريزي ـ تاريخ مشروطة ايران ـ ج١ ـ ص ١٧٠ .

الشاه القاعة وبقية الضيوف والزوار ، وفي الخارج انطلقت الجموع المحتشدة تنشد الأغاني الوطنية ، وأخذ الناس يقبل بعضهم بعضا فرحين مسرورين ، وزينت طهران أسواقها وبيوتها ٠

استمر المجلس في عقد جلسته الأولى ، فتليت أسماء النواب ، وجرى انتخاب هيئة مكتب المجلس ففاز « صنيع الدولة » بالرئاسة ٠

قرر صنيع الدولة عقد الجلسة التالية في ١٣ اكتوبر ــ تشرين الأول ــ ١٩٠٦ في عمارة بهارستان القريبة من كلستان (٢١) ، واحتفل النواب بوضع جملة « عدل مظفر » على باب قاعة المجلس ، وكانت اشادة بمظفر الدين شاه الذي تحقق العدل في عهده ، واشارة لتاريخ افتتاح المجلس في سنة ١٣٢٤ هجرية (٢٢) ٠

طريقة عقد الجلسات :

كان المجلس الوطني الجديد ، أول مجلس نيابي في ايران ، لذلك لم يكن هناك تقاليد سابقة يجري عليها في ادارة أموره ، فكانت كل خطوة له محل اجتهاد ونقاش ، وعرضة للخطأ والصواب ٠ غير أن جرأة أعضائه وحماسهم الشديد للعمل على اصلاح الأمور في بلادهم ، وتحسسهم مشاكل مجتمعهم ، منحتهم قوة كبيرة مكنتهم من مجابهة التحديات الخطيرة التي واجهتهم

---

(٢١) مذاكرات مجلس دورة اول ــ مكتبة المجلس الوطني برقم ٣٤٩٦٦ ٠
(٢٢) محضر تاريخ مجلس ــ انتشارات كاوه ــ ص ٩ ٠

والتغلب عليها .

كان المجلس الوطني ، بطبيعة أعضائه وأسلوب عمله ، مجلسا ديموقراطيا تماما ، ينطلق في معالجة الأمور في بساطة متناهية ، متحللة من قيود الروتين وتعقيدات المجالس النيابية الأخرى ، فقد كان أعضاؤه يجلسون على الحُصُر (٢٣) على شكل دائرة ، وكان يجلس على رأس هذه الدائرة رئيس المجلس، وكان أمامه طاولة صغيرة ، قليلة الارتفاع ، عليها منفضة تبغ نحاسية ، وكان اذا أراد لفت الانتباه أو فرض الهدوء ، ضرب طرف غليونه الخشبي بالمنفضة النحاسية ، حيث لم يكن يوجد لديه جرس أو مطرقة يستعملها (٢٤) .

في جلسات المجلس الأولى ، لم يكن قد تم وضع النظام الداخلي للمجلس ، ولذلك كان كل شيء فيه يجري تلقائيا وعفو الخاطر، وكانت مهمة رئيس المجلس حفظ النظام ، وترتيب القاء النواب لكلماتهم ، فقد كان النائب يطرح أي موضوع يخطر بباله ويعتقد أن فيه فائدة للبلاد ، على مائدة البحث ، وقبل أن ينتهي النقاش في الموضوع المطروح ، كان يمكن لنائب آخر ، أن يطرح موضوعا جديدا للنقاش ، حيث لم يكن يوجد جدول أعمال محدد . كما أن المتفرجين من أبناء الشعب الحاضرين ، كان بامكانهم الاشتراك في المناقشات ، بل ومقاطعة النواب والرد عليهم ، وهكذا كان هذا المجلس ، بحق ، مجلسا للشورى من الطراز الاول ، تتصارع فيه الآراء وتتقارع الحجج بعفوية واخلاص ، ولعل أروع ما فيه تلك الرقابة التي أحاط بها

---

(٢٣) وضعت المقاعد في دورة المجلس الثانية (سنة ١٩٠٩) .
(٢٤) تهران مصّور ــ العدد ١٢٤٦ ــ اغسطس ١٩٦٧ .

الشعب المجلس منذ يومه الاول ، فقد كان أبناء الشعب يلومون علنا النواب المتأخرين عن حضور الجلسات في مواعيدها ، بل وكانوا يستجوبون النواب عن أسباب غيابهم عن جلسات المجلس، كما كانوا يطلبون اليهم دوما معالجة الأمور التي تهم الشعب بشكل ملح ، فعلى الرغم من أن هذه الحرية ، كانت تعطي المجلس طابعا فريدا من نوعه ، الا أنه كان من الضروري وضع نظام يضبط سير الأمور فيه ليقوم بأداء واجبه بيسر وسهولة ٠ وهكذا تم في ١٨ أكتوبر ــ تشرين الاول ــ ١٩٠٦ وضع النظام الداخلي ، الذي نظم أعمال المجلس الى حد كبير ، وقد رتب هذا النظام طريقة النقاش في المجلس وذلك بأن يطلب النائب من رئيس المجلس الاذن له بافتتاح النقاش حول موضوع معين ، وعند سماح الرئيس بذلك ، يتحدث ذلك النائب ، ويفسح المجال للنواب الآخرين للاشتراك في النقاش ، على أن يكون ذلك ضمن ترتيب خاص بحيث لا يقاطع نائب نائبا آخر ، ولا يبدأ النائب الحديث الا بعد أن يأذن الرئيس له ٠ وبعد انتهاء النقاش حول موضوع ما ، يعلن الرئيس ذلك ، ويطرح الموضوع للتصويت ، فاما أن ينال الموافقة أو يسقط ٠

وكانت أهم القيود التي أوجب النظام الداخلي مراعاتها حفظا لحرمة المجلس ونظامه :

١ ــ منع تناول الطعام أو التدخين خلال جلسات المجلس ٠

٢ ــ وجوب اصغاء النواب التام خلال تحدث أحدهم ٠

٣ ــ كان التشديد على حفظ الهدوء كبيرا ، بحيث كان يحق لرئيس المجلس لوم النائب الذي يتحدث ، ولو همسا ، مع نائب آخر ، خلال خطبة نائب ثالث ، وكان اذا تكرر

ذلك الهمس من النائب أو أي أمر آخر يشعر الرئيس انه يسبب اخلالا بالنظام ، كان يأمره بمغادرة المجلس لمدة نصف ساعة ، ولا شك أن هذه القيود خففت من الفوضى التي رافقت بداية أعمال المجلس •

لم يهمل المجلس شكاوى أبناء الشعب ، فطلب من كل من يشعر أن ظلما قد لحقه ، أن يتقدم بذلك الى المجلس ليعالج شكواه ، ويصدر القرار المناسب بشأنها •

رتب النظام الداخلي طريقة جلوس المتفرجين ، بحيث يُترك مكان يتسع لجلوس كافة النواب ، ومنع المتفرجين من احتلال مقاعد النواب الغائبين ، كما كان يحدث في السابق ، ولكثرة الراغبين بحضور جلسات المجلس ، فقد تقرر أن يتم ذلك بواسطة بطاقات خاصة يحصل عليها الزائر من مكتب المجلس •

نظمت طريقة التصويت ، بأن يعطى لكل نائب ورقتان احداهما بيضاء والأخرى زرقاء ، وعلى الورقتين اسم النائب ، والبيضاء علامة الموافقة والزرقاء للمخالفة ، وعند بدء التصويت على أحد المواضيع ، يمر أحد أمناء سر المجلس على النواب بصندوق يحمله ، فيضع النائب الورقة التي تتفق ورأيه ، في الصندوق ، ثم يجرى فرز الأوراق واعلان النتيجة •

وكان يحق لرئيس المجلس أو لعشرة نواب على الاقل أو لأحد الوزراء جعل الجلسة سرية • ولما لم يكن يوجد نص حول اخراج المتفرجين ، فقد كان النواب عند تحويل الجلسة سرية يخرجون الى قاعة أخرى يعقدون فيها جلستهم السرية ، وبعد انتهائها يرجعون للقاعة الأولى ، وظلوا يفعلون ذلك طيلة الدورة الأولى للمجلس •

كان النواب يتحدثون من أماكنهم وهم جلوس ، وبعد عدة اقتراحات حول طريقة الخطابة في المجلس ، وضعت بعد أربعة أشهر من افتتاح المجلس سجادة صغيرة في مكان ظاهر من قاعة الاجتماع ، وصار الخطباء يقفون عليها ويلقون كلماتهم ، وبعد الانتهاء منها يعودون لأماكنهم • وكانت هذه السجادة منبرا متواضعا ، يكمل مظاهر البساطة التي كانت تميز المجلس الوطني الأول •

كان حماس الشعب الايراني لقيام المجلس الوطني شديدا ، معتقدا أن خلاصه من كافة مشاكله وهمومه منوط بهذا المجلس ، وأن بيده الحل السحري الذي ينهي كل ما يشكو منه الشعب ، من بؤس وظلم وشقاء ، زرعه في أرجائه العهد الاستبدادي السابق • بل بلغ الأمر حدا أن اعتقد عنده كل من كان له مشكلة في ايران ، ان عند المجلس حلها ، وانهالت الشكاوى على ادارة المجلس بشكل اضطرها الى اصدار بيان تعلم الشعب فيه أن يلجأ الى الجهات المختصة لمعالجة شكواه أولا ، وفي حالة عدم انصافه يلجأ للمجلس ، وذلك حتى لا يعيق النواب عن معالجة مشاكل البلاد العامة (٢٥) • وكان من مظاهر ايمان الشعب بمجلسه أن أخذ معلمو المدارس (وكانت كلها ابتدائية) يحضرون تلاميذهم الى قاعة المجلس ليرى النواب مدى ما حصلوه من علم ومعرفة ، وكانوا يجرون لهم أمامهم امتحانا سريعا ، كان النواب يشاركون فيه أيضا بالأسئلة والتوجيه ، ويبدون

---

(٢٥) تمدن — العدد ٤٠ — السنة الاولى — ص ٤ — في ١٣ رمضان ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧) •

المقترحات المناسبة وقد حدث ذلك أكثر من مرة في دورة المجلس الأولى (٢٦) .

انجازات المجلس الاصلاحية :

كان لدى النواب رغبة صادقة وأكيدة بالعمل على تنظيم أوضاع البلاد ودفعها للتقدم والازدهار ، وبلغ من قوة هذه الروح الوطنية حدا جعل بعض الكتاب الأجانب يمدحونها ، بل ان بعضهم ذكر أنه لم يشاهد لدى نواب أي مجلس أوروبي أو أميركي مثيلا لها (٢٧) .

بدأ المجلس عمله بمحاولة اعادة الحريات للشعب ، وأخذت تظهر بين أعضائه ميول قوية نحو التخلص من النفوذ الاجنبي الذي يحد من حرية الشعب ويهدد استقلال البلاد ، مثل وجود خبراء الجمارك البلجيكيين ، والضباط الروس في فرقة القوزاق، وغير ذلك ، وكان لهذه الاتجاهات أكبر الأثر في توحيد جهود انجلترا وروسيا من أجل محاصرة المجلس والتضييق على أعضائه ، خصوصا وان أول أعماله كانت رفض الموافقة على القرض الروسي المشترك المقدم للحكومة الايرانية والبالغ أربعمائة ألف جنيه استرليني (٢٨) . وأصدر المجلس قوانين يطرد بها الحكام والموظفين الكبار الذين اضطهدوا الشعب وفرض على الحكومة تنفيذ ذلك ، رغم أن قسما منهم كانوا من

---

(٢٦) حبل المتين ــ العدد ٤٧ ــ السنة ١٤ ــ في ١٨ فبراير ١٩٠٧ .
(27) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 236.
(٢٨) فـ. و. ٣١/٤١٦ من تقرير عام من رايس الى غري ملحق بالرسالة رقم ٥٢٧٠/١٨ طهران في ٢٩ يناير ١٩٠٧ .

أمراء الأسرة القاجارية ·

نظم المجلس التشكيلات الادارية في ايران ، فقسم البلاد الى أربع ايالات كبيرة هي :

آذربايجان ــ خراسان ــ فارس ــ كرمان وبلوجستان · بالاضافة الى عدد من الولايات وجعل لكل ايالة أو ولاية مجلسا (جمعية ــ انجمن) سميت مجلس الولاية أو الايالة ، مهمته ادارة الايالة (أو الولاية) في كافة شؤونها الاقتصادية والثقافية والزراعية والصحية وغير ذلك · وكان أعضاء مجلس الايالة يتألفون من ١٢ عضوا ، وكانت أهمية هذا الاصلاح راجعة الى أن ادارة أمور المقاطعات والايالات المختلفة أصبحت تحت اشراف مجلس شعبي ، وسلبت الحكام كثيرا من سلطاتهم الواسعة التي كانت السبب في الماضي في اضطهاد الناس والاعتداء على حقوقهم ·

وضع المجلس أيضا قانونا لتنظيم الوظائف وآخر لمنع الرشوة تحت طائلة العقاب ، وأولي الأمور المالية اهتماما خاصا حيث كانت المشاكل المالية احدى أمراض ايران المزمنة ، فشكل المجلس لجنة من ستة أعضاء ، أخذت تدرس أوضاع البلاد المالية مدة ثمانية أشهر راجعت خلالها أربعة وثلاثين سجلا تحتوي على مئتي ألف اسم من أرباب المعاشات والمخصصات والرواتب (٢٩)، فوجدت عجزا مقداره ثلاثة ملايين تومان (٣٠) (كانت النفقات ١٠½ مليون تومان والواردات ٧½ مليون

---

(٢٩) مختصر تاريخ مجلس ــ انتشارات كاوه ــ ص ١٠ ·
(٣٠) حوالي ٦٠٠ الف جنيه استرليني · انظر
Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 240.

تومان) • ولمعالجة العجز أنقصت رواتب كبار رجال القصر والأمراء وجعلتها متساوية لكل أمير قاجاري بحدود ١٢ ألف تومان سنويا (كان بعضهم يتقاضى ١١٥ ألف تومان سنويا دون أن يقوم مقابله بأي عمل) • واستطاعت بذلك توفير مبلغ مليون تومان •

وألغى المجلس أيضا نظام التسعيرات ونظام الالتزام بالضرائب ، وحول بذلك الاموال الطائلة التي كانت تصب في جيوب الحكام الى خزائن الدولة الخاوية •

وخلال هذه الفترة أتم المجلس أعظم انجازاته « الدستور الايراني » ، الذي كان حجر الأساس في تثبيت الثورة الوطنية ، وفي ضمان التقدم والاستقرار للمجتمع الايراني •

الدستور الايراني :

كانت مهمة المجلس صعبة وشاقة ، خصوصا وأنه كان يقوم بدور مجلس تأسيسي وتشريعي معا ، وكان على أعضائه العمل على انجاز أمرين خطيرين بالسرعة اللازمة :

الأول صياغة الدستور لنقل تطلعات الشعب الى نصوص واقعة محددة ، والثاني تشريع القوانين التي تنظم مختلف جوانب الحياة في المجتمع الايراني •

استأثر تدوين الدستور وسرعة انجازه باهتمام المجلس الوطني وقادة الثورة •

يضاف الى ذلك عامل هام أدخله الوطنيون بحسابهم ، وهو تحقيق أكثر ما يستطيعون من مكاسب جديدة للثورة ، قبل وفاة

مظفر الدين شاه ، الذي كان على فراش المرض ، خصوصا وأنه كان بشخصيته المسالمة ، وبعزوفه عن التكالب على الحكم ، لا يعرقل أعمال الوطنيين ، الذين كانوا يريدون أن يجيء الملك الجديد ، وقد تقيدت سلطاته بالدستور ، فلا يستطيع التحكم بالشعب ، خصوصا وأن الشاه المنتظر (محمد علي ميرزا) كان يمارس ، خلال وجوده في تبريز وليا للعهد ، أبشع أنواع الاستغلال والاستبداد ، من قتل الأبرياء ، ومصادرة الاموال ، واحتكار المواد الغذائية ، والقسوة في العقاب لأتفه الاسباب ، مما عاني منه سكان تبريز كثيرا .

لجنة صياغة الدستور :

كان مشير الدولة الصدر الاعظم قد تعهد للمجلس بتقديم مشروع دستور ، وطرحه عليه للمناقشة ، غير أن المجلس وجد في مشروع الدستور المقترح عيوبا عديدة (٣١) ، حيث كان يجرد المجلس الوطني من جزء كبير من صلاحياته ، ويقصرها على الناحية الاستشارية فقط ، بحيث كانت الحكومة غير ملزمة باتباعها ، كما أن عباراته لم تكن واضحة أو محددة ، وفي النهاية كان يسميه « مجلس الشورى الاسلامي (٣٢) » ، وليس مجلس الشورى الوطني ، وقرر النواب رفض المشروع ، وشكلوا لجنة لصياغة دستور جديد .

وحيث أنه لم يكن يوجد تجربة دستورية سابقة في ايران ،

---

(٣١) وقائع جلسة ٢٠ اكتوبر ١٩٠٦ ـ مذكرات مجلس دورة اول ـ برقم ٣٤٩٦٦ .

(٣٢) ابراهيم صفائي ـ رهبران مشروطة ـ ص ١٣١ .

ولرغبة النواب في انجاز الدستور بسرعة ، لذلك فقد استعانت اللجنة بنصوص الدساتير البلجيكية والفرنسية (٣٣) ، مع اجراء التعديلات عليها ، التي تتناسب وأوضاع المجتمع الايراني ، وقد عكفت اللجنة على عملها ليلا نهارا حتى أنجزته في مدة شهر وطرحته على المجلس الوطني لمناقشته (٣٤) .

على الرغم من اتفاق نواب المجلس الوطني على سرعة الانتهاء من مناقشة الدستور وتقديمه للشاه للتوقيع عليه ، الا أن المصالح الطبقية للنواب ، جعلت المناقشات تطول ، حيث كانت كل طبقة تحاول تضمين مواد الدستور نصوصا تمنحها امتيازات على حساب الطبقات الأخرى ، وتضمن لها السيطرة والنفوذ في المجلس الجديد ، فرجال الدين مثلا ، أرادوا أن تأتي نصوص الدستور مطابقة للشريعة الاسلامية ، ومتناسبة مع الدور الذي لعبوه في الحركة الوطنية ، بينما انصرف ممثلو التجار والحرفيين الى وضع نصوص واضحة في الدستور ، تؤمن لهم تجارتهم من الكساد ، وتصون أموالهم من المصادرة ، وتحمي مصالحهم من النفوذ الأجنبي ، بينما عمل ممثلو المثقفين على ابراز الحريات الاساسية وتثبيتها في الدستور . بشكل يفسح المجال للايراني للانطلاق في بناء مجتمعه الجديد ، دونما قيد أو حدود .

---

(٣٣) Marlow, John — Iran, p. 33 . ومما تجدر الاشارة اليه ان مشروع الدستور الذي قدمه مشير الدولة كان يعتمد ايضا على الدستور البلجيكي .

(٣٤) يمكن تعليل عدم لجوء الايرانيين الى الاستعانة بالدستور العثماني لصياغة دستورهم الجديد ، بكون الدستور العثماني نفسه منقولا ، في اغلب نصوصه ، عن الدساتير الاوروبية .

وبعد اجراء التعديلات المقترحة ، والاستعانة بخبرة بعض الرجال الذين أمضوا فترة طويلة في أوروبا واطلعوا على دساتيرها وأنظمة الحكم فيها (٣٥) ، أقر المجلس الوطني الدستور المؤلف من احدى وخمسين مادة ، في جلسته المنعقدة في ٩ ديسمبر ١٩٠٦ ، ورفعه للشاه للتوقيع عليه ، ولضمان عدم معارضة ولي العهد للدستور ، عند توليه العرش ، فقد قرر المجلس في ١٠ ديسمبر ــ كانون الأول ــ دعوته من تبريز ، حيث كان مقره ، للاشتراك مع والده في التوقيع على الدستور الجديد ٠ ولما تأخر حضور ولي العهد ، شاع بين الناس ، ان تأخير حضوره متعمد لعرقلة اقرار الدستور ، وانه يستعد للتعاون مع أعداء الاصلاح لضرب الثورة الوطنية ، غير أن ولي العهد سارع بارسال رسالة الى المجلس الوطني ينفي التهمة عن نفسه ، ويعلن تأييده الكامل له (٣٦) ، وفي ١٧ ديسمبر ــ كانون الأول ــ ١٩٠٦ حضر ولي العهد الى طهران ، غير ان الدستور ظل بدون توقيع ، وزادت مخاوف الناس وشكوكهم ، خصوصا وأنهم تعودوا في السابق ، سماع الوعود الكثيرة دون تحقيقها ، فأغلق الطهرانيون حوانيتهم ، وأحاطت جموعهم مبنى المجلس الوطني تعبيرا عن حمايتها له ، وازداد التوتر ، وهب بعض النواب المتطرفون يتهمون زملاءهم بالتساهل بحقوق الأمة في نصوص الدستور الجديد . وخلال هذا الوقت كان مظفر الدين شاه في غيبوبة المرض ، وكان ولي العهد الحاكم

---

(٣٥) عباس اسكندري ــ تاريخ مفصل مشروطيت ايران يا كتاب آرزو ــ ج١ ــ ص ١٥٧ .

(٣٦) وقائع جلسة ١٦ ديسمبر ١٩٠٦ .

الفعلي للبلاد ، وقد قام بعد التشاور مع بعض رجاله بادخال التعديلات على بعض مواد الدستور ، وأعاد نسخة الدستور في صيغتها الجديدة الى المجلس ، غير أن النواب فوجئوا بهـذه البادرة ، وأبلغوا ولي العهد انه لا حق له بادخال تعديلات ، فهو اما أن يقبل مشروع الدستور أو يرفضه ، واذا شـاء ، فيترك الامر الى لجنة تحكيم ، تشكل من عبد الله بهبهاني ومحمد طباطبائي والنائب سعد الدولة ، وأحد رجالات البلاد من خارج المجلس ، أصر النواب على أن يعيد اليهم نسخة الدستور الاصلية غير المعدلة . فأعادها الى المجلس ، وكان ذلك أول اصطـدام يحصل بين ولي العهد والمجلس ، وهو لم يتول بعد سلطاتـه رسميا ، وقد أرسل ولي العهد ثلاثة مندوبين لتمثيل السلطة في مناقشة مواد الدستور ، وهم مشير الملك (وزير ايران المفوض في بطرسبورغ) ومحتشم السلطنة (وزير ايران المفـوض في لندن) ومؤيد السلطنة (ممثل ايران السابق لدى بلاط برلين) وقد حضر هـؤلاء للمجلس في ٢٧ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٦ ، وبعد نقاش مع النواب استمر سبع ساعات متواصلة ، دونت نسخة الدستور من جديد ، بعد ادخال بعض التعديلات الطفيفة عليها ، وأرسلت للشاه للتوقيع ٠

كان لوقفة نواب المجلس الوطني الجريئة الحازمة ، وفي دعم جموع الشعب لهم ، أكبر الأثر في سرعة رضوخ ولي العهـد ورجال البلاط للأمر ، وهكذا تم توقيع الشاه وولي عهـده ورئيس وزرائه على الدستور الجديد في ٣٠ ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٠٦ ، ووقع ولي العهد ـ في الوقت نفسه ـ تعهدا

خطيا بعدم حل المجلس قبل انتهاء دورته القانونية (٣٧) ٠

وفي الأول من يناير ـ كانون الثاني ١٩٠٧ حمل مشير الدولة ومشير الملك وناصر الملك نسخة الدستور الموقعة الى المجلس الوطني ، فاستقبلهم النواب بحماس كبير ، وشكر محمد تقي هراتي باسم المجلس ، الشاه وولي العهد على تعاونهما لتحقيق أماني الأمة ، وعمت الفرحة سكان طهران ، التي زينت أجمل زينة ، وأخذوا بالرقص في الشوارع ، وتهنئة بعضهم بعضا (٣٨) ، واشتركت المدن الايرانية الاخرى في الاحتفال باقرار الدستور (٣٩) ٠

في ٨ يناير ـ كانون الثاني ـ أغلق الموت عيني مظفر الدين شاه ، بعد معاناة طويلة من آلام المرض ، وقد أوصى ولده ، وهو في آخر لحظات الحياة ، ألا يقف ضد آمال الشعب ، وأن يستمر في تأييد المجلس الوطني ، ليكسب لعرشه الدوام ، ولاسمه الخلود ، وقد غمر الشعب حزن عميق ، عندما سمع بنبأ وفاته ، فأغلقت الأسواق وتعطلت الاعمال ، وأعلن المجلس الحداد ثلاثة أيام (٤٠) ، وعند نشر وصية الشاه المتضمنة رغبته بأن يدفن في كربلاء ، أبدى الكثيرون من الوطنيين معارضتهم ، حرصا على أن لا يكون ضريح « أبي الحرية الايرانية » خارج أرض ايران (٤١) ٠

---

(٣٧) كانت دورة المجلس سنتين ، وقد زيدت الى اربع في تعديل اجري على الدستور سنة ١٩٥٦ .

(٣٨) نداي وطن ـ العدد ١٢ ـ السنة الاولى ـ في ٣ يناير ١٩٠٧ .

(٣٩) محمد اسماعيل رضواني ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ١٣٠ .

(٤٠) المصدر السابق صفحة ١٣١ .

(٤١) ف٠ و٠ ٤١٦/٣٠ من رسالة رايس الى غري برقم ٥٢٧٤/٢٢ طهران في ٣٠ يناير ١٩٠٧ .

محمد علي شاه والدستور :

رغم تظاهر محمد علي شاه بدعم الحركة الوطنية ، الا أن زعماء هذه الحركة كانوا يعرفون حقيقة نواياه نحوهم ، وزاد الامر سوءا وقوعه تحت النفوذ الروسي بشكل كبير ، حيث كان الروس يمدونه بالأموال والاسلحة كلما طلب ذلك خلال وجوده في تبريز (٤٢) ، وقد حضر الى طهران بهذه الطباع ، وتلك النفسية التي جعلت الطهرانيين يشعرون بالتشاؤم من عهده بالنسبة للحركة الوطنية ، خصوصا وأنه أحضر معه من تبريز جميع مرافقيه والمحيطين به في حاشية بلغ عددها ثلاثة آلاف شخص ، كان من بينهم « سيرغي شابشال » معلمه ومستشاره الروسي ، الذي كان له عليه سيطرة كبيرة (٤٣) .

رغم كل هذه البوادر السيئة ، لم يشأ النواب البدء بالعداء نحو الشاه الجديد ، فزاروه في القصر في ١٣ يناير ــ كانون الثاني ــ ١٩٠٧ ، معزين بوفاة والده ، ومباركين له ارتقاءه العرش ، غير أن محمد علي شاه تجاهل المجلس كلية في حفلة تتويجه الرسمي (٤٤) (في ١٨ يناير ــ كانون الثاني ــ ١٩٠٧)، رغم أنه دعا اليها الوزراء وكبار الموظفين ، ورجال السلك السياسي والعلماء ، ورأى كثير من النواب في هذا التجاهل بادرة خطيرة ، تعكس عدم احترام السلطة الحاكمة لممثلي

---

(٤٢) ف. و. ٤١٦/٢٩ من برقية رايس الى غري برقم ٤١٧٤٩/٣٦٠ طهران في ١٢ ديسمبر ١٩٠٦ .

(٤٣) ف. و. ٤١٦/٢٩ من برقية رايس الى غري برقم ٤١٧٦٢/٣٦١ طهران في ١٧ ديسمبر ١٩٠٦ .

(٤٤) عيّن في نفس اليوم ابنه الثاني سلطان احمد ميرزا وليا للعهد .

الشعب (٤٥) • وبلغ استياء النواب حدا جعل بعضهم يطالبون باعلان عدم شرعية تتويج الشاه لأنه تم بغياب ممثلي الشعب (٤٦) ؛ غير أن غالبية النواب لم تكن تريد تفجير صراع مع الشاه ، يصرف جهودها عن تشريع القوانين الاصلاحية •

طبقا لأحكام الدستور تقدمت الوزارة للمجلس ، واستوضح النواب من الوزراء عن شؤون وزاراتهم ، وطالبوا الحكومة بعدم منح لقب وزير الا للوزراء الثمانية الذين تتألف منهم الوزارة ، كما طالب آخرون بطرد مسيو نوز البلجيكي لكراهية الشعب له (٤٧) •

اعلان اكتمال دستورية الحكم :

بدأ دور طهران في قيادة الحركة الوطنية يتضاءل ، أمام الدور المتعاظم لمدينة تبريز ، وكانت أول بوادر هذا الدور ، قيام قادة تبريز بتقديم مطالب وطنية جديدة الى المجلس بواسطة نوابهم فيه ليقوموا برفعها الى الشاه ليعمل على تنفيذها ، وكانت هذه المطالب كما يلي :

١ ــ اعلان الشاه رسميا وبشكل واضح ، أن ايران دولة دستورية تامة •

٢ ــ تحديد عدد الوزراء بثمانية ، بعدد الوزارات الموجودة ، والغاء ألقاب الوزارة الفخرية (٤٨) ، وحصرها بالوزراء

---

(45) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 134

(٤٦) وقائع جلسة ١٩ يناير ١٩٠٧ •

(٤٧) وقائع جلسة ٣٠ يناير ١٩٠٧ •

(٤٨) كان يوجد ٥٧ رجلا يحملون القابا وزارية فخرية دون ان يكون لاي

الفعليين الثمانيــة فقط ، وجعــل تشكيل الوزارات في المستقبل يقترن بموافقة المجلس ٠

٣ ـ عدم اسناد منصب وزير لغير ايراني ٠

٤ ـ تشكيل مجالس محلية في كافة الولايات والايالات لادارتها باشراف المجلس الوطني ٠

٥ ـ عزل الموظفين البلجيكيين نوز وبريم عن ادارة الجمارك الايرانيــة ، وتوقيف لافرس البلجيكــي رئيس جمرك تبريز ٠

٦ ـ عزل ساعد الملك (٤٩) ٠

كانت المطالب السابقــة ، تعبر عــن هواجس الوطنيــين الايرانيين عامة . نحو مستقبل بلادهم الدستوري وكان مجيء نواب آذربايجان الاثنا عشر ، الى المجلس الوطني (في ٨ فبراير ـ شباط ـ ١٩٠٧) ، قد جعل تحقيق تلك المطالب أمرا ملزما ، بما كانوا يمتازون به من جرأة وتفهم كامل لقضايا البلاد ، وكانوا في اندفاعهم وحماسهم الوطني لا يعرفون الاعتــدال أو المهادنة ، ولأجل ذلك استقبلهم أهل طهران عند وصولهم اليها استقبال الفاتحين ، وأخذ أبناء الشعب يلمسون ثيابهم تبركا بها (٥٠) ٠ ناقش المجلس تلك المطالب ، وأقرها ، ورفعها الى الشاه للمصادقة عليها ، غير أن هذا لجأ ، كدأبه ، الى المماطلة

منهم (حقيبة وزارية) فعليه ـ انظر حسن تقي زاده ـ تاريخ اوائل انقلاب ـ ص ٥٠ ٠

(٤٩) كان احد رجال القصر المعروفين برجعيتهم ، انظر كريم طاهر زاده بهزاد ـ قيام آذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ٤٠ ٠ ـ

(٥٠) ف٠و٠ ٤١٦ /٣١ من رسالة رايس الى غري برقم ٣٨ /٨٦٦٤ طهران في ٢٧ فبراير ١٩٠٧ ٠

والتأجيل ، ولم يكن بامكانه الرفض الصريح ، حيث يؤدي ذلك الى الاصطدام مع المجلس ، في الوقت الذي كان فيه الالتفاف الشعبي حول المجلس يزداد ويقوى ٠

أرسل الشاه الى المجلس (بواسطة مخبر السلطنة) يطلب مهلة خمسة أيام لدراسة تلك المطالب ، غير ان النواب ، وخصوصا نواب آذربايجان ، رفضوا منح الشاه أي مهلة ، وأعلنوا بقاء المجلس في حالة انعقاد دائم ، حتى تستجاب تلك المطالب ، مما جعل الشاه يعلن موافقته على كافة المطالب ، عدا الأول منها ، حيث اعتبره غير ضروري ، لأن نصوص مرسومي الخامس والثامن من أغسطس كانت كافية ٠ غير أن نواب آذربايجان أصروا على أن المطلب الأول هو مطلب الشعب كله ، عند ذلك لجأ الشاه للمناورة ، فأعلن استعداده للاستجابة للمطلب الاول ، على أن يعلن أن ايران ذات حكومة « مشروعة » وليست « مشروطة » ، وان ذلك أفضل بالنسبة لكون البلاد اسلامية ، وأن ذلك يجعل الحكم مستمدا من « الشريعة الاسلامية » ٠ وفي الحقيقة كانت تلك محاولة بارعة من الشاه لاسترضاء العلماء ، وبث البلبلة بين الوطنيين ، حيث كان كثيرون منهم لا يعرفون أبعاد هذه المصطلحات ومدلولاتها ، ولا يرون فرقا بين أن تكون الحكومة مشروطة ـ أي دستورية ـ أو مشروعة ـ أي شرعية غير مغتصبة ـ ، ولما أصر النواب على رفض فكرة الشاه الجديدة ، حاول هذا ـ بواسطة مندوبه مخبر السلطنة ـ اخافة العلماء بأن اضطرار الشاه الى اصدار مرسوم جديد يعلن فيه

---

(٥٠) ف٠و٠ ٣١/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٨٦٦٤/٣٨ طهران في ٢٧ فبراير ١٩٠٧ ٠

ايران دولة دستورية تامة ، تكفل الحرية والمساواة لجميع الايرانيين ، سوف يتيح لأصحاب المذاهب الباطلة ، حرية نشر مذاهبهم ، والاضرار بالاسلام ، غير أنه فشل في اقناع العلماء بذلك ، ولكنه من جهة أخرى نجح في احداث بلبلة بين صفوف الشعب ، الذي لم ير فرقا ، كما أسلفنا بين « المشروطة » و « المشروعة » • وحتى يقضي الوطنيون على تلك اللعبة ، رفضوا أن يتضمن المنشور الجديد ، المصطلحات العربية التي تشير الى دستورية الحكم ، والتي تحتمل التأويل والتفسير ، وأصروا على استعمال الاصطلاح الأوروبي الخاص بذلك وهو Constitution ، وتأكيدا لاصرار التبريزيين على المضي في موقفهم حتى النهاية ، هاجموا مستودعات الأسلحة الحكومية واستولوا على ما فيها ، ووقفت مدن آذربايجان الأخرى موقفا مماثلا ، وأعلنت القبائل الكردية المجاورة استعدادها للقتال مع أهل تبريز (٥٢) ، واحتل المواطنون في مدن عديدة مراكز البرق احتجاجا على موقف الحكومة ، ووصلت للشاه رسائل تهديد من جمعية « فدائي » السرية الآذربايجانية ، ان لم يعمل على الرضوخ لمطالب الشعب (٥٣) •

وهكذا وجد الشاه نفسه يحارب معركة خاسرة ، فأذعن وأصدر منشورا في ١١ فبراير ـ شباط ـ ١٩٠٧ يتضمن اعلانا بأن ايران دولة دستورية تامة (٥٤) ، وأن المجلس الوطني يمثل

---

(٥٢) ف• و• ٤١٦/٣١ من برقية رايس الى غري برقم ٤٧١٥/٢٨ طهران في ١١ فبراير ١٩٠٧ •

(٥٣) ف•و• ٤١٦/٣١ من رسالة رايس الى غري برقم ٨٦٦٤/٣٨ طهران في ٢٧ فبراير ١٩٠٧ •

(٥٤) وردت في المنشور كلمة «كونستيطوسيون» للتعبير عن دستورية الحكم•

الشعب كله ، وأن القوانين التي يشرعها المجلس يجب أن تكون مطابقة للشريعة الاسلامية (٥٥) ، وقد استقبل الناس صدوره بسرور بالغ (٥٦) ، واعتبر تاريخ صدوره (٢٧ ذي الحجة ١٣٢٥هـ) بداية الحكم الدستوري الحقيقي في ايران ، وقام المجلس ـ بناء على ذلك ـ بتشكيل لجنة تكمل نواقص الدستور، وتحقق للبلاد دستورا حقيقيا كاملا ، وتألفت لجنة لذلك من ثمانية نواب .

دور تبريز في الحركة الوطنية :

انتهى دور طهران في الحركة الوطنية بوضع الدستور في الأول من يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٠٧ ، وأخذ دور تبريز يقوى ، منذ ذلك التاريخ ، حتى تمكنت من قيادة الحركة الوطنية بعد ذلك ، سواء في باحة المجلس الوطني ، أو في ساحة الصدام العلني المسلح مع السلطة ، ولا شك أن دور طهران كان أساسيا، لا يمكن اغفاله ، حيث أنها مثلت دور الطليعة القائدة في الثورة الوطنية ، وحصلت للشعب مكاسب هامة ، وتقديرا من الوطنيين، لدور طهران في الحركة الوطنية ، فقد أبقى ملحق الدستور ، على نفس العدد لنواب طهران ، رغم أنه يتجاوز نسبة سكان طهران كثيرا (٥٧) .

---

(٥٥) نداي وطن ـ العدد ١٠ ـ السنة الاولى ـ في ١٢ فبراير ١٩٠٧ .
(٥٦) محمد اسماعيل رضواني ـ انقلاب مشروطيت ـ ص ١٤٤ .
(٥٧) كان سكان طهران في هذا الوقت حوالي ثلاثمئة الف نسمة بينما كان سكان ايران كلها يقاربون احد عشر مليونا .

كان الشاه قد رسم مع أعوانه ومستشاريه من رجال البلاط ، خطة دقيقة للتغلب على الثورة الوطنية ، وسلبها انتصاراتها ، واذا أمكن ، الاجهاز عليها ، والعودة بالبلاد الى الحكم المطلق ، وقد كانت أهم ملامح خطته ، استعمال المال كسلاح رئيسي ، ولما لم يكن لدى خزائن الشاه ما يكفي منه ، فقد لجأ الى بيع أو رهن المجوهرات الملكية ، ونشر اعلانا بذلك في الصحف الفرنسية، وتفاوض فعلا مع بعض الأثرياء الفرنسيين بهذا الشأن (٥٨) ، غير أنه عدل عن ذلك ، بعد ما أسرع الروس الى مساعدته وامداده بقروض شخصية من بنك الاقراض الروسي ، لاستخدامها في محاربة الوطنيين (٥٩) .

كما كان من خطته نشر الفوضى،وتشجيع التمرد والعصيان، واثارة الاضطرابات ، حتى يظهر الحكم الدستوري أمام الناس ، عاجزا عن تأمين الاستقرار والأمان لهم ، فينصرفون عن تأييده وينسبون كل المساوىء اليه .

كذلك لجأ الشاه وأعوانه الى تجسيم أخطاء المجلس ، والهاء أعضائه بمعارك جانبية ، تصرفهم عن الالتفات الى واجبهم الرئيسي .

كما كان من خطته بث الفرقة والانقسام بين الفئات الوطنية، حتى تظل في تناحر دائم فيما بينها ، وفي النهاية اللجوء للقوة العسكرية لتسديد الضربة الاخيرة للحركة الوطنية في الوقت المناسب ، وقد وعد الروس الشاه بمعاونته في خطته هذه ، بشكل

---

(٥٨) ف. و. ٤١٦/٣٢ من رسالة الى غري برقم ٨١/ ١٥٤٤١ طهران في ٢٤ ابريل ١٩٠٧ .

(٥٩) ف. و. ٤١٦/٣١ من برقية رايس السرية الى غري برقم ٤٤/٧٣٣٥ طهران في ٥ مارس ١٩٠٧ .

مستور في طهران ، وبشكل صريح في المدن القريبة من حدودهم وخصوصا تبريز (٦٠) .

حركة شهر محرم ١٣٢٦ هجري :

بعد تشكيل لجنة تدوين ملحق الدستور ، وانصرافهـا الى عملها ، بدأ الشاه العمل على تنفيذ خطته الجديدة ، فاغتنـم فرصة بدء شهر المحرم سنة ١٣٢٦هـ (فبراير ١٩٠٧) ، حيث تتحول المساجد الى منتديات مزدحمة بالجماهير ، تعاد فيها قصة تضحية آل البيت في معركة كربلاء (عاشوراء) ، ويتطـرق المتحدثون والخطباء الى أوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية، فاعتلى منابر المساجد في طهران بعض من استطاع استمالتهم الى جانبه من رجال الدين ، وأخذوا يندوون بالحكم الدستـوري ، باعتباره مخالفا للشريعة ، ومغايرا لمصلحة الوطن ، وكان أكثرهم اندفاعا في ذلك ، الشيخ زين الدين زنجاني ، وسيد أكبر شاه ، وقد استطاعوا أن يجمعوا وراءهم بعض العامة ، الذين هبوا للدفاع عن الدين في رأيهم ، وكادت تلك الحركة تضعف موقف الوطنيين ، خصوصا في ذلك الشهر ، الذي يسيطر فيه علـى الجماهير جو روحاني عجيب ، تكون خلاله حساسة تجاه كل ما تشعر أنه يمس عقيدتها الدينية بسوء ، غير أن المجتهديـن الكبيرين بهبهاني وطباطبائي ، استطاعا ، بما لهما مـن نفوذ واحترام ، طمأنة جماهير الشعب الى أن ما يقوله بعض رجال

---

(٦٠) ف.و. ٣١/٤٦١ من برقية رايس السرية الى غري برقم ٧٣٣٥/٤٤ طهران في ٥ مارس ١٩٠٧ .

الدين الآخرون ، لا يخرج عن كونه اجتهادا خاطئا ، وأن الحركة الوطنية تعمل لمصلحة البلاد ، وأنه لو حدث من المجلس أي أمر يسيء الى الدين ، لكانا أول من يقاومه ، وبهذا انطفأت نار تلك الفتنة ، بعد ما اضطر الشاه ـ ازاء الحاح الوطنيين ـ الى طرد الشيخ زنجاني من طهران ، ومنع سيد علي أكبر من الوعظ على منابر مساجدها ، وقد اتخذ الشاه ذلك الموقف حتى يخدع الوطنيين ، ويظهر بمظهر التعاون مع المجلس (٦١) ٠ التجأ الشيخ زنجاني الى ضريح شاه عبد المظيم ، احتجاجا على موقف الحكومة منه ، وتجمع حوله ٧٠ ـ ٨٠ من أنصاره ، غير أنه بعد ثلاثة أسابيع رأى ضعف حركته ، وعدم استجابة الجماهير لها ، فأعلن توبته ، وعاد الى طهران بعد أن صفح المجلس عنه (٦٢)٠

وزارة أمين السلطان أتابك أعظم :

دعا الشاه ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان الملقب بالأتابك الأعظم (٦٣) ، الذي كان موجودا في أوروبا ، بعد أن عزله مظفر الدين شاه من منصب الصدارة العظمى ، سنة ١٩٠٣ ، لقيام علماء الدين ضده ، حيث اتهموه بافساح المجال أمام النفوذ الاجنبي للتغلغل في ايران ٠ وقد وافق الروس على

---

(٦١) ف.و. ٤٢٦/٣٢ من رسالة رايس الى غري برقم ١١٨٦٠/٦٢ طهران في ٢٨ مارس ١٩٠٧ .

(٦٢) أحمد كسروي تبريزي ـ تاريخ مشروطة ايران ـ ج ١ ـ ص ٢٢٥.

(٦٣) كان هذا اللقب يعتبر اعلى الالقاب الايرانية في العهد القاجاري ، وقد منحه اياه ناصر الدين شاه .

دعوة الشاه للأتابك الاعظم (٦٤) ، ووصلته الدعوة وهو في سويسرا ، وقد مهد أمين السلطان لعودته لايران ، باظهار الندم على سياسته السابقة ، والادعاء أمام كل من كان يلتقي به من قادة الوطنيين الايرانيين في أوروبا ، برغبته في اجراء اصلاحات واسعة في ايران ، اذا ما أتيحت له الفرصة لتولي الحكم من جديد ، وعندما تناهى الى سمع مشير الدولة ، دعوة الشاه لأمين السلطان للعودة لايران ، أدرك أنه لم يعد مرغوبا ببقائه في الحكم ، فاستقال في ١٧ مارس ـ آذار ـ ١٩٠٧ ، وفي ٢١ مارس ـ آذار ـ تقدمت للمجلس وزارة جديدة ، كانت أول وزارة تشكل طبقا للدستور ، وقد تألفت من ثمانية وزراء ، برئاسة سلطان علي خان يزدي وزير أفخم ، رئيسا للوزراء بالوكالة ٠

أدرك الوطنيون أن دعوة أمين السلطان الى ايران ، في تلك الظروف ، هي جزء من خطة الشاه لمحاربة الحركة الوطنية ، وكان الشعب يعرف ماضي أمين السلطان ، ولم ينخدع بدعواه عن ندمه على أعماله السابقة ، وايمانه بحقوق الشعب ، وقال سيد محمد طباطبائي معبرا عن ذلك « اذا دخل ميرزا علي أصغر ايران ، فقل عليها السلام (٦٥) » ، وزاد من توتر الحالة أن مشير الدولة أخذ يشيع أن البلاط لا يرضى عن وجود رئيس وزراء تقدمي (٦٦) ٠ كل هذا لم يمنع أمين السلطان من

---

(٦٤) ف٠و٠ ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ٧٦٤٤/٩٧ طهران في ٨ مارس ١٩٠٧ .

(٦٥) محمد اسماعيل رضواني انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ١٤٧ .

(٦٦) ف٠و٠ ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ٩٠٣٧/٦٠ طهران في ١٩ مارس ١٩٠٧ .

التصميم على العودة الى أيران ، واستلام الوزارة تنفيذا لرغبة الشاه • أثناء مرور أمين السلطان في مدينة باكو الروسية ، في طريق عودته لايران ، حاول الوطنيون القفقاسيون اغتياله باطلاق النار عليه ، غير أنه نجا من المحاولة ، وأنزلته سفينة حربية روسية في ميناء انزلي على بحر قزوين ، وقد رفض سكانها السماح له بالنزول ، حتى جاءت برقية من المجلس الوطني في طهران ، تطلب من الأهالي السماح له بمغادرة الميناء (٦٧) ، ووصل الى طهران في ٢٦ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٠٧ ، وفي ٢ مايو ـ أيار ـ تسلم الحكم ، واستطاع بواسطة بعض أصدقائه في المجلس ، (ومنهم عبد الله بهبهاني) تأمين أكثرية الاعضاء الى جانبه ، وبعد يومين زار المجلس الوطني مع أعضاء وزارته ، وأعلن استعداده التام للتعاون مع المجلس الى أبعد الحدود ، وانجاز جميع الاصلاحات اللازمة لدفع عجلة التقدم في المجتمع الايراني ، وقد شكره المجلس وطلب منه أن يقرن القول بالعمل ، فكرر قوله أنه ما جاء ايران الا ليعمل على تعويض شعبها ما فاته من تقدم وازدهار خلال العهود الماضية (٦٨) •

لم يؤد وجود الأتابك الاعظم على رأس الحكومة الى سرعة انجاز ملحق الدستور ، أو تنفيذ الاصلاحات التي يتطلبها وضع البلاد ، وغيرها من الوعود التي قدمها الأتابك الاعظم • ورأى الوطنيون ، على العكس من ذلك ، أن وجوده أدى الى زيادة الانقسام بين صفوفهم ، والى انشغالهم بمعارك جانبية افتعلها

---

(٦٧) يحيى دولت آبادي ـ تاريخ معاصر ياحيات يحيى ـ ج ـ ٢ ـ ص ١٨٨ •

(٦٨) وقائع جلسة ٤ مايو ١٩٠٧ •

هو وأعوانه ، وأنه أخذ يسيطر على الوضع تدريجيا ، بما كان ينثره من أموال سرا ، بين مختلف فئات الشعب ، وأخذت مخاوف الوطنيين تزداد ، خصوصا بعد أن اكتشفوا قافلة تحمل تسعين صندوقا ملأى بالسلاح ، مرسلة من مستودعات الشاه في تبريز الى طهران ، فصادروها (٦٩) ، وقد أظهر الشاه استياءه من مصادرة أسلحته ، وأعلن أنها كانت من أجل تقوية حرسه الخاص ، غير أن الوطنيين ردوا بأن الشاه في العهد الدستوري يكون تحت حماية الشعب . ولا يحتاج الى أسلحة لحماية نفسه .

قام الشاه بتحريض بيوك خان جليبانلو (٧٠) على اعلان التمرد في آذربايجان (٧١) ، وذلك انتقاما من سكان تبريز الذين قاموا بمصادرة أسلحته ، وقد قام هذا بمهاجمة ضواحي تبريز ، وقتل عددا من السكان ، ونهب منازلهم ، وأدى هذا العمل الى تصاعد الاحداث ، وسلح أهل تبريز أنفسهم ، وشكلوا حرسا أهليا للدفاع عن مدينتهم ، وقد ساهم هذا العمل مساهمة فعالة في دحر رجال بيوك خان عند غزوهم لمدينة تبريز (٧٢) ، وقد تلاشت سلطة الحكومة المركزية عن تبريز ، وأصبحت تدير أمورها جمعية تبريز الوطنية « انجمن ملي تبريز (٧٣) » .

---

(٦٩) ف.و. ٣١/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ١٨٨٧٠/١١ قلهك في ٢١ مايو ١٩٠٧ .

(٧٠) كان هذا رئيسا لقبائل جليبانلو في منطقة قرهداغ في آذربايجان ، وكان يعتمد في معيشته على الغزو وقطع الطرق ، وكان والده رحيم خان ، سجينا في طهران ، لهذا السبب .

(٧١) يحيى دولت آبادي — حيات يحيى — ج ٢ — ص ١٢٨ .

(٧٢) ف.و. ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ٧٣٣٤/٤٣ طهران في ٥ مارس ١٩٠٧ .

(٧٣) ف.و. ٣٢/٤١٦ من برقية راسي الى غري برقم ١٨٦٩٣/١٤٢ قلهك في ٧ يونيو ١٩٠٧ .

وقد تأثر التبريزيون من موقف الحكومة والشاه العدائي ازاءهم ، خصوصا بعد كشف مؤامرة دبرها اكرام السلطان شقيق أحد رجال البلاط لاغتيال كافة قادة تبريز (٧٤) ، وطالبوا جمعيتهم المحلية بتأمين الحماية الكافية لسكان المدينة (٧٥) • وقد أرسلوا انذارا الى الحكومة في طهران ، يمهلونها مدة عشرة أيام ، حتى يتم التوقيع على ملحق الدستور ، والا فانهم سيقومون بعمل دستور خاص بآذربايجان ، وخشي الشاه من تطور الأمور التي قد تؤدي الى انفصال ولاية آذربايجان عن ايران ، لذلك أسرع بنفسه الى مكتب البرق في طهران ، وأرسل برقية الى جمعية تبريز ، يعلمها فيها أن الدستور في أمان ، وأنه سوف يوقع ملحق الدستور حال انجازه (٧٦) • أما في طهران فقد رجعت المنشورات السرية للظهور ، وكانت تندد بالحكومة ، وتتهم رئيسها بالخيانة ، كما قامت مظاهرات واسعة في منتصف مايو ـ أيار ـ ١٩٠٧ اشتركت فيها النساء (٧٧) • وأخذ المتظاهرون يشتمون الشاه وأسرته علنا ، وينسبون اليه العمل على عرقلة الاصلاح في البلاد (٧٨) ، كما قام المواطنون في مدن رشت ، وأصفهان ، ومشهد ، ومراغه ، وشيراز باستنكار موقف السلطة ، واعلان تأييدهم للمجلس الوطني • غير أن حدة التوتر

---

(٧٤) احمد كسروى تبريزي ـ مشروطه ايران ـ ج ٢ ـ ص ٣٣٦ •
(٧٥) المصدر السابق ـ الصفحة ٢٩٨ •
(٧٦) ف.و. ٣٢/٤١٦ من تقرير رايس الى غري ملحق رقم ٦ بالرسالة رقم ١٨٨٧٢/١١٣ طهران في مايو ١٩٠٧ •
(٧٧) احمد كسروى تبريزي ـ مشروطه ايران ـ ج ٢ ـ ص ٣١٠ •
(٧٨) ف.و. ٣٣/٤١٦ من تقرير رايس الى غري برقم ٢٢٣٩٣/١٢٨ قلهك في ١٥ يونيو ١٩٠٧ •

خفت ، عندما أعلن الشاه ، تأييده التام للمجلس ، وأعاد رحيم خان ـ زعيم قبائل جليبانلو السابق ـ للسجن ، كما أمر بالقبض على ولده بيوك خان لتقديمه للمحاكمة (٧٩) ، وما كادت الحالة تهدأ ، حتى برزت حركة جديدة ، أدت الى صدام جديد بين السلطة والوطنيين ٠

قيام الشيخ نوري ضد الدستور :

كان الشيخ فضل الله نوري ، أحد كبار مجتهدي طهران ، قد اختلف مع بهبهاني وطباطبائي ، حول ادراج بعض المواد في الدستور ، التي تطالب باعطاء رجال الدين دورا أكبر في ادارة الأمور في البلاد ٠ غير أن بهبهاني وطباطبائي ، كانا يريان أن الاشارة الى وجوب مطابقة نصوص الدستور والقوانين للشريعة الاسلامية ، كانت كافية ، ولا ضرورة لتضمينه مواد أخرى بهذا الخصوص ، وقد استاء الشيخ نوري من هذا الموقف ، وأعلن احتجاجه عليه باللجوء الى ضريح شاه عبد العظيم ، حيث تبعه جمع كبير من أنصاره ومؤيديه بلغ خمسمائة شخص ، وكان من بينهم ثلاثة من علماء طهران : الحاج حسن ميرزا ، والحاج خمامي ، ونقيب السادات ، وقد شجع الأتابك الاعظم هذه الحركة ، رغم العداء السابق بينه وبين الشيخ نوري ، وقدم للمعتصمين نفقات اقامتهم التي بلغت مئة جنيه استرليني يوميا (٨٠) ، وقد حاول الشيخ نوري توسيع حركته فأرسل الى

---

(٧٩) نداي وطن ـ العدد ٣٣ ـ السنة الاولى ـ في ١ يونيو ١٩٠٧ ٠

(٨٠) ف.و. ٣٣/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٢٦٠٣٠/١٤٣ قلهك في ١٠ يوليو ١٩٠٧ ٠

علماء أربعة عشر مدينة ايرانية برقيات يوضح لهم فيها أسباب اعتصامه ، ويطلب تأييدهم له ، لمقاومة الذين يعملون على هدم أساس الدين ، في رأيه ، غير أن كافة العلماء في تلك المدن ، شجبوا موقفه ، وأعلنوا وقوفهم الكامل مع المجلس الوطني ، وأرسلوا للمجلس برقيات بهذا المعنى (٨١) ، وأخذ أنصاره يعتدون بالضرب على القادمين من طهران لزيارة ضريح شاه عبد العظيم (٨٢) ، وقد توجس الطهرانيون شرا من تلك الحركة ، وخشوا أن تكون بداية محاولة لسحق الحركة الوطنية ، فأغلقوا الأسواق ، وتجمهر عشرة آلاف منهم حول بناء المجلس ، مطالبين بسرعة اقرار ملحق الدستور ، ومظهرين استعدادهم لحماية المجلس من مؤامرات الرجعية ضده (٨٣) ، وفي الوقت نفسه قامت محاولات أخرى في بعض مناطق ايران ، لضرب الحركة الوطنية ، ففي انزلي وقع اصطدام مسلح بين مؤيدي الدستور ومعارضيه ، وفي تبريز قام بعض الرجعيين ، وعلى رأسهم مير هاشم دوجي ، بالتحرش بالوطنيين ، غير أن هؤلاء تجنبوا الصدام معهم ، خوفا من جر البلاد الى حرب أهلية ، تكون نتائجها وخيمة على الشعب وقد تؤدي الى تدخل الاجانب وسلب ايران استقلالها ٠

بالرغم من الجو المتوتر الذي كان مسيطرا على البلاد ، فقد احتفل الشعب في ٢٤ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٧ ، بذكرى مرور عام هجري على صدور فرمان الدستور ، وقد أراد بهذا الاحتفال

---

(٨١) وقائع جلسة الاول من يوليو ١٩٠٧ ٠
(٨٢) احمد كسروي تبريزي ـ مشروطه ايران ـ ج ٢ ـ ص ٣٧٨ ٠
(٨٣) صور اسرافيل ـ العدد ٥ ـ ٨ ـ ٢٧ يونيو ١٩٠٧ ٠

اظهار تأييده ومساندته للمجلس الوطني ، تجاه الضغوط والمؤامرات التي كان يحيكها رجال البلاط وأعوانهم من الرجعيين ، وقد أقيم في الميدان المقابل للمجلس الوطني (ميدان بهارستان) سرادق كبير ، ضم العلماء وقادة الوطنيين وأعضاء الحكومة ورجال السلك السياسي الاجنبي ، كما احتشد في الميدان مئة ألف من المواطنين ، وقد أقام الوطنيون تمثالا ضخما يمثل الاستبداد ، وأحرقوه بشعلة ترمز الى الحرية ، بين هتاف الجماهير وسرورها • وقد تغيب الشاه عن الاحتفال بدعوى المرض ، وأرسل منشورا قرىء في الاحتفال ، يعلن سروره بالمناسبة ، وشكره للنواب على جهودهم ، وتأكيده للتعاون مع المجلس الوطني (٨٤) ، واستمرت الاحتفالات بهذه الذكرى في طهران وكافة المدن الايرانية الأخرى ، ثلاثة أيام بلياليها (٨٥)، عبر فيها الشعب عن مدى تعلقه بمجلسه الوطني ، كما كانت مناسبة لتخفيف حدة العداء بين الشاه والمجلس ، ولو في الظاهر •

اغتيال رئيس الوزراء :

كان وضع الأتابك الاعظم دقيقا ، فهو لم يستطع تحقيق الغاية التي استدعاه الشاه من أجلها ، وهي معاونته ، بما له من خبرة سياسية ، في القضاء على الحركة الوطنية ، كما أنه من جهة أخرى لم يقم بتحقيق ما وعد به الوطنيين ، من اجراء اصلاحات شاملة في البلاد ، بحجة عدم توفر الاموال اللازمة

---

(٨٤) نداي وطن — العدد ٤٨ — في ٣ اغسطس ١٩٠٧ •
(٨٥) يحيى دولت آبادي — حيات يحيى — ج ٢ — ص ١٤١ •

لذلك (٨٦) ، وتلميحه في بعض الأحيان ، الى أن الشاه يحول بينه وبين المضي في أي اصلاح (٨٧) • وهكذا أصبح الفريقان، الرجعي والوطني ، غير راض عنه ، ولم ينتظر الوطنيون كثيرا ، فقام أحدهم « عباس آقا بن الحاج محمد آقا آذربايجاني » مساء ٣١ أغسطس ــ آب ــ ١٩٠٧ ، باطلاق النار عليه وقتله أثناء خروجه من باب المجلس الوطني ، بعد أن حضر مع أعضاء وزارته جلسة ، قرأ خلالها منشورا جديدا من الشاه يعلن عدم وجود نية لديه ، في تصفية الحركة الوطنية ، ويؤكد من جديد ، تعاونه مع المجلس ، كما أن الأتابك أظهر في هذه الجلسة ، نواياه الحسنة نحو النواب والمجلس (٨٨) •

عندما يئس القاتل من النجاة أطلق النار على نفسه ومات ، وقد دفن الأتابك دون أي احتفال رسمي ، خوفا من الوطنيين ، الذين هددوا السلطة اذا هي دفنته باحتفال رسمي ، كما أن عباس آقا دفن في مكان سري ، غير أن الجماهير سرعان ما عرفت مكان قبره ، فتجمع عنده خمسة عشر ألفا من الطهرانيين ، يمجدون عمله وينثرون الزهور على قبره • وقد أظهر الوطنيون في كافة أنحاء ايران سرورهم بمقتل الأتابك ، خصوصا في طهران وتبريز ، اللتين زينتا احتفالا بذلك (٨٩) •

وكان من نتائج مقتل الأتابك عودة الشيخ نوري عن اعتصامه،

---

(٨٦) ف.و. ٤١٦/٣٣ من رسالة رايس الى غري برقم ٢٩٤٩١/١٨٣ قلهك في ١٥ اغسطس ١٩٠٧ .

(٨٧) ف.و. ٤١٦/٣٣ من رسالة رايس الى غري برقم ٣٢٤٧٥/٢٠٠ قلهك في ١٣ سبتمبر ١٩٠٧ .

(٨٨) صور اسرافيل ــ العدد ١٢ ــ في ٥ سبتمبر ١٩٠٧ .

(٨٩) ف.و. ٤١٦/٣٣ من رسالة رايس السرية الى غري برقم ٢٠٠/ ٣٢٤٧٥ قلهك في ١٣ سبتمبر ١٩٠٧ .

في جزيرة موريشيوس في المحيط الهندي ، حيث نقل فيما بعد الى جنوب افريقيا ، وظل فيها حتى وفاته سنة ١٩٤٤ في مدينة جوهانسبرغ بعيدا عن وطنه ، وقد نقل جثمانه الى مصر ودفن في مدافن الرفاعي في القاهرة ، ونقلت رفاته سنة ١٩٥٠ الى ايران حيث وضعت في ضريح فخم في مقام عبد المظيم في بلدة ري جنوب طهران ٠

ضد الوطنيين في ايران قويا (٩٣) ، وكان الانجليز من جانبهم ، قد أخذوا يدركون ، أن الحركة الوطنية لا يمكنها أن تكون دعامة لنفوذهم في ايران ، حيث أثبتت أصالتها ، وقدرتها على مقاومة أية محاولة لاحتوائها أو السيطرة عليها ، ومن هنا التقت مصلحتهم مع مصالح الروس في التفاهم وتنسيق جهودهما في ايران ، دخل الانجليز والروس في محادثات طويلة ، منذ بداية ١٩٠٧ ، انتهت بتوقيع اتفاقية في بطرس برج (لينينغراد الحالية) في ٣١ أغسطس ـ آب ـ ١٩٠٧ ، أنهت بموجبها الدولتان ، المشاكل العالقة بينهما في أفغانستان والتيبت وايران.

بالنسبة لايران فقد اتفقت الدولتان على تقسيمها الى ثلاث مناطق للنفوذ : الشمالية للروس ، والجنوبية لانجلترا ، والوسطى تركت لتمارس فيها الحكومة الايرانية سلطاتها ، ولتكون حدا فاصلا بين منطقتي نفوذ الدولتين ، وقد شملت المنطقة الروسية ولايات كيلان ، ومازندران ، وآذربايجان ، وقسما من خراسان ، بينما ضمت المنطقة الانجليزية بلوجستان، وخوزستان ، وقسما من فارس (٩٤) .

ولا شك أن هذا الاتفاق قد أصاب الحركة الوطنية الايرانية بضرر بالغ ، حيث أنه قوى من النفوذ الروسي في البلاد ، لمصلحة الشاه والرجعية ، وكان الروس خلال هذه الفترة يقومون بنشاط بالغ في تدعيم مركزهم في ايران ، فأحضروا مزيدا من الجنود الروس لحراسة قنصلياتهم في المدن الايرانية المختلفة ،وخصوصا

---

(٩٣) ف.و. ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ٤٧١٥/٢٨ طهران في ١١ فبراير ١٩٠٧ .

(94) Hurewitz, J., C. — Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 1, p. 265.

الشمالية منها (٩٥) ، وقامت بعض قطع اسطولهم بالرسو في ميناء انزلي على بحر قزوين •

تقدمت الدولتان في ١١ سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٠٧ الى الحكومة الايرانية ، بمذكرة تعلمانها بذلك الجزء من الاتفاقية التي عقدتاها ، الخاص بايران ، وتعهدتا مقابل ذلك ، بالمحافظة على استقلال ايران ووحدة أراضيها ، غير أن المجلس رفض قبول الاتفاقية ، واعتبرها تدخلا بشؤون ايران الداخلية (٩٦)، وكان الوطنيون قد دعوا الى مقاطعة البضائع الأجنبية وخصوصا الروسية منها (٩٧) ، عندما تسربت اليهم أنباء المحادثات السرية ، التي كانت جارية بين روسيا وانجلترا ، حول ايران •

وهكذا نرى أنه بقدر ما كان التنافس الدولي في ايران ، مفيدا للحركة الوطنية ، فان التفاهم الروسي البريطاني في ايران ، قد أدى الى اضعاف مركز الحركة الوطنية ، وقيام الشاه فيما بعد ، وبمساعدة الروس ، بتعطيل الدستور ومطاردة الوطنيين في كل مكان •

لا بد من الاشارة في هذه الفترة ، الى ازدياد تأييد علماء النجف للثورة الوطنية في ايران ، ممثلة بالمجلس الوطني ، حيث عمدوا الى اعلان تأييدهم الكامل له (٩٨) ، كما عبأوا الجماهير وراءه (٩٩) ، وعند بروز أحداث آذربايجان ، وصفوا أعمال

---

(٩٥) ف.و. ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ٨٩١٨/٥٩ طهران في ١٨ مارس ١٩٠٧ .

(٩٦) وقائع جلسة ٤ اكتوبر ١٩٠٧ .

(٩٧) ف.و. ٣٣/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٢٩٤٩١/١٨٣ قلهك في ١٥ أغسطس ١٩٠٧ .

(٩٨) وقائع جلسة ١٧ فبراير ١٩٠٧ .

(٩٩) ف.و. ٧١/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٨٦٦٤/٣٨

السلطة القاجارية « بالقبح ! » ، واعتبروا الدفاع عن المجلس واجبا دينيا على كل شيعي (١٠٠) .

موقف الوطنيين :

كان الوطنيون يدركون أن أي صدام يقع بينهم و بين السلطة، تكون خسارته على الشعب ، حيث يؤدي ذلك الاصطدام ، الى انشغال الوطنيين عن واجباتهم في تشريع القوانين التي تحتاجها البلاد ، ضمن خطة الاصلاح الشاملة التي أخذت الحركة الوطنية على عاتقها انجازها ، خصوصا وأن المجلس الوطني ، من أجل أن ينهي كافة الاصلاحات اللازمة ، كان فيما يمكن تسميته « بحالة انعقاد دائم » ، فقد كانت تنتهي بعض الجلسات ، في ساعة متأخرة من الليل ، لتعود الى الالتئام ثانية في صباح اليوم التالي ، لذلك فقد أظهر الوطنيون ، أكثر من مرة ، حسن نواياهم نحو السلطة القاجارية ، فحينما اشتكت الحكومة من وجود حرس خاص للمجلس ، قرر هذا حله (١٠١) ، وعندما أعلن أبو الفتح خان ميرزا سالار الدولة ـ شقيق الشاه ـ تمرده في كردستان ، أرسل اليه المجلس ناصحا بالطاعة ، وأرسل الى الشاه مؤيدا (١٠٢) ، وعندما أظهر الشاه استياءه من انحراف

طهران في ٢٨ فبراير ١٩٠٧ .

(١٠٠) خورشيد ـ العدد ١١ ـ السنة الاولى ـ في ١٩ مايو ١٩٠٧ .

(١٠١) ف.و. ٣١/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ٧٦٤٤/٤٧ طهران في ٨ مارس ١٩٠٧ .

(١٠٢) وقائع جلسة الاول من يونيو ١٩٠٧ .

بعض جمعيات طهران (١٠٣) ، عن حدود صلاحياتها ، طلب المجلس من وزارة الداخلية التحقيق بالأمر ، ومعاقبة كل جمعية تتجاوز حدودها ، وتسبب الفوضى (١٠٤) .

مقابل هذا التصرف من نواب المجلس ، فان الشاه كان على العكس من ذلك ، يعرقل امرار القوانين الاصلاحية ، واذا أقرت، تباطأت حكومته في تنفيذها (١٠٥) ، وكان يبرر عدم انجاز الأعمال لوجود الفوضى في البلاد (١٠٦) .

كان من نتائج مقتل الأتابك الاعظم ، ان دب الخوف في أوساط رجال السلطة ، ولم يتمكن الشاه من تشكيل حكومة بسرعة ، تخلف حكومة الاتابك القتيل ، لاحجام السياسيين عن الاشتراك بالحكم ، في تلك الظروف الصعبة (١٠٧) ، كما أن أمراء الأسرة القاجارية اجتمعوا في منزل أحدهم (الأمير علاء الدولة) في ٢٧ سبتمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ ، وأرسلوا الى الشاه عريضة يرجون فيها تعاونه مع الوطنيين ، حفظا

---

(١٠٣) عند قيام الحكم الدستوري ، اخذت كل فئة من فئات المجتمع الايراني ، وقد رأت الحرية فتحت لها اوسع أبوابها ، تشكل جمعيات (انجمن) خاصة بها ، خصوصا في طهران . وكانت هذه الجمعيات اشبه بالنقابات المعروفة حديثا ، حيث تضم افرادا من مهنة أو طبقة معينة ، وتعمل على المحافظة على حقوقهم ورعاية مصالحهم ، وقد ظلت اعدادها في تزايد حتى وصلت في طهران وحدها الى اكثر من ١٤٠ جمعية ، خصوصا بعد اقرار قانون ينظم امورها في ٧ اكتوبر١٩٠٧ .

(١٠٤) وقائع جلسة ٢٤ اغسطس ١٩٠٧ .

(١٠٥) وقائع جلسة ٣٠ ابريل ١٩٠٧ .

(١٠٦) وقائع جلسة ٢٢ اغسطس ١٩٠٧ .

(١٠٧) ف.و. ٤١٦/٣٣ من رسالة رايس الى غري برقم ٣٢٤٧٦/٢٠١ قلهك في ١٣ سبتمبر ١٩٠٧ .

لعرشه (١٠٨) ، وقد أجاب الشاه بأنه لم يتخل عن تعاونه مع المجلس ، ولم يكتف الأمراء بذلك ، بل قاموا في اليوم التالي ، بزيارة المجلس واعلان تأييدهم المطلق له ، وقد تجاوز عددهم الخمسمائة (١٠٩) .

اصدار ملحق الدستور :

انتهت اللجنة التي عهد اليها بانجاز ملحق الدستور من مهمتها ، في أوائل شهر مايو ـ أيار ـ ، وطرح مشروع ملحق الدستور للنقاش ، في جلسة ٧ مايو ـ أيار ـ ١٩٠٧ ، وقد طال النقاش بين النواب حول المواد ٨ و١٩ و٢٠ ، وتتضمن أولاهما القول بالمساواة التامة لكافة الرعايا الايرانيين ، والثانية بجعل التعليم اجباريا ، أما الثالثة فتنص على حرية المطبوعات ، وكان النقاش بين جناحي الثورة الوطنية : العلماء والقوميين ، فالأولون كانوا يعارضون ايجاد المساواة المطلقة بين المسلمين وغير المسلمين ، في الحدود الشرعية وغيرها ، وكذلك بشأن اجبارية التعليم ، حيث ان التعليم ـ حسب رأيهم ـ ليس اجباريا شرعا ، كما أن جعله بهذا الشكل ، يخرجه عن رقابة واشراف العلماء ، وبالنسبة لحرية المطبوعات فقد كان العلماء يرون أنها تتيح للدعوات الباطلة ، المناوئة للاسلام ، الانتشار بحكم القانون ، والقوميون ، وعلى رأسهم نواب آذربايجان ، كانوا

---

(١٠٨) ف. و. ٣٤/٤١٦ من رسالة رايس الى غري برقم ٣٥٤٩٥/٢٢٧ طهران في ١٠ اكتوبر ١٩٠٧ .
(١٠٩) نداي وطن ـ العدد ٦٧ في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧ .

يعارضون هذه الافكار ، ويرون أنه يجب اتاحة المساواة لجميع الايرانيين ، بلا تمييز ، وان فرض اجبارية التعليم يتيح له التوسع والانتشار ، وأن كفالة حرية الكتابة ، أمر جوهري للمجتمع وتقدمه .

وبعد نقاش طويل ، عدلت المادة ١٩ ، بحيث اشترط ألا يكون في التعليم ما يخالف نصوص الشريعة • وكذلك قيدت حرية المطبوعات بألا يكون ما فيها يخالف الشريعة الاسلامية •

وبخصوص المادة ٢ ، التي تعطي العلماء الحق برد أي قانون يرون فيه مخالفة لنصوص الشريعة ، فقد حاول نواب آذربايجان سحبها ، أو تعديلها (١١٠) ، وكانت هذه المادة قد وضعت ارضاء للشيخ فضل الله نوري وبعض العلماء ، وعند اعادة مناقشة مواد ملحق الدستور ، في جلسة ٩ مايو ـ أيار ـ ، قدم الزردشتيون والأرمن مذكرتين ، يطالبون فيهما بحق المساواة مع بقية الفئات الايرانية الأخرى ، وهدد الأرمن باللجوء للمفوضية البريطانية اذا لم يتم ذلك (١١١) •

وأخيرا كانت جلسة ١٨ مايو ـ أيار ـ ١٩٠٧ حاسمة ، حيث استمرت من الصباح الباكر حتى العاشرة والنصف ليلا ، وقد احتدم فيها النقاش بين العلماء وبعض النواب القوميين • وفي نهاية الجلسة العاصفة تمت الموافقة على مشروع ملحق

---

(١١٠) احمد كسروي تبريزي مشروطه ايران ـ ج ٢ ـ ص ٣١٨ .

(١١١) ف.و. ٣٢/٤١٦ من برقية رايس الى غري برقم ١٨٦٩٣/١٤٢ تلهك في ٧ يونيو ١٩٠٧ . وليس مستبعدا ان يكونوا مدفوعين من الانكليز انفسهم ، بقصد اقامة العراقيل امام الوطنيين ، خصوصا وان محادثاتهم السرية مع الروس بشأن ايران ، كانت قد وصلت في هذا الوقت الى آخر مراحلها .

الدستور ، بعد أن أصبحت المادة الثانية منه ، تنص على تشكيل لجنة من خمسة من كبار العلماء لمراقبة القوانين المطروحة على المجلس ، حتى لا تكون مخالفة لنصوص الشريعة ، أعيدت قراءة ملحق الدستور بصيغته النهائية في جلسة ٣ أكتوبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ ، وبعد موافقة المجلس عليه ، رفع للشاه الذي صادق عليه في ٧ أكتوبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ ، وكان يتألف من مئة وسبع مواد ، وأنجز المجلس بذلك خطوة أخرى في استكمال هيكله الدستوري ، وأصبحت ايران ـ فعلا ـ دولة ديموقراطية ، ذات دستور تام ، يتألف ـ بالاضافة للدستور الصادر سابقا ـ من مئة وثمان وخمسين مادة ٠

دور طبقات الشعب في وضع الدستور :

ان الدستور الايراني ، في جزئه الأول ثم في ملحقه ، كان منقولا عن نصوص الدساتير الأوروبية ، غير أنه أجري على هذه النصوص ، الكثير من التعديل والتبديل ، حتى جاء الدستور ملائما لطبيعة المجتمع الايراني ، ومعبرا عن حاجات الشعب وتطلعاته ٠

أما أثر رجال الدين فيبدو في المادة الأولى منه ، التي تنص على أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ، حسب المذهب الجعفري الاثني عشري ، والمادة الثانية كانت لا تجيز مرور أي قانون من المجلس الوطني ، دون موافقة لجنة من العلماء (لا تقل عن خمسة) ، حتى لا يصدر أي قانون عن المجلس ويكون فيه مخالفة للشريعة ٠ ومن الطريف الاشارة الى أنه ورد في نص هذه المادة نفسها ما يمنع الغاءها أو تعديلها (حتى ظهور امام الزمان !) ٠

كما أن المواد ١٨ و٢٠ و٢١ تسمح بالتعليم ونشر الكتب وتأسيس الجمعيات ، بشرط عدم مخالفتها لتعاليم الدين ، والمادة ٢٧ أعطت المحاكم الشرعية حق البقاء الى جانب المحاكم الدينية التي سيجري تنظيمها ، كما أن المادة ٧١ منحت المحاكم الشرعية وحدها ، حق النظر في القضايا الشخصية ، والمادة ٨٣ قصرت حق تعيين المدعي العام على موافقة حاكم الشرع في المنطقة ٠

كما أن موادا عديدة جاءت لتقصر السلطة على المسلمين فقط ، فالمادة الأولى نصت على أن يكون رئيس الدولة مسلما شيعيا ، عاملا على رواج المذهب الجعفري ٠ والمادة ٥٨ حصرت حق الوزارة بالمسلمين وحدهم ٠

أما نواب التجار والحرفيين ، فقد كان لهم أيضا نصيب كبير من مواد الدستور ، فالمادة ١٥ منعت نزع الملكية دون دفع ثمن عادل لصاحبها ٠ والمادة ١٦ منعت المصادرة أصلا ٠ والمادة ١٧ أعطت المواطنين حرية التصرف بأموالهم وأملاكهم ضمن القانون ودون معارضة من أحد ٠ وقررت المادة ٩٤ عدم فرض ضرائب جديدة (اعتباطا) ، كما كان يحدث في السابق ٠ كما أن المادة ٩٠ منحت المجلس الوطني سلطة تحديد قيمة الضرائب٠ وجاءت المادة ٩٧ لتلغي التمييز في تحصيل الضرائب بين المواطنين ٠ والمادة ٩٨ جعلت الاعفاء الضريبي خاضعا للقانون٠ والمادة ٩٩ حصرت حق فرض الضرائب والرسوم المقررة بالحكومة المركزية ، ومجالس الولاية والايالة والبلدية ، وكل ذلك ضمن القانون ٠

جاءت المادة ٨ تقرر المساواة التامة بين الايرانيين أمام القانون ٠ والمادة ٩ تضمن للمواطنين حرمة أعراضهم وأرواحهم

وأموالهم ومساكنهم • والمادة ١٠ تمنع اعتقال المواطنين دون أمر خطي ، واعلام المقبوض عليهم بالتهمة الموجهة اليهم خلال ٢٤ ساعة • والمادة ١٣ جعلت للمساكن حرمة ، فمنعت دخولها الا في ظل القانون • وكفلت المادتان ٢٦ و٢٣ حرية المكاتبات البريدية والمخابرات البرقية وسريتها • وقضت المادتان ٢٦ و٢٧ على الحكم الفردي ، فوزعت أعباء الحكم على ثلاث سلطات : تشريعية وتنفيذية وقضائية ، وجعلت الأمة مصدر كل السلطات •

الفصل السادس

تعطيل الدستور أو فترة الاستبداد الصغير

كان منطق الأمور ، يحتم أن تكون فترة ما بعد اقرار الدستور (وملحقه) ، أكثر فترات المجلس الوطني عملا وانجازا، بعد أن أصبح الهيكل الدستوري للدولة مكتملا : مجلس وطني يمثل السلطة التشريعية ، وحكومة تمثل السلطة التنفيذية ، ودستور ينظم العلاقات بينهما ، غير ان الذي حدث كان عكس ذلك تماما ، حيث اضطر المجلس الى أن ينصرف الى معالجة المشاكل ، والى خوض المعارك الجانبية ، التي افتعلها رجال البلاط ، والى تحطيم المؤامرات التي دبرها الشاه ، للقضاء على الحركة الوطنية ، واعادة حكم الاستبداد كما كان ٠

كان أبرز هذه الأحداث محاولة الشاه الفاشلة في ١٥ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ ، لاستعادة الحكم المطلق ٠ وخطة الوطنيين الفاشلة في ٢٨ فبراير ـ شباط ـ ١٩٠٨ ، لاغتيال الشاه ٠

فشل الانقلاب الملكي ضد المجلس :

بعد جهد كبير ، استطاع الشاه التوصل الى تشكيل حكومة تخلف حكومة الاتابك الاعظم ، برئاسة ميرزا أحمد خان مشير السلطنة (١) ، كما تولى رئاسة المجلس ، ميرزا محمود خان احتشام السلطنة ، بعد استقالة رئيسه السابق صنيع الدولة ·

كان مشير السلطنة ضعيفا ، لذلك حاول الشاه الاستفادة من ضعفه ، والتدخل في شؤون الدولة لتنفيذ سياسته في تحطيم الحركة الوطنية ·

قام أعوان الشاه بتمهيد الطريق أمامه للقيام بمحاولته الكبيرة للقضاء على المجلس ونوابه ، فاغتيل « سلطان العلماء خراساني » محرر جريدة « روح القدس » الطهرانية ، لأنه كان يهاجم الشاه بشدة على صفحات جريدته ، ويدعو المواطنين للالتفاف حول المجلس الوطني ، كما أخذ بعض رجال الدين ، بايماز من رجال القصر ، بالدعوة في بعض مساجد طهران للتخلص من الحكم الدستوري المنافي برأيهم للشريعة ·

وعندما أصدر المجلس قانونا ، يحدد فيه مخصصات البلاط الملكي ، اغتنم الشاه الفرصة ، وحرض صغار الموظفين والخدم والحرس في القصور الملكية ضد المجلس ، موهما اياهم ان المجلس قد أنقص رواتبهم ، فانطلق هؤلاء في تظاهرة كبيرة نحو المجلس ، هاتفين ضده وضد الدستور · وقد أحدث هذا العمل بلبلة وفوضى في المدينة ، وهو ما كان يسعى اليه الشاه كتمهيد لتنفيذ مؤامرته · وفي هذا الوقت استقال مشير السلطنة وتولى

---

(١) احمد كسروي تبريزي ـ مشروطه ايران ـ ج ٢ ـ ص ٤٨٣ ·

الوزارة ناصر الملك ، ولم يكن الشاه راضيا عن الحكومة الجديدة ، حيث كان رئيسها مثقفا وذا ميول تحررية ، وقد وجد رئيس الحكومة الجديد نفسه عاجزا عن اقرار الأمن ، حيث كان الشاه يتدخل سرا لدى الشرطة ، ليحول بينها وبين اداء واجباتها (٢) ، وذلك حتى تسود الفوضى ، وتصبح نصوص الدستور حول صيانة أرواح الناس وأموالهم حبرا على ورق ٠

أدرك الوطنيون أن جميع ما يجري من أحداث هو بتدبير من رجال البلاط الملكي لجر النواب الى صدام لا طاقة لهم به ، فأخذ الوطنيون في طهران يجمعون الاسلحة سرا ، ويتدربون عليها ، وامعانا في تضليل النواب تنفيذا لخطته المرسومة ، فقد جاء الشاه الى المجلس لأداء القسم ، الذي تحتم المادة ٣٩ من ملحق الدستور ، على الملك اداءه (٣) ، وقد اغتنم الفرصة ليعلن في المجلس أن تلك الساعة هي أسعد ساعات حياته ، وان ذلك اليوم هو أول أيام حكمه ، وقد رد النواب على كلمة الشاه ، شاكرين له زيارته ، واعدين بأداء واجباتهم بكل اخلاص (٤) ٠

وما كاد الوطنيون يرتاحون قليلا ، للانفراج الذي حدث في الجو السياسي ، حتى فاجأهم الشاه في ٢٧ نوفمبر ـ كانون الثاني ـ ١٩٠٧ ، بطلب ارسال وفد من النواب لمقابلته ، وعندما جاءوا اليه ، أعلمهم ـ في خطاب طويل ـ أن الفوضى التي تجتاح البلاد سببها انحراف الجمعيات عن واجباتها ، ومحاولتها القيام بدور المجلس والحكومة معا ، وأن سكوت المجلس على

---

(٢) ف.و. ٣٤/٤١٦ من رسالة مارلينغ السرية الى غري برقم ٢٤٣/ طهران في ٧ نوفمبر ١٩٠٧ .
(٣) وقائع جلسة ١٢ نوفمبر ١٩٠٧ .
(٤) نداي وطن ـ العدد ١٠٥ ـ في ١٣ نوفمبر ١٩٠٧ .

ذلك يزيد من الفوضى ، وأمهل المجلس أربعة أيام حتى يتدارس أعضاؤه الطريقة المناسبة للتعاون معه ، وأوضح أن تحديد صلاحيات كل من السلطتين التشريعية والتنفيذية ، يجعل الأمور تنتظم ويقضي على الفوضى • غير ان جواب النواب على تهديد الشاه كان عنيفا ، حيث أعلنوا فيه ان القضاء على الفوضى ، هو من اختصاص السلطة التنفيذية (الحكومة) ، وليس التشريعية (المجلس) ، وأن محاولة جر المجلس الى ذلك ، اشغال له عن أداء واجباته الاساسية وتعطيل لأعماله ، وبشأن الجمعيات، فقد أعلن المجلس ، أن حق الاجتماع كفله الدستور ، وأنه بصدد وضع قانون ينظم أوضاعها ، بحيث لا تخرج عن نصوصه، وأشار أخيرا الى أن المجلس وهو يؤدي واجباته كاملة ، ينتظر من الحكومة أيضا ، أن تلتزم حدودها (٥) •

لم يعجب الشاه الموقف الذي اتخذه المجلس الوطني ، واستمر في تجاوز صلاحياته ، والاستهانة بالدستور،فعين أمير بهادرجنك، رئيسا لحرسه الخاص ، بعد أن أحضره من تبريز ومعه ثلاثمئة فارس (٦) ، وعندما شعر أن الجو قد أصبح مناسبا لتنفيذ خطته، أمر بعض المسلحين ، الذين قام البلاط باستئجارهم ، باحداث الشغب في طهران ، فتجمع هؤلاء في ميدان طوبخانه (٧) في ١٤ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ ، وأخذوا يهاجمون المحلات ، ويتعرضون للمارة ، وكانوا يهتفون « نريد دين النبي

(٥) وقائع جلستي ٢٨ نوفمبر والاول من ديسمبر ١٩٠٧ •
(٦) يحيى دولت آبادي ــ حيات يحيى ــ ج ٢ ــ ص ١٦٠ • وكان أمير بهادر من اقرباء الشاه ومن اكثر المخلصين له •
(٧) احد ميادين طهران ، ويبعد عن المجلس حوالي كيلومتر واحد ويعرف حاليا باسم ميدان سبه (أي الجيش) •

لا المشروطية » (دين نبي خواهيم ، مشروطة نميخواهيم) ، وقد قتلوا بعض من ظنوا أنهم أنصار الدستور ، كما أخذوا ينهبون كل ما تقع عليه أيديهم من أموال وغيرها (٨) ، وكان على رأس هؤلاء المسلحين « مقتدر نظام » و « صنيع حضرت » وكلاهما من أشرار طهران ، ومن رؤساء العصابات فيها ، وقد قاموا بالهجوم على بناء المجلس الوطني ، ثم رجعوا الى ميدان طوبخانه • وأمضوا ليلتهم فيه ، داخل خيام نصبوها ، وقد أمدهم بعض جنود القوزاق بالأسلحة ، كما قاموا بحمايتهم من أي هجوم يقوم به أنصار الدستور عليهم (٩) ، وفي اليوم التالي ازدادت شراستهم فهاجموا الاسواق ، وأغاروا على الحي اليهودي ، ونهبوا منازله وضربوا سكانه ، واعتدوا على مكاتب الصحف الوطنية فحطموها ، واتخذوا من لافتاتها أهدافا لبنادقهم ، وقويت جموعهم بانضمام « الشيخ محمود وراميني » اليهم ، مع عدد من أنصاره الذين قدموا معه من قريتهم « ورامين » القريبة من طهران ، كما انضم اليهم أيضا الشيخ فضل الله نوري وملا محمد آملي وأنصارهما •

أدرك الوطنيون أن ما يجري ليس أحداثا عابرة ، وانما هو مؤامرة محبوكة لضرب الثورة الوطنية ، فتجمع أنصار الدستور حول بناء المجلس لحمايته والدفاع عنه ، وما انتصف نهار ١٥ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ ، حتى كان ألفان وسبعمائة مسلح منهم ، يحيطون بناء المجلس الوطني للدفاع

---

(٨) حسن حلاج ـ تاريخ تحولات سياسي ايران ـ ص ٤٠ .
(٩) ف.و. ٣٤/٤١٦ من برقية مارلينغ الى غري برقيم ٤١٣١٦/٣٨٥ طهران في ١٧ ديسمبر ١٩٠٧ .

عنه ، وقد تضاعف عددهم بوصول الوطنيين من بلدة « ري » القريبة ، كما قام الوطنيون بتشكيل لجنة للاشراف على اعداد ترتيبات الدفاع وتموين الوطنيين بالطعام والعتاد . وأقاموا المتاريس والتحصينات حول بناء المجلس ، وكذلك حول مدرسة سبهسالار الدينية المجاورة له .

اعتقل الشاه ناصر الملك رئيس الوزراء ، كما اعتقل علاء الدولة وممين الدولة (أولهما أمير قاجاري والثاني شقيق رئيس المجلس) ، اللذين أرسلهما رئيس المجلس الوطني لمُحاولة التفاهم مع الشاه ، وقد نفاهما ، فيما بعد ، الى مازندران ، أما ناصر الملك فقد سمح له بالسفر الى أوروبا ، بعد وساطة المفوضية البريطانية بشأنه (١٠) .

في ١٦ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٧ أرسل الشاه الى حكام الولايات ، يطلب منهم تلقي الأوامر والتعليمات منه مباشرة (١١) ، كما أرسل الى المجلس ، يعلمه أن غرضه الضرب على أيدي العابثين بالأمن ، واعادة النظام للمدينة ، غير ان الوطنيين ، أبلغوه أن ذلك ليس من صلاحياته ، وأن المجلس لن يتعاون معه في هذا الشأن ، وعزوا الفوضى واضطراب الوضع الى أنصاره وأعوانه ، كما طلبوا منه الكف عن الاعمال التي جلبت الشر للبلاد (١٢) .

كان حشد البلاط للمسلحين في شوارع طهران ، وكذلك قيام

---

(١٠) ف.و. ٣٤/٤١٦ من برقية مارلينغ الى غري برقم ٤١٢٠٤/٣٨٦ طهران في ١٦ ديسمبر ١٩٠٧ .
(١١) احمد كسروي ــ مشروطه ايران ــ ج ٢ ــ ص ٥١٦ .
(١٢) ف.و. ٣٤/٤١٦ من برقية مارلينغ الى غري برقم ٤١٢٢٦/٣٨٤ طهران في ١٦ دسبر ١٩٠٧ .

المجلس بتعبئة أنصاره ، قد جعل طهران تبدو كميدان حرب ، وكان قادة الوطنيين يشرفون على الوضع ، وينظمون أنصارهم ، من بناء المجلس ، الذي اتخذوه طيلة فترة الأزمة مقرا لهم ، وأحاطوه بالمسلحين من كل جانب (١٣) . وقد قامت جمعية تبريز الوطنية بدور كبير ، في هذه الفترة ، فأبرقت الى كافة المدن الايرانية ، والى علماء النجف ، تعلن أنها لم تعد تعترف بمحمد علي ملكا على البلاد (١٤) ، كما أرسلت للجنود الآذربايجانيين في طهران ، تنذرهم بهدم بيوتهم في آذربايجان ، وقتل عائلاتهم ، ان هم أطاعوا الشاه ، وقاموا بأي عمل ضد المجلس الوطني ، وقد كان لهذا الانذار أثره في احجام الجنود عن طاعة الشاه ، فأضعفوا بذلك مركزه ، وقد فطن الشاه لذلك ، وعرف أن محاولته باءت بالفشل ، لذلك لما جاءه وفد جديد من المجلس للتفاهم معه وكان من بين أعضائه عضد الملك كبير الأسرة القاجارية (١٥) ، أظهر الشاه استعداده للتفاهم ، وطلب تفريق المسلحين من حول بناء المجلس ، ليعمل على تفريق المسلحين الموجودين في ميدان طوبخانه ، مظهرا أسفه للاعمال التي ارتكبوها ، وقد رفض كثيرون من الوطنيين ترك مواقعهم حول المجلس ، لعدم ثقتهم بوعود الشاه . وتقرر في هذا اللقاء ، أن ينهي الجميع خلافاتهم ، وأقسم الوفد النيابي على الاخلاص للدستور والعمل لخير الوطن ، وأقسم الشاه بالمقابل ، وكتب نص القسم بخط يده على القرآن الكريم ، وأعلن في اليوم

---

(١٣) الاهرام ــ العدد ٩٠٦٦ في ١٣ يناير ١٩٠٨ .
(١٤) احمد كسروي ــ مشروطه ايران ــ ج ٢ ــ ص ٥١٨ .
(١٥) جريدة مجلس ــ العدد ٧ ــ السنة ٢ ــ في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٧ .

التالي ، في المجلس ، بحضور السفراء والعلماء ، بالاضافة للنواب ، عن زوال الفتنة وعودة المياه الى مجاريها بينه وبين المجلس (١٦) ٠

وجد النواب ، بعد فشل محاولة الشاه في القضاء على المجلس، ان المحاولات يمكن أن تتكرر ، لذلك حاولوا القضاء على أسباب الفتنة والخلاف ، وقدموا للشاه ستة مطالب ، أصروا على تنفيذها ، حتى يكون الصلح صادقا وحقيقيا : نفي سعد الدولة من طهران ، وعزل أمير بهادر من قيادة الحرس الملكي ، ومعاقبة الذين قادوا المسلحين في ميدان طوبخانه ، وانشاء حرس خاص بالمجلس الوطني مؤلف من مئتي شخص ، واعادة علاء الدولة ومعين الدولة وناصر الملك الى طهران (١٧) ٠

التجأ سعد الدولة للمفوضية الهولندية (١٨) ، وأخذ الشاه يماطل في طرد أمير بهادر ، وظل زعماء المسلحين الذين آثاروا الشغب طليقين ، وأدرك الوطنيون أن عدم استجابة الشاه لأي من المطالب التي قدموها ، كانت تدل على عدم صدقه في المصالحة مع المجلس ، فرجع الوطنيون لتجميع أنصارهم المسلحين من جديد ، وأخذت المدن الأخرى ترسل متطوعين مسلحين الى طهران لنجدة وطنييها ، فجاء من قزوين مئة مسلح (١٩) ، ووصل سبعون مسلحا من « ساوه (٢٠) » ، واتجه نحو طهران مئة مسلح

---

(١٦) وقائع جلسة ٢٤ ديسمبر ١٩٠٧ ٠

(١٧) نداي وطن ــ العدد ١٣٥ ــ السنة ٢ ــ في ٢٦ ديسمبر ١٩٠٧ ٠

(١٨) ف.و. ٣٤/٤١٦ من برقية مارلينغ الى غرى برقم ٤٢١٤٠/٤١٣ طهران في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٧ ٠

(١٩) جريدة مجلس ــ العدد ١٠ ــ السنة ٢ ــ في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٧ ٠

(٢٠) ندا يوطن ــ العدد ١٣٦ ــ السنة ٢ ــ في ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ٠

من قم يقودهم المجتهد سيد عبد الله (٢١) ، عند ذلك تفرق المسلحون الذين جمعهم البلاط ، وأخلوا ميدان طوبخانه ، وأعلن المجلس الوطني ، للمتطوعين القادمين من المدن المختلفة ، شكر نواب الأمة لهم ، وطلب اليهم العودة الى مدنهم ، بعد زوال الأزمة (٢٢) • وأثناء تفرق المسلحين المستأجرين من قبل البلاط ، عمدوا الى نهب بعض المحلات ، وسلب العابرين (٢٣)، وقتلوا « ارباب فريدون » ، التاجر الزردشتي الثري ، الذي كان يمد الوطنيين بالمال ، وسلبوا أمواله ، وقد قام رئيس شرطة طهران الجديد « معتضد ديوان » بالقبض على القتلة ، وأمر بقتل كل من يطلق نارا ، أو يسبب تعكير الأمن (٢٤) •

وهكذا استتب الأمن ، وهدأت الخواطر ، ورجع عين الدولة وعلاء الدولة من المنفى ، وتشكلت حكومة جديدة •

تناسى النواب كل ما حدث ، وعملوا على تقوية العلاقة بين الشاه والمجلس (٢٥) •

أما موقف الروس والانجليز ، خلال هذه الأحداث ، فقد كاد يكون متقاربا ، حيث ان الدولتين أرسلتا مذكرة مشتركة الى المجلس ، تعلنان فيها عدم رضاءهما عن أية محاولة للاطاحة بالشاه ، وتطلبان احلال السلام بين المجلس والشاه • وقد خشي المجلس الوطني من أن يكون ذلك ذريعة للدولتين للتدخل في شؤون ايران الداخلية،فرضي بالصلح والتفاهم مع الشاه (٢٦)•

---

(٢١) المصدر السابق ـ العدد ـ ١٣٨ ـ السنة ٢ ـ في ٢٩ ديسمبر ١٩٠٧

(٢٢) المصدر السابق ـ العدد ١٣٨ ـ السنة ٢ ـ في ٤ يناير ١٩٠٨ .

(٢٣) المصدر نفسه ـ العدد ١٣٧ ـ السنة ٢ ـ في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ـ العدد ١٤٤ ـ السنة ٢ ـ في ٦ يناير ١٩٠٨ .

(25) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 197.

(٢٦) احمد كسروى ـ مشروطه ايران ـ ج٧ ـ ص ٥٢١ .

محاولة اغتيال الشاه :

أخذت الأمور تسير كالمعتاد ، فانتهت المحكمة من نظر قضية مقتل التاجر الزردشتي ، وأصدرت حكمها بجلد القتلة ونفيهم الى « كلات نادري » لمدة عشر سنوات ، وصادق العلماء على الحكم ، وكان بذلك أول حكم قضائي عدلي يصدر بالعهد الدستوري (٢٧) . وفي أواخر شهر فبراير ـ شباط ـ أرسل الشاه للمجلس رسالة يشكره فيها على ما يبذله من جهد ، ويعلن استعداده لحضور حفلة افتتاح البناء الجديد للمجلس عند انجازه (٢٨) ، غير أنه في اليوم التالي جرت محاولة اغتياله .

ففي عصر يوم ٢٨ فبراير ـ شباط ـ ١٩٠٨ ، بينما كان موكب الشاه متجها من قصره الى ضاحية « دوشان تبه » ، ألقيت على سيارته قنبلتان ، ولكنه نجا ، لأنه كان وراء السيارة بمئة قدم ، في عربة تجرها الخيول (٢٩) ، ونتج عن الحادث مقتل أربعة من مرافقي الشاه وجرح ثمانية (٣٠) ، ورجع الشاه الى قصره ، سائرا على قدميه ، يحيط به رجال حرسه .

ما ان انتشر خبر محاولة قتل الشاه في طهران ، حتى أغلقت الأسواق ، وتعطلت الأعمال ، تحسبا لمضاعفات الحادث ، وقد أرسل الشاه بنفسه برقيات للمدن الايرانية ، يعلن فيها خبر محاولة الاعتداء على حياته ونجاته منها ، وقد أعلن المجلس في

---

(٢٧) جريدة مجلس ـ العدد ٤١ ـ في ٤ فبراير ١٩٠٨ .
(٢٨) جريدة مجلس ـ العدد ٦٠ ـ في ٢٩ فبراير ١٩٠٨ .
(٢٩) مساوات ـ العدد ١٥ ـ في ١ مارس ١٩٠٨ .
(٣٠) يادكار ـ العدد ٥ ـ السنة ٣ ـ ص ٦٢ ـ ديسمبر ١٩٤٦ ويناير ١٩٤٧ .

جلسة خاصة استنكاره للحادث ، ونسبه الى أيد غريبة عن ايران (٣١) ، وأظهر من جديد محبته ومودته نحو الشاه • كما قام وفد نيابي بتهنئة الشاه بالنجاة ، وزينت طهران والمدن الأخرى فرحا بذلك (٣٢) •

مضت تسعة أيام دون أن تتم معرفة الذين قاموا بمحاولة الاغتيال ، فأغضب ذلك الشاه ، وأرسل رسالة هامة الى المجلس ، يعلن فيها ، أنه بجانب تمسكه بالدستور ، فانه يرى أنه ، وهو ملك البلاد ، لا يتمتع مطلقا بحماية الدستور ، وأنه اذ يقدر تألم النواب من الحادث الذي حصل ، الا أنه يرى ، في الوقت نفسه ، أنهم لم يبذلوا جهدا كافيا ، لمعرفة مرتكبي الحادث ، وأنه يلح في معرفة الجناة من أجل الأمن العام في البلاد ، وينذر باتخاذ الاجراءات التي يراها مناسبة ، اذا لم تتم معرفة الجناة في وقت قصير (٣٣) •

رد مجلس النواب أن القبض على الجناة ليس من واجباته ، بل هو من اختصاص الحكومة (٣٤) •

ومنذ هذا الوقت ، بدأت العلاقة بين الشاه والمجلس تتدهور ، حتى انتهت الى قطيعة لم يعد ينفع معها صلح أو تفاهم •

بدأ الشاه تنفيذ تهديده باصدار أوامر شخصية مباشرة ، الى رئيس الشرطة والى حاكم طهران ، بالقيام بحملة تفتيش واسعة ، ومداهمة المنازل ، والقبض على أي شخص يشتبهون بأن له ضلعا بالحادث ، وقد تم ذلك دون علم وزيري العدلية

---

(٣١) وقائع جلسة ٢٩ فبراير ١٩٠٨ •
(٣٢) محمد اسماعيل رضواني — مشروطيت ايران — ص ١٦١ •
(٣٣) وقائع جلسة ٧ مارس ١٩٠٨ •
(٣٤) صور اسرافيل — العدد ٢٥ في ١٢ مارس ١٩٠٨ •

والداخلية ، أو أخذ موافقتهما (٣٥) ٠

استاء الوزراء من تدخلات الشاه وتجاوزه صلاحياته ، وقدموا استقالاتهم ٠ غير أن الشاه رفض قبولها (٣٦) ، وقد اشترطوا عليه ، مقابل الرجوع عنها ، أن يترك التحقيق يأخذ مجراه ، وأن تجري محاكمة المتهمين في قاعة المحكمة ، وليس في احدى قاعات القصر كما كان جاريا (٣٧) ٠

وقد انصاع الشاه أخيرا لرأي الوزراء ، خصوصا بعد ما رأى مظاهر السخط والغضب التي عمت الشعب ، بسبب خرقه القوانين ، وتجاوزه لصلاحياته ، وقدم المسؤولين عن الشرطة للمحاكمة ، لقيامهم باعتقال الناس ومداهمة المنازل ، دون أمر من وزير الداخلية أو المدلية ٠

أما الثلاثة المقبوض عليهم ، فقد سُلم اثنان منهم (حيدر خان عمو أوغلي وميرزا اسماعيل) الى المفوضية الروسية ، بصفتهما يحملان الرعوية الروسية ، وذلك عملا باتفاقية معاملة الرعايا الروس (الامتيازات القنصلية) ، المبرمة بين ايران وروسيا والملحقة بمعاهدة تركمانجاي المعقودة سنة ١٨٢٨ بينهما ، وقد مر ذكرها في الفصل الثاني ٠

أما المعتقل الثالث ــ ضياء السلطان ــ فقد ظل معتقلا مدة ثم أطلق سراحه فيما بعد (٣٨) ٠

رغم انتهاء قضية محاولة اغتيال الشاه ، الا أن الاوضاع ظلت قلقة في طهران ، وكانت تهدد ، في كل لحظة ، بنشوب أزمة

---

(٣٥) مساوات ــ العدد ٢١ ــ في ٢٦ ابريل ١٩٠٨ ٠
(٣٦) احمد كسروى ــ مشروطة ايران ــ ج٢ ــ ص ٥٥٠ ٠
(٣٧) نداي وطن ــ العدد ٢٢٩ في ١٦ ابريل ١٩٠٨ ٠
(٣٨) نداي وطن ــ العدد ٢٣١ في ١٨ أبريل ١٩٠٨ ٠

جديدة بين الشاه والمجلس ، وضاعف من خطورة الموقف ، عدم وجود حكومة في البلاد ، بعد استقالة نظام السلطنة رئيس الوزراء ، كما أنه في الفترة نفسها ، استقال احتشام السلطنة من رئاسة المجلس ، وانتخب بدلا منه ، ميرزا اسماعيل خان ممتاز الدولة .

اجتمع أمراء الأسرة القاجارية برئاسة عضد الملك ، لدراسة أوضاع البلاد ، وقد وجدوا أن بقاء العرض القاجاري منوط بتطهير البلاط من العناصر الرجعية ، التي تسيء لمركز الشاه أكثر مما تنفعه ، ولذلك تقدموا الى الشاه بطلب طرد ستة أشخاص ، اعتبروهم سبب الأزمات المتلاحقة التي كانت تحدث بين الشاه والمجلس وهم :

أمير بهادر جنك (قائد الحرس الملكي) وسيرغي شابشال (مستشار الشاه ومعلمه وهو روسي) وموقر السلطنة (وزير البلاط) وأمين الملك ومفاخر الملك ومجلل السلطنة (وجميعهم من رجال القصر) ، وقد تظاهر الشاه بقبول ذلك الطلب ، غير أنه في اليوم نفسه التجأ أمير بهادر الى المفوضية الروسية في مقرها الصيفي في زركنده ، ويعتقد بأن ذلك تم بالاتفاق مع الشاه ، كما أن الاشخاص الخمسة الآخرين ، لم تنقطع صلتهم بالشاه ، وظلوا يترددون على القصر سرا (٣٩) .

انتقال الشاه الى باغشاه :

أخذ الشاه يخطو نحو تنفيذ خطته بمنتهى الدقة والحذر ،

---

(39) Browne, Edward — The Persian Revolution, p. 199.

وقد بدأ ذلك بالابتعاد عن طهران ، حيث غادرها في صباح ٤ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٠٨ الى ضاحية«باغشاه» القريبة (٤٠) وقد أثارت طريقة خروجه،الدهشة والاستغراب بين الطهرانيين، فقد اندفع فرسان الحرس الملكي في مقدمة الموكب ، محدثين جلبة وضوضاء شديدتين ، وأخذوا باطلاق النار في الهواء ،والاعتداء على المارة ، وقد أثار ذلك العمل فزع السكان ، الذين ظنوا أن حربا أو حادثا قد وقع ، فأغلقت المحلات التجارية ، وأقفرت الشوارع من السابلة ، غير أنه تبين بعد قليل جلية الأمر ، فعادت المدينة الى حالتها الطبيعية ، ورغم أن الشاه أصدر بيانا بعد ظهر ذلك اليوم ، يبرر سبب خروجه الى باغشاه بشدة حرارة الجو في طهران ، وعدم قدرته على تحمله (٤١) ، غير أن الزعماء الوطنيين لم ينخدعوا بهذا التبرير ، وعلقت احدى الصحف الوطنية على ذلك قائلة : « عجبا ! ملك في القرن العشرين ، يتحرك مسافة مئة قدم عن العاصمة ، فيحدث كل هذه الفوضى والضوضاء ! أما كان الافضل له ، لو أنه انتقل على مرأى من المواطنين ، أو بين صفين منهم ، حاملين له الورد في أيديهم ؟ ان هذا التصرف لا يمكن تفسيره الا بشدة النفوذ الذي يمارسه الروس في بلاط الشاه ، حيث يقفون بهذا النفوذ ، حائلا أمام أي اصلاح (٤٢) » .

---

(٤٠) هي الان جزء من طهران ،وقد كانت متنزها لسكانها في العهد القاجاري .

(٤١) محمد اسماعيل رضواني ـ مشروطيت ايران ـ ص ١٦٤ .

(٤٢) صور اسرافيل ـ العدد ٣١ـ في ١١ يونيو ١٩٠٨ .

العلاقة بين الشاه والمجلس :

تجمع ما يقرب من ألف من المسلحين الوطنيين حول بناء المجلس لحمايته من أي خطر محتمل ، وقد قام بعض النواب والزعماء الوطنيين المعتدلين ، باصدار الأمر للمسلحين بالتفرق، منعا لتصعيد الموقف وحرصا على اظهار حسن نوايا النواب نحو الشاه ، لكن الشاه ، من جهة ثانية ، لم يعد يهمه ، وقد أخذ ينفذ خطته ، نوايا النواب •

بدأت دوريات القوزاق ، منذ السادس من يونيو ــ حزيران ــ تصادر الاسلحة من المواطنين في شوارع طهران ، وقد احتل بعض جنود القوزاق مكتب البرق ، وقطعوا كل اتصال لطهران مع الخارج •

وقام باعتقال ثلاثة من الأمراء القاجاريين : جلال الدولة وعلاء الدولة وسردار منصور ، واتهمهم بالتآمر عليه ، كما أمر بعزل ميرزا صالح خان حاكم طهران ، وعين بدلا منه أحد مؤيديه مصطفى خان حاجب الدولة (٤٣) ، وقد قابل الشاه في اليوم التالي ، وفد كبير من أمراء الأسرة القاجارية وبعض شخصيات البلاد ، يلتمسون منه اطلاق سراح الأمراء الثلاثة المعتقلين ، حرصا على عدم تأزم الأمور ، غير أنه رفض وأرسل الثلاثة الى المنفى في مازندران (٤٤) •

في الثامن من يونيو ــ حزيران ــ أصدر الشاه بيانا بعنوان « طريق نجاة وأمل الأمة » ، أعلن فيه استيائه من أعمال

---

(٤٣) يحيي دولت ابادي ــ حيات يحيي ــ ج٢ ــ ص ٢١٦ •
(٤٤) نداي وطن ــ العدد ٢٧٤ ــ في ٩ يونيو ١٩٠٨ •

الجمعيات الوطنية ، وقيامها بتسليح أنصارها واحداث الفوضى، واستنكاره لحملات الصحف والخطباء عليه ، وندد بعدم تعاون المجلس معه ، وفي النهاية هدد بمعاقبة كل من يحدث الفوضى ، وباتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار الأمن (٤٥) • وقد أبرق بنص البيان الى المدن الايرانية المختلفة محاولا اجتذاب الرأي العام الايراني الى جانبه ، والتشهير بالمجلس الوطني •

رد الوطنيون على بيان الشاه باصدار منشور سري في ١٠ يونيو ـ حزيران ـ بعنوان « جواب من شعب ايران » فندوا فيه الاتهامات الموجهة للمجلس ولكافة الوطنيين ، واتهموا بدورهم رجال البلاط ، وفي اشارة واضحة للشاه ، طلبوا ممن لم يرى الشعب شيئا من خيره ، أن يعفيه من شره على الاقل (٤٦) •

قام بعض الوطنيين بجهد كبير في افهام الناس حقيقة الوضع القائم بالبلاد ، واشترك ملك المتكلمين وسيد جمال الدين واعظ في القاء الخطب في المساجد والميادين العامة ، شارحين فيها كيف تعطلت نصوص الدستور ، وكيف خنقت الحرية في ايران (٤٧)، كما أرسل العالمان بهبهاني وطباطبائي ، برقيات الى علماء المدن الأخرى في ايران ـ عن طريق مركز البرق في قزوين لتعذر ارسالها عن طريق طهران بسبب احتلال جنود القوزاق لمكتب البرق فيها ـ يعلمونهم فيها بالوضع الحقيقي في طهران ،واحتمال تعرض الحركة الوطنية كلها لهزة كبيرة لا تعرف نتائجها ، كما

---

(٤٥) نص البيان ـ وثيقة برقم ٥١٥٧١/٥٥٠ بمكتبة المجلس الوطني بطهران •
(٤٦) نص البيان ضمن مجموعة وثائق تحت رقم ٥١٥٦١/٥٥٠ بمكتبة المجلس الوطني في طهران •
(٤٧) احمد كسروي ـ مشروطة ايران ـ ج٢ ـ ص ٥٨٥ •

قام بعض القادة الوطنيين في طهران ، بتشكيل مجموعات وطنية مسلحة بجهدهم الشخصي (٤٨) ·

وقد سارعت جمعية تبريز ترد على بيان الشاه الصادر في ٨ يونيو ــ حزيران ــ وافتتحت الجمعية في تبريز مكتبا لقبول المتطوعين ، وآخر لجمع التبرعات ، وكان حماس أهل تبريز في الاقبال عليهما شديدا ، واشتركت النساء في التبرع بجواهرهن (٤٩) ·

وبينما دلل النواب على عدم رغبتهم بتشديد الازمة ، بأن طلبوا من أبناء الشعب الذين أحاطوا مبنى المجلس ، وكان يقارب عددهم عشرة آلاف ، بالتفرق بهدوء ، كان الشاه يأمر بوضع المدفعية على بوابات شميران ودوشان تبه ·

كان تجار طهران قد أغلقوا حوانيتهم ، منذ بداية الأزمة ، وتوقفت الحركة التجارية ، رغم تهديد الحكومة للتجار بمصادرة حوانيتهم اذا ظلت مغلقة ·

لم يقطع النواب الأمل من امكانية التفاهم مع الشاه ، ولذلك أرسلوا في ١٥ يونيو ــ حزيران ــ وفدا يتباحث معه في أسباب الأزمة ، واقتراح الحلول لمعالجتها (٥٠) ، وذلك ضمن بيان يعد أخطر البيانات التي أصدرها المجلس في تلك الفترة ، وكان أهم ما ورد فيه :

١ ــ ان الشعب الايراني الذي جاهد للحصول على الدستور يرى ان هذا الدستور قد انتهك وخصوصا المواد ٩ و١٠ ·

(٤٨) يحيى دولت ابادي ــ حيات يحيى ــ ج٢ ــ ص ٢٠٣ ·
(٤٩) جريدة مجلس ــ العدد ١٥٢ ــ في ١٩ يونيو ١٩٠٨ ·
(٥٠) جريدة مجلس ــ العدد ١٤٨ــ في ١٥ يونيو ١٩٠٨ ·

و١٢ و١٤ و٢٣ ٠

٢ ـ ان مسؤولية ذلك تقع بدرجة كبيرة على الشاه ، تدخله بشؤون الحكومة وتجاوزه حدود صلاحياته ، يشاركه في هذه المسؤولية رجال البلاط الرجعيون الذ يساعدونه على ارتكاب الاخطاء والاستهتار بنصوص القوانين ٠

٣ ـ يرى المجلس الحل بعودة كل سلطة الى حدودها ، وتبسيط الأمور ومعالجتها بالتفاهم والتشاور ، وابعاد مثيري الفتن ٠

قبيل ضرب مبنى المجلس بقليل ، أصدر الشاه بيانا ، أجمل فيه ، حسب رأيه ، الاسباب التي أدت لنشوب الأزمة في العلاقات بينه وبين المجلس ٠

وأعلن ان الشاه راغب ببقاء الحكم الدستوري ، ولولا ذلك ، لقضى على المجلس منذ وقت طويل ، وفي النهاية كرر قوله بأنه سيتخذ ما يراه مناسبا لحفظ البلاد (٥١) ٠

موقف علماء النجف :

كان علماء النجف قد وقفوا مع الحركة الوطنية منذ بدا! أحداثها ، وقد ازداد تأييدهم للوطنيين ، بعد محاولة الانقلا الأولى التي قام بها الشاه ضدهم في ١٥ ديسمبر ـ كانون الاول ١٩٠٧ ، حيث عمدوا وقتها لاصدار فتوى بتكفير الشيخ فضل اللا نوري لانفصاله عن الحركة الوطنية ، كما أصدروا فتوى أخر:

---

(٥١) مهدي ملكزاده ـ تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ـ ج٤ ـ ص ٣٢ ٠

بوجوب دفاع كل مسلم عن المجلس الوطني (٥٢) ، بل وزادوا على ذلك بأن اعتبروا بقاء الأمة الايرانية ، واستمرار المذهب الشيعي ، رهينة بقاء مجلسها الوطني (٥٣) ٠

وكانوا وراء كل قانون اصلاحي جديد أصدره المجلس الوطني ، حيث أصدروا الفتاوى المتعددة لجعله مقبولا لدى الشعب الايراني ، مثل الخدمة العسكرية الاجبارية (٥٤) ، وانشاء المدارس على الطراز الأوروبي الحديث ، وتأسيس مصرف وطني لدعم مشروعات الدولة (٥٥) ٠

وعندما أحس علماء النجف بالخطر المحدق بالمجلس ، من تآمر الرجعية عليه ، أصدروا نداء الى كل سكان ايران ، مواطنين وجنودا ، بأن يحافظوا على الوحدة الوطنية ويحموا البلاد من عودة الاستبداد اليها (٥٦) ، وعندما أرسل العالمان بهبهاني وطباطبائي ، يسألان النجف عن الموقف الذي يتخذانه بشأن الأزمة الناشبة ، كان جواب النجف تفويضا لهما بالعمل لما يريان فيه مصلحة للاسلام والمسلمين (٥٧) ٠

لم يهون الشاه من أمر علماء النجف فأرادهم أن يقفوا بجانبه ، مظهرا نفسه أنه حامي الدين ضد جماعة من « البابية (٥٨) » الملحدين ، الذين يتخذون من المناداة بالدستور

---

(٥٢) جريدة مجلس — العدد ٢٨ — في يناير ١٩٠٨ ٠
(٥٣) مساوات — العدد ١٥ في ١ مارس ١٩٠٨ ٠
(٥٤) جريدة مجلس — العدد ٨٠ — في ٢٥ مارس ١٩٠٨ ٠
(٥٥) جريدة مجلس — العدد ٩٤ — في ١٢ ابريل ١٩٠٨ ٠
(٥٦) من وقائع جلسة ٩ ابريل ١٩٠٨ ٠
(٥٧) احمد كسروى — مشروطة ايران — ج٣ — ص ٦٢٣ ٠
(٥٨) كان الاتهام « بالبابيه » في ذلك الوقت ، اسهل الوسائل للقضاء على

ستارا يخفي نواياهم السيئة نحو الدين والبلاد ، غير أن علماء النجف لم ينخدعوا بأقواله ، وأبلغوه ، في بيان عنيف ، ان شكوكهم تزداد لما يرونه من مخالفة أقواله لأعماله ، وأنه اذا كان يوجد بعض « البابية » فعلا ، فعليه ترك أمرهم للمحاكمة ، وليس محاربة الوطنيين تحت ظل هذا الادعاء (٥٩) ٠

استمر الشاه في استعداداته السرية للاجهاز على الحركة الوطنية ، واستمر ، في الوقت نفسه ، في التظاهر برغبته في تسوية المشاكل العالقة بينه وبين الوطنيين ، والتفاهم عليها ٠ وكانت الشروط الثلاثة التي رضي الشاه باجراء المصالحة على أساسها هي :

١ ـ منحه صلاحيات واسعة ، كتلك التي يتمتع بها أمبراطور ألمانيا ٠

٢ ـ اعطاؤه الحق بأن يضع تحت امرته في طهران ، عشرة آلاف جندي ٠

٣ ـ جعل وزير الحربية مرتبطا بالشاه مباشرة ، واطلاق يده (الشاه) بالتصرف بأمور الجيش ٠

غير ان النواب رفضوها ، وسخروا من عقول مقدميها (٦٠) ، لأنها تجعل من الحكم الدستوري اسما بلا مسمى ، وتحقق للشاه حلمه بالعودة للحكم المطلق ٠

الخصوم السياسيين ، لكون البابيه محرمة من السلطة ، ومكروهة من قبل الشعب ٠

(٥٩) مهدي ملكزاده ـ انقلاب مشروطيت أيران ـ ج٤ ـ ص ٣٠ ٠
(٦٠) مهدي ملكزاده انقلاب مشروطيت أيران ـ ج٤ ـ ص ٤١ ٠

معركة هدم المجلس :

كان صباح يوم ٢٣ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٠٨ ، هو اليوم المشئوم ، الذي أعده الشاه وأعوانه ، لخنق الحرية على أرض ايران • ففي صباح ذلك اليوم ، حاصر ألف جندي قوزاقي المجلس ، ومسجد سبهسالار ، والشوارع المحيطة بهما (٦١) ، وفي داخل المجلس ومسجد سبهسالار وحولهما ، وعلى أسطح الأبنية المجاورة ، كانت تقف مجموعة من المسلحين الوطنيين ، هم كل القوة التي قدر للحركة الوطنية جمعها ، لتقف دفاعا عن مجلس الشعب ، أمام القوة الفاشمة (٦٢) • وبالاضافة الى هؤلاء كان يوجد عدد من النواب وزعماء الثورة الوطنية داخل المجلس •

ما ان انتشر خبر حصار الجنود للمجلس ، حتى أسرع العالمان بهبهاني وطباطبائي بالحضور الى مقر المجلس ، ومشاركة النواب مصيرهم ، وكان الجنود ـ طبقا للتعليمات المعطاة لهم ـ يسمحون لمن يرغب ، بتجاوز الطوق المضروب ، والدخول للمجلس ، غير أنهم كانوا يمنعون أحدا من الخروج ، وليس من تفسير لذلك ، سوى أنها كانت جزءا من الخطة الخبيثة ، للقضاء على أكبر عدد ممكن من النواب والزعماء الوطنيين معا •

---

(٦١) محمد اسماعيل رضواني — مشروطيت ايران — ص ١٦٦ •

(٦٢) اختلفت المراجع الايرانية في تحديد عدد الذين كانوا يدافعون عن المجلس ، فقد ذكر احمد كسروى في كتاب مشروطة ايران — ج٣ — ص ٦٢٦ — ان عددهم كان ٧٠ ، بينما جاء في كتاب سال بالصفحة ١٢٨ انهم كانوا يقاربون المئة ، اما محمد اسماعيل رضواني فقد ورد في كتابه مشروطيت ايران بالصفحة ١٦٧ انهم وصلوا الى ٦٠٠ مسلح •

وعندما تأكد لقائد حملة الهجوم ، الكولونيل لياخوف ، ان مقر المجلس أصبح يضم معظم النواب والزعماء الوطنيين ، أمر بتشديد الحصار ، ومنع الدخول أو الخروج ٠

كان لياخوف قد وصل الى ميدان بهارستان ، المقابل لبناء المجلس ، ومعه ستة ضباط من الروس (٦٣)،وقد حاول عبد الله بهبهاني التحدث اليه ، واقناعه بخطورة اتخاذ أي عمل عسكري ضد المجلس ، غير ان هذا رفض لقاءه ، وقد طلب بعض القناصة من المجاهدين (٦٤) ، السماح لهم بقتل لياخوف لاضعاف معنويات القوات الحكومية ، غير أن قادة الوطنيين ، رفضوا السماح لهم بذلك ، وأمروهم بعدم التعرض للضباط الروس ، حتى عند نشوب القتال ، حرصا منهم على عدم اعطاء ذريعة لروسيا ، للتدخل العسكري المباشر ، وتهديد أراضي ايران ٠

عندما حاول العالم سيد جمال الدين افجهاي ، مع مئة وخمسين من أنصاره ، اختراق حصار الجنود ، والانضمام للوطنيين في المجلس ، منعه الجنود وأطلقوا عليه النار ، ورد الوطنيون من وراء مواقعهم ، واشتعل القتال بعنف شديد ، وقد استطاع المجاهدون تعطيل بعض المدافع ، وارغام جنود القوزاق على التراجع للوراء ، وثارت المشاعر الوطنية لدى بعض الجنود ،فانضم خمسون منهم بأسلحتهم الىصفوف الوطنيين(٦٥)

---

(٦٣) كتاب سال ـ انتشارات كيهان ـ ص ١٢٨ ٠

(٦٤) اطلق المسلحون الذين دافعوا عن المجلس على انفسهم اسم « المجاهدين » وقد اطلق هذا الاسم فيما بعد ، على كافة القوات الوطنية التي اشتركت في الثورة المسلحة ، وهو يظهر ـ الى حد ما ـ ملازمة الصبغة الدينية للحركة الوطنية ٠

(٦٥) المصدر السابق ـ الصفحة ١٢٨ ٠

انتهى القتال الضاري ، الذي أظهر المقاتلون الوطنيون خلاله ، ألوانا من البطولة ، وضروب الفداء ، لما نفذت ذخيرتهم ، وأصبحوا ما بين شهيد تحت الانقاض ، أو جريح مخضب بدمه ، وتحول المجلس الوطني،الذي كان محطا لآمال الشعب الى أنقاض •

مصير الوطنيين :

عند انتهاء القتال أخذ الوطنيون بالاختباء والهرب من وجه السلطات الغاشمة ، وقد وجد العالمان بهبهاني وطباطبائي ، وبقية الذين ظلوا أحياء من النواب ، أنفسهم محصورين في بناء المجلس المهدم ، فأحدثوا ثغرة في سور المجلس ، ونفذوا منها الى حديقة قصر مجاور يخص أمين الدولة ، غير أن جنود القوزاق استطاعوا الوصول اليهم ، وبعد أن ضربوهم بوحشية ، ساقوهم الى حديقة باغشاه ، حيث حولت الى معتقل مؤقت •

استطاع ممتاز الدولة وحكيم الملك وبعض الوطنيين الآخرين اللجوء لمبنى المفوضية الفرنسية (٦٦) ، كما تمكن معاضد السلطنة وتقي زاده وحوالي أربعين من الوطنيين الوصول للمفوضية البريطانية ، كما احتمى عدد آخر بالسفارة العثمانية، واعتصم آخرون بضريح شاه عبد العظيم (٦٧) • واستطاع يحيى دولت آبادي الوصول الى استانبول ، كما هرب سيد محمد رضا مساوات الى باكو ، وتمكن سيد جمال الدين واعظ من

---

(٦٦) كانت الحكومة قد فرضت حصارا من الجنود على المفوضيات الاجنبية، خصوصا البريطانية ؛ غير ان الحصار لم يكن محكما .

(٦٧) مهدي ملكزاده — انقلاب مشروطيت ايران — ج٥ — ص ٦٣ .

الوصول الى بروجرد ، غير أن حاكمها قتله بأمر من الشاه (٦٨).

أما المقبوض عليهم من الوطنيين ، فقد وضعت القيود والأغلال في أعناقهم وأقدامهم ، وحجزوا في خيام نصبت في حديقة « باغشاه » . وجاءت الساعة التي انتظرها الشاه طويلا للانتقام من جميع الذين تهجموا عليه أو عارضوه ، فأعدم النائبان مشهدي باقربقال ، وحمزة سرباز فور القبض عليهما ، كما قتل ميرزا جهانكير خان وملك المتكلمين ، خنقا بالحبال وطعنا بالخناجر في حديقة باغشاه ، كما قتل قاضي ارداقي بين أيدي الجنود ، وتجاوز عدد القتلى بضع مئات (٦٩) . نتيجة لهذه المجزرة التي أمر الشاه بها ، فقد هاجمت الصحف الأوروبية الحكومة الايرانية ونددت بشكل خاص بمسلك لياخوف (٧٠) ، كما احتج على ذلك ممثلو الدول الاجنبية في طهران ، مما اضطر الشاه لاصدار الامر بتشكيل محكمة عسكرية برئاسة الامير محمد حسن ميرزا مؤيد السلطنة لمحاكمة الوطنيين (٧١) ، ولكنها كانت محكمة صورية .

لاحق أعوان الشاه الوطنيين في كل مكان ، فألقوا صفائح ملأى بالأفاعي والحشرات السامة على الوطنيين المتحصنين بحديقة السفارة العثمانية ، فسببت لهم الأذى والضرر ، وكان أعضاء السفارة غير راضين عن لجوء الوطنيين اليهم ، وأما المتحصنون بالمفوضيتين البريطانية والفرنسية ، فقد سمح لهم

---

(٦٨) محمد اسماعيل رضواني ــ مشروطيت ايران ــ ص ١٧٢ .
(٦٩) اغلب المؤرخين حصروه بين ٣٠٠ ــ ٥٠٠ قتيل .
(٧٠) احمد كسروي ــ مشروطة ايران ــ ج٣ ــ ص ٦٢٣ .
(٧١) مهدي ملكزاده ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ج٤ ــ ص ١٣٧ .

الشاه بالخروج من طهران أو السفر الى أوروبا ، وساهم بدفع نفقات السفر ، لمن كان غير قادر على دفعها منهم ، وذلك ليتخلص منهم بسرعة (٧٢) ، أما المتصمون بضريح عبد العظيم ، فقد حاصرهم جنود الشاه ، وأرسل حاكم طهران الجديد ـ مفاخر الملك ـ من اغتال بعض زعمائهم ، ومنهم ميرزا مصطفى آشتياني ، الذي كان يخطب كل ليلة في المتصمين، مهاجما طغيان الشاه وخيانته للأمة (٧٣) ·

للنفوذ والاحترام الذي كان لبهبهاني وطباطبائي بين أوساط الشعب ، فقد اكتفى الشاه بنفي أولهما الى كرمانشاه ، حيث غادرها الى النجف وكربلاء فيما بعد ، ونفى ثانيهما الى خراسان (٧٤) · وأمعن الشاه في الانتقام والتشفي من الوطنيين ، حتى أنه أمر بنبش قبري عباس آقا وسيد عبد الحميد ونثر عظامهما في الهواء (٧٥) ·

اجراءات الشاه بعد هدم المجلس :

أصدر الشاه أمرا عين بموجبه الكولونيل لياخوف حاكما عسكريا على طهران ، وأصدر هذا بيانا للشعب يمنع فيه عقد الاجتماعات ، أو حمل السلاح ، أو التجول ليلا ، وطلب

---

(٧٢) احمد كسروي ـ مشروطة ايران ـ ج٣ ـ ص ٦٦٨ ·
(٧٣) مهدي ملكزاده ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ج٥ ـ ص ٦٣ ·
(٧٤) غادرها فيما بعد الى بغداد ، وظل فيها حتى دخلها الانجليز ، حيث تركها الى استانبول ، ثم رجع الى طهران سنة ١٩١٨ وتوفي فيها ١٩٢٠ ـ انظر ابراهيم صفائي ـ رهبران مشروطه ـ ص ٢٠٧ ·
(٧٥) احمد كسروي ـ مشروطة ايران ـ ج٣ ـ ص ٦٦٩ ·

من سكان طهران التقيد التام بتعليماته ، وأرسل الشاه الى حكام الولايات يأمرهم باغلاق الجمعيات المحلية ، وباعتقال الوطنيين .

في ٢٥ يونيو ـ حزيران ـ أصدر الشاه بيانا أعلن فيه أن ايران لا زالت دولة دستورية ، وأنه قام فقط بحل المجلس ، وأنه سيجري انتخابات جديدة خلال المهلة الدستورية البالغة ثلاثة أشهر ، وكان غرضه تهدئة خواطر الشعب ، والتظاهر أمام الدول الأوروبية ، بأن ما حدث كان انهاء لخلاف مع المجلس ، وليس عداء للحكم الدستوري ، وأوضح الاسباب التي جعلته يعطل المجلس بما يلي :

١ ـ تهاون المجلس في تأدية واجباته ، وتجاوزه صلاحياته .

٢ ـ حماية المجلس لأعداء الشاه والمعارضين له ، واتخاذ المسلحين المعارضين للحكومة من المجلس ، مركزا لتجمعهم .

٣ ـ انصراف أعضاء المجلس عن واجباتهم ، وانشغالهم بأمور ثانوية لا جدوى منها .

الفصل السابع

الثورة المسلحة واعادة الدستور

ثورة تبريز :

كانت تبريز أكثر المدن الايرانية ـ بعد طهران ـ وعيا وطنيا ، ويرجع ذلك الى قربها من الحدود مع أوروبا ، ومع الدولة العثمانية ، حيث كثر اتصال أهلها بسكان تلك المناطق ، بالاضافة الى تردد أعضاء الجمعيات الثورية السرية،في قفقاسيا على تبريز واتصالاتهم العديدة مع الوطنيين فيها ٠

كل هذه الأمور بالاضافة الى معرفة وخبرة التبريزيين بأخلاق محمد علي شاه وطباعه ، حيث عرفوه ، طيلة عشر سنوات أمضاها في مدينتهم وليا للعهد ، ميالا للتحكم ، والأثرة ، ناكثا بالوعد ، لا يحترم حقا ، ولا يهتم بمصالح المواطنين ٠ أدت الى مبادرة تبريز بمقاومة الحكومة القاجارية فور أن لاحت بوادر الأزمة في طهران ٠ حيث أرسلت تبريز ثلاثمئة من المتطوعين بقيادة « تقي خان رشيد الملك » ، لنجدة طهران ، غير أنهم

عادوا من منتصف الطريق ، عندما وردهم خبر هدم بناء المجلس •

في اليوم نفسه الذي قام فيه الشاه بضرب بناء المجلس بالمدفعية في طهران ، كانت تدور مناوشات بسيطة ، بين الكثرة الغالبة من سكان تبريز المؤيدين للدستور ، والقلة الضئيلة من المناصرين للشاه والرجعية ، ومنذ الرابع والعشرين من يونيو ــ حزيران ــ ١٩٠٨ ، احتدم القتال بين الفريقين ، وأصبحت تبريز كلها ميدانا له ، وعند وصول خبر هزيمة الوطنيين الطهرانيين وتهدم المجلس ، قام بعض المؤيدين للدستور من سكان تبريز ، باللجوء الى القنصليتين الفرنسية والروسية ، غير ان ظهور ستار خان ، شدد من عزائم التبريزيين ، وعزز من موقفهم • ومما قوى من مركز الوطنيين ، قيام مخبر السلطنة هدايت ، حاكم آذربايجان ، بتسليمهم عشرين ألف بندقية وبضعة مدافع وكمية من الذخائر (١) ، كانت موجودة لديه في مستودعات الحكومة ، وغادر تبريز الى أوروبا بعد أن استقال من منصبه احتجاجا على الوضع الذي طرأ في طهران (٢) •

كان لبسالة مناضلي تبريز ، وحسن قيادتهم المتمثلة في ستارخان ، بالاضافة الى تفوقهم العددي ، وتوفر السلاح لديهم ، أكبر الأثر في حصر خصومهم من الرجعيين ، في مواقعهم ، ومنعهم من التقدم •

وبناء على طلب الشاه ، أسرع بيوك خان جليبانلو ، لنجدة الرجعيين في تبريز ، واستطاع أن يسيطر بفرسانه على أغلب

---

(١) محمد اسماعيل رضواني ــ مشروطيت ايران ــ ص ١٧٦ •

(٢) م•س• ايفانوف ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ص ٤٨ ــ مترجم عن الروسية •

أحيائها ، وانحصرت مواقع الوطنيين في مسجد صمصام خان ، وفي حي أمير خيز ، غير أن هجوما معاكسا قاده ستارخان ، أرجع أنصار الاستبداد الى مراكزهم السابقة ، وفي هجوم ثان شنه عليهم ، استطاع احتلال منطقة « باغ شمال » التي كان يمسكر فيها فرسان جليبانلو ، وطردهم منها ٠

كان ستار خان في بداية حياته قاطع طرق ، ثم استطاعـت الحركة الوطنية جلبه اليها ، وقد أظهر براعة عسكرية مدهشة خلال قيادته للوطنيين في معارك تبريز (٣) ، وقد أخذ ينظـم القوات الوطنية ، فوحد زيها ، ونظمها في وحدات متحركة بين ١٠ الى ٢٠ فردا ، وعلى كل وحدة ضابط مسؤول ، وجعل أربع قرانات يوميا ، نفقة لكل ثائر ، وكانت القوات الوطنية تستخدم كلمات السر الليلية ، وفي ليالي القتال الأولى كانت « يا علي الأعلى » رمزهم السري الليلي (٤) ٠

لجأ الرجعيون في محاربة الوطنيين لكل الوسائل ، ومن ذلك أنهم زعموا لجنود الحكومة ، أن الوطنيين هم من « البابيين » المعادين للاسلام ، حتى ينضم اليهـم هؤلاء في القتـال ضـد الوطنيين ، غير ان الثوار حاولوا ابطال ذلك الزعم ، بأن أخذوا يرفعون الأذان من فوق جميع المساجد الواقعة تحت سيطرتهم ، في ليال متوالية ، مما أدى الى ادراك الجنود أنهم مسلمون ، وخف حماسهم للقتال ضدهم ، وأضعف ذلك موقف القوات المناوئة للوطنيين (٥) ٠

---

(٣) ابراهيم صفائي ـــ رهبران مشروطه ـــ ص ٣٨٧ ـــ ٤٠٧ ٠

(٤) كريم طاهرزاده بهزاد ـــ قيام اذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران ـــ ص ٦٧ ٠

(٥) احمد كسروي ـــ مشروطة ايران ـــ ج٣ ـــ ص ٧١٢ ٠

وجد الشاه أن موقف أنصاره في تبريز ضعيف ، لذلك أرسل عين الدولة ، الرجعي المعروف ، حاكما مطلق الصلاحية على آذربايجان ، وأرسل معه قوات عسكرية ضخمة بقيادة « محمد وليخان سبهدار » ، أحد كبار قادة الجيش الايراني في ذلك الوقت ·

لم تعترف جمعية تبريز الوطنية بالاجراءات التي اتخذها الشاه ، ولذلك عينت اجلال الملك ، الذي كان نائبا للحاكم ، حاكما على آذربايجان بالوكالة ، حتى يبت بذلك ، بعد اعادة العمل بالدستور ، وأرسلت نسخا من قرارها الى كافة القناصل الأجانب في تبريز (٦) ·

أرسلت جمعية تبريز في ٢٤ أغسطس ١٩٠٨ ، بيانا الى عين الدولة تعلمه فيه استعداد الآذربايجانيين للعودة لطاعة الشاه والولاء له ، اذا أعاد العمل بالدستور ، وعاقب الذين سببوا المذابح في آذربايجان ، وسمح لكل المنفيين بالعودة لمناطقهم (٧) ، واعتبرت الجمعية هذه المطالب شروطها لعودة الصلح والسلام الى آذربايجان ·

أخذت النجدات الحكومية تتوالى على آذربايجان ، حتى أصبحت القوات التي تحت أمرة عين الدولة تقارب الثلاثين ألفا ، بينما لم يتجاوز عدد الثوار عشرة آلاف مقاتل ، كان بينهم حوالي مئة من مقاتلي « الجمعية الاشتراكية الديموقراطية القفقاسية » (كميته سوسيال دمكرات) الذين كانوا مسلحين

(٦) انجمن — العدد ٤ — السنة ٣ — في ٨ سبتمبر ١٩٠٨ ·
(٧) أنجمن — العدد ٢ — السنة ٣ — في ٣٠ اغسطس ١٩٠٨ ·

جيدا ، ومدربين على حروب المصابات (٨) ٠

في ٢٢ سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٠٨ أضحت تبريز كلهـا في قبضة الثوار ٠

وقد كان للبراعة العسكرية التي أبداها « ستارخان » أكبر الأثر في احراز النصر ، وأطلق عليه لقب سردار أعظم (القائد الأعظم) ، كما لقبوا « باقر خان » ، الرجل الثاني في قيـادة الوطنيين بعد ستار خان ، بلقب سالار أجل (القائد الأجل) ، وقد قامت جمعيتا « ستاري » ، و « جهانكيري » ، اللتان تشكلتا سرا في طهران بعد هدم المجلس ، بارسال المتطوعين الى تبريز ، وتوثيق الروابط السريـة بـين ثـوار تبريز وزملائهـم في طهران (٩) ٠

حازت ثورة تبريز عطف واعجاب الرأي العام خارج ايران ، وأشادت الصحف الأوروبية ببسالة الثوار وبمهارة قائدهـم ستار خان (١٠) ، حتى أن بعضها لقبته بغاريبالدي ايران ، وقد أثارت الثورة حماس أحد معلمي مدرسة « ميموريال Memorial الاميركية في تبريز ، ويدعى هوارد باسكرفيل «Howard Baskerville» فالتحق بالثوار ، غير أنه قتل في احدى المعارك ، واشترك الألوف من التبريزيين في مراسم دفنه ٠

حاول الشاه اضعاف الثورة في تبريز ، فأصدر في ٢٥ سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٠٨ بيانا يعلن فيه استعداده لاجراء انتخابات

---

(٨) م. بافلوفيتش ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ١٣٠ ـ ترجمة عن الروسية م. هوشيار ٠

(٩) حسن حلاج ـ تاريخ تحولات سياسي ايران ـ ص ٤٣ ٠

(١٠) محمد اسماعيل رضواني ـ مشروطيت ايران ـ ص ١٧٧ ٠

جديدة ، ويحدد يوم ١٥ نوفمبر ـ كانون الثاني ـ موعدا لافتتاح المجلس النيابي الجديد ، الذي سيمثل كل الشعب الايراني ، عدا تبريز ، ما لم يرجع سكانها للطاعة (١١) .

لم يهتم الثوار ببيان الشاه ، واستمرت ثورتهم تتصاعد وغنموا أسلحة وذخائر وافرة من مستودعات الجيش في مراغة (١٢) ، وقد اضطر الشاه ، ازاء تصاعد الثورة ، الى العدول عن تصلبه ، وطلب الى عين الدولة ، الدخول في مفاوضات مع الثوار ، مشترطا اعادة الاسلحة التي استولوا عليها من مستودعات الجيش (١٣) . وتوقف القتال بين الفريقين ، وبدأت محادثات بطيئة بينهما ، واستمر الشاه ، خلال ذلك ، في تعزيز قواته ، فأمدها بألف جندي اضافي (١٤) .

وجد الثوار ان المفاوضات مع عين الدولة غير مجدية،فأرسلوا شروطهم النهائية للشاه في ١٨ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٠٨، بواسطة السفير العثماني في طهران ، وكانت تتضمن أن يعلن الشاه أن الدستور لا يزال قائما ، وأن يعيد المجلس الوطني السابق ، وأن يطرد كل الذين كانوا السبب في اثارة الفتنة من

---

(١١) نص منشور الشاه في برقية من الصدر الاعظم الى عين الدولة مؤرخة في ١٧ اكتوبر ١٩٠٨ ، من مجموعة برقيات محفوظة بمكتبة المجلس الوطني برقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ ، ولا تزال نصوص بعض هذه البرقيات مدونة بالرموز السرية (الشيفرة) .

(١٢) برقية امين مستودع الجيش في مراغه الى قيادته في طهران ـ مجموعة برقيات برقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ .

(١٣) برقية الشاه الى عين الدولة في ٧ اكتوبر ١٩٠٨ ـ من مجموعة برقيات برقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ .

(١٤) برقية الشاه الى عين الدولة في ٢ نوفمبر ١٩٠٨ ـ مجموعة برقيات برقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ .

رجال البلاط ، وحذروه في النهاية من أن الثورة ستشمل كل ايران ، وأن الشعب سيطيع علماء الدين الذين أفتوا بتأييد الدستور ، لعدم مخالفة نصوصه لأحكام الشرع (١٥) .

أخذ مركز الثوار يقوى ، مما جعل الروس ، الذين كانوا يراقبون الحالة بقلق زائد ، يتحركون للقضاء على الثورة ، ليس لنجدة صديقهم وحليفهم الملك القاجاري فحسب ، ولكن أيضا من أجل ألا تمتد شرارة الثورة الى الاراضي الروسية المتاخمة لآذربايجان ، خصوصا وأن شعوب تلك المناطق ، وغالبيتهم من المسلمين ، كانوا غير راضين عن الحكم القيصري ، ويطمحون للاستقلال عنه .

حاول الروس ايجاد مبرر لتدخلهم ، فانتهزوا فرصة اضطراب السير على طريق أردبيل ـ آستارا المحاذية لحدودهم ، بسبب أحداث الثورة ، وأبلغوا الحكومة الايرانية أن ذلك يعرقل التجارة الروسية (١٦) ، ويسبب لها خسائر كبيرة .

وفي هذا الوقت قامت ثورة في استانبول ، قتل فيها رئيس الوزراء وبعض الوزراء ، وغايتها اسقاط الحكم الدستوري في البلاد ، وقد فرح الشاه لهذا الامر ، لأنه يعزز من موقفه تجاه الثوار ، وأرسل برقية الى عين الدولة يحثه على القضاء على الثوار ، ويبدي فيها عجبه من قيام الأتراك ضد الحكم الدستوري ـ حسب زعمه ـ بينما تثور الأمة الايرانية الشيعية من أجل

---

(١٥) برقية جمعية تبريز الى الشاه بواسطة السفير العثماني في طهران ـ مجموعة برقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ .

(١٦) برقية الشاه الى عين الدولة في ١٨ نوفمبر ١٩٠٨ ـ من مجموعة برقيات تحت رقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ .

احلال دساتير الكفر ، محل شرائع القرآن (١٧) ٠

غير أن فرحة الشاه لم تطل ، حيث عاد الشعب العثماني وهب لانقاذ دستوره وأسقط السلطان عن العرش ، وأضيف بذلك موقف جديد زعزع من مركز الشاه ونظامه الاستبدادي (١٨) ، بينما كان الثوار صامدين في موقفهم ، رغم تناقص المؤن لديهم ، واضطرارهم لأكل الاعشاب وأوراق الشجر (١٩) ٠

كانت المنطقة التي شملتها الثورة ، واقعة ضمن دائرة النفوذ الروسي ، حسب اتفاقية ١٩٠٧ بين الروس والانجليز ٠

طلب الروس والانجليز ، في مذكرة مشتركة الى الثوار ، السماح لهم بادخال المؤن للرعايا الأوروبيين المحصورين في تبريز ، ولما كانت سياسة الوطنيين ، عدم اعطاء أي مبرر للروس أو الانجليز للتدخل بشؤون ايران ، فقد قبلوا الطلب فورا ، غير ان عين الدولة رفض ذلك ، بدعوى خشيته من استيلاء الثوار على المواد التموينية ٠ وقد عاد القنصلان يطلبان باسم حكومتيهما ، عقد هدنة بين الفريقين لمدة ستة أيام ، ليتمكن الرعايا الاجانب في تبريز من مغادرتها ، وقد وافقت الحكومة على هذا الطلب ، وأرسلت الى عين الدولة تطلب منه تسهيل عملية خروج الرعايا الأوروبيين من تبريز (٢٠) ، كما أن الثوار قبلوا بعقد الهدنة ، غير أن مدة الهدنة انقضت دون أن

---

(١٧) من برقية الشاه الى عين الدولة في ١٥ ابريل ١٩٠٩ — مجموعة رقم ٧٦٢٤/٧٦٥١٦ ٠

(١٨) مهدي ملكزاده — انقلاب مشروطيت ايران — ج٥ — ص ٣٣ ٠

(١٩) محمد اسماعيل رضواني — مشروطيت ايران — ص ١٧٧ ٠

(٢٠) برقية سعد الدولة وزير الخارجية الى عين الدولة مؤرخه في ١٥ أبريل ١٩٠٩ — مجموعة رقم ٧٦٢٤/٧٦٥١٦ ٠

يتم اخراج الرعايا الاجانب من تبريز ، أو ايصال المؤن اليهم ، وفي الوقت نفسه وصلت أخبار للثوار عن وجود تحشدات عسكرية روسية كثيفة على الحدود قرب آستارا ، فأرسلوا وفدا لمقابلة القنصل الروسي ، وطلبوا منه ابلاغ حكومته بألا تقوم بأي عمل عسكري ضد ايران ، لأنهم قرروا انهاء الثورة والتفاهم مع الشاه ٠

غير ان الروس لم يريدوا تفويت الفرصة التي تحقق لهم أطماعهم الواسعة في شمال ايران ، وخشوا أن يستتب الهدوء ثانية في آذربايجان ولا يعود لديهم مبرر للتدخل فاجتاز ستة آلاف جندي روسي بكامل أسلحتهم الحدود عند آستارا ، وتقدموا نحو تبريز (٢١) ، وفي نفس الوقت قام الانجليز بدورهم بانزال بعض قواتهم في موانيء بوشهر ولنكه وجاسك على الخليج العربي ، بحجة حماية المواصلات على طرق جنوب ايران ٠

في الوقت نفسه كان قادة الثورة في تبريز يتخذون قرارا خطيرا ، يقضي بانهاء الثورة ، والخضوع الكامل للشاه ، للحيلولة دون وطء أقدام الجنود الروس للتراب الايراني (٢٢) ٠ وازاء هذا الموقف ، اضطر الشاه لاصدار أوامره الى عين الدولة ، بالتوقف عن القتال وفك الحصار عن تبريز (٢٣) ، وقد حاول عين الدولة رفض قبول أوامر وقف القتال ، حتى يرضي غروره بدخول تبريز بعد انتصار عسكري ، الا أن الشاه عاد وأكد

(٢١) من برقية حاكم استارا الى الشاه في ٢٧ ابريل ١٩٠٩ — مجموعة برقيات تحت رقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٤ ٠

(٢٢) سيد حسن تقي زاده — اوائل انقلاب مشروطيت ايران — ص ٨٢ ٠

(٢٣) برقية الشاه الى عين الدولة في ٢٦ ابريل ١٩٠٩ — برقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٤ ٠

مجددا ضرورة وقف القتال وفك الحصار عن تبريز ·

أعلن الشاه ـ في الوقت نفسه ـ بدء محادثات سياسية بين حكومته وممثلي الدولتين الروسية والبريطانية ، بشأن دخول قواتهما لايران ، وقد وعده الروس بتجميد قواتهم في الأماكن التي وصلت اليها (٢٤) · كما أصدر الشاه أمرا للقوات الايرانية ، بعدم مقاومة القوات الروسية ، حتى لا تحدث مذابح لا مبرر لها ·

استمرت المحادثات بين الحكومة الايرانية والحكومتين الروسية والانجليزية على غير طائل ، وتقدمت القوات الروسية ودخلت تبريز (٢٥) دون مقاومة ·

وهكذا انتهت ثورة تبريز ، فالتجأ ستار خان وباقر خان الى القنصلية العثمانية في تبريز ، وتفرق الثوار في كل صوب ·

انتهت ثورة تبريز وسيطر الجنود الروس على المدينة · غير ان هذه الثورة تركت نتائج هامة في الأحداث التي تلت بعد ذلك ، فقد استنزفت في معاركها المتقطعة التي استمرت أحد عشر شهرا (يونيو ١٩٠٨ حتى ابريل ١٩٠٩) قوى الشاه العسكرية ، بحيث لم يتمكن من مواجهة قوات الثوار التي تصدت له بعد ذلك بثلاثة أشهر · كما أن ثورة تبريز استنزفت موارده المالية حيث بلغت نفقات الحرب أكثر من نصف مليون تومان (حوالي ١٠٠ ألف جنيه استرليني (٢٦)) ، في وقت كان أحوج

---

(٢٤) برقية الشاه الى عين الدولة في ٢٧ ابريل ١٩٠٩ ـ مجموعة رقم ٧٦٢٤/٧٦٥١٦ ·

(٢٥) برقية جمعية تبريز الى عين الدولة في ٢٩ ابريل ١٩٠٩ ـ مجموعة رقم ٧٦٢٤/٧٦٥١٦ ·

(٢٦) من برقية الشاه السرية الى عين الدولة في ١٤ ابريل ١٩٠٩ ـ

ما يكون فيه للمال ، وهكذا مهدت ثورة تبريز ، بشكل غير مباشر ، لتحقيق الانتصار النهائي بعد انتهائها بفترة وجيزة ٠

ثورة المدن الأخرى :

ان الوطنيين في كافة أنحاء ايران ، لم يخافوا تهديدات الشاه وأعلنوا ثورتهم على الحكم المطلق ، وانتشرت الثورة في شمال ايران ووسطها وجنوبها ، على حد سواء ٠

ففي « لار » في ولاية فارس ، ثار الحاج سيد عبد الحسين لاري ، واستطاع السيطرة على أجزاء مهمة من فارس وكرمان ، غير أنه لما تقدم نحو موانىء الخليج العربي للسيطرة عليها ، اصطدم بالقوات البريطانية ـ الهندية ، التي جمدت قواته ومنعتها من التقدم ٠

أما في الشمال ، فقد كانت أسبق المدن بالثورة ، مدينة رشت، التي كانت لوقوعها على بحر قزوين ، وسهولة اتصالها مع روسيا ، مركزا مهما لنشاط الجمعيات الثورية الروسية ،ولذلك كان أهلها على وعي وطني كبير ٠

كانت « لجنة رشت الثورية » أكثر الحركات السرية تنظيما في رشت ، وكانت مرتبطة باللجنة المركزية الاشتراكية القفقاسية (والتي كانت بدورها فرعا من الحزب الاشتراكي السري الروسي) ٠

كانت لجنة رشت تتألف من اثني عشر شخصا ، على رأسهم ميرزا كريمخان وشقيقه عبد الحسين معز السلطان الملقب بسردار يحيى (كان أولهما ينظم الأمور الادارية والثاني المسكرية) ومنذ معركة المجلس ، كانت هذه اللجنة تقوم باتصالات سرية ،

بالجمعيات القفقاسية ، للحصول على مساعداتها ، فأرسلت اليها بعض خبرائها ، الذين قاموا بصنع كميات وافرة من القنابل والمتفجرات في مدى شهر ونصف ، وزودتها كذلك بالمعدات الطبية ، بحيث أصبحت قوات الثوار في رشت مجهزة بأسلحة ومعدات ، كانت تفتقر اليها قوات الثوار الأخرى (٢٧) ٠

ضمت حركة رشت الثورية أحد زعماء الوطنيين في شمال ايران وهو « ميرزا كوجك خان جنكل » كما انضم اليها « يبرم خان » الارمني ، الذي استطاع بالبراعة العسكرية الفائقة ، التي كان يتحلى بها ، وبالتدريب العالي الذي كان عليه رجاله المؤلفون من ايرانيين وأرمن وجورجيين ، أن يلعب دورا مهما في احراز النصر ، ودخول الثوار الى طهران ظافرين (٢٨) ٠

بعد أن أكمل الثوار في رشت استعداداتهم سرا ، قاموا يوم ٩ فبراير ـ شباط ـ ١٩٠٩ بالسيطرة على رشت واعلان الثورة ٠ وتسلم ادارة رشت المجلس المحلي الثوري ، مستقلا عن الحكومة في طهران (٢٩) ٠

في تبريز حيث كان القتال لا يزال دائرا آنذاك،سر الوطنيون بنجاح ثورة رشت ٠ كما أن هذه الثورة أثارت اعجاب « محمد ولي خان سبهسالار تنكابني (٣٠) » قائد قوات الحكومة الذي أرسله الشاه لقمع ثورة تبريز ، وكان من كبار الملاك في ولاية كيلان ، فترك تبريز الى رشت حيث أعلن انضمامه الى الثوار ،

---

(٢٧) م٠س٠ ايفانوف ـ انقلاب مشروطيت ايران ـ ص ٥٣ ـ مترجم عن الروسيه ٠

(٢٨) محمد اسماعيل رضواني ـ مشروطيت ايران ـ ص ١٨٢ ٠

(٢٩) يادكار ـ العدد ـ ٣ السنة ٤ ـ ص ٤١ ـ اكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧ ٠

(٣٠) يلقب أيضا بسبهدار ٠

وقد استقبله هؤلاء بالتقدير ، واختاروه قائدا عاما للحركة الوطنية في كيلان ·

أما في خراسان فقد قام الوطنيون في مشهد بمحاولة السيطرة عليها ، غير أن حاكم خراسان «الأمير ركن الدولة» أمر بمقاومتهم وضرب الجماهير التي لجأت الى حرم الامام الرضا بالمدفعية(٣١)·

ان حركة قبائل بختياري دعمت موقف ثوار أصفهان · حيث قام اثنان من زعماء تلك القبائل هما ضرغام الدولة وصمصام السلطنة ، باعلان الثورة على حكومة طهران ، وتقدما بألف من فرسان بختياري نحو أصفهان في ٥ يناير ـ شباط ـ ١٩٠٩ وأخضعاها لسيطرتهما ، وهرب حاكمها اقبال الدولة الى القنصلية البريطانية ·

كان زعيم قبائل بختياري « الحاج علي قليخان سردار أسعد (٣٢) » ، موجودا في باريس أثناء وقوع الثورة ، فلما سمع بوقوعها جاء الى ايران ، وتسلم قيادة قوات بختياري ، وأعلن أن هدف الثورة النهائي هو تحرير البلاد من الحكم الاستبدادي ·

وكان سردار أسعد ، قد تلقى علومه في فرنسا ، وأمضى فترة طويلة من حياته في أوروبا ، وكان ذا ثقافة عالية وأفكار تقدمية ·

كانت قبائل بختياري بأعدادها التي تبلغ بضع مئات من

---

(٣١) برقية الصدر الاعظم الى ركن الدولة في ٣ ديسمبر ١٩٠٨ ـ مجموعة برقيات تحت رقم ٦٥١٥/٢٧١ في مكتبة المجلس الوطني في طهران ·

(٣٢) كان قد أصبح « بيكلربيك » اي زعيما لقبائل بختياري في عام ١٩٠٦ · وكان قد سافر لاوربا عند بداية الخلاف بين الحكومة والوطنيين ·

الألوف ، تقيم في فارس في منطقة تمتد من أصفهان حتى تصل الى عربستان قرب الخليج العربي ، وكانت تخضع لأوامر زعمائها الذين كانوا يمارسون عليها حكما يكاد يكون مستقلا عن حكومة طهران .

ولا بد من القول أخيرا ان الملاقات كانت قد ساءت بين قبائل بختياري والانجليز ، وكان ذلك هو أحد الأسباب التي جعلتهم يقومون بحركتهم .

قامت الثورة الوطنية ، في كل من شمال أيران (رشت) ووسطها (أصفهان) بمعزل عن بعضها ، ولذلك كان تنسيق وتوحيد الجهود بينها أمرا ضروريا ، وبعد تبادل عدة رسائل اتفق قادة الحركتين على الانطلاق نحو طهران واحتلالها .

تقدم الثوار نحو طهران :

بذل الشاه جهدا كبيرا في حشد كل قواته ، وقسمها الى ثلاثة أقسام : وجه الأول منها بقيادة « أمير مفخم » الى الجنوب لملاقات قوات ثوار بختياري ، وأبقى قسما آخر لحماية طهران ، والقوات الرئيسية ، والتي كانت الفرقة القوزاقية ضمنها ، فقد توجهت نحو الشمال الغربي لمقاتلة قوات سبهدار المتقدمة نحو طهران ، وجعل الشاه هذه القوات تحت قيادة الكولونيل لياخوف .

أخطأ الشاه بتمييته أمير مفخم على رأس قواته المتجهة الى الجنوب ، اذ أن هذا كان ينتمي للبختياري ، ورغم اخلاصه للشاه وكراهيته للحكم الدستوري ، غير أنه لم يرض بمحاربة

أبناء قبيلته (٣٣) ، يضاف الى ذلك أن عددا من جنوده كان من البختياريين ، الذين لا يرضون مقاتلة أبناء قبيلتهم • وقد تمت بين أمير مفخم وسردار أسعد اتصالات سرية ، اتفقا فيها على أن تتجنب قواتهما الاصطدام •

أما قوات ثوار الشمال ، فقد كانت تتجه نحو طهران بقيادة محمد وليخان سبهدار ، الذي استطاع ببراعة فائقة ، تجنب كافة القوات الروسية ، التي كانت منتشرة على الطريق ، من ساحل بحر قزوين (بحر خزر) حتى مدينة قزوين • واستطاع الاحتفاظ بكامل قواته العسكرية وأسلحته سليمة ، استمدادا للمعركة الفاصلة في طهران • وبذلك تمكن من مباغتة القوات الحكومية التي كانت معسكرة بين قزوين وكرج •

في الرابع من يونيو ــ حزيران ــ ١٩٠٩ أصبحت مدينة قزوين تحت سيطرة الثوار (٣٤) ، بعد أن تمكنوا من مفاجأة قوات الحكومة وهزيمتها • كما قامت قوة أخرى من الثوار ، باحتلال بلدة « كرج » ، التي تقع على بعد أربعين كيلومترا غرب طهران ، وبهذا أصبح طريق طهران أمامها مفتوحا •

عند وصول قوات سبهدار الى كرج ، أسرع ممثلا المفوضيتين البريطانية والروسية في طهران ، الى مقابلة سبهدار ومعرفة مطالبه ، للتوسط بينه وبين الشاه ، وحاولا ، في الوقت نفسه ، اقناعه بأن الشاه قد حقق جميع المطالب الدستورية بالفرمان الذي أصدره في ١٨ مايو ــ أيار ــ ١٩٠٩ ، غير أن سبهدار رفض قبول الوساطة ، وأعلن أنه يحتاج لمزيد من المشاورة مع

---

(٣٣) مهدي ملكزاده ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ج٦ ــ ص ٤٣ •
(٣٤) المصدر السابق ــ ملكزاده ــ صفحة ٦٤ •

قادة الثوار القادمين من الجنوب ·

قابل مندوبان عن المفوضيتين الروسية والبريطانية ، سردار أسعد في قم ، وطلبا باسم حكومتيهما ، أن يتوقف عند قم ، حتى يقوما بالاتصالات الكافية لاعادة الأمور الى مجاريها في طهران ، غير أن سردار أسعد رفض قبول وساطتهما ، وأبلغهما أن غرض الوطنيين من التحرك نحو طهران هو عرض مطالبهم على الشاه شخصيا ·

بعد اجراء اتصالات بين قائدي القوات الوطنية القادمة من الشمال والجنوب ، أرسلا مذكرة باسم الوطنيين الى الوزير المفوض لامبراطورية النمسا والمجر (حيث كان عميدا للسفراء) لابلاغها لكافة ممثلي الدول الاجنبية في طهران · وقد أوضحوا فيها أن الغرض من حركتهم نحو طهران ، هو رغبتهم بلقاء الشاه بأنفسهم ، لابلاغه بأوضاع البلاد السيئة ، وفي نهاية المذكرة طلبوا من ممثلي الدول الاجنبية حث حكوماتهم على الوقوف على الحياد في الصراع الداخلي الدائر في ايران (٣٥) ·

كان سبهدار قد استطاع تضليل قوات لياخوف المعسكرة في قرية « شهريار » بين كرج وطهران ، حيث مر بقواته بالقرب منها دون أن يصطدم معها ، كما استطاعت قوات سردار أسعد التقدم نحو طهران ، بعد معركة قصيرة مع قوات الحكومة في منطقة « حسن آباد » حيث هزمتها ، ومن ثم تابعت تقدمها نحو العاصمة ·

وعند قرية « بادامك » القريبة من طهران التقت قوات

---

(٣٥) نور الله دانشور علوي ــ تاريخ مشروطه ايران وجنبش وطنبرستان اصفهان وبختياري ــ ص ٦٢ ·

الوطنيين القادمة من الشمال والجنوب ، وبدأت الاستعداد لدخول طهران ٠

معركة تحرير طهران :

في مساء ١١ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٩ ، أصبحت قوات الثوار قرب أسوار طهران ، وفي ذلك المساء ، تمكن سبهدار بثلاثمائة من فرسانه ، من الاستيلاء على بوابة « بهجت آباد » وفتحها ودخلت منها قوات الثوار الى المدينة ٠ وكانت قوات بختياري تقارب خمسة آلاف من المحاربين (٣٦) ، وقوات الشمال ثلاثة آلاف ٠ وعند ظهر ١٢ يوليو ـ تموز ـ استطاع الثوار احتلال بناء المجلس ومسجد سبهسالار ، واتخذوه مقرا مؤقتا لادارة العمليات العسكرية ٠

كانت القوات التي أعدها الشاه للدفاع عن طهران تتراوح بين ثمانية الى تسعة آلاف جندي مجهزين بالمدفعية الثقيلة (٣٧)، بالاضافة الى قوات كبيرة بقيادة لياخوف كانت موجودة على طريق كرج ـ طهران تنتظر مجيء الثوار ، فلما علم لياخوف بدخولهم للعاصمة،أسرع بقواته ودخل طهران من بوابة باغشاه، واستلم قيادة قوات الحكومة في المدينة ، وكان الثوار قد وصلتهم تعزيزات جديدة من خمسمائة مقاتل بقيادة سردار يحيى وميرزا كوجك خان اللذين كانت مهمتهما حماية مؤخرة قوات الثوار ٠ وفي ١٦ يوليو ـ تموز ـ استسلمت القوات الحكومية بعد قتال

(36) Wilber, Donald — Iran Past and Present, p. 84.

(٣٧) مهدي ملكزاده ـ انقلاب مشروطيت أيران ـ ج٦ ـ ص ٦٥ ٠

دام أربعة أيام • وفي اليوم نفسه الذي استسلم فيه لياخوف لقادة الثوار ، كان الشاه يلتجيء الى المنوضية الروسية في مقرهـا الصيفي في زركنده (٣٨) ، وسمه خمسمائة من أقربائه وأتباعه، من بينهم أمير بهادر ومجلل الملـك وارشد الدولـة وغيرهم ، بالاضافة الى أفراد أسرته •

وهكذا طويت فترة سوداء ، عرفت باسم « الاستبداد الصغير » ودامت عاما كاملا وبضعـة أيام (٣٩) ، ورجع علم الحريـة يرفرف من جديد في سماء طهران ، وخـرج الطهرانيون مـن منازلهم يحيون الثوار ، ويهتفون للثورة ، وان كان يقلل من فرحهم وجود القوات الاجنبية على أرض ايران •

مصير الشاه وأعوانه :

كانت أول أعمال الثوار تشكيل محكمة ثورية ، نفذت حكم الاعدام بالشيخ فضل الله نوري ومفاخر الملك حاكم طهران ، وسجنت العديدين ممن وجدتهم مذنبين بحق الشعب •

أما الشاه ، فانه بمجرد وصوله الى المفوضية الروسية ، رفع عليها العلم البريطاني الى جانب العلم الروسي ، دلالة على حماية الدولتين للشاه ، وذلك طبقا للتفاهم الذي تم بين الدولتين (٤٠) من أجل اتخاذ اجراءات موحدة نحو الاحداث في ايران •

---

(٣٨) احمد كسروي ــ تاريخ هيجده ساله اذربايجان ــ ص ٦٢ •
(٣٩) من ٢٣ يونيو ١٩٠٨ الى ١٦ يوليو ١٩٠٩ •
(٤٠) ف•و• ٣٤/٤١٦ من برقية غري الى مارلينغ برقم ٤٢١٣٩/٢١٠ ــ لندن في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٧ • وكذلك برقية نيكولسون الى غري برقم ٤٢٤٩٢/٢٦٩ ــ بطرسبورغ في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٧ •

المجلس العالي الجديد :

شكل الوطنيون مجلسا أعلى للثورة (مجلس عالي) ، وقد تألف من قادة الثورة ، ومن زعماء طهران ، ومن نواب المجلس السابق ، وقد بلغ عددهم جميعا خمسمائة عضو ، ومنح المجلس كافة السلطات والصلاحيات ، لعدم وجود ملك ولا حكومة ولا مجلس وطني في البلاد .

وخوفا من أن يكون العدد الكبير لأعضاء المجلس ، سببا في تعطيل أعماله ، وسرعة بته في الامور ، فقد شكلت لجنة من اثني عشر رجلا من بين أعضاء المجلس العالي سميت « لجنة الادارة » (هيئت مديره) ومنحت صلاحيات المجلس العالي كاملة وضمت زعماء وطنيين من مدن ايرانية مختلفة .

عينت اللجنة سبهدار وزيرا للحربية وسردار أسعد وزيرا للداخلية ليقوما بمعالجة المشاكل الملحة ، الى أن تتشكل حكومة ثورية جديدة .

وأصدرت قرارا آخر عينت فيه سلطان أحمد ميرزا ملكا جديدا على ايران باسم أحمد شاه (٤١) . كما صدر قرار ثالث بتعيين عضد الملك وصيا على العرش حتى يبلغ الملك سن الثامنة عشرة .

أبلغت القرارات الجديدة الى ممثلي الدول الأجنبية في طهران ليحيطوا حكوماتهم علما بها ، ودخل الثوار في مفاوضات مع الحكومتين الروسية والبريطانية حول مصير الشاه ، وبعد محادثات طويلة تقرر أن يعلن الشاه تنازله رسميا عن العرش ،

---

(٤١) كان الابن الثاني للشاه ، وكان يبلغ وقتها الثانية عشرة من عمره .

وأن تتمهد الحكومة الايرانية بضمان حياته ، في اطار الشروط التالية :

١ ـ يسلم الشاه كافة المجوهرات الملكية الى الدولة ، وتعتبر أية صفقة بيع جرت عليها في الفترة الاخيرة باطلة ، كما أن أي نقص في عددها يحسم ثمنه من مخصصات الشاه ·

٢ ـ يسلم الشاه ما لديه من أوراق ووثائق رسمية للدولة ، ويتنازل لها عن أملاكه ، وتقوم الحكومة بمقابل ذلك بتسديد كافة ديونه الشخصية البالغة ٤٣٤ر١١٣ر٤ تومانا ·

٣ ـ يخصص للشاه ولعائلته مئة ألف تومان سنويا ، تؤدى على أربعة أقساط متساوية ، وعند وفاته يدفع لورثته خمسة وعشرون ألف تومان ·

٤ ـ على الشاه وجميع اللاجئين للمفوضية ، مغادرة ايران خلال ثماني وأربعين ساعة من توقيع الاتفاق · ويشترط على الشاه عدم قيامه في منفاه بأي نشاط ضد ايران ، وفي حالة مخالفته ، تقطع جميع مخصصاته ·

وفي ١٠ سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٠٩ حملت ثلاث وعشرون عربة الشاه وأعوانه الى خارج ايران ، وتخلصت البلاد بذلك من ملك مستبد (٤٢) ·

المجلس الوطني الجديد :

تسلم الوطنيون الحكم والبلاد في أسوأ أوضاعها ، فالدستور

---

(٤٢) ايران نو ـ العدد ١٤ ـ في ١١ ايلول ١٩٠٩ ·

معطل ، والمجلس غائب ، والشاه هارب من وجه الشعب في حماية المفوضية الروسية ، وما نتج عن ذلك من فوضى في الامـور ، وكساد في التجارة وتعطل في الاعمال ، بالاضافة للخراب والدمار الذي أصاب البلاد ، وخصوصا آذربايجان ، من جراء المعارك الحربية والاضطرابات التي استمرت أكثر من عام • وضاعف من خطورة الوضع احتلال القوات الاجنبية لاجزاء كبيرة من شمال ايران وجنوبها ، حيث كان في ذلك تهديد لاستقلال البلاد وسلب لحريتها •

تسلمت اللجنة الادارية المنبثقة عن المجلس العالي الجديد ، مهمة ادارة البلاد مؤقتا ، حتى تتمكن من السيطرة على الوضع وتهدئة الحال ، واكمال تشكيل أجهزة الدولة من حكومة ومجلس وطني وغير ذلك • وقد أعلنت اللجنة ان الدستور قد أصبـح ساري المفعول من جديد بمجرد دخول قوات الثوار الى طهران ، أما بالنسبة للمجلس الوطني الاول فقد كان من الصعب اعادة دعوته ، حيث كان عدد غير قليل من أعضائه هاربين خـارج ايران ، أو قتلوا على أيدي أعوان الشاه • وهناك سبب آخر لم يجعل قادة الثورة يسرعون في دعوة المجلس الوطني السابق ، وهو رغبة هؤلاء في أن يكون لهم تمثيل في المجلس الوطني باعتبارهم القوة الوطنية الجديدة التي كان لها فضل اعادة الدستور وهزيمة الشاه ، الامر الذي لم يكن ممكنا اذا دعي نواب المجلس الاول ، باعتبار أنه لم يكن لهم تمثيل فيه •

قامت « لجنة الادارة » بتشكيل لجنة من ١٦ عضوا لتعديل قانون الانتخابات السابق بما يتفق والوضع الجديد • وقـد أنجزت اللجنة مهمتها بسرعة ، وأقر قانون الانتخابات الجديد في

٣٠ يوليو ـ تموز ـ ١٩٠٩ ، وقد استعانت في اعداده بالقوانين البلجيكية والفرنسية المماثلة ، وكان يقع في تسعة فصول تتألف من ثلاث وستين مادة ، وكانت أهم النقاط التي تضمنها :

١ ـ جعل النواب حسب النسبة العددية للسكان ، وبذلك نالت طهران ، وفقا لعدد سكانها ، ١٦ نائبا فقط (بدلا من ٦٠ نائبا في المجلس الاول) وبلغ مجموع النواب ١٢٠ نائبا فقط (بينما كان مجموع نواب المجلس الاول ١٥٦ نائبا) .

٢ ـ اشترط على الناخب أن تكون أملاكه لا تقل قيمتها عن ٢٥٠ تومانا (٥٠ جنيها استرلينيا) ، أو أنه يدفع عشرة تومانات ضريبة سنوية (جنيهان استرلينيان) ، أو ان دخله السنوي لا يقل عن خمسين تومانا (عشرة جنيهات استرلينية) ، وقد أعفي المتعلمون من شرط توافر النصاب المالي .

٣ ـ كما اشترط على المقترع أن يكون ممن يقيم في منطقته اقامة دائمة ، قبل الانتخاب بستة أشهر على الاقل .

وقد جعل القانون طريقة الانتخاب على درجتين وبالاقتراع السري . كما ان القانون الجديد عيّن لكل قبيلة كبيرة نائبا يمثلها ، بينما القانون السابق لم يميز هذه القبائل عن سكان المناطق التي يقيمون بها . ولا شك ان هذا التعديل كان نتيجة للنفوذ الذي أصبحت تتمتع به قبائل بختياري بعد اشتراكها بالثورة المسلحة ضد الشاه .

المجلس الوطني الثاني :

افتتح المجلس الثاني في ١٦ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ

١٩٠٩ ، بحضور أحمد شاه • وقد قرأ سبهدار أعظم خطبة الافتتاح نيابة عنه (٤٣) • وفي اليوم التالي انتخب ميرزا سعيد خان مؤتمن الملك رئيسا للمجلس ، وأعاد سبهدار تشكيل حكومته ، وتقدمت للمجلس ونالت ثقته •

قام هذا المجلس بانجازات تشريعية مهمة ، رسخت أقدام ايران على طريق الحكم الديموقراطي ، وأكملت تنظيم المجتمع الايراني في كافة شؤونه •وتميزت دورة هذا المجلس (١٩٠٩ ـ ١٩١١) عن دورة المجلس الاول بعوامل ايجابية ، وأخرى سلبية يمكن اجمالها فيما يلي :

١ ـ وقوف السلطة التنفيذية بجانب المجلس ، اذ أن الحكومة نفسها كانت منبثقة عن الثورة ، كما أن الملك لم يكن يتدخل في أمور الدولة •

٢ ـ أصبح النواب أكثر مراسا وتجربة من زملائهم في المجلس الاول ، وقد أصبحوا أكثر تنظيما،حيث توزعوا الى كتلتين رئيسيتين احداهما معارضةللحكومةوالاخرى معاضدة لها•

٣ ـ واجه المجلس ، وكذلك حكومة الثورة ، ضغطا متزايدا من جانب بريطانيا وروسيا للسيطرةعلىشئون ايران والتحكم بسياستها ، ورغم الحاح الحكومة الايرانية المتواصل ، فقد ماطلت الدولتان في سحب قواتهما من ايران ، بل ان انجلترا هددتها في ١٦ اكتوبر ـ تشرين الاول ـ سنة ١٩١٠ بتشكيل قوة أمن خاصة بها ، اذا لم تقم الحكومة الايرانية بحفظ الامن على طرق المواصلات في جنوب

---

(٤٣) الاهرام ـ العدد ٩٦٣٠ ـ ١٧ نوفمبر ١٩٠٩ •

ايران والمؤدية الى الخليج العربي (٤٤) ٠

شكل النواب المعارضون حزب الديموقراطيين الشعبيين (دمكرات عاميون) وكان عددهم ٢٨ نائبا ، وشكل المؤيدون للحكومة حزب الاشتراكيين المعتدلين « اجتماعيون اعتداليون » وكان عددهم ٣٦ نائبا ، كما شكل بعض النواب كتلة صغيرة باسم حزب اتفاق وترقي (الاتحاد والترقي (٤٥)) ، وبقية النواب كانوا من المستقلين ٠

وعند ازدياد تطرف الديموقراطيين ، وظهور معارضة قوية بين الجماهير لاتجاههم المتطرف ، أصدر المعتدلون بيانا أعلنوا فيه أن أهدافهم تتفق وروح الاسلام ، وأنهم يرفضون بشدة أفكار كارل ماركس وانجلز وغيرهما ، ويتخذون من المناداة بالمساواة والحرية والاخوة الانسانية هدفا ، ومن الاعتدال طريقا (٤٦) ٠

انجازات المجلس الثاني :

قام هذا المجلس باصدار ما يقرب من ثلاثين تشريعا ، شملت كافة الامور الاقتصادية والمالية والادارية وغيرها ، وكان أهمها :

قانون تشكيلات وزارة العدلية من محاكم صلح وتمييز ومحاكم شرعية ٠

---

(٤٤) كشف تلبيس ودوروئي ونيرنك انكليس — ص ٦٤ — مترجم عن الالمانية .

(٤٥) ملك الشعراء بهار — تاريخ مختصر احزاب سياسي انقراض قاجاريه — ج١ — ص ٩ .

(٤٦) جريدة مجلس — العدد ٨٤ في ٢٧ ابريل ١٩١١ .

وكذلك قانون تنظيم المعارف ، وقد تضمن جعل التعليم الابتدائي مجانيا ٠

وكذلك قانون تنظيم الشؤون الصحية وقد جعل التلقيح ضد الجدري اجباريا ٠ وقانون حصر استخراج الملح بالدولة ٠ وقانون الاستملاك وتسجيل العقارات ٠

ولم ينس المجلس الناحية المالية فأولاها اهتمامه واستقدم الخبراء الاقتصاديين من الدول الاجنبية لتنظيمها ، وكان على رأسهم الخبير المالي الاميركي مورغان شوستر Morgan shuster وكان العجز في ميزانية عام ١٩١١ أكثر من ثمانية ملايين تومان (٤٧) ٠

كما أصدر المجلس تشريعا يحد من انتشار تعاطي المخدرات (٤٨) (ترياك) ، وكانت الحكومة قبل ذلك قد حصرت حق بيع المخدرات ـ كخطوة تمهيدية في سبيل منعها ـ بشركة واحدة ، وبموجب اجازات خاصة تعطى للمدمنين (٤٩) ٠

محاولة الشاه المخلوع العودة :

أدى وجود القوات الروسية والانجليزية في ايران الى زيادة الاضطراب فيها ، وتهديد استقلالها ، وقد قامت القوات الروسية الموجودة في شمال ايران وآذربايجان بارتكاب المذابح وتخريب

---

(٤٧) كانت قيمة العجز ٨٫٤٧٥٫٣٢٠ تومان ـ نص الميزانية المقدمة الى مجلس النواب ـ مجموعة رقم ٦٥٠١/٢٨٥ مكتبة المجلس الوطني .

(٤٨) كانت المخدرات ولا تزال احدى مشاكل المجتمع الايراني الكبيرة .

(٤٩) ايران نو ـ العدد ١ ـ السنة الاولى ـ ٢٤ اغسطس ١٩٠٩ .

المتلكات ، خصوصا في مدن تبريز ورشت ومشهد (٥٠) .

في هذه الأثناء اغتنم الشاه المخلوع فرصة الفوضى القائمة ، وحاول العودة لايران سرا (٥١) ، مستندا الى مساعدة القوات الروسية الموجودة في ايران، وكذلك الى قيام أنصاره بتأييده(٥٢) غير ان الحكومة الوطنية علمت بمحاولته قبل بدئها (٥٣) ، فاتخذت الاجراءات اللازمة (٥٤) ، وعند نزوله في استر آباد (كركان الحالية) في الشمال ، انضمت اليه قبائل كلهر التركمانية، غير ان القوات الوطنية استطاعت هزيمة قواته (٥٥)

---

(٥٠) في تبريز اعدموا العالمين ثقة الاسلام وضياء العلماء ، وعشرات من المواطنين غيرهم . وفي مشهد ضربوها بالمدفعية ، وسقطت قنابلهم على حرم الامام الرضا .

(٥١) جاء متنكرا باسم خليل بغدادي بصفة تاجر ، وحمل الاسلحة والذخائر في صناديق مغلقة ادعى انها بضائع تجارية — انظر احمد كسروي — تاريخ هيجده ساله أذربايجان — ص ٧٣ .

(٥٢) قاد اخوه سالار الدولة حركة تمرد ضد الحكومة في كردستان ، كما عمل اخوه شعاع السلطنة على تجميع الانصار في شمال ايران وبين قبائل التركمان .

(٥٣) كان الشاه المخلوع قد بعث برسائل سرية الى انصاره ، نمي علمها الى الحكومة ، فتمكنت من اتخاذ الاحتياطات اللازمة قبل بدء المحاولة بوقت كاف ، وقبضت على ثلاثين الى اربعين من رؤوس الرجعية في طهران انظر
Morgan Shuster, The Strangling of Persia, p. 87.

(٥٤) اتهمت الحكومة الملك المخلوع بالخيانة ، واعلنت عن جائزة قيمتها مئة الف تومان لمن يقبض حيا او ميتا ، كما رصدت خمسة وعشرين الف تومان لراس كل من الامير شعاع السلطنه والامير سالار الدولة — انظر نص اعلان رئيس الوزراء بذلك — وثيقة بدون تاريخ — مجموعة رقم ٢٥٨/٥١.٦ المجلس الوطني .

(٥٥) قتلت القوات الوطنية ارشد الدولة الذي قاد قوات الملك السابق ،

عند تقدمها نحو طهران ، فهرب الشاه السابق من ايران عائدا الى روسيا ، وفشلت محاولته (٥٦) ٠

كان النصر الوطني سريعا ، بحيث لم يترك مجالا للقوات الروسية للتدخل ، وكان اعلان علماء النجف أن مقاتلة المسلمين للشاه المخلوع بمثابة مقاتله للكفر (٥٧) أحد العوامل المهمة في احراز هذا النصر ٠ وقد أدى فشل محاولة الشاه في الرجوع الى ايران الى زيادة استياء الروس من الحكم الوطني ، وأخذوا يضغطون عليه بكل الوسائل لارباكه ومن ثم اسقاطه ، فأرسلوا انذارين للحكومة الايرانية على التوالي تتضمن الطلب بطرد مورغان شوستر الأميركي (٥٨) ، وقد رفض المجلس الوطني والشعب (٥٩) قبول الانذار ، غير أن الوصي على العرش ناصر الملك (الذي عين بعد وفاة عضد الملك) حل المجلس في ٢٤ ديسمبر ــ كانون الاول ــ ١٩١١ ، وأوقف الصحف ونفى زعماء الحزبين الكبيرين الى قم (٦٠) ٠

كما اسرت المئات من انصاره ــ انظر اعلان وزير الداخلية بذلك ــ وثيقة بدون تاريخ ــ مجموعة رقم ٦٠٥١/٢٥٨ ٠

(٥٦) مات في أيطاليا سنة ١٩٢٥ ، ودفن في كربلاء كما اوصى ٠

(٥٧) جريدة مجلس ــ العدد ١٣٨ ــ ٧ اغسطس ١٩١١ ٠

(٥٨) كان الروس لا يريدون للادارة الايرانية ان تتقدم ، لتظل تحت سيطرتهم ونفوذهم ، انظر
Pahlavi, Mohamamd Reza — Mission for my country, p. 35.

(٥٩) قامت في طهران مظاهرات ضخمة اشترك فيها اكثر من خمسمائة سيدة ، طالبت المجلس برفض الانذار وبحماية استقلال ايران ، وانتشرت الدعوة لمقاطعة البضائع الاجنبية وخصوصا الروسية منها. انظر مهدي ملكزاده ــ انقلاب مشروطيت ايران ــ ج٧ ــ ص ٩٨ ٠

(٦٠) قام هؤلاء بتشكيل لجنة الانقاذ الوطني (كميته نجات ملي) للدفاع

عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، كانت القــوات الروسية والانجليزية لا تزال معسكرة في ايران ، وبالرغم من أن ايران أعلنت حيادها في هذه الحرب ، غير أنه لم يحترم هذا الحيــاد أحد ، وأصبحت مسرحا لاشتباكات عنيفة بين المتحاربين (٦١) ، مما اضطر الحكومة الى اللجوء الى بغداد (٦٢) ، وزاد اضطراب الأوضاع في ايران انقسام القوات الروسية الموجودة فيها ما بين مؤيد للثورة الشيوعية ، التي قامت في روسيا ومعارض لها (٦٣)، بالاضافة الى قيام عدة حركات انفصال عن الحكومة المركزية (٦٤)

عن استقلال ايران ــ انظر نص الاعلان الصادر في هذا الشأن ــ وثيقة بدون تاريخ ــ مجموعة رقم ٦٠٥١/٢٠٨ بالمجلس الوطني .

(٦١) تقدم العثمانيون بمساعدة من الالمان واحتلوا كرمانشــاه واجــزاء واسعة من ايران الغربية ، كما تقدمت القوات الانجليزية من الجنوب واضطرتهم الى التراجع ، ولاحقت هذه القــوات قــوات الروس الشيوعيين حتى باكو ، كما قام العملاء الالمان باثارة القبائل في جنوب ايران وعلى حدود افغانستان ضد الانجليز ــ انظر
Pahlovi, M. Reza — Mission for my country, p. 36.

(٦٢) هرب زعماء الوطنيين الى قم ثم اصفهان ثم كرمانشاه ، وكانــوا يضطرون لمغادرة هذه المدن تباعا كلما اقتربت منها القوات الروسية الزاحفة ، حتى استقروا في بغداد وكونوا حكومة منفى باسم حكومة ايران المؤقتة وكانت برئاسة نظام السلطنة ، واتخذوا لقب « مسؤول » بدل « وزير » . انظر حسين سميعي وامان الله اردلان ــ اولــين قيام مقدس ملي درجنك بين الملل اول ــ ص ٨٩ .

(٦٣) انضمت القوات الروسية في شمال ايران للشيوعيين ، بينما عارضهم الضباط الروس بالفرقة القوزاقية الايرانيــة ، وقــادوها لمحاربة الشيوعيين ، وعندما اخذ الروس الشيوعيون بالانسحاب من ايران باعوا اسلحتهم بابخس الاثمان . انظر نصرت الله فتحي ــ ازاده كمنام ــ ص ٥٨ .

(٦٤) مثل حركة الكولونيل محمد تقي خان في خراسان ، وميرزا كوجــك

هكذا كان الحال عندما قام « رضا خان ميربنج سواد كوهي » ، أحد ضباط الفرقة القوزاقية الايرانية ، بانقلاب عسكري في ٢١ فبراير ـ شباط ـ ١٩٢١ ،أسقط فيه حكم الأسرة القاجارية، وأقام حكما جديدا باسم الأسرة « البهلوية » ٠

خان جنكل في كيلان ، ومحمد خياباني في اذربايجان ، واسماعيل اقا في كردستان ، وكان لهذه الحركات ايضا صيغة وطنية اذ عملت على مقاومة القوات الروسية المحتلة .

الفصل الثامن

قيام الأسرة البهلوية

ايران خلال الحرب العالمية الأولى :

قَدر' ايران ، بحكم موقعها الجغرافي المميز ، أن تظل ميدانا لصراع القوى الكبرى في سعيها لبسط نفوذها أو زيادة رقعة أمبراطورياتها • ففي مطلع هذا القرن كان الصراع على النفوذ في ايران بين جارتيها الكبيرتين روسيا القيصرية التي تشترك معها في حدود برية طويلة ، والأمبراطورية البريطانية التي كانت تحاذيها في الهند ، وفي بعض مناطق الخليج العربي •

وبعد الحرب العالمية الأولى استبدلت روسيا السوفياتية بروسيا القيصرية ، وبعد الحرب العالمية الثانية حلت الولايات المتحدة محل بريطانيا ، وتحولت الأرض الايرانية الى ميدان ساخن للحرب الباردة بين القوتين المظميين روسيا وأمريكا • ورغم ميل النظام الايراني الى جانب الولايات المتحدة بشكل جلي ، الا أن الساسة الايرانيين كانوا يحاولون أحيانا استخدام

التناقضات الدولية لمصلحة بلدهم ، وقد ظل الوضع كذلك ، حتى جاءت الثورة الاسلامية فقلبت المعادلات ، وحررت سياسة ايران من أية تبعية أو انتماء خارجي .

ان الصراع الدولي على أرض ايران كثيرا ما حمل اليها الخراب والى شعبها الشقاء خلال نصف قرن أو يزيد ، وطالما كانت حكومتها ضعيفة ، فان القوى المتصارعة لم تكن تحسب لها حسابا ، فعلى رغم أن أحمد شاه ألقى ، عند توليه الملك رسميا في صيف سنة ١٩١٤ ، خطاب العرش الذي نادى فيه بحياد بلاده في أية حرب عالمية تنشب ، فان هذا النداء لم يفد شيئا ، لافتقار ايران الى حكومة مركزية قادرة وجيش قوي نشيط ، فأنزل الانجليز قواتهم في مطلع الحرب في مدن بوشهر والمحمرة في الجنوب ، بدعوى صيانة حقول النفط ، وأخذوا بالانتشار في المنطقة التي خصصت لبريطانيا في اتفاقيتها مع الروس سنة ١٩٠٧ .

في الوقت نفسه اندفع الروس نحو شمال ايران ، ومنها نحو العاصمة طهران ، لاحتلال المنطقة المخصصة لهم كذلك ، وقد استطاع اثنا عشر ألف جندي روسي الوصول الى مدينة قزوين على بعد ١٦٠ كيلومترا عن طهران ، التي ما لبث أن زحف اليها ألفان منهم لاحتلالها ، وقد دب الذعر في سكانها نتيجة لسماعهم أخبار الزحف ، وأخذوا بمغادرتها الى الضواحي ، وكادت حكومة « مستوفي الممالك » تغادرها أيضا الى أصفهان ، لولا تدخل السفيرين البريطاني والروسي وتعهدهما بوقف الزحف الروسي نحو طهران .

وفي جبهة العراق كانت المعارك تتطور لمصلحة العثمانيين

الذين انتهزوا الفرصة وخرقوا بدورهم حياد ايران ، فدخلت قواتهم تبريز في ٧ يناير سنة ١٩١٥ ووصلت الى القوقاز عبر أذربيجان ، وكان غرضهم قطع الاتصال بين القوات الروسية والقوات البريطانية ، وخاضت قواتهم مع الروس معارك طاحنة، ثم ما لبثت هذه القوات أن انسحبت من الاراضي الروسية والايرانية في مارس سنة ١٩١٧ لتعزيز الجيوش العثمانية في الجبهة العراقية والسورية التي كانت تتعرض لضغط قوي من قوات الحلفاء والقوات العربية المشتركة معها •

وقعت ، خلال هذه الفترة ، مذابح رهيبة بين الأكراد والنساطرة المقيمين حول بحيرة « أوروميه » و « وان » ، وكان الانجليز قد وعدوا النساطرة بمساعدتهم ، لكنهم لم يفعلوا ، ولجأ بعض هؤلاء النساطرة الى شمال العراق وأقاموا فيه وعرفو بالأشوريين •

أما الألمان فانهم لم يستطيعوا الوصول لايران بجيوشهم ، لكنهم ملأوا أرضها بعملائهم وجواسيسهم ، حيث قاموا بدعاية واسعة النطاق لاثارة الايرانيين ضد الروس والانجليز ، وكلاهما عدو تقليدي للايرانيين ، وكان أبرز مثيري القلاقل الألمان وازموس Wassmuss القنصل الالماني السابق في بوشهر ، الذي استطاع اثارة قبائل جنوب ايران ضد الانجليز كما أن الألماني فون نيدر ماير Von Neider Meyer تمكن من اشعال الاضطرابات بين قبائل شرق ايران لعرقلة مواصلات الانجليز مع الهند ، وقد عجزت الحكومة الالمانية عن الحصول على تصريح من أفغانستان بتسهيل مرور قوات ألمانية وعثمانية الى الهند ، وقد نشر تصريح الامبراطور الالماني ويلهلم الثاني بأنه مستعد

لحماية الاسلام والمسلمين (١) على نطاق واسع لتحسين صورة الألمان في نظر المسلمين وكسب رضاهم ٠

نتيجة لجهود العملاء الالمان ثارت قبائل قشقائي في جنوب ايران وهددت خطوط مواصلات القوات البريطانية ، كما أن الاضطرابات في شرق ايران لم تجعل طرق القوافل العسكرية البريطانية بين الهند وايران آمنة وسالكة ، مما اضطر بريطانيا الى ارسال « السير برسي سايكس » الى جنوب ايران لمالجة الوضع ، فتمكن في فترة وجيزة من تشكيل قوة بوليسية سميت « حملة بنادق الجنوب (٢) » وقد تشكلت هذه القوة في البداية من ٥٤٠٠ جندي و١٩٠ ضابطا ايرانيا و٤٧ ضابطا انجليزيا و٢٥٦ صف ضابط انجليزيا وهنديا ، وتمكنت من اعادة الأمن والاستقرار لتلك المنطقة ، ووصل عددها في نهاية الحرب الى ١١ ألفا (٣) ٠

أقام الانجليز بالتعاون مع الروس،سلسلة من نقاط الحراسة القوية على طول الحدود الشرقية لايران ، وعندما انسحبت القوات الروسية من شمال ايران ، اثر نشوب الثورة الشيوعية ، في نوفمبر سنة ١٩١٧ ، احتل الانجليز نقاط الحراسة التي كانت تشغلها ، وسيروا حملة عسكرية بقيادة الجنرال « ونستروبل » الى باكو لحماية آبار النفط ، لكنهم انسحبوا منها فيما بعد ، وتمركزوا في شمال ايران ، وحاولوا في تلك الاثناء تشجيع قيام دول مستقلة في تركمانستان وقزاخستان لتكون

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ــ حسين فوزي النجار ــ ص ٣٨٨ ٠

(٢) دعيت تفنكداران جنوب ٠

(٣) كتاب سال ــ انتشارات كيهان ــ ص ٢١٢ ٠

حاجزا بين الشيوعية والهند وايران في المستقبل ٠

استقالت الحكومة الايرانية ، وتشكلت حكومة مؤقتة برئاسة « سبهسالار » لادارة ما بقي لها من أراض ، وقد أقيم مراقبان انجليزي وروسي الى جانب وزير المالية «عبد الحسين تيمورتاش»، وقبيل نهاية الحرب استلمت الحكم وزارة « ميرزا حسن خان وثوق الدولة » ، وظلت في الحكم الى ما بعد نهاية الحرب ٠

ايران بعد الحرب :

رغم أن ايران لم تشترك في الحرب العالمية الأولى رسميا ، الا أنها خرجت منها ممزقة ، تحتل الجيوش الاجنبية معظم أراضيها ، بالاضافة الى دمار كثير من مناطقها وتشريد الألوف من سكانها ، وكانت سلطة حكومة طهران لا تكاد تتجاوز العاصمة، وكان الجيش في حال سيئة من سوء الاعداد والعدة ، وكانت واردات الدولة ضئيلة جدا وكادت أن تفرغ خزائنها من الاموال، كما أن أكثر من زعيم محلي نهد لاقامة دويلة مستقلة في منطقته ، ومع كل هذا ، فان ايران لم تقع فريسة لأي استعمار أوروبي كما حدث لبعض بلدان الشرق الأوسط بعد الحرب ، اذ خضع بعضها للانتداب البريطاني (العراق وفلسطين والأردن) وبعضها الآخر للانتداب الفرنسي (سوريا ولبنان) ، وكان سبب نجاة ايران راجعا الى قوة التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية المختلفة وتناقض الأطماع الدولية ٠

العلاقة مع الروس والانجليز :

حاول الشيوعيون الذين تربعوا على الحكم في روسيا تحسين علاقتهم بايران وكسب صداقتها ، بعد أن خسروا صداقة أوروبا

الرأسمالية ، كما أنهم رأوا في وجود دولة ايرانية مستقلة ضمانا لحدودهم الجنوبية المشتركة معها ، فأعلنوا في ١٤ يناير سنة ١٩١٨ تنازلهم عن كل الامتيازات التي كانت للحكومة القيصرية في ايران ، ومساندتهم لاستقلال ايران وسيادة أراضيها ، واستعدادهم لاقامة علاقات ديبلوماسية معها على أساس المساواة والاحترام المتبادل .

جدد السوفيات هذه المباديء في سنة ١٩١٩ في مذكرة رسمية بعثوا بها الى الحكومة الايرانية ، وتنازلوا ، بالاضافة الى ما ذكر سابقا ، عن فروع البنك الروسي في ايران ، ووافقوا على الغاء الامتيازات الاجنبية Capitulation فيها .

أما الانجليز فقد تشبثوا بالمناطق التي احتلوها من ايران ، وعملوا على زيادة نفوذهم فيها ، ليس لموقعها الاستراتيجي المهم بالنسبة لامبراطوريتهم في الشرق الاقصى فحسب ، بل أيضا لثروتها النفطية التي أخذت تحرز أهمية متزايدة ، خصوصا وأن الانجليز أخذوا يعتمدون على النفط بدل الفحم الحجري كوقود لتسيير أسطولهم الضخم منذ سنة ١٩١٧ .

حاول وفد ايراني برئاسة « مشاور الملك » ، وزير الخارجية ، الاشتراك بمؤتمر الصلح المنعقد في فرساي قرب باريس ، لعرض مطالب الشعب الايراني على الحلفاء المنتصرين، وكانت تتضمن الغاء اتفاقية سنة ١٩٠٧ بين روسيا وبريطانيا لاقتسام النفوذ في ايران ، والغاء الامتيازات الاجنبية ، وحل الحرس الاجنبي الذي كان يقوم بحراسة القنصليات الاجنبية واعادة الاراضي الايرانية فيما وراء بحر قزوين التي كان القياصرة قد انتزعوها ، وتشمل مناطق مرو ، وخيوه ، ودربند،

وباكو ، لكن الانجليز منعوا الوفد من عرض مطالبه على المؤتمر بحجة أن ايران لم تشترك بالحرب الى جانب الحلفاء .

تمكن « برسي سايكس » من التوصل الى صيغة معاهدة مع ايران في ٩ أغسطس سنة ١٩١٩ تعترف فيها بريطانيا باستقلال ايران ، وتقدم لها قرضا بقيمة مليون جنيه استرليني لاصلاح الطرق التي تعطلت نتيجة للأعمال الحربية ، ويقوم الانجليز بالاشراف على المالية والادارات الحكومية والقوات المسلحة الايرانية بواسطة مستشارين ، ويتبادل البلدان المعونة العسكرية عند الحاجة .

عند التئام المجلس النيابي الايراني رفض ابرام المعاهدة ، رغم قوة الضغط الانجليزي ، وساهم الروس في تأييد معارضة التصديق على المعاهدة خشية من تزايد النفوذ الانجليزي في ايران ، وفي سنة ١٩٢٠ دخلت ايران عضوا مؤسسا في عصبة الأمم .

أثناء القتال الدائر بين الروس البيض والحمر ، كانت بعض فلول الجيش القيصري تلجأ الى الاراضي الايرانية ، فتعمد سلطاتها الى نزع أسلحتها ومنحها حق اللجوء ، وكانت القوات الشيوعية تندفع ، في أحيان كثيرة ، داخل الحدود الايرانية خلال مطاردتها لأعدائها ، وكانت قد لجأت قوة صغيرة من الاسطول الروسي في بحر قزوين بقيادة الاميرال « دنيكن » الى ميناء أنزلي (٤) ، فقام الايرانيون بتجريد السفن من أسلحتها ، الا أن القوات الشيوعية بقيادة الجنرال « لينيكوف » هاجمت تلك

---

(٤) بندر بهلوي فيما بعد ، اما اليوم فاعيد اسمها القديم بعد قيام الثورة الاسلامية .

القوة المجردة من السلاح ، فأصابت بعض القذائف القوات الانجليزية المعسكرة هناك ، فاحتج الجنرال الانجليزي « شامبين » ، لكن الروس لم يتراجعوا ، وأنزلوا قوات جديدة في ميناء رشت على ساحل بحر قزوين ، وأخذوا بالانتشار على طول سواحل كيلان الايرانية ، بينما اضطر الانجليز للتراجع نحو الجنوب ٠

كان أحد الزعماء المحليين في كيلان ويدعى « كوجك خان » قد تمرد على حكومة طهران خلال الحرب العالمية الأولى ، وفرض سيطرته على جزء كبير من كيلان ، ولم يحاول الانجليز ، أثناء عبور قواتهم لمنطقته ، التمرض له ، وعندما جاءت قوات القوزاق الايرانية الى الشمال لاستعادة سيطرة الحكومة على تلك المناطق، تمكنت من استرجاع رشت من القوات الروسية التي أنهكتها الحرب الاهلية ، وذلك في ٢٤ أغسطس ١٩٢٠ ، لكن الروس قاموا بهجوم مضاد استرجعوا به رشت وتعقبوا فرقة القوزاق في كل كيلان ، ثم اتفقوا مع كوجك خان على اعلان كيلان جمهورية سوفياتية (٥) ، وقد ظلت هذه الجمهورية قائمة حتى أكتوبر سنة ١٩٢١ حيث سقطت بعد انسحاب القوات الشيوعية من ايران ، وعادت لسلطة الحكومة المركزية في طهران ٠

انقلاب ١٩٢١ :

كان وضع ايران بعد نهاية الحرب العالمية الأولى سيئا جدا في شتى المجالات الادارية والاقتصادية والعسكرية ، ففي كل منطقة

---

(٥) المقصود بهذا التعبير جمهورية تحكمها مجالس شعبية ٠

من البلاد ، تقريبا ، قام زعيم محلي بالتفرد بالسلطة والعمل على الاستقلال عن الحكومة المركزية في طهران ، بالاضافة الى وجود جيوش أجنبيــة في شمال البــلاد (الروس) وجنوبهــا (الانجليز) ·

أما سلطة الحكومة المركزية فكادت تتلاشى ، خصوصا وأن الملك القاجاري الشاب كان منشغلا بنفسه عن أمور البــلاد ، وسعيدا برحلاته المتواصلة الى أوروبا ، وفي تلك الظروف التي وصفنا استطاع رضا خان القيــام بأول انقلاب عسكــري في تاريخ ايران الحديث ، ولعله كان أول انقلاب في تاريخ الشرق الأوسط ، وتمكن من السيطرة على الحكم ·

يبدو أن الانجليز قبل انسحابهم من ايران (الذي تم سنة ١٩٢١) وجدوا أنه من المناسب لمصالحهم ايجاد سلطة قوية في البلاد تستطيع حفظ نفوذهم والمحافظة على منابع النفط الغنية، ولذلك شجع الجنرال الانجليزي السير ادموند آيرونسايد رضا خان على انقاذ بلاده من الادارة الفاسدة والتفكك السيــاسي باللجوء القوة المسكرية التي يرأسها ، وقد تعاون رضــا مع الصحافي الشاب « سيد ضياء الدين طباطبائي (٦) » ، أقوى كتّاب ايران آنذاك وأبعدهم شهرة ، وكان يرئس تحرير صحيفة « رعد » الطهرانية ، فدبرا أمر الانقلاب خلال لقاءات متعددة بينهما ، ومن المعروف أن طباطبائي كان معجبا بالانجليز وعلى صلة طيبة بهم ·

---

(٦) ان اضافة لقب سيد قبل الاسم تعني ان صاحبه من السلالة النبوية ، كما ان ارتداء العمامة السوداء امتياز للاسياد فقط .

كان رضا خان ميربنج (٧) قائدا لحامية قزوين ، وكان يقود فرقة القوزاق الايرانية ، التي تحدثنا عن تاريخ تشكيلها وتدريبها في فصل سابق ، وعندما انتشرت الاشاعات في طهران باحتمال وقوع انقلاب عسكري أو حدوث ثورة ، اكتفت الحكومة بتشديد الحراسة على بوابات سور طهران ليلا ، وبعرض عسكري في ميدان سبه لطمأنة السكان .

فجر الأحد الحادي والعشرين من فبراير سنة ١٩٢١ دخل رضا خان طهران على رأس ألفين وخمسمائة جندي من قواته ، وبعد اطلاق بضع عيارات نارية كان معظمها ارهابا ، استطاع السيطرة على العاصمة ، واحتل جنوده المواقع الحساسة والابنية العامة فيها ، وفرض نظام منع التجول ، واعتقل ثمانين من كبار الشخصيات العسكرية والسياسية في البلاد ، واستسلم الدرك دون مقاومة بقيادة الجنرال « يالمارسن » السويدي ، وعين الكولونيل « كاظم سياح » حاكما عسكريا لمدينة طهران ، وأذاع رضا خان البلاغ التالي الى المواطنين :

« يا أبناء الوطن

عندما تقهقرنا عبر مستنقعات كيلان تحت وطأة نيران مدفعية العدو ، شعرنا أن مصدر كل أسباب تعاسة ايران وذل وضعف الجيش هم الخونة في الداخل ، وعلينا أولا ابادتهم ، وقد منحتنا المشيئة الالهية الفرصة لانجاز ذلك بأن نكون في طهران ، وقد جئناها لنطهرها ولتكون جديرة بأن تكون رأس المملكة ومركز حكومتها ، نحن نريد حكومة لا تميز بين الكيلاني والتبريزي والكرماني من ناحية حفظ الكرامة ، حكومة لا تريق ماء الوجه

---

(٧) بمعنى امير خمسة وهي رتبة عسكرية .

من أجل قرض خارجي لا يتجاوز مئة ألف تومان ، ولا تنفق دخل البلاد كلها من أجل رفاه عدد محدود من الاشخاص .وأخيرا نريد حكومة لا تكون لعبة بيد الاجانب ، حكومة تجعل من تقوية الجيش على رأس لائحة أهدافها ، حكومة تثيب من يخدم الشعب والبلاد ، وتعاقب من يخون أمته (٨) » .

الامضاء رئيس فرقة القوزاق والقائد العام

في ٢٣ فبراير أصدر الشاه مرسوما بتعيين طباطبائي رئيسا للحكومة ، ومنح رضا خان لقب « سردار سبه » وأصبح قائدا عاما للجيش ، وبعد شهرين جرى تعديل وزاري دخل بموجبه رضا خان وزيرا للحربية (٩) ، ولم يمض على حكومة طباطبائي ثلاثة أشهر حتى أقيلت ، وجاءت حكومة « قوام السلطنة » الذي كان طباطبائي قد عزله عن ولاية خراسان واعتقله ، وقد ظل رضا خان وزيرا للحربية أيضا ، وفي اليوم التالي لاقالته نفي طباطبائي تحت حراسة مشددة الى بغداد ، ومنها سافر الى فلسطين ، حيث منحه الانجليز حق الاقامة ، لكنه ما لبث أن غادرها الى أوروبا وعاش فيها .

شخصية رضا خان :

هو من أسرة شيعية استوطنت « سوادكوه » في مازندران بشمال ايران ، وكان معظم شباب الأسرة ينخرطون في الخدمة العسكرية ، فجده « مراد علي خان » كان قائدا لفوج سوادكوه

---

(٨) تاريخ تحولات سياسي ايران — ص ٨١ .
(٩) تسمى الان وزارة الدفاع .

وقتل في معركة هرات بأفغانستان ، وأبوه « عباس علي خان » كان قائدا لفوج سوادكوه أيضا ، حتى ان عمه « نصر الله علي خان » كان ضابطا كذلك ، وهو الذي اعتنى بتربيته بعد موت والده ٠

ولد رضا سنة ١٨٧٥ في « الشت » في سوادكوه ، ودخل فرقة القوزاق سنة ١٩٠٠ في كتيبة المدفعية الخفيفة ، ولم يحصل تعليما مدرسيا مناسبا ، وقد أظهر صرامة ومهارة عسكرية أهلته للترقي بسرعة ، فأصبح في فترة وجيزة ، نسبيا ، من كبار ضباط فرقة القوزاق ، واستطاع مع بعض رفاقه الضباط الشبان ، خلال الحرب العالمية الأولى ، عزل قائد فرقة القوزاق الروسي ، واختار مع رفاقه قائدا روسيا آخر هو استراليسكي (١٠) ، وبعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا ، تلقى أمرا من حكومة طهران بعزل الضباط الروس ، وتسلم مع رفاقه من الضباط الايرانيين المراكز العسكرية في الفرقة بما فيها القيادة ، وقد عمل بهمة ونشاط على اعادة تنظيم الفرقة ، وكسب محبة واخلاص رفاقه الضباط وجنوده ، وكان مقره في مدينة قزوين على بعد ١٤٠ كيلومترا غرب طهران ٠

كان رضا حاد الذكاء ، قوي الذاكرة ، صلب العود ، عنيدا ، كما كان شديد الاعتداد بنفسه الى حد المجرفة ، متحمسا لبلاده وقوميته مع كره واضح للأجانب عموما ، وكانت تنقصه الثقافة العلمية ، كما أنه لم يكن متدينا ، وكانت لديه رغبة جارفة في تحديث بلاده بسرعة ، وبعد وصوله للسلطة لم يستطع كبح رغبته فجمع ثروة مالية طائلة واقتنى أملاكا واسعة ، ولكنه

---

(١٠) تاريخ تحولات سياسي ايران ــ حلاج ــ ص ٧٧ ٠

ظل طيلة حياته يعيش ببساطة وخشونة ، ولعل ذلك راجع الى تأثره الشديد بنشأته وحياته العسكرية .

سيطرته على الحكم :

كان أول أعماله توحيد فرقة القوزاق والدرك والفوج المركزي في جيش واحد ، له لباس وسلاح موحد ، وهيئة أركان واحدة ، وتسلم قيادته بنفسه .

اهتم رضا باصلاح النواحي المالية والادارية في الدولة فاستقدمت الحكومة الدكتور « ميليسبو » وهو خبير مالي أميركي وعاونه تسعة من الخبراء الاميركيين أيضا .

لم يكن طباطبائي ، كرئيس للحكومة ، راضيا عن نفوذ رضا خان ومحاولته الهيمنة على قرارات الحكومة ، فأخذ يجمع أنصاره في حديقة باغشاه في طهران لتدبير أمر ما ضده ، ففطن رضا خان لذلك وطلب اقالة وزير الحربية « مسعود كيهان » والحاكم العسكري لطهران وعين بدلا منه اللواء « محمود انصاري » ، ولما تأكد رضا خان من وجود نقمة شعبية على طباطبائي لجمعه ثروة طائلة على حساب الشعب ، ضرب ضربته فأقاله من الحكومة ونفاه كما أسلفنا (١١) .

تولى رضا وزارة الحربية بالاضافة الى قيادة الجيش في حكومة قوام السلطنة ، وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٢٣ أصبح رئيسا للوزراء ،

---

(١١) بقي في المنفى مدة ٢٢ سنة ، وبعد خلع الشاه رضا ، رجع الى ايران ودخل البرلمان نائبا عن يزد ، واشترى حديقة عشرت آباد في شمال طهران وعاش فيها .

وبعد ذلك ببضعة أيام سافر أحمد شاه لأوروبا دون أن يحدد موعدا لعودته ، فأصبح رضا خان يحكم البلاد بقبضة قوية دون أن يخشى رقيبا أو معارضا ، وراح يعمل على تثبيت سلطته على كل البلاد ٠

حركة الجمهورية :

في مارس ١٩٢٤ قام بعض الشباب في طهران بنصب خيمة كبيرة في مدرسة نظام ، وأعلنوا أن هدف تجمعهم العمل على اقامة حكم جمهوري في البلاد لضمان تقدمها وازدهارها ، لكن الحركة واجهت انقساماً في الرأي العام ، اذ رأى فريق ان مجلس النواب القائم بامكانه تعديل الدستور لتحويل البلاد الى الحكم الجمهوري ، بينما رأى فريق آخر أنه لا بد من اجراء استفتاء عام حول قيام جمهورية شعبية ، وقد قاد هذا الفريق المجتهد الشيعي « محمد الخالصي » الذي كان الانجليز قد نفوه من النجف الاشرف ، وقد اتهم رضا خان علنا بأنه يسعى لاقامة حكم ديكتاتوري ٠

عرض « فرج الله بهرامي » فكرة الحكم الجمهوري على رضا خان ، فرفضها لأنه كان يطمح لما هو أبعد من ذلك ، فقد كان طامعا بلقب « شاهنشاه » حيث يمكنه توريثه لأسرته من بعده ، ولذلك أعلن أنه سيحارب كل من يحاول القضاء على النظام الملكي ، وأن كل جهوده الآن منصبة على اقرار الأمن ونشر العلم وتنمية موارد البلاد ، ولتعزيز مركزه قام بزيارة مقام المعصومة فاطمة أخت الامام الرضا في مدينة قم المقدسة ، وقابل بعض علمائها ، وبعد عودته لطهران أصدر بيانا عدد فيه

انجازاته وندد بفكرة الجمهورية . وأعلن عزمه على الاستقالة اذا لم يصرف النظر عن فكرة تعديل النظام .

لم تمض فترة طويلة حتى تبلورت معارضة قوية لحركة الجمهورية بزعامة « سيد حسن مدرس » أحد النواب في البرلمان، وكان وراء هذه المعارضة معظم رجال الدين الذين كانوا يعتقدون أن قيام الحكم الجمهوري يسهل النفوذ الانجليزي ، كذلك ساهم أنصار الأسرة القاجارية في الوقوف ضد الحركة محافظة منهم على بقائها في السلطة .

اشتدت المظاهرات الصاخبة في مسجد سبهسالار وميدان بهارستان في طهران ، وحدثت اصطدامات بين مؤيدي الجمهورية ومعارضيها ، مما دفع قادة الجيش الى التهديد بالزحف الى طهران، اذا بقي الوضع كذلك واستمر رضا خان مصرا على الاستقالة . عند ذلك اجتمع رضا بأعضاء البرلمان وأعلن أمامهم وقف مظاهرات التأييد والتنديد بالجمهورية وبقاء النظام الملكي ، وقد منحه المجلس ثقته بأغلبية ساحقة ، وأسدل الستار على حركة احياء أول جمهورية في تاريخ ايران .

تثبيت سلطة الحكومة المركزية :

بعد أن أصبح مركز رضا خان قويا في طهران العاصمة ، التفت الى أقاليم ايران الأخرى ليعيد اليها سلطة الدولة ، بعد أن استقل بعضها عن بقية ايران ، وتمرد بعضها الآخر على سلطة العاصمة .

بدأ باقليم لورستان في غرب ايران ، وأخضع ثورة « سردار رشيد » الذي حاول اقامة حكومة من اللور والاكراد في تلك

المنطقة • كما تمكن من انهاء حركة « كوجك خان » في كيلان التي تحولت الى جمهورية شعبية ، وقتل هذا الثائر أثناء هروبه في الجبال ، وأخمد تحرك قبائل البلوش في شرق البلاد ، ولم يبق عليه الا امارة عربستان في الجنوب •

كانت عربستان تتبع الدولة العثمانية حتى سنة ١٨٥٧ عندما تنازلت عنها لايران بموجب معاهدة رسم الحدود بين الدولتين الموقعة في أرضروم ، واعترف ناصر الدين شاه بحق عربستان بالتمتع بالحكم الذاتي ، وكانت مساحتها ١٥٩ ألف كيلومتر مربع ، وبلغ عدد سكانها مليونا ونصف المليون معظمهم من العرب ، وقد حكمها الشيخ خزعل منذ سنة ١٨٩٧ ، بعد وفاة الشيخ مزعل ، وهما من قبيلة كعب العربية ، وكانت فيها قبائل عربية أخرى مثل بني تميم وبني طرف وبني لام وبني المحيسن وبني خالد وربيعة •

كان « ويليام دارسي » البريطاني قد حصل على امتياز التنقيب عن النفط في منطقة عربستان سنة ١٩٠١ ، وفي سنة ١٩٠٥ أصبحت بريطانيا شريكة في هذا الامتياز ، ووقعت اتفاقين بهذا الخصوص أحدهما مع حكومة طهران ، والآخر مع الشيخ خزعل ، وكان هذا بمثابة اعتراف دولي بالشخصية المستقلة التي تتمتع بها عربستان ، وفي هذا الاتفاق تعهدت بريطانيا بتقديم مساعدتها لشيخ عربستان اذا ما تعرض لاعتداء خارجي •

كانت عربستان تدعى قديما « أهواز » وهي اللفظة الفارسية لكلمة « أحواز » العربية من فعل حاز ومفردها « حوز » وتعني

الأرض الواقعة بين نهرين أو جدولين (١٢) ، وقد أطلق عليها الصفويون في القرن السادس عشر عربستان بمعنى بلاد العرب، وبعد أن استولى عليها رضا خان دعيت « خوزستان » من خوز بمعنى قلعة بالفارسية القديمة (١٣) ٠

عندما قرر رضا خان اخضاع عربستان ، أرسل الى الشيخ خزعل يطلب منه تسديد ما عليه من ضرائب متأخرة لحكومة طهران ، ولما ماطل الشيخ خزعل في أدائها ، جهز رضا حملة للقضاء على امارته نهائيا ، وقد أدرك الشيخ خزعل خطورة الأمر فحاول تحريض قبائل بختياري ضد حكومة طهران علها تقف حاجزا بينه وبين الجيش القادم من العاصمة ، لكنه فشل في مسعاه لأن زعماء هذه القبائل القوية كانوا يتقاضون مكافآت مالية من الانجليز لابقاء منطقة آبار النفط مستقرة وآمنة ٠ كما أنه طالب بريطانيا بتطبيق الاتفاق المعقود معه بالدفاع عن امارته ضد أي اعتداء ، لكن الحكومة البريطانية اكتفت بارسال مذكرة الى رضا خان تحذره من مغبة حملته على عربستان ، واستطاع الشيخ خزعل جمع خمسة عشر ألف توقيع من رعاياه على عريضة رفعها الى عصبة الأمم طالبا تدخلها ، لكن ذلك لم يؤد الى نتيجة ، واستطاع رضا خان دخول عربستان واستسلم الشيخ خزعل في أكتوبر سنة ١٩٢٤ ٠

عين رضا خان الجنرال فضل الله زاهدي حاكما على عربستان ، وقام بزيارة العتبات المقدسة في العراق ، ثم عاد الى

---

(١٢) يوجد في جنوب العراق بلدة تدعى الحويزة وهي تصغير للحوز ٠
(١٣) التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية — مصطفى النجار — ص ٣١ ٠

طهران ، وأقام زاهدي حفلة وداع ساهرة بمناسبة قرب عودته الى طهران ، ودعا الى الحفلة الشيخ خزعل وأبناءه عبد الحميد وعبد الله وعبد المجيد ، وفي نهاية الاحتفال قبض عليه مع أبنائه ، غدرا ، واقتادهم الى طهران في ٢٠ ابريل سنة ١٩٢٥ (١٤) .

سجن الشيخ خزعل في أحد القصور في طهران ، وبعد بضعة أشهر ثار حرسه الخاص في عربستان فيما عرف بثورة الفلمان ، فأخمدت الحكومة ثورتهم بقسوة ، وغرمت الشيخ خزعل خمسة ملايين تومان دفعها كلها ، وفي ٢٦ مارس سنة ١٩٣٦ مات الشيخ خزعل ، ويقال ان مدير شرطة طهران آنذاك خنقه في فراشه (١٥) ، وكان عمره عند وفاته أربعة وسبعين عاما .

بعد اعادة ضم عربستان الى ايران أخذت حكومة الشاه رضا تعمل على تغيير معالم المنطقة العربية ، فأطلقت عليها خوزستان بدل عربستان وسمت مدينة الناصرية بالأهواز والمحمرة بخرمشهر والفلاحية بشاوكان وغيرها ، كما نقلت كثيرا من القبائل العربية الى خراسان وفارس في شرق ايران ووسطها وأسكنت بدلا منها قبائل فارسية الأصل .

رضا خان يصبح ملكا :

في ١٤ فبراير سنة ١٩٢٥ اجتمع مجلس النواب الايراني ، وأصدر قرارا من مادة واحدة يعهد فيه الى رضا خان برئاسة

---

(١٤) التاريخ السياسي لامارة عربستان ــ مصطفى النجار ــ ص ٢٤٧ .
(١٥) تاريخ تحولات ــ حلاج ــ ص ٨٧ .

القوات المسلحة والمحافظة على أمن المملكة ، ويخوله صلاحيات تامة ضمن الدستور والقوانين المرعية ، وبعدم عزله من منصبه دون الرجوع للمجلس ، وبذلك أصبحت كل السلطات بيده .

بعد صدور هذا القانون بقليل قامت حركة لخلع الأسرة القاجارية والمناداة برضا خان ملكا على البلاد ، وقد اعتصم عدد من تجار طهران والحرفيين ومواطنين آخرين في حديقة كلية الضباط في طهران مطالبين بخلع أحمد شاه الغائب عن البلاد وتعيين رضا خان ملكا بدلا منه ، وقد وردت برقيات تأييد للمعتصمين من مدن ايرانية عدة ، وازاء ذلك اجتمع مجلس النواب في جلسة تاريخية في ٢٨ اكتوبر وأصدر قانونا جديدا من مادة واحدة هذا نصه (١٦) :

« يعلن المجلس النيابي ، باسم اسعاد الأمة ، انتهاء حكم الأسرة القاجارية وتفويض الحكم مؤقتا الى السيد رضا خان بهلوي (١٧) ضمن القوانين والدستور السارية المفعول ، أما مصير نظام الحكم فهو متروك لقرار المجلس التأسيسي الذي سيتم تشكيله لتغيير المواد ٣٦ و٣٧ و٣٨ و٤٠ من ملحق الدستور » .

بذلك أصبحت السلطة فعليا ودستوريا بيد رضا خان ، ولما كان الملك أحمد شاه قد سافر لأوروبا منذ ٢٨ اكتوبر ١٩٢٣ ولم يرجع ، حيث جعل من باريس مقاما له ، وأخذ يمضي وقته متنقلا بين ملاهيها وأنديتها الليلية ، وكان كثير التأفف من الحكم أثناء وجوده في ايران ، خصوصا بعد انقلاب رضا خان

---

(١٦) تاريخ تحولات ــ حلاج ــ ص ٩٦ .

(١٧) جريا على التسميات التي درجت عليها الاسر الحاكمة الايرانية قديما تلقب رضا شاه ببهلوي وهي من بهلو Pahlav وتعني الشجاعة والبطولة .

حيث سلبه كل السلطات ، وقد قال مرة لأحد خلصائه : « أفضل أن أكون بائع خضار في سويسرا على أن أكون ملكا على مثل هذه البلاد (١٨) » .

لم يعد أحد في ايران ينافس رضا خان على السلطة ، أما ولي العهد « محمد حسن ميرزا » فقد كان قابعا في قصر كلستان بدون سلطة أو نفوذ .

في أواخر سنة ١٩٢٥ أرسل الشاه من أوروبا يعلن عن رغبته بالعودة الى البلاد ، وقد أجابه رضا خان مرحبا بقدومه الى مملكته ، ثم قام بنشر خبر رغبة الشاه بالعودة على أوسع نطاق ، وكان رد الفعل كما توقعه ، اذ أضرب أهالي أذربيجان ضد عودة الشاه ، وقامت المظاهرات في المدن الايرانية المختلفة ، وأضربت طهران ، واعتصم بعض السكان في حديقة الكلية الحربية وطالبوا رضا خان بالحيلولة دون عودة الشاه السائح في أوروبا .

لم يتأخر رضا خان عن اقتناص الفرصة وقد أصبح وصوله للعرش سهلا ، ففي ٢٨ اكتوبر طرد ولي العهد من قصر كلستان ونفاه مع حريم الشاه وأفراد أسرته الى بغداد ، وفي ١٥ ديسمبر ١٩٢٥ اجتممت الجمعية التأسيسية وعدلت الدستور ، وأعلنت اختيار رضا خان ملكا جديدا على ايران باسم رضا شاه بهلوي ، وبذلك انتهى حكم الأسرة القاجارية بعدما استمر مئة وسبعة وعشرين عاما .

تعتبر الأسرة البهلوية الأسرة السابعة في تاريخ الحكم في

---

(١٨) تاريخ مختصر احزاب سياسي قاجارية ــ ملك الشعراء بهار ج ١ ــ ص ٣٩ .

ايران بعد الفتح العربي لها ، والسلسلة الثانية والعشرين في تاريخ ايران السياسي ، منذ قيام أول أمبراطورية ايرانية في سنة ٥٥٥ ق·م· بزعامة كوروش ·

في السنة نفسها مات محمد علي شاه الملك الاسبق في ايطاليا ، ودفن في كربلاء حسب وصيته ، أما الملك المخلوع أحمد شاه فقد ظل مقيما في باريس حتى وفاته سنة ١٩٣٠ ولما يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ·

في ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٦ جرى تتويج رضا شاه ملكا على ايران في قصر كلستان الفخم وارتقى عرش الطاووس (١٩) ، ووضع على رأسه التاج الامبراطوري باسم الامبراطور (٢٠) رضا شاه الكبير ، وبدأ بذلك حكم الأسرة البهلوية رسميا ، وكان في اليوم السابق قد عين ابنه محمد رضا وليا للعهد ·

اصلاحاته :

وجه رضا شاه اهتماما كبيرا لتحديث بلاده بسرعة ، وكان مثل مصطفى كمال أتاتورك باعث تركيا الحديثة مبهورا بالمظاهر المادية للحضارة الغربية ، وكانت حياته تشبه الى حد بعيد حياة أتاتورك ، كما أن الرجلين كليهما كان يعتقد أن وصوله للحكم كان انقاذا لبلاده من الانهيار وبعثا لأمجادها وقوتها ، ولذلك كان الاعجاب متبادلا بين الزعيمين ، وقد قلد كل منهما الآخر

---

(١٩) وهو العرش الذي أحضره نادر شاه عند غزوه للهند ، وهو مرصع بجواهر لا تقدر بثمن .

(٢٠) اللقب الرسمي هو شاهنشاه بمعنى ملك الملوك ، أما ملوك الدول الاجنبية فيطلق عليهم لقب بادشاه .

في خطواته الاصلاحية ، لكن الاثنين اتبعا نهجا غير سليم في الاصلاحات الاجتماعية التي فرضاها على بلديهما ، لأن « التغريب » و « الأوربة » لا تعني بالضرورة تمدنا وتقدمية ، اذ أن هناك كثيرا من التقاليد المتوارثة وأساليب الحياة المشبعة بالروح الشرقية ، ولا يمكن فصلها عن حياة الشعب وعن مفاهيمه ، واذ نجح كمال آتاتورك ، الى حد كبير في فرض التغيير على بلاده ، فان نجاح رضا شاه في الناحية الاجتماعية كان محدودا نسبيا ، لعنف المقاومة التي جوبه بها ، رغم لجوئه الى القوة القاهرة في أغلب الأحيان ، وليس مرد ذلك الى مقاومة الشعب ورجال الدين فقط ، بل لأن من طبيعة التغيير الاجتماعي انه يتم ببطء وبشكل تدريجي ليمكن للناس استيعابه والرضاء به ، ومن الصعب احداث تغيير اجتماعي ، أو تبديل في سلوك الناس وطريقة عيشهم بواسطة قانون يشرع أو سلاح يرفع ، بل ان ذلك يحدث ردة فعل عكسية تجعل الناس ، خصوصا الطبقة الشعبية ، تشعر أن كرامتها وشرفها مستهدفان فتزداد تمسكا بتقاليدها وتراثها ، وتمنحها مرتبة من الاهمية والقدسية تفوق ما كان لها في الاحوال العادية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان التقدم والتخلف لا يقاس بنوع الغطاء الذي يضعه الانسان فوق رأسه ، أو بالأسلوب الذي يستقبل به ضيوفه ، أو بطريقة التحية التي يؤديها ، وهي كلها أمور عمل رضا شاه ، وكذلك مصطفى كمال ، على تبديلها بالطريقة الغربية اعتباطا لمجرد أنها « وارد أوروبا » !.

أصدر الشاه قانونا في سنة ١٩٢٦ ألغى بموجبه ارتداء

النساء للحجاب (٢١) ، وسعى لتطبيق ذلك بالترغيب والترهيب، وفي سنة ١٩٣٥ ألغي الحجاب نهائيا من ايران وأقر سفور النساء رسميا • وقد قامت الأميرة « شمس » كبرى بنات الشاه ، بقيادة الحركة النسائية الحديثة ، فأنشأت أول فرقة لمرشدات الكشافة في ايران ، وأسست أول ناد نسائي في طهران كما منعت الموظفات وطالبات المدارس من ارتداء العباءة،وبذلك أخذ الزي الأوروبي بالانتشار •

تابع رضا شاه خطواته الاصلاحية ، فرفع الحد الأدنى للزواج للفتيات لسن الخامسة عشرة ، ومنح المرأة حق طلب الطلاق اذا تزوج عليها زوجها ، وأصدر قانونا جديدا للاحوال الشخصية منقولا عن القانون الفرنسي وأحله محل الشريعة الاسلامية ، وفتح مكاتب لتسجيل الزواج والطلاق في كافة المدن الايرانية (٢٢) •

في سنة ١٩٢٩ أصدر قانون اللباس الموحد الشكل ، بحيث فرض على الرجال ارتداء القبعة على الرأس والسروال (البنطلون) والسترة (الجاكيت) على الطراز الأوروبي ، كما وحد زي رجال الدين ومنعهم من ارتدائه الا باذن خاص ، وخلال خمسة عشر سنة من حكمه اضطر مئة ألف من رجال الدين الى ترك الزي الديني ، وعامل رجال الدين بقسوة بالغة لأنه اعتقد خاطئا ، مثل مصطفى كمال ، أنهم سبب تأخر البلاد ومنافسته

---

(٢١) يسمى في ايران جادر (بالجيم الفارسية) ومعناه العباءة ، وهي تلف جسم المرأة من الرأس الى القدمين وتترك الوجه سافرا ، ونادرا ما تغطي المرأة بها وجهها .

(٢٢) تدعى دفتر ثبت ازدواج وطلاق .

على السلطة ، وقد حرم عقد الاجتماعات الدينية في العزاء (٢٣) الا باذن مسبق من الشرطة ، وقلص من المجالس الحسينية ، وجعل الاحتفال بعاشوراء في أضيق الحدود ، وقلل من أهمية الاحتفال بالأعياد الدينية (٢٤) ، ومن العناية بالمساجد ، وعندما جرى اجتماع ديني حاشد في مسجد « كوهرشاد » في مشهد للاحتجاج على اجراءات الشاه أمر الشرطة بمهاجمة المجتمعين ، وقد قتل آنذاك أربعة آلاف شخص ، ويقال بأنه لما نقل الخبر الى الشاه الغاضب تساءل : المسجد يتسع لعشرة آلاف شخص ، فأين ذهب الباقون ؟ وبذلك استند الشاه في حكمه الى القوة الغاشمة بدل أن يعتمد على المحبة الخالصة في قلوب المواطنين ٠

وفي مجال التعليم أرسل بعثات من ستين طالبا للتخصص في جامعات أوروبا ، وأنشأ عددا كبيرا من المدارس ، رغم أنه هو شخصيا كان محدود التعليم ، وفي سنة ١٩٢٨ بدأ بانشاء جامعة طهران حيث تم افتتاحها سنة ١٩٣٥ ، وأقام منذ سنة ١٩٣٣ سلسلة من دور المعلمين الابتدائية والعليا ، وأسس أول مجمع علمي ايراني (فرهنكستان) سنة ١٩٣٦ ٠

أما في الناحية المالية فقد أسس أول بنك وطني في ايران (٢٥) سنة ١٩٢٨ ، ومنحه فيما بعد حق اصدار العملة الايرانية بدل البنك الامبراطوري وهو مؤسسة أجنبية ، واعتمد منذ سنة ١٩٣٠ قاعدة الذهب للنقد الايراني ،وجعل من تيجان ومجوهرات الأسرة القاجارية ، دعامة للنقد ، ولا تزال هذه المجوهرات

---

(٢٣) تسمى سوكواري ٠

(٢٤) عيد الفطر يوم واحد ، وفي كثير من الاحيان لا يثبت اول شوال الا عند الظهر فيمضي العيد دون عطلة ، وعيد الاضحى يوم كذلك ٠

(٢٥) بانك ملي ايران ٠

محفوظة في بناء البنك الوطني في طهران تحت حراسة مشددة ٠

عقد في سنة ١٩٢٨ اتفاقا مع الاتحاد السوفياتي لتنظيم صيد السمك في بحر قزوين عرفت باتفاقية شيلات ايران (٢٦)، وألغى في نفس السنة الامتيازات الاجنبية التي كانت تحد من استقلال البلاد ، رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها بريطانيا ٠

أما في نطاق العلاقات الخارجية فقد عمل رضا شاه على كسب صداقة جيرانه ، فعين الحدود بينه وبين الهند وأفغانستان منذ سنة ١٩٢٥ ، وعقد في ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٦ حلف صداقة وتعاون متبادل مع تركيا والعراق ، وفي سنة ١٩٣٢ عين الحدود بينه وبين تركيا في منطقة آرارات المتنازع عليها ، وتوطدت صلاته بالأتراك بعد زيارته لأنقرة سنة ١٩٣٤ ولقائه مصطفى كمال ٠

أما علاقاته بالعراق فقد كانت جيدة منذ البداية ، وقد قام الملك فيصل الأول بزيارة طهران في ٢٦ ابريل ١٩٣٢ ، وتتوجت هذه العلاقة بتوقيع ميثاق سعد آباد (٢٧) بين تركيا وايران والعراق وأفغانستان في ٩ يوليو سنة ١٩٣٧ وكانت مدة الميثاق خمس سنوات وتضمن عقد الصداقة وعدم الاعتداء بين الدول الأربع ، وعدم تدخل أحدها بشؤون الأخرى ، وحل الخلافات التي تنشب بينها بالطرق السلمية ٠

كما وقع مع العراق معاهدة شط العرب سنة ١٩٣٧ وتنص على السماح لسفن البلدين الحربية والتجارية بالمرور الحر في

---

(٢٦) الشيلات هي السدود التي تقام وسط مجرى ماء او على شاطىء البحر لاصطياد السمك ٠

(٢٧) نسبة الى قصر سعد آباد الصيفي على مسافة ستة عشر كيلومترا شمال طهران ٠

مياه شط العرب ، وحق كل دولة منهما بدعوة أية سفن حربية لدولة ثالثة لزيارة موانئها بشرط اخطار الدولة الثانية بموعد الزيارة مسبقا ، وقد ظل هذا الاتفاق قائما حتى ألغته ايران سنة ١٩٦٩ من جانب واحد •

لم يهمل رضا شاه الشؤون الاقتصادية وتنمية موارد البلاد ، فاهتم بالنفط الذي كان استخراجه قد بدأ من منطقة مسجد سليمان سنة ١٩٠٨ ، وكانت بريطانيا قد أصبحت شريكة كاملة منذ ١٩٠٥ ، وبينما كان دخل ايران السنوي من النفط /١٫٤٣٧٫٠٠٠/ جنيه استرليني (سنة ١٩٢٩) هبط الى ١٫٢٣٧٫٣١٢ جنيها (سنة ١٩٣٠) ثم لم يتجاوز ٣٠٦٨٧٢ جنيها (سنة ١٩٣٢) بسبب الازمة الاقتصادية العالمية ، فاستاء الشاه وألغى الامتياز في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٣٢ وطالب بريطانيا بعقد اتفاقية جديدة ، وقد رفضت بريطانيا وقدمت شكوى الى عصبة الأمم ، فأوصت هذه باعتماد المفاوضات المباشرة ، وأخيرا تمكن البلدان من عقد اتفاقية جديدة في ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣ ، وقد تقلصت المساحة المصرح بالتنقيب فيها من نصف مليون ميل مربع الى ربع مليون ، على أن تنقص الى مئة ألف بعد خمس سنوات ، وتدفع الشركة لايران /٢٢٥/ ألف جنيه استرليني لمدة خمس عشرة سنة ثم تزاد الى /٣٠٠/ ألف لمدة خمس عشرة سنة أخرى كبدل للامتياز ، بالاضافة الى قيمة النفط المستخرج ، وحددت مدة الاتفاق بستين سنة ، وقدمت الشركة مليون جنيه تسديدا لما عليها ، وظلت أمور النفط تديرها الشركة الانجليزية الايرانية حتى قيام حركة مصدق •

وجه رضا شاه اهتمامه للزراعة كذلك ، فأصدر سنة ١٩٣١

قانونا يمنع فيه الاجانب من تملك الاراضي الزراعية ، وقام سنة ١٩٣٤ بتوزيع مليوني شتلة شاي ، وبذلك أصبحت هذه النبتة من محاصيل البلاد الرئيسية ٠

أنشئت مصانع عديدة للاسمنت والسكر والحرير والسجاير ، وأنيرت طهران بالكهرباء لأول مرة سنة ١٩٣٧ ، بينما ظلت محرومة من مياه الانابيب حتى سنة ١٩٤٧ ٠

أدرك رضا شاه أن ربط أطراف مملكته الواسعة بشبكة مواصلات جيدة يساعد على تقدمها ، ويقوي من سلطة الحكومة المركزية عليها ، ولما كان انشاء طرق معبدة في بلد واسع كايران مكلفا ، فقد اهتم بالسكك الحديدية ، ورغم تكاليفها الباهظة ، فانه لم يلجأ للقروض الاجنبية ، بل فرض ضريبة على الشاي والسكر ، ومن عائداتها أنفق على مد الخطوط الحديدية ، وفي سنة ١٩٣٧ ارتبط شمال ايران بجنوبها بخط حديدي لأول مرة في تاريخ البلاد ، بعد عمل استغرق اثنتي عشرة سنة ، وهو يبدأ من بندر بهلوي (على بحر قزوين) وينتهي ببندر شابور (على الخليج) ، ويعتبر هذا الخط احدى معجزات التقنية الحديثة ، لأنه يخترق جبال البورز العالية بخمسة وسبعين نفقا ، ويعبر جبال زاغروس بمئة وخمسين نفقا آخر ، بعضها يتجاوز طوله الكيلومتر الواحد ٠

بالاضافة للسكك الحديدية أنشأ سنة ١٩٢٧ خطوطا جوية منتظمة بين طهران والمدن الايرانية الرئيسية ، وافتتح أول اذاعة ايرانية باسم اذاعة طهران سنة ١٩٣٩ ٠

قام بخلق أو محاولة خلق وحدة قومية في بلد تتعدد قومياته وطوائفه ، وبعث التراث الفارسي القديم فعاد لاستخدام الأسد

والشمس كشعار لايران ، وهما من رموز الدولتين الاخمينية والساسانية الفارسيتين (٢٨) • وأعيدت تسمية الشوارع والأماكن العامة بأسماء الابطال في التاريخ الفارسي القديم ، وعمل التقويم الفارسي الذي يبدأ أول أيامه (النوروز) في ٢١ مارس بفصل الربيع ، ويعتمد السنة الهجرية الشمسية ، ومنذ ٢١ مارس ١٩٣٥ أصبح الاسم الرسمي للبلاد هو « ايران » بدل بلاد فارس Pervsia ، ويعني الاسم « موطن الآريين » وكان رضا شاه معجبا بتفوق العنصر الآري ويفاخر بانتماء الايرانيين اليه •

وفي ختام الحديث عن اصلاحات رضا شاه لا بد من القول أنها كانت اصلاحات ضخمة وواسعة شملت مختلف نواحي الحياة في ايران ، لكن نتائجها الايجابية ومردودها الفعلي لم يتناسب مطلقا مع تلك الاصلاحات والجهود التي بذلت فيها والأموال التي أنفقت عليها ، ويرجع ذلك في رأيي الى ثلاثة أسباب رئيسية:

أولا : التوقيت لم يكن مناسبا ، اذ أن الاصلاحات التي أدخلها رضا شاه على بلاده في تلك الفترة القصيرة لم تكن متناسبة مع امكانات بلاده المادية والتقنية ، بحيث أن العديد من تلك المؤسسات ، اما أنها صارت تدار بشكل سيء ، أو أنها أصبحت ، بادارتها ، عبئا على الشعب والدولة •

ثانيا : ان اقامة تلك المشروعات الضخمة في بلد متخلف وقليل الموارد أدى الى حدوث أزمة اقتصادية فيه والى نقص في العملات الاجنبية ، مما جعل الحكومة تسيطر على الاقتصاد

---

(٢٨) آيران : دراسة في جذور الصراع ــ محمد عبد الغني السعودي ــ ص ٧ •

والتجارة عن طريق شركـات تمتلك معظـم أسهمها ورؤوس أموالها ، بالاضافة الى احتكار الحكومة لكثير من السلع المحلية (الشاي ، السكر ، الملح) والسلع المستوردة مما جعلها تحقق أرباحا طائلة استثمرتها في المشاريع المستحدثة ، لكنها من ناحية أخرى جعلت أسعار كثير من السلع فوق طاقة الشعب ·

ثالثا : حب الشاه للسيطرة ونزعته الى الحكم المطلق ، مما عطل الحريات وشل المؤسسات الشرعية ، واعتماده على القوة في فرض أفكاره واصلاحاته بدل الحجة والمحبة ، بالاضافة الى حبه الجارف للأموال وجمع ثروة مالية طائلة والاستيلاء على أفضل الأراضي في أنحاء ايران ، كل هذا أضعف من قيمة اصلاحاته ، وقلل من قدره واحترامه في نظرمواطنيه ·

نهاية عهده :

كان رضا شاه جنديا محنكا وقائدا قديرا ، ويعتبر مؤسس ايران الحديثة ، لكنه من جهة أخرى كان مستبدا برأيه ومتعجرفا ولم يكنّ للبرلمان ولحرية الرأي العام أي اهتمام ، وكان يعتبر البلاد كلها مزرعة شخصية له ، ورغم الاصلاحات العديدة التي قام بها ، الا أن هناك حقيقة هامة هي أن الأمية ظلت سائـدة بنسبة عالية في صفوف الشعب الايراني ، كما أن الامراض كانت تفتك بزهرة أطفال ايران وبخيرة شبابها وفتياتها ·

عند اعلان الحرب العالمية الثانية اتخذت ايران جانب الحياد، كما فعلت في الحرب العالمية الأولى ، وأخذ الانجليز يضغطون على حكومة الشاه لخرق الحياد والانضمام للحلفاء ، وعند قيام الألمان بهجومهم الواسع على الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤١ جدد

الشاه تأكيد حياد بلاده ، حتى أنه لم يغتنم فرصة ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق وضعف موقف الانجليز بالانحياز الى جانب الألمان ، وقد طلب منه الحلفاء طرد الرعايا الالمان من ايران ، فأعلن أنه سيطرد كل الاجانب التابعين للدول المتحاربة ، بمن فيهم الانجليز والفرنسيون ، فاستاء الحلفاء من هذه السياسة ، ولما أصبحت الحاجة ملحة لنجدة الاتحاد السوفياتي للوقوف أمام الألمان ، كانت الاراضي الايرانية هي أفضل الطرق لتوصيل الذخائر والاسلحة الى الجبهة الروسية ، ولذلك قابل السفيران السوفياتي والبريطاني رئيس الوزراء الايراني « علي منصور الملك » في منزله ، في منتصف ليلة ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤١ وأبلغاه قرار الحلفاء بدخول قواتهم تلك الليلة الى ايران بسبب المقتضيات الحربية،وفعلا دخلت القوات البريطانية ايران من غربها وجنوبها ، بعد أن ضربت الاسطول الايراني الحديث في ميناء عبادان وأغرقته ، وحطمت المقاومة القصيرة التي أبدتها بعض كتائب الجيش الايراني على الحدود البرية مع العراق ، أو على الشواطيء الجنوبية للبلاد .

في اليوم التالي لدخول قوات الحلفاء الى ايران استقال رئيس الحكومة الايرانية،وشكل « محمد علي فروغي ذكاء الملك (٢٩) » حكومة جديدة ، وقد اتهم الانجليز رضا شاه بالانحياز نحو الألمان ، وضغطوا عليه حتى تنازل عن العرش الى ولي عهده محمد رضا ، وقد قامت البارجة البريطانية « بندر » بنقل الملك المخلوع من بندر عباس على الخليج الى الهند ، ومنها الى منفاه

---

(٢٩) ان ذكاء الملك ومنصور الملك وغيرهما هي من الالقاب التي كانت متداولة في ايران وتشبه القاب باشا وبك وافندي في الدولة العثمانية .

في جزيرة موريشيوس في المحيط الهندي ، حيث نقل فيما بعد الى جنوب افريقيا ، وظل فيها حتى وفاته سنة ١٩٤٤ في مدينة جوهانسبرغ بعيدا عن وطنه ، وقد نقل جثمانه الى مصر ودفن في مدافن الرفاعي في القاهرة ، ونقلت رفاته سنة ١٩٥٠ الى ايران حيث وضعت في ضريح فخم في مقام عبد العظيم في بلدة ري جنوب طهران ٠

الفصل التاسع

عهد محمد رضا بهلوي

سيرتـــه :

ولد في طهران في ٢٦ اكتوبر سنة ١٩١٩ وكان الابن الاكبر بين تسعة أبناء ليسوا جميعا من أم واحدة ، وأمه تدعى « تاج الملوك » واخوته هم الأمراء علي رضا وغلام رضا وعبد الرضا ومحمود رضا وحميد رضا ، وأخواته هن الاميرات شمس وأشرف (وهي شقيقته التوأم) وفاطمة (١) ، وقد تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في معاهد طهران ، كما أمضى خمس سنوات في مدينة « رول » على بحيرة لومان في سويسرا يتلقى العلم في معاهدها .

بعد عودته الى ايران ، دخل كلية الاركان وتخرج منها سنة ١٩٣٨ حيث عينه والده مفتشا عاما للجيش الايراني ، وقد تزوج لأول مرة سنة ١٩٣٩ من الاميرة فوزية شقيقة الملك

---

(١) للشاه اخت غير شقيقة تدعى فاطمة ايضا وعمرها الان ٧٥ سنة .

فاروق ، وأنجبت منه الاميرة شاهناز سنة ١٩٤٠ ، ثم طلقهـا سنة ١٩٤٨ ٠

في سنة ١٩٥٠ تزوج للمرة الثانية من ثريا أسفندياري وهي من أم ألمانية وأب ايراني يدعى خليل اسفندياري من زعمـاء قبائل بختياري ، ولما لم تنجب له أولادا فقد طلقها سنة ١٩٥٧ ، وعاد وتزوج للمرة الثالثة في سنة ١٩٥٩ فرح ديبا وكانت طالبة هندسة في باريس ، ولم يتجاوز عمرها الحادية والعشرين عندما تعرف اليها الشاه ، وقد أنجبت له وليا للعهد هو الأمير رضـا سنة ١٩٦٠ وثلاثة أشقاء (صبيا وبنتين) وكُتب على فرح ديبا أن تكون آخر أمبراطورة في ايران ٠

أصدر الشاه كتابا سنة ١٩٦٠ باسم «واجبي نحو وطني (٢)» يعرض فيه سيرة حياته وانجازات عهـده ، كما أصدر سنـة ١٩٦٧ كتابا آخر بعنوان « الثورة البيضاء (٣) » يشرح فيـه الاصلاحات التي قام بها أو يريد تحقيقها لبلاده ، وفي السنـة نفسها جرت حفلة تتويجه أمبراطورا في قصر كلستان ، كمـا توجت فرح ديبـا رسميـا ، فكانـت أول امرأة تلبس التـاج الامبراطوري في تاريخ ايران ٠

ايران خلال الحرب العالمية الثانية :

بدأ محمد رضا عهده بمحاولة اعادة الثقة بأسرته ، فأطلق سراح كافة المعتقلين السياسيين ، وسمح للمنفيين بالعـودة ،

---

(٢) ماموريت براي وطنم ٠
(٣) انقلاب سفيـد ٠

ولما كان الحلفاء يحتلون أراضي ايران ، فقد وقف الى جانبهم حتى لا يكرر غلطة والده بالوقوف على الحياد ، فقطع علاقاته باليابان ، وأقام علاقات وثيقة مع شيانغ كاي شيك الصيني ، وعقد في ٢٩ ديسمبر ١٩٤٢ اتفاقا مع الحلفاء يقضي بدخول ايران الحرب الى جانبهم ويتضمن ذلك انسحاب القوات الايرانية من شمال وغرب وجنوب ايران لتسهيل مهمة قوات الحلفاء في نقل المعدات والاسلحة الى روسيا . ووضع كافة وسائل النقل الايرانية وطرق المواصلات فيها بتصرف الحلفاء ، واعتقال الألمان الموجودين على الاراضي الايرانية وتسليمهم لممثلي الحلفاء في طهران ، وازاء ذلك تعهدت الحكومتان البريطانية والسوفياتية بحفظ حقوق ايران في نفطها ، وبالجلاء عن أراضيها عندما تسمح الظروف العسكرية بذلك ، أو عند عقد الصلح ، أو بعد نهاية الحرب بستة أشهر .

قامت ايران بتعهداتها تجاه الحلفاء ، وقد أنزل الاميركيون ما يقرب من ثلاثين ألف جندي في ايران لتسهيل عبور شحنات السلاح الى الاتحاد السوفياتي ، وقد تمركز قسم كبير منها في معسكر أمير آباد شمال طهران ، وخلال سنوات الحرب حدثت اضطرابات متفرقة في طهران وفي مدن ايرانية عدة ، بسبب النقص المتزايد في المواد الغذائية والحاجات الاساسية للسكان ، مما أدى الى قيام حكومة عسكرية في طهران وتوقفت الصحف عن الصدور .

مماطلة الحلفاء بعد النصر :

انتهت الحرب بانتصار الحلفاء ، ولم تجل قواتهم عن

ايران ، فقدمت الحكومة الايرانية مذكرات للحكومات السوفياتية والبريطانية والاميركية تطالبهم فيها باجلاء قواتهم عن ايران في مدة أقصاها ستة أشهر .

استجاب الانجليز وكذلك الاميركيون لطلب الحكومة الايرانية ، ولم تكد تنتهي سنة ١٩٤٥ حتى كانت هذه القوات قد أتمت انسحابها من ايران . أما السوفيات فقد أظهروا تباطؤا في الانسحاب ، ولم يبدأوا بالانسحاب سنة ١٩٤٦ الا بعد أن أقاموا جمهورية شيوعية في أذربيجان بزعامة جعفر بيشه وري ، وقد حاول هذا التفاوض مع حكومة طهران لتحديد العلاقة بينهما في المستقبل ، لكن موقف حكومة طهران كان حازما فلم تقبل التفاوض معه ، وبعد انسحاب القوات الروسية من البلاد ، تمكنت القوات الايرانية من دخول تبريز في ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ وقضت على جمهورية أذربيجان وهرب جعفر ومعاونوه الى الاتحاد السوفياتي .

وفي مقاطعة كردستان ، في غرب ايران ، اغتنم الاكراد فرصة الفوضى الناجمة عن انسحاب الجيوش الاجنبية وانشغال حكومة طهران ، فشكلوا جمهورية كردستان المستقلة ، التي كان القاضي محمد رئيسا لها ومدينة مهاباد عاصمتها ، لكن هذه الجمهورية لم تعمر كذلك أكثر من سنة واحدة ، اذ دخلت القوات الحكومية مدينة مهاباد في سنة ١٩٤٧ ، فأسقطت الجمهورية الكردية وأعدمت القاضي محمد وشقيقه صدر ووزير حربيته سيف قاضي وكان مجموع من شنق عشرين من زعمائهم (٤) ، وعادت سلطة الشاه من جديد لجميع ربوع

---

(٤) دراسة في جذور الصراع — محمد السعودي — ص ١٢ .

ايران ، وان كان الاكراد لا يزالون يتطلعون منذ ذلك الوقت لاقامة دولةٍ خاصة بهم في مناطق تجمعهم ، ويثورون كلما سنحت لهم الفرصة •

نمو الحركة الوطنية :

بعد أن تخلصت ايران ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، من الجيوش الاجنبية التي كانت تحتل أراضيها ، وبعد أن أعيدت أذربيجان وكردستان الى حظيرة الوطن ، لم تعد هناك مشاكل سياسية كبيرة تشغل البلاد ، وأخذ المواطنون يتطلعون الى تحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي ، خصوصا وأن عائدات النفط كانت في ازدياد مستمر ، ولكن الذي حدث أن فئة ضئيلة العدد تتمثل في الشاه وأسرته وحاشيته ، وعدد من كبار الاقطاعيين والرأسماليين كانت تزداد غنى وثراء ، على حساب فقر الشعب وبؤسه ، فأخذ تيار وطني مطالب بالاصلاحات الليبرالية ينمو في المدن خصوصا العاصمة طهران ، وكان يتألف في معظمه من المثقفين والمفكرين والطلاب والعديد من الشخصيات ذات النزعة القومية •

من خلال هذا التيار الوطني أخذ نجم « محمد غلام مصدق (٥) » يبرز منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كشخصية سياسية تبلور مطامح الوطنيين وآمالهم ، ولقد قام مصدق بالاعتصام سنة ١٩٤٩ مع تسعة عشر صحافيا في البلاط الملكي

---

(٥) ينتسب مصدق الى الاسرة القاجارية ولد في احمد آباد سنة ١٨٨٠ وكان ابوه من كبار ملاك الاراضي ، وقد تعلم في فرنسا وبلجيكا ، واصبح نائبا سنة ١٩٢٣ وفي سنة ١٩٢٨ عزله الشاه وظل في الاقامة الجبرية في احمد آباد حتى سنة ١٩٣٩ حيث عاد للحياة السياسية .

احتجاجا على الانتخابات النيابية المزورة ، وفي السنة التالية استطاع أن يترأس الجبهة الوطنية (٦) التي تشكلت من الكتل النيابية والاحزاب الوطنية ٠

عين الشاه الجنرال «رزم آرا »رئيسا للحكومة ليجهض الحركة الوطنية قبل اتساعها وتقويها ، لكن الوطنيين كانوا له بالمرصاد وسرعان ما اغتيل أثناء حضوره احتفالا دينيا في مسجد شاه في طهران ٠

وفي ٤ فبراير سنة ١٩٤٩ لم يسلم الشاه نفسه من محاولة الاغتيال ، حيث قام « ناصر فخر آرائي » باطلاق خمس رصاصات عليه ، أثناء افتتاحه العام الجامعي الجديد في جامعة طهران ، وقد أصيب الشاه بجراح في وجهه وعنقه ونجا من الموت بأعجوبة ، أما ناصر فقد قتله حرس الشاه فورا ، وعندما تبين للسلطة أنه شيوعي ، حلت الحزب الشيوعي وطاردت أعضاءه ، وقد أدت هذه الاحداث الى تصاعد التيار الوطني واشتداد المعارضة ضد النظام ، والى قيام الشرطة بتجريد حملات اعتقال واسعة وتشديد المراقبة والملاحقة على كل من له اتجاه وطني أو فكر تقدمي ٠

حكومة مصدق الوطنية :

بعد استقالة حكومة « حسين علاء » نتيجة لتزايد الاضطرابات وغليان النقمة الشعبية ، لم يجد الشاه مفرا من اسناد الحكومة الى محمد مصدق سنة ١٩٥١ ٠ وبمجرد استلامه للحكم أخذ

---

(٦) جبهه ملي ٠

يصدر سلسلة من القوانين والتشريعات لمصلحة الطبقة الشعبية وبغرض تحسين وضع الادارة الحكومية والنهوض بها ، ولكن أبرز أعماله كان تأميم النفط الايراني وتحويل عائداته بكاملها لمصلحة شعب ايران وازدهاره ، وهذا العمل كان تحقيقا لمطلب شعبي كان مصدق نفسه ينادي به عندما كان رئيسا للجنة النفط البرلمانية قبل ترؤسه الوزارة بسنوات ، وقد أقر البرلمان الايراني قانون التأميم في مارس ١٩٥١ ٠

رفضت بريطانيا قبول قرار التأميم لأنها تتعرض لخسارة ضخمة باعتبارها المالكة لمعظم أسهم شركة النفط الايرانية ـ الانجليزية ، وقامت بتحريك بعض سفنها الحربية باتجاه سواحل ايران بحجة حماية أرواح الرعايا الاجانب المهددين في ايران ٠

بعد اضطرار الشاه الى توقيع قانون التأميم ، أسقط بيد بريطانيا فاشتكت الى محكمة العدل الدولية في لاهاي ،كما طلبت عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن الدولي بحجة أن التأميم يشكل خطرا على السلام العالمي ! وقد اضطر مصدق للذهاب بنفسه الى نيويورك للدفاع عن قضية بلاده ، وقد نقل على محفة لاصابته بالحمى آنذاك ! وعندما توترت العلاقات بين الدولتين أمر مصدق باغلاق كافة القنصليات البريطانية في المدن الايرانية لثبوت تدخلها في شؤون ايران الداخلية ٠

عند نظر محكمة العدل الدولية في شكوى بريطانيا وشكوى ايران المضادة سافر مصدق الى لاهاي للدفاع عن قانون التأميم وحق بلاده في نفطها ، ولما جرى سنة ١٩٥٢ تحميل أول ناقلة بنفط ايراني مؤمم الى ايطاليا ، اعترض الاسطول الانجليزي الناقلة في ميناء عدن وصادر حمولتها بدعوى عدم شرعية بيع

حاول مصدق معالجة المشاكل الخارجية والداخلية بمزيد من الصلاحيات الاستثنائية ، لكن الشاه ، الذي أزعجه كثيرا التأييد الشعبي الجارف الذي أحرزه مصدق ، رفض منحه تلك الصلاحيات ، فاستقال مصدق واعتكف في منزله ، وما كاد خبر استقالته ينتشر ، حتى قامت المظاهرات الصاخبة في معظم مدن ايران وقراها تطالب بعودته ، وهوجمت مخافر الشرطة والمؤسسات الرسمية ، وأشعلت الحرائق فيها وفي وسائط النقل العامة ، وأصبحت البلاد على حافة حرب أهلية ، مما اضطر الشاه بعد ثلاثة أيام الى استدعاء مصدق وتسليمه رئاسة الحكومة ومنحه الصلاحيات المطلوبة ، وقد وافق مجلس النواب على اعطائه صلاحيات استثنائية لمدة ستة أشهر ما لبث أن جددها سنة كاملة بعد انتهائها •

قبض مصدق على مئة وسبعين من معارضي سياسته ، وحدثت بعض الاصطدامات بين مؤيديه وأنصار بعض الاحزاب في مدن دزفول وشيراز ، كما قام الجنرال زاهدي بالاعتصام في مبنى مجلس النواب احتجاجا على ديكتاتورية مصدق ، وكان الزعيم الديني آية الله الحاج « سيد أبو القاسم كاشاني » الذي أيد مصدق بقوة قد قبل أن يترأس مجلس النواب ، وبذلك أضعف مركزه الديني بقبوله منصبا سياسيا غير قيادي •

أراد مصدق تعديل صلاحيات الشاه بحيث يملك ولا يحكم ، ولما كان ذلك يتطلب تعديلا دستوريا ، شكل لجنة لهذا الغرض ، لكنه واجه معارضة قوية من عدد كبير من النواب الذين كانت الوطنية لديهم محاربة النفوذ الاجنبي فقط ، أما الاصلاح

الداخلي ، خصوصا اذا كان يمس أسرة بهلوي فهو مما لا يجوز الاقتراب منه ! وكان معظم هؤلاء النواب من الطبقة البورجوازية الوطنية .

المؤامرة ! :

لم يعبأ مصدق بازدياد المعارضة له ، وقرر اجراء استفتاء شعبي لحل البرلمان ، وأجري الاستفتاء في ١٣ أغسطس ١٩٥٣ وكانت نتيجته موافقة شعبية ساحقة على سياسته ، عند ذلك رمى الشاه آخر سهامه فأصدر مرسوما بعزل مصدق وتعيين الجنرال فضل الله زاهدي رئيسا للوزراء ، لكن مصدق رفض قبول مرسوم الشاه ، معتمدا على التأييد الشعبي ، واعتقل الكولونيل نصيري الذي حمل اليه قرار العزل ، وأعلن عن تخصيص مئة ألف ريال لمن يأتي بالجنرال زاهدي حيا أو ميتا ، وكان هذا قد اعتصم بمقر قواته بين الجبال وترك التحرك الى طهران الى وقت مناسب !

خشي الشاه مغبة الأمر فركب طائرة قادها بنفسه من مصيف رامسر في شمال ايران في ١٦ أغسطس ، وكانت الى جانبه الملكة ثريا ، وهبط في بغداد للتزود بالوقود ثم تابع طيرانه الى ايطاليا، وعند سماع الجماهير بخبر هروب الشاه خرجت الى الشوارع تحطم تماثيله وتنادي بحياة مصدق وبسقوط الملكية !

في هذه الفترة أعلن آية الله الكاشاني أن مصدق قد تجاوز صلاحياته وأنه أخذ يتصرف كحاكم مطلق ، وأن الشعب لم يناضل لاستبدال حاكم مستبد بآخر ، وقد أمر أنصاره بعدم التظاهر في الشوارع وبسحب تأييده لمصدق ، كما أن حزب توده

الشيوعي الذي أيد مصدق منذ بداية حركته أعلن أنه لا يوافق على سياسته الداخلية ، وأمر كوادره بعدم التعاون معه ٠

كان للحصار الاقتصادي الذي فرضه الانجليز على ايران أثره في نقص واردات الدولة ، وفي انتشار البطالة ، وتوقف ضخ النفط لعدم اقبال أحد على شرائه خوفا من تعرضه للمصادرة من قبل الاسطول البريطاني كما ان الكارتلات النفطية العالمية والحكومات الأوروبية المختلفة تعاونت مع بريطانيا بهذا الشأن٠ ولم يستطع الخبير الاقتصادي الالماني « شاخت » الذي استقدمته الحكومة الايرانية ، أن يعمل شيئا لفقدان السيولة النقدية وتبخر الاحتياطي النقدي اذ أنه طيلة حكم مصدق لم تجرؤ أكثر من ٤٠ ناقلة على تحميل النفط من عبادان !

في تلك الأوضاع تحرك الاميركيون لاسقاط مصدق واعادة ايران الى الطاعة ! وقام عميل المخابرات الاميركية (C.I.A.) في الشرق الاوسط « كيرميت روزفلت » بتوزيع عشرة ملايين دولار على مثيري الاضطرابات في طهران ، كما قام الكولونيل الاميركي « نورمان شوارتزكوف » ، الذي كان يشرف على تدريب الشرطة الايرانية ، بتنظيم المظاهرات وتوجيهها ، وهي مؤلفة من العاطلين عن العمل والقوادين والمومسات والمشاغبين وغيرهم من الرعاع ، وكانوا مسلحين بالعصي والسكاكين والخناجر ، وقد نقلتهم سيارات عسكرية الى وسط المدينة منذ الصباح الباكر ليوم ١٩ أغسطس ١٩٥٣ ، وقد أخذوا بضرب المارة ، والاعتداء على الحوانيت والشركات والمؤسسات العامة وأعملوا فيها النهب والحرق،وكانوا يهتفون بسقوط الديكتاتور مصدق وبحياة الشاه ، لكن الشعب لم يسكت وأخذ بالتصدي

لهم ، ثم ازداد حماس الجماهير عندما أعلن مصدق من الاذاعة ، فشل الانقلاب الملكي الذي عزله عن الحكم وعين الجنرال زاهدي بدلا منه ، كما أعلن أنه اعتقل الكولونيل نصيري قائد الحرس الملكي الذي جاءه بنبأ العزل ، لكن المظاهرات التي مولتها المخابرات الاميركية أحدثت الفوضى والاضطراب اللذين أرادهما أعداء مصدق ، فتحرك الجنرال زاهدي من مخبئه في السفارة الاميركية على رأس بعض وحدات الحرس الملكي التي أعاد الاميركيون تسليحها وتجهيزها ، وحدثت معارك طاحنة في الشوارع ، خصوصا عند مقر مصدق ، الذي وجد بعد ساعات من القتال أنه لا يمكنه الصمود فتمكن مع بعض مساعديه من مغادرة المقر عن طريق البيوت المجاورة ، وتمكن الملكيون من احتلال مقره ، واحتلال الاذاعة والاماكن الرئيسية في طهران ، وبعد يومين سلم مصدق نفسه للشرطة ، فقدم للمحاكمة ، ونظرا لكبر سنه والعطف الدولي الذي أحاط به حكم بالسجن ثلاث سنوات بالسجن الانفرادي ، ثم أطلق سراحه تحت الاقامة الجبرية ، حتى وفاته في ١٥ مارس ١٩٦٧ .

بعد استيلاء الحرس الملكي على طهران اندفع الغوغاء في شوارع المدينة يهتفون « امسكه واقتله (٧) » وكانوا يسلبون ويقتلون كل من يصادفونه من الناس في الشوارع باعتبار أنه من أعداء الشاه .

عندما تأكد الشاه من سقوط مصدق وعودة الهدوء الى البلاد، رجع الى طهران في ٢٢ أغسطس ، بعد أن أمضى اسبوعا خارج

---

(٧) قتل كثير من الناس في طهران لمجرد انزيهم او شكلهم الخارجي يوحي انهم من المثقفين او الاثرياء !

البلاد ، ونظمت له السلطات الجديدة استقبالا حافلا ، لمحاولة اظهار مدى تعلق الشعب به •

نكسة وطنية :

كان سقوط مصدق نكسة وطنية كبيرة ، اذ تراجعت الحركة الوطنية ، وبدأت فترة ارهاب لا مثيل لها استمرت ما يقرب من عشر سنوات ، كانت من أسوأ فترات ايران في تاريخها الحديث وأكثرها ظلمة وسوادا !

الى جانب مصدق ، حوكم وزير خارجيته « حسين فاطمي » وأعدم بعد تعذيب وحشي ، كما سجن رئيس أركان الجيش الجنرال رياحي ، وحكم على المهندس رضوي والدكتور علي شايكـان بالسجن المؤبد ، وأعدم أربعة عشر ضابطا من الجيش من رتب مختلفة بتهمة الانتماء لحزب توده الشيوعي ، وفي السنة التالية أعدم ستة ضباط أيضا بنفس التهمة !

قبضت الولايات المتحدة ثمنا غاليا لاسقاطها مصدق ، اذ أخذت تحل محل النفوذ البريطاني ، وقامت بارسال ٤٥ مليون دولار لايران كمساعدة عاجلة •

في سنة ١٩٥٤ جرى التوقيع على اتفاقية جديدة للنفط بين الحكومة الايرانية وتجمع الكونسورسيوم ، بعد الغاء التأميم ، وقد توزعت الحصص في هذا الكونسورسيوم الذي تولى استخراج ونقل وتسويق النفط ، كما يلي : بريطانيا ٤٠ ٪ من الاسهم ، والشركة الهولندية الملكية ١٤ ٪ وشركة البترول الفرنسيـة ٦ ٪ ، ومجموعة الشركات الاميركية ٤٠ ٪ (وتتألف من شركات اكسون وتكساكو وموبيل وغولف وستاندارد اف كاليفورنيـا

وايريكون) ٠

بعد أن أصبحت الولايات المتحدة شريكا رئيسيا في نفط ايران أخذت تتدخل بشكل قوي لفرض هيمنتها الكاملة على ايران ، وبسط نفوذها عليها ، وقد كان الشاه بعد الهزة النفسية التي أحدثها له مصدق ، بحاجة الى تدعيم مركزه بقوة خارجية فلم يجد أفضل من الولايات المتحدة التي كانت تخوض حربا باردة ضد الاتحاد السوفياتي ، وتدرك مدى أهمية موقع ايران ٠

انضمت الحكومة الايرانية لحلف بغداد منذ سنة ١٩٥٥ وهو الحلف الذي أنشأته ودعمته الولايات المتحدة ، كجزء من سلسلة الاحلاف التي أقامتها حول الاتحاد السوفياتي من دول معادية للشيوعية ٠

النظام يزداد عداء للشعب :

في السنوات الاخيرة من حكمه صرح الشاه للصحافيين بقوله : « ان هذا المنصب الملكي لم يعطني شيئا غير الصداع » وقد صدق في قوله هذا ، لكنه أخفى أن منصبه أورثه وأسرته ثروة طائلة على حساب فقر الشعب وبؤسه ٠

ففي مسلكه الشخصي لم يكن لمحمد رضا حكمة والده وحنكته ، ولا تقشفه وبساطة عيشه ، فقد كان يفتح الحسابات الخاصة في عدة بنوك ايرانية ودولية ، وكان يمتلك القصور الفخمة في مختلف أنحاء ايران ، وفي كثير من دول أوروبا والولايات المتحدة ، كما كان مزواجا ، اذ تزوج ثلاث مرات ، بالاضافة الى أن أخبار اخوته وأخواته كانت تشكل مادة وفيرة لوسائل الاعلام العالمية،وكانت أخباره وأخبار أسرته التي تنتشر

أو تتسرب الى أسماع الشعب تزيد في التباعد بينه وبينهم •

فشقيقته الصغرى فاطمة تزوجت أثناء وجودها في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٩ من الاميركي « هيلر » الذي أسلم وتسمى بعلي ، ثم ما لبثا أن انفصلا ، وبعد أربعة أشهر تزوجت من الجنرال محمد خاتمي ، وبعد وفاته بحادث سقوط طائرة ، انطلقت في مغامرات لا نهاية لها •

أما شقيقته التوأم الاميرة « أشرف » فقد وقعت في غرام شاب مصري يدعى أحمد شفيق وتزوجته ، ثم طلقها سنة ١٩٦٠ ، وعادت وتزوجت من الدكتور مهدي بوشهري في باريس ، وفي سنة ١٩٦٠ تناقلت وسائل الاعلام خبر توقيفها في سويسرا بعد كشف مخدرات في حقائبها ، ورغم أنها كانت تتزعم الحركة النسائية في ايران ، الا أن نشاطاتها في التهريب كانت واسعة •

كذلك اشتهر معظم أشقاء الشاه بأنهم مساهمون كبار في العديد من المصانع والمؤسسات الايرانية ، بالاضافة الى اشتغالهم بالتهريب وعقد الصفقات المريبة ، وامتلاكهم المزارع الواسعة واسطبلات الخيول •

لقد قبض محمد رضا على السلطة بيد من حديد فصار رمزا لكل خطأ أو خطيئة يرتكبها نظامه بأجمعه ، وكان ، خصوصا في السنوات الاخيرة من حكمه ، لا يقبل نقدا أو معارضة لأنه كان يقول عن نفسه أنه أفضل ناقد ومعارض ، لأنه يتلقى كل التقارير والانتقادات الدقيقة فيقرأها وبناء على ما فيها يصحح ممارسته للحكم (٨) •

تجاوز الشاه سلطاته الدستورية بتجميده المادة الثانية من

---

(٨) ايران غربة السياسة والثروة — حسن بني صدر — ص ٢٩ •

الدستور التي تقضي بعرض كل قانون قبل صدوره على لجنة من العلماء للنظر في أمر مطابقته للشريعة الاسلامية ، وبذلك زاد في سخط رجال الدين ضده ، كما أنه استغل القانون لاجراء المزيد من المحاكمات العسكرية لمعارضي النظام دون المحاكم المدنية لأنها بطيئة في اجراءاتها ولا تتخذ أحكاما قاسية ، وكان المتهمون في المحاكم العسكرية غالبا ما يحكمون بالاعدام ، حتى لو لم تكن الأدلة الجرمية كافية ، وقد أعدم « نواب صفوي » الزعيم الديني الشاب لمجرد أنه انتقد الشاه وملوك المسلمين لعدم انقاذهم للقدس ، وطاردت الشرطة أعضاء حزبه « فدائيان اسلام » ٠

لم يكتف نظام الشاه بقمع كل تحرك سياسي ، بل انه تصدى لكل الحركات النقابية التي قامت لتحقيق مطالب اقتصادية ، كما حدث مع عمال البلاط في طهران سنة ١٩٥٦ الذين تظاهروا مطالبين بتحسين أوضاعهم فجابهتهم الشرطة بالنيران مما أدى الى سقوط مئات القتلى بينهم (٩) ٠

الثورة البيضاء السهم الأخير :

في أواخر الخمسينات وفي مطلع الستينات كان المد الوطني والقومي في الشرق الأوسط قد بلغ الذروة ، وقد ترافق ذلك مع حدوث تحولات اجتماعية ثورية هامة في كثير من بلدان الشرق الأوسط ، خصوصا في مصر حيث كان « جمال عبد الناصر » يقود الثورة العربية في شقيها السياسي والاجتماعي ، كما أخذ

---

(٩) ايران غربة السياسة والثروة ــ بني صدر ــ ص ٨٤ .

العراق في عهده الجمهوري يشهد تحسنا في الوضع الاجتماعي لمصلحة الطبقة الكادحة ، وكذلك الحال في سوريا ، كما حدثت تحولات مماثلة في الجزائر بعد استقلالها •

لم يكن أمام الشاه ، الذي يعتبر نفسه أحد أقطاب الشرق الأوسط ، أن يقف مكتوف اليدين ازاء تلك التحولات الاجتماعية الخطيرة التي تتم على حدوده ، أو قربها ، وتستقطب الزعامة والشهرة لجمال عبد الناصر وغيره من القادة الجدد في الشرق الأوسط ، مما يضعف مركزه ويظهر نظامه جامدا رجعيا في أعين مواطنيه وأمام الرأي العام العالمي ، لذلك قرر اجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية في بلاده يحقق بها عدة أهداف في آن واحد :

أولا ــ اسكات صوت المعارضة الوطنية بقيام الشاه نفسه باجراء اصلاحات وتغييرات في الوضع الاجتماعي والاقتصادي في ايران ، فيخفف من المعارضة ، ويحول دون حدوث انفجار شعبي ضده •

ثانيا ــ تحقيق شهرة وزعامة شخصية ، تسرق بعض الشهرة التي أحرزها جمال عبد الناصر حتى بين أبناء الشعب الايراني نفسه •

ثالثا ــ الظهور أمام الرأي العام الخارجي ، خصوصا في أوروبا وأميركا ، بصورة الملك المصلح الذي يعمل لتحديث بلاده ، وتبرير أي قمع أو تصد للمعارضة الوطنية فيما بعد •

أعلن الشاه ثورته التي تتم دون اراقة دماء ، لذلك سماها ثورة بيضاء ، ووصفتها الدعاية الرسمية بأنها ثورة الشاه والشعب ، وزعم محمد رضا نفسه ، فيما بعد ، أن ثورته البيضاء ربطت بينه وبين شعبه برباط روحي لا مثيل له في أي

ركن من العالم (١٠) ·

في ٢٦ يناير سنة ١٩٦٢ طرح الشاه على المؤتمر الوطني لتعاونيات الفلاحين المنعقد في طهران مبادىء ثورته الجديدة من ست نقاط :

١ ـ الغاء نظام الاقطاع وتنفيذ قانون الاصلاح الزراعي ·
٢ ـ تأميم الغابات والاحراش في أنحاء ايران كافة ·
٣ ـ بيع أسهم المصانع الحكومية الى الاقطاعيين السابقين وجعلها غطاء لتنفيذ الاصلاح الزراعي ، وبذلك يساهم أولئك الاقطاعيون في تصنيع البلاد ·
٤ ـ اشراك العمال في الارباح الصافية للمصانع وللمشاغل الانتاجية ·
٥ ـ تعديل قانون الانتخاب ، ومنح المرأة كامل حقوقها السياسية ·
٦ ـ انشاء كتائب المعرفة لنشر العلم ومحو الأمية في الريف ، وجعل التعليم الابتدائي الزاميا ·

وشملت ثورة الشاه قطاعات جديدة سنة ١٩٦٤ حيث أضيفت اليها ثلاثة مبادىء جديدة هي :

٧ ـ تشكيل كتائب الصحة لنشر الوعي الصحي والوقاية في الريف ·
٨ ـ انشاء كتائب الاعمار والارشاد لمساعدة الفلاحين في المشاريع العمرانية في الريف ·
٩ ـ تأسيس دور العدل (الانصاف) للفصل في مشاكل الفلاحين وحلها ·

---

(١٠) انقلاب سفيد ـ محمد رضا بهلوي ـ ص ٢ ·

ويبدو أن مستشاري الشاه أقنعوه بتعميم « الخير الثوري » على كافة مجالات الحياة في ايران ، فأصدر سنة ١٩٦٥ ثلاثة مبادىء جديدة لتصبح ثورته من اثنـي عشر مبدأ ، وهـذه المبادىء الثلاثة هي :

١٠ ـ تأميم مصادر المياه السطحية والجوفية والينابيع كافة ·

١١ ـ اعادة بناء مرافق البلاد ومؤسساتها على أسس عصرية ·

١٢ ـ احداث ثورة ادارية ، وتنظيم التعليم لمسايرة العصر ·

يمكن اليوم للمؤرخ المحايد ، أن يحكم بفشل تلك الثورة ، رغم الدعاية الواسعة التي رافقتها ، والخطط والاموال التي أنفقت على تحقيقها ، مع التذكير بأن الانجازات التي حققتها في بعض المجالات ، ترجع للجهود الجماعية المخلصة التي بذلها بعض الشباب والفتيات ممـن اشتركوا بتحقيق بعض تلـك الاصلاحات بنية طيبة وجهد صادق ·

ترجع الاسباب الرئيسية في فشل ثورة الشاه البيضاء الى أن التنفيذ لم يكن سليما ولا كاملا ، بل حدثت ثغرات كثـيرة ، واستثناءات عديدة ، وانحراف عن الاهداف المرسومة ، ممـا عطل مفعول القوانين الجديدة وألغى الفائدة المرجوة منها ·

يضاف الى ذلك عدم توافر الكادرات المؤهلة ، والنقص الكبير في مجال الخبراء والاختصاصيين ، وحتى عند توفر هؤلاء ، فان كثيرين منهم كانوا يكتفون بادارة المشاريع المنوطة بهم مـن مكاتبهم في طهران ، وهذا جعل التنفيذ دائما في مستوى أقل من التخطيط ·

وهناك سبب هام لفشل تلك الثورة ، هو مجافاة الشعب لها وعدم تعاونه مع المسئولين عن تنفيذها ، لشعوره الفطري ، الذي أثبتت الوقائع صدقه ، أنها تحول المجتمع الايرانـي الى

مجتمع استهلاكي يخدم مصالح الرأسمالية الكبرى ، ويربط الاقتصاد الايراني باقتصاد الدول الرأسمالية خصوصا الولايات المتحدة ٠

ففي المجال الزراعي كانت الاصلاحات المزعومة كارثة وطنية حقيقية ، اذ قامت الدولة بشراء أراضي /١٦٣٣٣/ قرية و / ١٠٠١ / مزرعة كبيرة ، وجرى توزيعها على /٧٧٧٨٣٥/ مزارعا ، كما تم نقل حقوق الاملاك الوقفية الى العاملين بها من المزارعين ، وكانت نتيجة تلك الاجراءات تحول عدد كبير من الفلاحين الذين كانوا يملكون أراضي زراعية صغيرة الى أجراء يعملون لحساب غيرهم ٠

ومن جهته قام الشاه ببيع معظم أملاكه بنحو خمس قيمتها للفلاحين الذين يزرعونها ، وكانت تلك الاراضي تقدر بثلاثة أرباع مليون فدان من أخصب الاراضي الزراعية ، وتضم /١٧٦٠/ قرية يعيش عليها مليون نسمة ، وكان أبوه قد استولى على معظمها من الفلاحين وأبناء الطبقة الارستوقراطية ، خلال فترة حكمه ، وبعد الحرب العالمية الثانية قدم بعض الملاك السابقين دعاوي لاسترجاع أراضيهم ، وقد أنشئت محاكم خاصة لذلك ثم طوي الموضوع وظل الوريث الجديد ، محمد رضا ، متمسكا بتلك الاراضي (١١) ٠

بعد عامين من بدء البرنامج الاصلاحي لم يكن أكثر من ثلث قرى ايران قد جرى توزيعه على الفلاحين المعدمين ، من مجموع القرى البالغ عددها خمسين ألفا ، وفي المرحلة الثانية صرح للمالك بالاحتفاظ بما مساحته /٣٠ ـ ١٥٠/ هكتارا من

---

(١١) ايران دراسة في جذور الصراع ـ محمد السعودي ـ ص ٦٠ ٠

الارض حسب نوعيتها وموقعها ، والباقي يجري توزيعه أو تأجيره للفلاحين ، ومع ذلك فان تقارير منظمة الاغذية والزراعة الدولية أشارت الى أن عُشر الفلاحين في ايران فقط كانت لديهم أرض تعولهم وتكفيهم (١٢) .

كما أن عملية تجميع القرى لتحويلها الى مدن زراعية صغيرة، أدى الى هدم عدد ضخم من القرى والضياع (١٣) ، وهروب عدد كبير من الفلاحين الى المدن ليصبحوا عبئا عليها وتضاف جموعهم الى صفوف العاطلين عن العمل ، وليقيموا في مدن التنك التي كانت تنشأ حول المدن الايرانية الكبرى ، خصوصا العاصمة طهران ، كحزام من البؤس ، وقد ارتفع عدد السكان في المدن نتيجة لتلك السياسة من ١٦ ٪ (سنة ١٩٦٠) الى ٤٦ ٪ (سنة ١٩٧٧) .

صحيح ان ٢٠ ٪ من الفلاحين أصبحوا ملاكا جددا للاراضي الزراعية التي كانوا يعملون فيها ، لكن بالمقابل تحول ٤٠ ٪ من المزارعين من ملاك صغار الى مستأجرين لأراضي الغير (١٤) ، بالاضافة الى أن الفلاحين الذين تملكوا أراضي زراعية جديدة لم تقدم لهم قروض كافية لشراء البذار أو الاسمدة ، وقد أخذ الانتاج الزراعي بالتناقص بشكل ملموس خصوصا في قطاع الحبوب ، ففي سنة ١٩٧٣ مثلا استوردت ايران مليون طن قمحا ، وأصبحت زبونا دائما في سوق القمح الاميركي ، بعد أن كانت من الدول المصدرة له ، كما أنها استوردت ، في السنة

---

(١٢) المصدر السابق — ص ٦١ .

(١٣) تدعى ابادي .

(١٤) تبلغ مساحة الاراضي الزراعية في ايران ٣٣ مليون هكتار .

نفسها ، ثلاثين ألف طن لحوما بعد أن كانت لا تستورد شيئا قبل الاصلاح الزراعي ، ولم يزدد الا انتاج الفاكهة لأن معظمه أصبحت تنتجه مزارع كبار الملاك الذين اتبعوا أحدث الاساليب الزراعية !

أما الخسارة الكبيرة التي أدت اليها هذه الاصلاحات ، في المجال الزراعي ، فقد كانت في تخريب نظام الري الرائع الذي ابتكره الايرانيون منذ ألوف السنين ، ويتلخص هذا الاسلوب في حفر قنوات مغطاة داخل الارض لايصال المياه الى مسافات بعيدة جدا ، ويمكن بهذه الطريقة نقل المياه الى الاراضي المرتفعة بأن تحفر القناة حتى طرف التلة ، ثم يحفر بئر يصل الى طرف القناة ، ثم ترفع المياه بعد ذلك بالأساليب اليدوية ، أو تدار بالطاقة المحركة • وفي ايران ما يقرب من خمسين ألفا من هذه القنوات ، يصل طول بعضها الى ٤٠ ـ ٥٠ كيلومترا ، وقد كان الصالح للاستعمال منها يقرب من ٣٥ ألف قناة عند البدء بتنفيذ مشاريع الاصلاح الزراعي ، لكنها الآن بعد اهمال صيانتها بحجة أنها طريقة بدائية للري ، وانشاء آبار ارتوازية بطريقة غير مدروسة ، لم يعد صالحا للعمل منها الا حوالي ثمانية آلاف قناة ، وبذلك كاد هذا النظام الفريد في الري يضمحل ويزيد من مساحة الاراضي القاحلة في ايران •

لم ينكر الشاه فشل برامجه الزراعية ، ونسب ذلك الفشل الى التعديلات التي أدخلها النواب على برامجه الاصلاحية عند عرضها على البرلمان ، بحيث عدلوها لتوافق مصالحهم كاقطاعيين كبار ورأسماليين (١٥) ، وكان نصف أراضي ايران الزراعية

---

(١٥) انقلاب سفيد ـ محمد رضا بهلوي ـ ص ١٦ •

مملوكا لثلاثين أسرة فقط (١٦) • وقد جعل قانون الاصلاح الزراعي الحد الاقصى للملكية الزراعية للشخص الواحد عشرة هكتارات من الارض المروية وخمسة عشر هكتارا من الارض البعلية ، لكن اصدار القانون شيء وتنفيذه شيء آخر •

اعترف الشاه بأن دخل الفلاح ضئيل جدا لا يتمدى في المتوسط ١٥ ألف ريال في السنة (١٧) ، ولو افترضنا أن أسرة الفلاح تتألف من خمسة أشخاص فقط ، لكان دخل الفرد منها لا يتعدى ٢٥٠ ريالا ، أي أقل من ثماني ليرات لبنانية في الشهر (١٨) • واذا علمنا أن حوالي ٨٠ ٪ من الشعب الايراني لا تجد ما تسد به جوعها اليومي ، وأن هناك ما يقرب من ١٨ ٪

---

(١٦) المصدر السابق – ص ٤٠ .

(١٧) المصدر السابق – ص ٤٢ .

(١٨) حدثت معي شخصيا سنة ١٩٦٠ حادثة ذات مغزى ، اذ كنت وبعض رفاقي من الطلاب العرب في منطقة « دماوند » على مسافة خمسين كيلومترا من طهران ، في النزهة الاسبوعية التي كانت تعدها لنا الجامعة للتعرف الى طهران والمناطق المجاورة ، وحملت ورفيقتين لي طعامنا ، وانفصلنا عن بقية رفاقنا ، متوغلين في الاحراش بعيدا ، وبعد تناول الغداء ، احتجنا الصابون فلم نجده ، ولمحنا كوخا بين الاشجار فقصدناه ، وطلبنا من الرجل العجوز الذي هرع لاستقبالنا صابونا ، وكنا لا نعرف الفارسية بعد ، فتحدثنا بالعربية وبالكلمات القليلة التى حفظناها بالفارسية ، وفهم الرجل ما نريد ، وبعد ان غسلنا ايدينا ، قدم احد صديقي اليه ما يعادل اربع ليرات لبنانية مكافأة له ، فتناولها وهو يبكي ويتحدث بصوت متهدج ، وفي هذه اللحظة وصل دليلنا الايراني الذي كان قد استبطأ عودتنا ، واستفسرنا منه عن بكاء الشيخ ، فتمنع عن الاجابة ، ولكن بعد شهر كانت صداقتنا قد توطدت معه فلما اعدنا السؤال عليه ، اخبرنا ان سبب بكاء الشيخ كان تأثرا لان ذلك المبلغ كان اكبر ما قبضه في حياته مرة واحدة !! .

تشكل الطبقة المتوسطة التي أخذت تماني في السنوات الاخيرة من حكم الشاه ضيقا واختناقا وعجزا عن سد احتياجاتها اليومية ، رأينا أن ٢ ٪ فقط من الشعب الايراني تملك معظم الثروات والعقارات وتسيطر على مصادر الاقتصاد وتتحكم بالتجارة ، لذلك كانت النقمة الشعبية جارفة خصوصا وان هذا البؤس وتلك التعاسة كانتا تترافقان مع القمع الذي كان يمارسه النظام ضد كل صوت يرتفع بالمعارضة أو يجأر بالشكوى .

أما تطبيق البند الثاني من الثورة البيضاء فقد بدأ في يناير سنة ١٩٦٢ بصدور قانون استملاك الغابات والاحراج ، وخلال السنوات الخمس التالية غرست خمسة ملايين شجرة جديدة ، وتبلغ مساحة الغابات في ايران ثمانية ملايين هكتار ، معظمها في شمال البلاد ، ويملك الشاه وأفراد أسرته مساحات كبيرة من تلك الغابات ، لأن الشاه ، بالواقع ، كان أحد أكبر الاقطاعيين في ايران (١٩) .

أما المصانع الحكومية فقد بيعت أسهم /٥٦/ مصنعا منها بسعر السهم الواحد خمسين ألف ريال وبلغت قيمة الاسهم المباعة /٧٧٠٠/ مليون ريال ، وقد اشترى تلك الاسهم كبار الاقطاعيين ، فكانت العملية هي انتقال الأثرياء من استغلال الاراضي الى استثمار الاموال في الصناعة ، متحولين من اقطاعيين

---

(١٩) في احدى رحلاتنا لشمال ايران ، في ولاية مازندران بالذات ، التفت الينا دليلنا الايراني في سيارة الباص التي كنا نركبها وقال متباهيا هذه الاراضي التي تعبرونها هي من املاك الشاه الخاصة ، وقد قدرت ان السيارة امضت نصف ساعة وهي تسير في تلك الاراضي عندما ابلغنا الدليل ، مرة ثانية ، اننا الان نخرج من تلك الجنة الشاهنشاهية !

زراعيين الى احتكاريين صناعيين .

في يناير سنة ١٩٦٤ جرى انشاء كتائب الصحة للخدمة في الريف ، ومع ان كثيرين من أفراد تلك الكتائب بذلوا جهودا صادقة لخدمة أبناء الريف وتخفيف آلامهم ، لأن معظمهم كانوا من طلبة الجامعات ومن المؤهلين طبيا ، في دورات تأهيلية مكثفة ، فقد ظل الشعب الايراني في الريف يعاني من الامراض المختلفة ، وبحاجة الى العناية والعلاج الذي لم يكن متوفرا دائما ، وتبلغ نسبة الوفيات بين الاطفال في الريف من ٤٠ ـ ٥٠ بالألف وهي نسبة مرعبة ، وان كانت أوضاع الاطفال في المدن أفضل من ذلك قليلا ، وبشكل عام فان ٢٣ ٪ من الاطفال الرضع يموتون خلال السنة الأولى من حياتهم بسبب سوء التغذية ونقص العناية الطبية ، ولا يتجاوز معدل الاعمار في ايران ٣٨ سنة (٢٠) ، وهي نسبة متدنية جدا حتى بمقارنتها ببعض البلدان الافريقية والآسيوية !

يعاني كثير من سكان الريف الايراني من الامراض المتوطنة كالتراخوما والملاريا والتيفوئيد والجدري ، وهناك قرى معظم سكانها مصابون بالعمى أو بضعف شديد بالبصر نتيجة انتشار مرض التراخوما !

أما الحديث عن الفقر فهو حديث طويل يصعب حصره ، ففي بلوجستان هاجم السكان مرة فرقة حكومية لمكافحة الجـراد ، ومنعوها من الاستمرار في عملها ، لأن الجراد ، في تلك المناطق القاحلة ، يشكل غذاءهم الرئيسي ، اذ يأكلونه نيئا أو مشويا ،

---

(٢٠) السافاك ـ الوجه الفاشي للامبريالية ـ لجنة دعم اليسار فـي ايران ـ ص ٢٧ .

وبعضهم يحبه مقددا !

في البداية نجحت كتائب المعرفة التي انطلقت للأرياف في تنوير أذهان الفلاحين ومحاربة الأمية ، وأقيمت ألوف الصفوف المدرسية ، في الهواء الطلق أو في البيوت الريفية المتواضعة ، وكان من الممكن القضاء على الأمية في عشر سنوات ، لولا ان عملاء الشرطة السرية اندسوا بين شباب كتائب المعرفة ليتجسسوا عليهم وعلى الريفيين ، وليبثوا الدعاية للشاه ولنظامه ، مما ثبط من عزيمة الشباب الوطني ، الذي كان مجندا في تلك الكتائب ، وأفقدها ثقة الريفيين فخف الاقبال على تلك المراكز التعليمية ، وظلت الأمية في الريف في حدود ٩٠ ٪ بينما تراوحت في المدن من ٦٠ ـ ٧٠ ٪ فقط !

كان الهدف من قانون مشاركة العمال في أرباح المصانع تشجيع روح التعاون بين العمال ورأس المال وربط مصالح الطرفين معا ، لكن تنفيذ القانون لم يكن لمصلحة مجموع العمال ، اذ أنه استبعد فورا العمال الذين لم يبلغوا السن القانونية للعمل ، وكذلك استبعد عمال شركات الدولة باعتبارهم موظفين ! وكذلك عمال المؤسسات التي لا يتجاوز عدد العاملين فيها ٢٠ عاملا ، وبذلك لم يشمل القانون نحو مليون عامل من مجموع العمال البالغ عددهم مليونا وستمائة ألف سنة ١٩٧١ (٢١) .

أدى التزايد المستمر في الأسعار وارتفاع قيمة الايجارات في المدن ، الى أن تصبح نسبة العائلات التي تسكن بيوتا بالايجار في طهران ، في السنوات الاخيرة ، الى حوالي ٦٠ ٪ معظمها بدون مرافق صحية ، وأكثر من ثلاثة أرباعها بدون مطابخ مستقلة ،

---

(٢١) ايران غربة السياسة والثروة ـ حسن بني صدر ـ ص ٩٩ .

كما أنها تفتقر الى الحمامات (٢٢) ، وهناك حوالي أربعين بالمائة من عائلات طهران تقيم في غرفة يتجاوز ايجارها الشهري مئة وخمسين ليرة (٢٣) ، ومن هذا كله يمكننا ادراك أية حال مزرية وبائسة كانت تعيش فيها الطبقات الشعبية في المدن الايرانية ٠

من العرض السابق ، نلاحظ أن ثورة الشاه البيضاء فشلت ، بشكل عام ، في تحقيق أي تحسن في أوضاع الطبقة الكادحة ، سواء كانت على مستوى الفلاحين أو العمال ، بل انها أدت عمليا الى ازدياد فقر طبقة الفلاحين نتيجة لسوء الوضع الزراعي ، لأن توزيع الاراضي الزراعية عليهم بأقساط لمدة ١٥ سنة بفائدة عشرة بالمائة سنويا شكل عبئا على معظمهم ، كما أن معظم الملكيات الزراعية الكبيرة ظلت بأيدي أصحابها بطريق أو بآخر ، كما أن التضخم النقدي وارتفاع الاسعار وجمود أجور العمال أدى الى سوء أوضاعهم أيضا ٠

يبدو أن الشاه الذي كانت تسيطر عليه أحلام العظمة ، كان مستمرا في ثورته ، ولعله اعتقد سنة ١٩٦٨ أنه لم يبق في بلاده مرضى بلا دواء ، وأميون بلا معرفة ، وأن جميع شعبه أصبح يتمتع بمستوى عيش مرتفع ، وأنه راض بحاله وسعيد ، فألقى في تلك السنة في جامعة هارفرد الاميركية خطابا اقترح فيه انشاء كتائب الانسانية التي تضم أفرادا من كل لون ومذهب لخدمة المعذبين والمحتاجين في العالم ، وقد وافقت هيئة الأمم

---

(٢٢) المصدر السابق — ص ١٠٥ ٠

(٢٣) السافاك الوجه الفاشي للامبريالية — ص ٢٨ وقد ذكر ان الايجار اكثر من مئة وخمسين ماركا المانيا ٠

المتحدة على تلك الفكرة رسميا سنة ١٩٧٠ ، وكانت ايران أول دولة في العالم تعلن بدء تشكيل تلك الكتائب (٢٤) !

أدت تلك الاوضاع السيئة ، وأساليب القمع الوحشية التي لجأ اليها نظام الشاه ، الى نمو حركة وطنية عنيدة ، كانت تزداد قوة وانتشارا كلما سقط من أفرادها شهداء ، أو جابهت تصديا من السلطة ، وقد اتسمت تلك الحركة في الخمسينات بالمظاهرات والمنشورات السرية ، وفي الستينات لجأت الى الاضرابات الواسعة والاغتيالات الفردية والمهرجانات الحاشدة ، وفي السبعينات لجأت الى حرب الشوارع في المدن وحرب العصابات في المناطق الاخرى ، حتى شملت ، في السنوات الاخيرة ، الجماهير الكادحة المريضة حتى تحقق النصر ٠

---

(٢٤) هذه الصورة عن الشاه تذكرنا بقصة تلك العجوز الاميركية في القرن الماضي ، التي كانت تذرف الدموع غزيرة عند مشاهدة مسرحية درامية في احد مسارح نيويورك ، بينما تركت سائق عربتها يتجمد من البرد وهو ينتظر خروجها !

الفصل العاشر

سقوط الملكية وقيام الجمهورية

مراحل النضال الوطني :

يمكن تقسيم تاريخ النضال الوطني في ايران ، منذ سقوط مصدق سنة ١٩٥٣ الى انتصار الثورة الاسلامية مطلع سنة ١٩٧٩ ، أي خلال الخمس والعشرين سنة الماضية الى ثلاث مراحل بارزة :

المرحلة الأولى : بدأت بسقوط مصدق سنة ١٩٥٣ وانتهت بالقضاء على ثورة الخميني الأولى سنة ١٩٦٣ ، وفي هذه الفترة اتخذ النضال طابع الاستعداد ، وتجنيد الجماهير وتوعية المواطنين ، وبث فكرة المعارضة بين جموع المثقفين والطلاب وذوي المهن الحرة ، وكان الهدف الرئيسي اطلاق الحريات الأساسية للانسان الايراني ، وتنفيذ اصلاحات اقتصادية واجتماعية لتحسين أوضاع الطبقات الكادحة ، وتعديل السياسة الخارجية لتحقيق نوع من التوازن في العلاقات بين ايران وكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي

وفي المرحلة الثانية : التي استغرقت عشر سنوات أيضا ، من قمع ثورة الخميني الأولى سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٧٣ حيث ارتفعت بعدها عائدات النفط بشكل هائل وبرز المجتمع الاستهلاكي الضخم في ايران نتيجة لتلك العائدات وازدادت الهوة اتساعا بين الأثرياء والفقراء ، واتجه الشاه نحو أحلامه التوسعية وأخذ ينفق المليارات من الدولارات على بناء قوات مسلحة تفوق طاقة البلاد وحاجتها ، وقد اتسم النضال في هذه الفترة بالتظاهرات الدامية والاضرابات الواسعة ، ومهاجمة المؤسسات العامة واحراقها ونهبها ، وكذلك الاغتيالات الفردية المنظمة .

أما المرحلة الثالثة : التي امتدت منذ سنة ١٩٧٣ وحتى مطلع سنة ١٩٧٩ فقد اصطبغت بالعنف من جانب الوطنيين وبالقسوة البالغة من جانب السلطة ، واستخدام الوطنيين كوادر مدربة في الخارج على أساليب القتال وحروب العصابات ، واستقطبت الثورة منذ خريف سنة ١٩٧٨ كل جماهير ايران حتى تحقق النصر الكامل سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الأولى :

لم يكد الشاه يقضي على حركة مصدق الوطنية ، حتى بدأت مطاردة رهيبة وعنيدة لكل الوطنيين في كل أنحاء ايران .

انصبت مطاردة الشاه على الشيوعيين خصوصا والتقدميين عموما ، وقد تمت ملاحقتهم بدون هوادة ، وحوكموا أو سجنوا بلا رحمة ، ويرجع تركيز السلطة على الشيوعيين في هذه الفترة الى عدة أسباب :

أولا : ان خطر الوطنيين قد ضعف بعد سحق حركة مصدق وسجن العديد من أنصاره ، ولم يعد هناك من معارضين منظمين ويخشى خطرهم الا الشيوعيون .

ثانيا : اكتشاف المخابرات الايرانية تنظيمات شيوعية عديدة داخل الجيش ، مما جعلها تعمل بسرعة على سحقها وكشف كافة أعضائها ، لابقاء الجيش درعا متينا يصعب على أي تنظيم عقائدي اختراقه !

ثالثا : كان الشاه قد بدأ يعتمد على معونة الولايات المتحدة الاقتصادية والعسكرية ، الممثلة بالنقطة الرابعة ، وبالبعثات العسكرية الامبركية ، وكان من شروط الامبركيين استقرار الوضع السياسي وقمع كل معارضة ، خصوصا وان أي نفوذ للشيوعيين يعتبر نفوذا للاتحاد السوفياتي بالذات ، لأن العلاقة بين الشيوعيين الايرانيين والدولة السوفياتية كانت معروفة ووثيقة .

في سنة ١٩٥٤ اعتقل اثنان من قادة الشيوعيين هما الدكتور « مرتضى يزدي » والمهندس « شرميني » وحكما بالسجن المؤبد ، وفي سنة ١٩٥٨ أعدم « خسرو روزبه » أحد قادة حزب توده ، وفي السنة التالية أعدم المهندس « علوي » بنفس التهمة ، وفي سنة ١٩٦٠ أعدم خمسة من كوادر الشيوعيين في تبريز وحكم على سبعة بالسجن المؤبد .

في هذه الفترة كان أقل تجمع سياسي يجري فضه بسرعة ، وكانت المظاهرات تقمع فور انطلاقها ، وكان يجري تعطيل المدارس أو الجامعات عند بدء أي اضراب أو تظاهر ، ولم يكن لدى السلطات فرق بين المظاهرات من أجل مطالب نقابية أو

المظاهرات لمطالب سياسية ، فعندما تظاهر طلاب مدارس طهران في يناير ١٩٥٩ من أجل مطالب مدرسية قتلت الشرطة ثمانية تلاميذ وجرحت عشرات غيرهم واعتقلت /٢٦٠/ تلميذا (١) ، ولم ينج المعلمون الذين تظاهروا في ابريل سنة ١٩٦١ في طهران من أجل تحسين رواتبهم ، من وحشية الشرطة ، فقتل أحدهم وجرح ثلاثة منهم واعتقل عدة معلمين ٠

شهدت هذه الفترة كذلك انشاء الشرطة السرية ، التي سنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد ، لأن دورها في هذه المرحلة لم يكن رئيسيا لقلة خبرة رجالها وضعف امكاناتها آنذاك ٠

تنتهي هذه الرحلة بثورة ١٩٦٣ التي قادها الخميني والتي أدت الى نفيه فيما بعد ، فمن هو الخميني ؟ ولماذا قاد حركة المعارضة المنيدة ضد الشاه طيلة تلك السنوات الطوال ؟

شخصية الخميني وسيرته :

هو السيد روح الله بن السيد مصطفى بن السيد أحمد الموسوي الحسيني الخميني المولود في بلدة « خُمين » جنوب غربي قم سنة ١٩٠٠ ، وقد كان أبوه من كبار العلماء حيث تتلمذ على يد آية الله الشيرازي في النجف الاشرف ، وقد قتل غدرا بين خمين وأراك سنة ١٩٠٥ وعمره لا يتجاوز ٤٧ سنة ٠

أمه تدعى هاجر بنت ميرزا أحمد ، وقد نشأ الخميني في قم ، وتلقى دروسه العلمية الأولى في النجف الاشرف في العراق ، وبعد عودته أخذ يلقي دروسه في المدرسة الفيضية في قم ، وأصبح له

---

(١) السافاك ــ الوجه الفاشي للامبريالية ــ ص ٣١ ٠

تلاميذ كثر ، وتزوج سنة ١٩٢٧ من ابنة الشيخ محمد الثقفي الطهراني ، وقد أنجبت له صبيين هما مصطفى وأحمد وثلاث بنات ، وقد أظهر الخميني معارضة قوية لأسلوب حكم رضا شاه فعمل هذا على اضطهاده ، وقد تسلم الخميني ادارة المدرسة الفيضية في قم ، وقام بتأليف كتب عدة يتجاوز عددها العشرين أهمها :

رسالة في الطلب والارادة ـ زبدة الاحكام ـ رسالة في الاجتهاد والتقليد ـ الحكومة الاسلامية أو ولاية الفقيه ـ جهاد النفس أو الجهاد الاكبر ـ تهذيب الاصول ـ حكم الشريعة وغيرها ·

أدرك الخميني بثاقب نظره ونظرته الخطر الواقع على ايران من الصهيونية والامبريالية ونظام الشاه المتعاون معهما · فأخذ يهاجمهم في خطبه وأحاديثه باستمرار ، وقد بلغ ذروة معارضته في سنة ١٩٦٣ عندما ظهر بوضوح مدى التغلغل الاميركي في البلاد ، وزيف دعوى الثورة البيضاء ، والانحياز الواضح لاسرائيل ضد العرب ، وقد حرك الخميني بمعارضته جبهة واسعة من جماهير ايران ، مما جعل الشاه يعتقله ، وبقي في الاعتقال ثمانية أشهر وفي ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٤ ألقي به على حدود ايران ـ تركيا ، فعاش في منفاه في تركيا بضعة أشهر ثم ارتحل الى النجف الاشرف في العراق حيث أقام هناك ما يقرب من ثلاثة عشر عاما ، عندما غادرها في الخامس من اكتوبر سنة ١٩٧٨ الى فرنسا وأقام في قرية « نوفل لو شاتو » قرب باريس ، وفي الأول من فبراير ١٩٧٩ رجع الخميني الى طهران بعد أن كان الشاه قد غادرها في الشهر السابق ، وخلال بضعة أيام استولى أنصاره على السلطة وأعلنوا سقوط النظام الملكي ·

بعد نفي الخميني بشهرين اعتقلت السلطة الايرانية ابنه

مصطفى بتهمة معاونة والده ثم أطلقت سراحه فجاء الى النجف الاشرف ، ولكن ما لبث عملاء السافاك أن اغتالوه ، أما ابنه احمد فهو شديد الالتصاق بوالده ويعمل اليوم مشاورا له •

مع أن الخميني لا يعتبر أعلى المراجع الدينية في ايران ، اذ يعادله في ذلك آية الله شريعتمداري ، الا أنه استطاع احراز شهرة شعبية طاغية وزعامة سياسية قل أن حاز مثلها زعيم ايراني سابق ، كما أنه بفضل نضاله ضد الشاه أصبح مشهورا لدى الرأي العام العالمي •

من أبرز صفات آية الله (٢) الخميني الزهد في العيش والتقشف في الطعام والمأوى ، والبساطة في اللباس ، فهو يرتدي دائما الجلباب وفوقه العباءة ، ويضع على رأسه العمامة السوداء التي تبين نسبته الى آل البيت ، ويمسك أحيانا بالمسبحة بين أصابعه ، ولما كان في فرنسا كان يقيم في منزل مؤلف من ثلاث غرف لا يحتوي الا أبسط الأثاث وأقله ، وكان يصلي في خيمة نصبت في حديقة المنزل ، رغم أن البرودة ، في ذلك الشتاء ، وصلت الى ما يقرب من خمس عشرة درجة تحت الصفر •

ثورة الخميني الأولى :

كان ذلك سنة ١٩٦٣ وكانت النقمة الشعبية على حكم الشاه قد تجاوزت كل حد ، فأخذ الخميني يعبر عن آمال الجماهير في الخطب الدينية التي كان يلقيها في قم في المناسبات المختلفة (٣)•

---

(٢) لقب لا يحرزه الا كبار المجتهدين والمراجع الدينية العليا .

(٣) قم مدينة دينية يسكنها حوالي ٣٠٠ الف نسمة ، وفيها حوالي ٤٤٠ مسجدا ، ويحرم وجود الملاهي او دور السينما فيها ، وجميع نسائها

ففي خطاب له في المدرسة الفيضية بذكرى الامام الصادق هاجمت الشرطة المجتمعين لأن الخميني تعرض للشاه ولاسرائيل وللاستعمار ، وقد قتل وجرح بضعة أشخاص نتيجة للهجوم ، وأصدر الخميني بيانا عنيفا قال فيه : « يظن حكام ايران الخونة أنهم يستطيعون بهذه الاعمال اللاانسانية وممارسة الضغط ايقاف مسيرتنا نحو تحقيق أهدافنا التي هي القضاء على الظلم والديكتاتورية ، وصيانة الدين الاسلامي ، واقامة العدل الاجتماعي » .

وفي عاشوراء حيث تقام لها احتفالات كبيرة في ايران ، قال الخميني في جموع المستمعين : « وردني نبأ يفيد أن منظمة السافاك استدعت عددا من خطباء المساجد وطلبت منهم بالتهديد ثلاثة أمور : عدم الاساءة للشاه ، وعدم التهجم على اسرائيل ، وعدم التصريح بأن الخطر محيق بالاسلام ... وأريد أن أسألكم معشر المسلمين ، هل ينتفي الخطر عن الاسلام اذا لم نقل أنه معرض للخطر ؟ واذا لم نقل أن الشاه كذا وكذا أليس هو كما نصفه ؟ واذا لم نقل ان اسرائيل هي مصدر الخطر في ايران أليست ايران معرضة لخطر اسرائيل ؟ » .

كان ذلك في الثالث من يونيو سنة ١٩٦٣ ، وقامت المظاهرات المؤيدة لخطاب الخميني والمنددة بالحكم الديكتاتوري وبسقوط اسرائيل (٤) ، وكانت تلك المظاهرات أعنف ما واجهته السلطة

يرتدين العباءة النسائية (جادر) ، وتضم مدارسها الدينية — ١٢ — الف طالب علم .

(٤) كان نص الهتاف كما سمعته بنفسي يومها ، ما ترجمته : ليسقط المتجبر ، لتسقط اسرائيل ، عاش الخميني . وكانت تلك اول هتافات علنية ضد اسرائيل منذ سنة ١٩٥٣ .

منذ سقوط مصدق ، فتصدت للمتظاهرين وقام الكولونيل سعيد طاهري (٥) باعتقال الخميني في قم واعتقل معه سيد تقي فلسفي وما يقرب من عشرين من تلامذته وملازميه ، وكان ذلك في الرابع من يونيو ، وقد بلغ مجموع المعتقلين آنذاك /١٣٠/ شخصا .

أوقف الخميني في ثكنة عشرت آباد في طهران ، وكان اعتقاله بمثابة الشرارة التي ألهبت عواطف الجماهير ، فاندفعت تحرق وتدمر كل ما يرمز للنظام ولانصاره ، فأحرقت في طهران النادي الجعفري ودار اطلاعات (٦) ، ودمرت أكشاك البريد وأكشاك النقل العام ، وأحرقت سيارتي باص وأربع شاحنات للجيش ، وهاجمت مبنى وزارة الصناعة ووزارة العدل ، ودمرت مبنى شركة بيبسي كولا التي يملكها أحد البهائيين وأحرقت سينما أوديون ، ودمرت معظم المحلات التي يملكها اليهود والبهائيون على طول شارعي نادري واسلامبول ، وعجزت الشرطة رغم هراواتها وقنابل الغاز المسيلة للدموع عن تفريق التظاهرات ، فنزل الجيش للشوارع بدباباته ، وفرض نظام منع التجول من العاشرة مساء حتى الخامسة صباحا ، وأعلنت الاحكام العرفية وعين اللواء نصيري حاكما عسكريا لطهران .

كانت مجموعات من الشباب المتدين التي يرتدي أفرادها ملابس سوداء وتسمي نفسها « شباب الحسين » ومسلحة

---

(٥) ظل الوطنيون يلاحقونه حتى تمكنت منظمة مجاهدي الشعب من قتله سنة ١٩٧٢ .

(٦) مؤسسة اطلاعات الصحفية التي كان يملكها الشيخ عباس مسعودي كانت مؤيدة للشاه .

بالمسدسات والقنابل اليدوية قد حاولت في التاسعة من صباح هذا اليوم اقتحام مبنى الاذاعة ، وكادت تستولي عليه ، لولا ان الجيش تمكن من حصد أفراد المجموعة برشاشاته ، وعثر في جيب قائد المجموعة ، فيما بعد ، على البلاغ رقم واحد ، ولكن لم تعرف محتوياته •

وفي السادس من يونيو تجددت المظاهرات في قم ومشهد وتبريز وأصفهان وسقط عدد من القتلى والجرحى ، أما في طهران فكانت أعنف المصادمات بين الجيش والثائرين في ميدان سبه وميدان ارك وشارع ناصر خسرو وكلها في جنوب طهران ، على ان مناطق في أقصى شمال طهران كتجريش وشميران لم تنج من المظاهرات ، حتى ان بعض المتظاهرين الغاضبين حاولوا اقتحام قصر الشاه الصيفي في سعد آباد فحصدتهم رصاصات الحرس الامبراطوري حصدا وكان بينهم بعض النساء ، وقدر عدد القتلى منذ اندلاع القتال في طهران وحدها بألف قتيل ، أما الجرحى فامتلأت بهم المستشفيات ، كما ان كثيرين منهم جرى علاجهم في المنازل والعيادات الخاصة سرا !

لم يعد الأمر مظاهرات واسعة بل أصبح ثورة شعبية وان كان يغلب عليها الغضب والحماس أكثر من التخطيط والتدبير المسبق ، وتجددت المظاهرات في جنوب طهران خاصة في منطقة « البازار » الذي كانت حوانيته الخمسون ألفا مغلقة كلها !

في الثامن من يونيو امتدت المظاهرات الى مدن جديدة مثل مشهد وعبادان وهمدان وقزوين و ورامين ، وفي طهران تجدد القتال في مناطق جديدة مثل ميدان فوزية وشارع نادري والبازار ، كما اقتحم الجيش جامعة طهران واعتقل بعض

طلابها وأغلقها الحاكم المسكري حتى اشمار آخر ، وقد أعلنت الحكومة التي كان يرئسها « أسد الله علم » أنها تطارد آية الله بهبهاني و /١٥٠/ من العلماء والوعاظ بتهمة التحريض ضد الحكومة ، وزعمت الحكومة ان عدد القتلى في طهران /٨٦/ والجرحى /١٥٠/ ، لكن أكثر التقديرات اعتدالا تجعل عدد القتلى ما بين ألف وألف ومائتين والجرحى بضعة آلاف في طهران وحدها ، وقد شكلت محاكم عسكرية لمحاكمة المتقلين .

في التاسع من يونيو قامت مظاهرات متفرقة ، كما أخمد الجيش ثورة عشائر البوير في جنوب غرب البلاد وقتل زعيمها « عبد الله ضرغام » ، وهدأت الأوضاع تدريجيا بعد أن لم يعد في مقدور المتظاهرين مقاومة الجيش بكامل عتاده وعدته !

في هذا اليوم افتتح الشاه سد شهناز وألقى خطابا قال فيه « انه لمن المؤسف أن يصرح كثيرون ممن تسببوا في الحوادث الأخيرة وشاركوا فيها ، وبعضهم من الجرحى في المستشفيات أو من المقبوض عليهم بواسطة أجهزة الأمن ، ان هناك من أعطى كلا منهم خمسة وعشرين ريالا وقال لهم هرولوا في الشوارع والأزقة وأصرخوا عاليا عاش فلان (يقصد الخميني) ، والآن علمنا مصدر هذه النقود ومن أين وصلت ، وسوف تعلن السلطات كيفية وصولها على مسمع الشعب الايراني قريبا ، والذي يجب أن يعرفه الجميع بوصفهم من أبناء الشعب الايراني هو ما رأيهم ، أولا ، بايراني يتسلم أموالا من الاجنبي ويعمل ضد مصالح مجتمعه ؟ وثانيا ما قولهم في شيعي يتسلم أموالا من شخص مسلم غير شيعي ؟ » .

يبدو أن الشاه لم يكن قادرا أن يتصور أن ثورة الشعب

الايراني ضده كانت بسبب حكمه السيء ، لذلك أراد أن ينسب ذلك الى قوة خارجية استغلت حاجة بعض الأفراد للمال ، ففي الخامس عشر من يونيو أعلن « حسن باكروان » رئيس السافاك في مؤتمر صحافي حضره عدد من المراسلين المحليين والاجانب ، ان الاضطرابات التي حدثت قبض ثمنها الخميني وجماعته ، وأن مصدر الاموال هو جمال عبد الناصر ، وقد تم الاستيلاء على آخر دفعة منها ، وتمادل /١٢٠/ ألف دولار ، مع شخص لبناني يدعى « محمد توفيق القيسي » كان قادما بالطائرة من بيروت ، وأنه تم اعتقال سبعة أشخاص آخرين غير ايرانيين لهم ضلع بالاضطرابات الاخيرة !

أما الخميني فقد أطلق سراحه بعد ثمانية شهور من الاعتقال، ورغم ذلك فقد ظل للنظام الفاسد بالمرصاد ، وعندما قدمت حكومة منصور للبرلمان قانونا بمنح الحصانة الديبلوماسية لكافة الاميركيين العاملين في ايران ، وكان ذلك يعني مزيدا من الخضوع للولايات المتحدة وحطا من كرامة الشعب الايراني ، فقد ألقى الخميني خطابا عنيفا في ٢٦ اكتوبر ١٩٦٤ في تجمع شعبي ضخم في مدينة قم بمناسبة مولد السيدة فاطمة الزهراء قال فيه :

« انا لله وانا اليه راجعون ·

انني لا أستطيع ابداء كل ما في قلبي من آلام ، فلقد ضاق صدري منذ ذلك اليوم الذي سمعت فيه بعض الاخبار السياسية، لقد سيطر علي الأرق والغم ، ويا ليتني مت قبل هذا ، وما شاهدت هذا العار ··· فليس لايران بعد اليوم من عيد ، لقد حولوا العيد الى مأتم ، لقد باعونا وباعوا استقلالنا ، وفي نفس

الوقت أضاؤوا المشاعل ، وأقاموا حفلات الرقص العامة ... انهم صدقوا على قانون الحصانة الذي ألحقنا بمعاهدة فيينا ... انهم منحوا الامريكان بجميع فئاتهم من خبراء عسكريين وفنيين واداريين وخدم وكل من له أدنى علاقة بهم ، الحصانة القضائية ... » .

بعد هذا الخطاب قبضت السلطات من جديد على آية الله الخميني ونفته الى تركيا ، كما أسلفنا ، معتقدة أنها تخلصت من نفوذه بين الجماهير ، ولكن الواقع أثبت ، فيما بعد ، أن ذلك النفي مد الخميني بعطف وانجذاب جماهيري لا حدود له .

المرحلة الثانية :

بالقضاء على الثورة التي أحدثها الخميني ، انتهت المرحلة الأولى من مراحل النضال الوطني وبدأت المرحلة الثانية التي استمرت عشر سنوات أيضا .

اتسمت هذه المرحلة باتساع مدى العمليات العسكرية من الجانبين الحكومي والشعبي ، وباتباع الخصمين أساليب جديدة ، وقام كل منهما بكيل ضربات عنيفة للطرف الآخر ، وكانت حصيلة الصدام اصابة النظام بهيبته وبتزايد عطف الرأي العام العالمي على المناضلين الوطنيين ، أما الشيء الهام فهو استعانة الطرفين بالقوى الخارجية .

أما نظام الشاه فقد استعان بالمدربين والخبراء من الموساد (المخابرات الاسرائيلية) وال C.I.A. (المخابرات الاميركية) في تدعيم جهاز مخابراته ، بل انه اشترك معهم في عمليات مشتركة داخل ايران وخارجها . وأما الحركة الوطنية فقد وجدت

في نهوض المقاومة الفلسطينية بعد سنة ١٩٦٧ خير عون لها في كسب مهارات قتالية عالية والحصول على الاسلحة الفردية الفعالة ، كما يعتقد أن المقاومة الفلسطينية اشتركت مع المناضلين الايرانيين في بعض العمليات ضد نظام الشاه واسرائيل في ايران وخارجها كذلك •

خلفت الثورة وراءها ما يقرب من عشرين ألف شهيد (٧) ، بالاضافة الى الآلاف المعتقلين من علماء وأساتذة جامعات وطلاب وتجار ، وغيرهم ، وفي مقدمة الجميع كان آية الله الخميني ونفر من أصحابه •

بدأ النظام حربا طويلة جديدة ضد رجال الدين ، وكان اطلاق التهمة الكاذبة بأن عبد الناصر مول الثورة ضد الشاه وأن الخميني قبض أموالا من عبد الناصر ، وهذه التهمة كانت باطلة ، لأن الخميني لم يكن بحاجة الى أحد ليحرضه ضد الشاه ، كما أن اندفاع الجماهير في الشوارع كان عفويا وبدون تخطيط وتدبير ، كما كان القصد منها تلطيخ سمعة عبد الناصر ، الذي كانت جماهير ايران تحبه وتحترمه !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى عينت الحكومة وعاظا في المساجد ، كان معظمهم مطواعا لها ولا يتحدث ضدها ، كما أغلقت بعض المساجد ، ووضعت عشرات من رجال الشرطة السرية أمام بوابات المساجد لمراقبة المصلين والتدخل عند الحاجة ، وخففت من البرامج الدينية في الاذاعة والتلفزيون ، غير أنها لم تقدر على منع مظاهر الحزن في أيام التاسع والعاشر

---

(٧) لا يوجد رقم دقيق تماما يمكن الاعتماد عليه ، لكن يمكن التأكيد بأن عدد الشهداء لم يقل عن ١٦ الفا بأية حال .

من محرم (تاسوعا وعاشوراء) وفي ذكرى مصرع الامام علي بن أبي طالب ، وذكرى وفاة فاطمة الزهراء حيث يجري تنكيس الاعلام والتمطيل رسميا ، كما تغلق المرافق العامة والاسواق ٠

جرت في هذه الفترة حوادث اغتيالات عديدة قام بها الوطنيون ضد أعوان الشاه وعملاء السافاك والمستشارين العسكريين الاميركيين ، كما قام عملاء السافاك باغتيالات مماثلة في صفوف الحركة الوطنية أو بين الشخصيات المحبوبة من الشعب ، ففي ١٣ يونيو ١٩٦٤ أعدمت أول مجموعة من العرب الايرانيين في الاهواز بتهمة التجسس لمصلحة دولة أجنبية (العراق) ، كما جرى سنة ١٩٦٧ اغتيال « غلام رضا تختي » بطل المصارعة العالمي الذي كان معروفا بمماداته للشاه وبشعبيته الواسعة بين الجماهير ٠ وعند تشييعه الى مثواه الاخير تحولت جنازته الى مهرجان وطني ضم أكثر من مئة ألف ، وكان ذلك الجمع أكبر تظاهرة من نوعها تحدث في طهران منذ ثورة ١٩٦٣ ٠

في سنة ١٩٦٩ قام بعض سكان طهران بالتظاهر ضد زيادة أجور الانتقال بالباصات ، وسرعان ما تحولت المظاهرات الى مهاجمة مؤسسات البهائيين واليهود وبعض المخافر والمؤسسات العامة ، فنزل الجيش الى الشوارع وفرض منع التجول ، وأعيد تخفيض أجور النقل ٠

وفي السنة نفسها اغتال رجال السافاك الاديب الوطني صمد بهرنكي لمجرد أنه وصف أوضاع الطبقة الفقيرة وآلامها في قصصه ومقالاته ٠

وفي سنة ١٩٦٩ كذلك استشهد آية الله سعيدي وآية الله غفري تحت وطأة التمذيب ، وكانت التهمة التي اعتقلا بموجبها

مطالبتهما برفع أيدي اسرائيل وأميركا عن ايران •

منذ مطلع السبعينات أخذت الكوادر المدربة من مناضلي الحركة الوطنية الذين أمضوا فترات تدريب طويلة في معسكرات المقاومة في الأردن وسوريا ولبنان ، أخذت تقوم بنسف مؤسسات النظام ومهاجمة أوكاره ، والاصطدام العلني مع الشرطة في شوارع طهران (٨) •

من المجموعات المسلحة التي قامت بجهد كبير في هذا السبيل مجموعة « الوردة السوداء (٩) » التي بدأت نشاطها سنة ١٩٧٠ وكانت ذات فكر ماركسي وطني ، وكانت أبرز أعمالها مهاجمة بنك الاعمار الايراني والاستيلاء على مبالغ كبيرة من المال منه ، ومهاجمة مخفر شرطة البازار وقتل بعض أفراده وتدمير مرافقه ، وقد تمت تصفيتها تماما ، اذ أعدم /١٩/ من مناضليها في الدفعة الأولى ، ثم تبعهم /٢٧/ آخرون في الدفعة الثانية ، بينما قتل بقية أعضائها ، ويقرب عددهم من الخمسين ، خلال المصادمات مع الشرطة •

في هذه الفترة جرت محاولة اغتيال الشاه ، في ابريل ١٩٦٥ ، اذ قام أحد جنود الحرس باطلاق نيران رشاشه عليه في قصر مرمر (أي القصر الرخامي) في طهران ، لكنه نجا بأعجوبة بينما قتل جنديان كانا الى جانبه ، وقد صُرع مطلق النار برصاصات الحرس فورا •

لم يكف أبناء الشعب ، خلال هذه الفترة ، عن النضال من

---

(٨) الوطنيون الايرانيون امام محاكم الشاه — وزارة الاعلام العراقية — ص ٩ •

(٩) بالفارسيه سياه كل •

أجل مطالبهم وحقوقهم ، ففي مطلع سنة ١٩٧١ أضرب عمال النسيج في طهران مطالبين بزيادة الأجر ، فاضطرت ادارة المعامل الى زيادة أجورهم ستة ريالات يوميا ، وفي ربيع السنة نفسها أضرب عمال مصنع « زيبا » للاقمشة في طهران ، فتدخلت الشرطة وأجبرتهم على العودة للعمل ، بعد سقوط بعضهم جرحى واعتقال قادتهم . وعندما أضرب عمال مصانع أقمشة « جهان » في كرج قرب طهران ، أطلقت الشرطة عليهم النار فقتلت ٣٢ منهم (١٠) .

قام الخميني خلال هذه الفترة بنشاط بالغ ، رغم بعده عن البلاد ، اذ جعل من مكان اقامته في النجف مركز الاتصال وتجميع المعلومات وبث الرسل والتعليمات بين المقاومة الوطنية في الداخل ومندوبيها وقادتها المنفيين في الخارج ، واستخدم في سبيل ذلك الرسل السريين وزوار العتبات المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء ، وكانت خطبه وتعليماته تنتشر بين جماهير الشعب الايراني بسرعة بالغة ودقة فائقة بواسطة شبكة رجال الدين الواسعة التي تغطي كل مدينة وقرية في ايران (١١) . وكان الخميني لا ينفك عن اعطاء رأيه أو اصدار فتاويه في كل حدث يقع في ايران ، أو في أية بقعة اسلامية ، ومنها نداؤه الشهير للعالم الاسلامي لمواجهة أسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ ، وفتواه المشهورة بجواز تقديم نصيب الزكاة للفدائيين الفلسطينيين باعتبارهم مجاهدين في سبيل الله .

---

(١٠) ايران غربة السياسة والثروة — بني صدر — ص ٨٤ .
(١١) يقدر عدد رجال الدين في ايران بحوالي ١٥٠ الفا .

المرحلة الثالثة :

رغم ان هذه المرحلة هي الأقصر ، اذ لا تتجاوز فترة خمس سنوات تقريبا ، لكنها كانت الاخطر والأهم ، لأنها اتسمت بتصاعد العنف الثوري ، وبتزايد وحشية النظام ، وقد انتهت بهروب الشاه من البلاد وسقوط النظام الملكي ، وبانتصار الخميني وقيام الجمهورية الاسلامية ·

هذه الفترة شهدت عائدا ضخما من الاموال من النفط ، وانفاقا جنونيا على تسليح الجيش الايراني ، وشهدت مزيدا من تبعية ايران السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة في الوقت نفسه الذي أخذت أحلام التوسع والسيطرة تراود مخيلة الشاه ، الذي حاول أن يلعب دور الشرطي في منطقة الخليج تشبها باسرائيل التي تقوم بالدور نفسه منذ ثلاثين سنة في منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط ·

ولما كانت هذه الفترة هامة في تاريخ النضال الوطني الايراني ، فلا بد من شرح معطياتها والعناصر المؤثرة فيها بشيء من التفصيل والتحليل ·

الأحزاب والمنظمات :

ان الاحزاب العلنية التي كان مسموحا لها بالعمل السياسي كانت أحزابا من ضمن النظام ولخدمة مصالحه ، ولم يكن لها محتوى عقائدي أو فكري ، كما أنه لم يكن لها تاثير ، بالتالي ، على سير الأمور في ايران ، ورغم ان بعضها استلم الحكم لسنوات طويلة فانها لم تحدث اصلاحات في البلاد أو تعمل على رفع

مستوى الطبقات الشعبية ، ووظيفتها كانت الهاء الناس في الداخل بأحزاب صورية ومهرجانات انتخابية وقيادات حزبية جوفاء . بينما كان الهدف منها في الخارج اعطاء صورة عن ايران الحديثة ذات النهج الديموقراطي الغربي ذي الاحزاب المتعددة بشكل ممسوخ يخلو من الصدق والواقع .

من أوائل الاحزاب العلنية حزب « الارادة الوطنية » الذي أسسه ضياء الدين طباطبائي بعد عودته من المنفى سنة ١٩٤١ وقد دعمه الانجليز ليقف بوجه الحزب الشيوعي الموالي للسوفيات ، وفي سنة ١٩٤٦ شكل أحمد قوام « الحزب الديموقراطي الايراني » ورغم دعم الحكومة له الا أنه لم يستمر طويلا فانحل ، كما قام في الفترة نفسها « مظفر بقائي » بتأسيس حزب الكادحين المحدود الفعالية والانتشار .

أما الحزبان الرئيسيان اللذان تناوبا الحكم فترات طويلة فكانا حزب الوطنيين (مليون) الذي تأسس سنة ١٩٥٧ وحزب الشعب (مردم) الذي شكل بنفس الفترة ، وقد مثل هذا الحزب المعارضة فترة طويلة ، ومن الطريف أن رئيسه كان يهاجم في المجلس النيابي رئيس الحكومة صباحا ، ثم يسهر معه عند الشاه في المساء ليلعبا البريدج !

في سنة ١٩٦٣ ، بعد اخماد ثورة الخميني ، رأى الشاه أنه بحاجة الى قاعدة سياسية يستند اليها في الحكم وتساعده على تحقيق ثورته البيضاء ، فحل الحزبين وقام حزب سياسي جديد باسم حزب ايران الحديث (حزب ايران نوين) ، وقد ظل هذا الحزب يمثل دوره ضمن سياسة الشاه بدقة متناهية ، وظل رئيسه أمير عباس هويدا رئيسا للحكومة مدة اثنتي عشرة سنة ، وكان

هناك حزب ثانوي فاشيستي الفكرة واستعراضي النزعة هو الحزب القومي الايراني (حزب بان ايرانيست) الذي كان أفراده يرتدون اللباس الفارسي القديم ويحاولون اعادة أمجاد الامبراطوريات الفارسية القديمة !

في ٢ مارس ١٩٧٥ أمر الشاه بحل الحزب الحكومي ، وانشاء حزب جديد يعتمد أسسا جديدة في الانتشار بين الجماهير واستقطاب ولائها ، ودعي هذا الحزب بحزب البعث (رستاخيز) أو النهضة ، وقد استخدمت شتى وسائل الضغط والترغيب للالتحاق به ، بحيث أنه في نهاية سنة ١٩٧٧ تجاوز أعضاؤه خمسة ملايين وبلغ عدد فروعه في أنحاء ايران /٢٥/ ألف فرع، وقد عبر الشاه عن سياسته تجاه الحزب بقوله في تصريح علني :

« ان الايرانيين فئتان ، اما تؤمن بالعرش والدستور وثورة السادس من بهمن (١٢) وبذلك تدخل هذا الحزب ، واما لا تدخله فلا تؤمن بالعرش وبالدستور ، وصاحبها اما عضو في منظمة غير شرعية ، أو يرتبط بحزب توده الشيوعي ، وكل شخص من هذه الفئة سوف يسجن لأنه خائن ، أو عليه مغادرة البلاد ، حتى بدون أن يدفع رسم خروج » .

بلغت ميزانية هذا الحزب في سنة ١٩٧٧ حوالي ملياري دولار كانت تهدر في الدعاية وفي اقامة المهرجانات ، وحشد الهاتفين بحياة الشاه . وقد استطاع الحزب سنة ١٩٧٧ حشد /٣٠٠/ ألف شخص في طهران في مظاهرة موالية للشاه ، ولم يترك

---

(١٢) يقصد بدء اعلان الثورة البيضاء ، وبهمن هو الشهر الحادي عشر في السنة الفارسية التي تبدأ بشهر فروردين الذي يسمى اليوم الاول منه « نوروز » اي اليوم الجديد ويوافق ٢١ مارس في التقويم الميلادي.

الوطنيون هذه الفرصة تمر ، فألقوا بضع قنابل على ذلك الحشد بثت الفوضى في جموعه !

أما الاحزاب السرية ، أو غير الشرعية ، فهي التي تحملت عبء النضال السياسي والعسكري في تلك الفترة الطويلة خصوصا في السبعينات ، وتتراوح مبادؤها ما بين اليمين المتطرف واليسار الثوري . وتختلف برامجها ما بين اصلاحات ليبرالية الى تغييرات راديكالية ، واذا كان لبعضها اتجاه قومي وعلماني فان لبعضها الآخر أهدافا دينية واضحة .

أقدم هذه الاحزاب حزب توده (الكتلة) الشيوعي ، وقد تأسس سنة ١٩٤٢ أثناء الاحتلال السوفياتي لشمال ايران ، وقد استطاع سنة ١٩٤٤ اشغال ثمانية نواب في البرلمان الايراني ، وعمل على توحيد النقابات العمالية الايرانية ، وشارك في الحكومات المتعددة التي تشكلت في تلك الفترة ، وظل الحزب علنيا حتى سنة ١٩٤٩ عندما قام أحد أنصاره بمحاولة اغتيال الشاه ، عند ذلك صدر الامر بحله وبمطاردة أعضائه بلا هوادة ، وخلال الثلاثين سنة الماضية أعدم المئات من أعضائه ونفي وسجن العديد من قادته ، كما أن معظمهم أمضى حياته لاجئا في ألمانيا الشرقية أو تشيكوسلوفاكيا وغيرهما من الدول الاشتراكية حتى عرف بالحزب المهاجر ، وكانت له جريدة تنطق باسمه تدعى الجماهير (مردم) وقد ظلت موقوفة طيلة تلك الفترة .

يؤخذ على حزب توده تقيده الشديد بسياسة موسكو ، مما حد من انتشاره بين الجماهير وقد ازداد موقفه ضعفا بعد تخليه عن مصدق ، ورغم تسلله الى الجيش وانشائه خلايا حزبية عدة ، الا أن الشرطة السرية كانت تكتشفها وتعدم أفرادها فورا ،

وأمينه العام الحالي هو نور الدين كيانوري ٠

أما الجبهة الوطنية (جبهة ملي) فقد أنشأها مصدق سنة ١٩٥٠ من التكتلات السياسية الوطنية والقومية ، ولم يكن لها ايديولوجية واضحة ، لكنها كانت تسعى الى احراز تقدم اقتصادي واصلاح اجتماعي واستقلال سياسي لا يرتهن للاجنبي ولا يخضع للقوى الكبرى ، وبعد القضاء على حركة مصدق ، تمزقت صفوفها وشلت نشاطاتها ، واستطاعت سنة ١٩٧٧ أن تعيد تشكيلها من جديد من التقاء الحزب الوطني الايراني والتجمع الاشتراكي القومي وبعض الشخصيات الوطنية المستقلة ، وتسلم قيادتها « كريم سنجابي » وكان « شاهبور بختيار » آخر وزراء العهد الملكي ، من أبرز رجالها ، وقد خسرت كثيرا من قواعدها الشعبية بعد أن أظهرت اعتدالا تجاه النظام ، اذ كان أقصى ما طالبت به اطلاق الحريات السياسية وتحديد سلطات الشاه ، وتحسين علاقات ايران الخارجية بالدول المجاورة وتخفيف الاعتماد على الولايات المتحدة والتزام الحياد بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، وقد أدى ذلك الى انشقاق بعض الشخصيات البارزة فيها وتشكيل مجموعة سياسية مستقلة باسم « الجبهة الوطنية الديموقراطية » بزعامة هداية الله متين دفتري حفيد مصدق ٠

ومنظمة مجاهدي الشعب الايراني (١٣) تأسست سنة ١٩٦٤ ، وقد لجأت للكفاح المسلح طريقا لعملها ، وقامت بتسديد ضربات موجعة للنظام ، اذ استطاعت اغتيال العديد من كبار الضباط الايرانيين والاميركيين العاملين في الجيش الايراني ،

---

(١٣) سازمان مجاهدين خلق ايران وكان مهدي بازاركان ، اول رئيس وزراء في العهد الجمهوري ، من مؤسسيها .

ومن كبار قادتها « مسعود رجوي » الذي خرج من سجون الشاه عند انتصار الثورة ، وهي راديكالية الاتجاه وتتخذ من أفكار الشهيد « علي شريعتي » منهاجا لها ، وكان لآية الله محمـود طالقاني صلة وثيقة بها ٠

أما منظمة فدائيي الشعب الايراني (١٤) فقد تشكلـت في أوائل الستينات ، واستطاعت في مطلع السبعينات أن تتحول الى قوة عسكرية ناشطة ، قام أفرادها بمواجهة الشرطة الايرانية في معارك بطولية عديدة في طهران والمدن الايرانية الاخرى ، وقد واجه المئات من أعضائها حكم الاعدام ، كما أن المشرات غيرهم ماتوا تحت التعذيب أو اختفت أخبارهم ، وهي تدين بالماركسية المتطرفة ، وتسعى لاقامة جمهورية اشتراكية في ايران ٠

حزب حركة تحرير ايران (١٥) وقد أسسها آية الله محمود طالقاني ومهدي بازاركان في ابريل سنة ١٩٦١ ، وقد لجأت للسلاح لمقاومة النظام ، وهي تسعى لاقامة جمهورية ليبرالية في ايران يكون الاسلام فيها أساسا رئيسيا للاشتراع ، وهي بشكل عام تضم المتدينين التقدميين ، وقد حاربها نظام الشاه بقسوة فاعتقل بازاركان وطالقاني وأعدم وسجن العديد من شبابها ، وكادت تنحل وتتلاشى ، لولا ان المناضل جلال الدين فارسي تطوع لقيادتها (١٦) لغياب قادتها في السجن ، لكـن ازدياد الضغط عليها اضطر جلال الدين الى مغادرة ايران الى أوروبا

---

(١٤) سازمان فدائيين خلق ايران ٠
(١٥) جنبش ازادي ايران ٠
(١٦) يقال ان الخميني امره بذلك حتى لا تضعف المعارضة ضد الشاه ٠

فتسلم قيادتها رجال من الصف الثاني (١٧) ، واستقطبت الحركة فيما بعد ابراهيم يزدي (١٨) وصادق قطب زاده (١٩) وأمير عباس انتظام وغيرهم .

كانت الاحزاب والتنظيمات التي ذكرناها آنفا هي التي تحملت العبء الاكبر من النضال الوطني ضد الشاه ، وهناك أحزاب وتنظيمات عديدة لعبت أدوارا صغيرة على مسرح النضال الايراني ، أبرزها حزب الشعب (خلق) الذي أسسه داريوش فروهر سنة ١٩٥٣ وكان يهدف لاقامة حكومة ليبرالية ، وقد أمضى زعيمه فترة طويلة في سجون الشاه .

حزب أيران وزعيمه كريم سنجابي وينادي بحكومة اشتراكية ديموقراطية ويمثل جناحا من البورجوازية الوطنية .

وحزب العمل الاشتراكي وهو تنظيم تروتسكي صغير ، وكذلك حزب الرابطة الاشتراكية الذي يتزعمه السيد خونجي ، بالاضافة الى منظمة الثوار (سازمان انقلابيون) وهي منظمة ماوية صغيرة .

ومن الاحزاب الصغيرة كذلك منظمة الماركسيين اللينينيين ، ومنظمة الكفاح لتحرير الطبقة العاملة ، وهي تضم الماركسيين الذين انسحبوا من منظمة مجاهدي الشعب الايراني ، وجميع هذه الاحزاب محدودة الانتشار وضعيفة النفوذ ولا يتعدى

---

(١٧) كان بازاركان قد ترأس لجنة الدفاع عن حقوق الانسان الايرانية ليجعل منها واجهة لتغطية نشاطه في حركة تحرير ايران ، وهو يبلغ من العمر اليوم ٧٢ سنة ، وقد كان رئيس شركة النفط في عهد مصدق، وسجنه الشاه ست سنوات .

(١٨) مناضل ذو اتجاه ليبرالي ومتمسك بالدين .

(١٩) تقدمي ومتدين عمره الان ٤١ سنة .

نفوذها محيط الطلبة وبعض العمال ٠

وهناك جبهة تحرير عربستان التي تسعى للحكم الذاتي لعربستان ، أي خوزستان الحالية ، وقد شل نشاطها في منتصف الستينات بعد اعدام وسجن العديد من أعضائها ، وهناك أيضا الحزب الديموقراطي الكردستاني الذي يعمل لاقامة حكم ذاتي للاكراد ضمن الدولة الايرانية ، وقد ظل يعمل سرا ستة وعشرين سنة ، وأمينه العام عبد الرحمن قاسملو ، وقد خرج الى الملن بعد نجاح الثورة ، لكنه عاد للسرية بعد أحداث كردستان الدامية صيف ١٩٧٩ ٠

الشرطة السرية :

بعد القضاء على حركة مصدق ، وخوفا من نمو الحركة الوطنية وقيامها بعمل مفاجيء ضد النظام ، أمر الشاه بتأسيس جهاز خاص للمحافظة على أمن الدولة وملاحقة معارضي النظام وتحطيم قدرتهم ودعي هذا الجهاز « بمؤسسة الامن والمعلومات الوطنية » واختصارا باسم « سافاك » وهي مركبة من الاحرف الأولى لاسم الجهاز بالفارسية (٢٠) وكان ذلك في ٢٠ مارس ١٩٥٧ ، وجاء في القانون الموجب لتأسيسها أن الفرض منها منع أية مؤامرة أو اعتداء على المصلحة العامة ٠

تنص المادة الثانية من قانون السافاك على جمع مختلف المعلومات الضرورية لحفظ أمن الدولة ، وملاحقة أعمال

---

(٢٠) يدعى بالفارسية « سازمان امنيت واطلاعات كشور » والمعروف ان حرف الواو الفارسي يلفظ غالبا مثل حرف V بالانجليزية ٠

التجسس وكل ما يستهدف استقلال ايران وسلامة أراضيها ، ومنع أي مجموعة غير شرعية من ممارسة نشاطها ، والحيلولة دون قيام أي نشاط غير دستوري ، وكشف المؤامرات التي تهدد أمن ايران واستقرارها .

قبل انشاء جهاز السافاك كانت الاستخبارات الايرانية مؤلفة من قسمين أحدهما يتبع الجيش والآخر الشرطة ، وكانت مهمتها جمع المعلومات عن أفراد الجيش ومراقبة الشخصيات السياسية، وكذلك الاحزاب والنقابات والصحف ، وقد أصبحت هذه المهمات من مسئولية السافاك ولاعطاء أهمية للجهاز الجديد فقد عين رئيسه برتبة نائب رئيس للوزراء (٢١) .

كان أول رئيس للسافاك الجنرال تيمور بختيار ، الذي تمتع بسلطة مطلقة ، وعندما برز الخلاف بينه وبين الشاه حول تطبيق قانون الاصلاح الزراعي ، أدى ذلك الى نشوب اضطرابات دامية في طهران ومدن مقاطعة « فارس » في وسط البلاد حيث تقيم قبائل بختياري القوية ، وقد اضطر الشاه الى عزله ، بعد أن أصبح يشكل خطرا عليه ، ونفاه من ايران ، فذهب الى أوروبا ، ثم جاء الى لبنان سنة ١٩٦٧ ، وبعد ذلك استقر في العراق ،وخلال هذه الفترة كان بختيار يدبر المؤامرات ضد نظام الشاه ، ويعقد المؤتمرات الصحافية التي تندد بالحكم الشاهنشاهي ، وقد طاردته السافاك حتى تمكنت من تدبير اغتياله في بغداد سنة ١٩٧٤ بواسطة معاونه البريطاني الجنسية (٢٢) .

الرئيس الجديد للسافاك كان « حسن باكروان » الذي استخدم

---

(٢١) السافاك الوجه الامبريالي للفاشية ــ ص ١٨ .
(٢٢) المصدر السابق ص ٢٠ .

الاساليب النفسية في معاملة أعداء النظام أكثر من اللجوء الى التعذيب الجسدي ، وكان قد تدرب على ذلك على أيدي خبراء أمريكيين ، لكن الشاه اعتبر الضغوط النفسية تساهلا واعتدالا لا يصلح في بلد كايران ، فعزله من منصبه وعينه سفيرا لايران في باريس ·

عين الشاه سنة ١٩٦٥ الجنرال « نعمة الله نصيري » رئيسا للسافاك فعمل هذا على توسيع جهازه وتنظيمه على أحدث الاساليب العصرية ، خصوصا وأن التعاون مع جهازي المخابرات الاميركي والاسرائيلي توثق واتسع ، فتجاوز عدد عملاء السافاك لأول مرة ، ثلاثين ألف عميل ، وبعض المصادر تبالغ في عدد العملاء فتجعلهم ، عند سقوط الشاه ، ثلاثة ملايين عميل (٢٣) ، وكان الجنرال « ناصر مقدم » آخر رؤساء السافاك وبينما كانت ميزانية السافاك سنة ١٩٧٣ هي ٢٢ مليار ريال (حوالي ٢٥٥ مليون دولار) فانها بلغت في السنوات التالية أرقاما خيالية ، وكانت تلك السنة هي آخر مرة ينشر فيها رقم الميزانية رسميا ·

تتألف السافاك من ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول المكاتب الرئيسية وهي مسئولة عن التنظيم الداخلي والتنسيق مع فروع السافاك الخارجية ومع السفارات الايرانية في أنحاء العالم ·

القسم الثاني خاص بالماصمة طهران ، والقسم الثالث يدير كل الشؤون المتعلقة بالأقاليم الايرانية ·

---

(٢٣) السافاك — ص ٢١ ·

يتالف القسم الاول من تسعة مكاتب رئيسية يختص الاول منها بالتخطيط والادارة والتمويل ويشرف الثاني على جمع وتحليل وتنسيق المعلومات الخارجية ومنها كل ما يتعلق بالشيوعية الدولية ، ويعتبر المكتب الثالث أهم المكاتب في جهاز السافاك لأنه يشرف بدوائرم المختصة على المدارس والجامعات وعلى الطلاب في الخارج ، وكذلك على الفلاحين والعمال وعلى الأحزاب والجمعيات وعلى موظفي الوزارات المختلفة وعلى أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب ، وعلى الصحافة ووسائل النشر ، وفيه دائرة خاصة لجمع كل المعلومات عن نواحي الاعتراض والاستياء والاستنكار لدى الرأي العام تجاه النظام وتسجيلها وتبويبها ، ويعتبر المكتب الثالث آضخم المكاتب في السافاك وأكثرها أهمية وفاعلية •

أما المكتب الرابع فمهمته مراقبة عملاء السافاك أنفسهم وجمع المعلومات عنهم وحمايتهم عند الحاجة • والمكتب الخامس مختص بالأمور الفنية والسادس يتعلق بالنواحي الادارية والسابع مهمته التنسيق مع المخابرات الصديقة (خصوصا الولايات المتحدة واسرائيل) ، أما المكتب الثامن فوظيفته مكافحة الجاسوسية والتاسع يشرف على فروع الخارج •

وقسم الأقاليم يشرف على كل ما يجري في المدن الايرانية والريف ، ويعتمد على كتائب المعرفة والصحة وغيرها التي أنشأها النظام في اطار الاصلاحات التي نادى بها الشاه ، وعن طريق هذه الكتائب تمكن عملاء السافاك من التقاط أنفاس وتسجيل همسات الفلاحين والقرويين في زوايا القرى الايرانية النائية •

منذ سنة ١٩٧١ أصبح للسافاك ممثل في كل وزارة برتبة مدير عام أو بمنصب مماثل ، كما كان لها في كل دائرة أحد العملاء المحترفين (٢٤) .

يقسم العاملون بالسافاك أو معها الى ثلاث فئات : الموظفون الدائمون على اختلاف رتبهم ، وهؤلاء كان عددهم يقرب من ٥٠ ألفا ، وقد يكون أقل من ذلك لكنه لا يقل عن ٣٠ الفا بأية حال ، والفئة الثانية العملاء المتعاونون ويقدر عددهم بمئات الألوف ومعظمهم من العاملين في المقاهي والملاهي والفنادق والمطاعم والنوادي وبين سائقي السيارات وبوابي العمارات وعمال التنظيفات وغيرهم ، وهم لا يتقاضون أجرا ازاء المعلومات التي يقدمونها ، غالبا ،ويعتبرون غنيمتهم بالنجاة ووقوع الأذى على غيرهم ، أما الفئة الثالثة فهم العملاء الموسميون أي الذين يقدمون معلومات خاصة ، ويتقاضون منحا ومكافآت بين وقت وآخر ، وهؤلاء كانوا من جميع طبقات الشعب الايراني ، ومن كافة الاعمار ، وبينهم عدد كبير من النساء ، ويقال ان عددهم كان بالملايين !

هذا الجهاز الضخم ذو الامكانيات الهائلة استطاع أن يسيطر على شعب ايران ويحصي عليه أنفاسه ويعد عليه خطواته ، ويضمن للشاه حكما طويلا وهادئا ، لولا ان الشعب الايراني كان لديه قوتان جبارتان استخدمهما تماما هما الايمان الديني العميق والعنف الثوري الساطع ، واستطاع بهما هزيمة الشاه ونظام حكمه رغم شبكة السافاك الرهيبة وحشود القوات المسلحة وأسلحتها المرعبة :

---

(٢٤) المصدر السابق — ص ١٨ .

اذا الشعب يوما أراد الحياة   فلا بد أن يستجيب القـدر
ولا بـد لليـل أن ينجلـي   ولا بد للقيـد أن ينكسـر

ان الارهاب الذي نشرته السافاك في ايران كان لا مثيل له في التاريخ المعاصر ، مما جعل كثيرا من وسائل الاعلام الاجنبية تطلق على ايران اسم بلاد الخوف (٢٥) ، وقد وصلت قـدرة السافاك الى كل قرية وشارع في أنحاء ايران ، كما انها استطاعت الوصول الى كثير من أحرار الايرانيين في مختلف بلدان أوروبا أو أمريكا والقضاء عليهم ، وقد استطاع عملاء هذا الجهـاز القضاء على الوطني الكبير الدكتور علي شريعتي في ١٩ يونيو سنة ١٩٧٧ في لندن بعد وصوله اليها بفترة قصيرة ، وكان قد سجن عدة سنوات بعد حركة مصدق ثم أطلق سراحه فسافر الى فرنسا ، ثم رجع الى بلاده سنة ١٩٦٥ فأعيد اعتقاله ، ثم أطلق سراحه سنة ١٩٦٦ فعمل بالتدريس في جامعة مشهد ثم في جامعة طهران ، وكان يلقي محاضرات فكرية في حسينية الارشاد جلبت اليها جمهورا كان يتزايد باستمرار ، مما جعل السلطات تغلق الحسينية سنة ١٩٧٣ وتعتقل « شريعتي » وأشخاصا آخرين ، وبعد سجنه بضع سنوات وضع في الاقامة الجبرية ، حتى تمكن من السفر الى لندن سنة ١٩٧٧ حيث اغتيل كما أسلفنا .

استخدمت السافاك ضد الوطنيين أساليب متعددة اتسمـت جميعها بالقساوة والوحشيـة وتعارضها مع أبسـط المبادىء الانسانية .

---

(٢٥) تقرير المحامية الفرنسية مادلين لافوفيرون المترجم للعربية .

فالمعتقلات والسجون (٢٦) كانت تزدحم بالمعتقلين بحيث لا يكاد يجد أحدهم مكانا لينام عليه ، وكانت تعطي كل معتقل بطانية واحدة لا تكفيه في جو المعتقل الرطب والبارد ، كما أن الطعام كان رديئا وكان تقديم الطعام للمعتقل يبدأ في اليوم الثاني أو الثالث من اعتقاله ، بعد أن يأخذ«ريجيما اجباريا خلال اليومين الأولين ، وكان الطعام يتألف غالبا من الخبز الأسود ومن الفول أو الحمص أو العدس المسلوق ، وكان الطبخ رديئا ، ولذلك كان بعض المعتقلين محظوظين جدا اذا تمكنوا من جلب طعام من الخارج بعد دفع مبالغ باهظة ، وكان الطعام يوزع في آنية من الورق .

من الوسائل النفسية لاذلال الوطنيين ومحاولة انتزاع المعلومات منهم كانت تعريضهم لجلسات طويلة من التحقيق المتواصل حتى يصيب المتهم الاعياء أو الاغماء ، كما كان من بينها وضع مكبرات صوت خفية يسمع منها المتهم أصوات التعذيب وصراخ وأنين المتهمين ويتكرر ذلك ساعات عدة خلال النهار والليل . فيتصور أن التعذيب مستمر ليلا ونهارا وأن دوره قادم ، مما يضعف من عزيمته .

أما أكثرها لا أخلاقية فكانت احضار أمهات المعتقلين أو زوجاتهم أو شقيقاتهم وبناتهم الى المعتقل والتهديد بضربهن أو اغتصابهن اذا لم يعترف المتهم ، وتنفذ ذلك اذا صمد أمام

---

(٢٦) مثل سجن قصر وافين والمركزي والقلعة وكميته الرهيب وكلها في طهران ، وفي سنة ١٩٧٨ قدرت لجنة العفو الدولية عدد المعتقلين السياسيين في ايران من ٢٥ الى ١٠٠ الف ، وهذا التفاوت يرجع الى السرية المطلقة التي فرضتها السلطات على هذا الموضوع .

تهديدهم ، كما كانوا يعملون على تجويع المتهم ، واهانته بفاحش القول وأحط ألفاظ السباب واتهامه بأشنع الصفات !

أما التعذيب الجسدي الذي ينتهي غالبا بالموت فكان لرجال السافاك فيه شهرة عالية ، خصوصا وان المسئولين عن التعذيب كانوا مدربين على درجة عالية في الولايات المتحدة واسرائيل وفي ألمانيا الغربية وغيرها .

من وسائل التعذيب التي استخدمها السافاك تسليط تيار كهربائي ضعيف على جسم المعتقل لارهاق جهازه العصبي وحرق جلده ببطء ، مع الآلام الجسدية التي ترافق ذلك ، وادخال البيض المسلوق وهو ساخن في مؤخرة السجين ، أو ادخال زجاجات مكسورة أو عصا غليظة وتحريكها بعنف ! كما كانوا يلجأون الى اجبار المتهم على تناول كميات كبيرة من الماء بحيث تصبح معدته كالبالون ، أو تناول جرعات وافرة من الامفيتامين !

كما كانوا يربطون أثقالا بخصية المعتقل تسبب له آلاما مبرحة ، أو يعلقونه من يديه أو من يديه وساقيه معا فيما اصطلحوا على تسميته « بأرجوحة النعيم ! » سخرية من المناضلين ! واستخدموا الامواج الصوتية التي تجعل الانسان يفقد أعصابه ويسعى للانتحار للعذاب الذي يعانيه وكانوا يستعملون أسلوبين أحدهما وضع خوذة خاصة على رأس المتهم تجعله يسمع صراخه بصورة مضاعفة (٢٧) ؛ والثاني استعمال جرس خاص يصدر طنينا ذات موجات حادة تفقد المتهم سمعه وتحدث له طنينا مؤلما في الأذن وارتجاجا في المخ وأحيانا فقدانا للأعصاب !

---

(٢٧) السافاك ـــ ص ٣٤ .

كما كانوا يستعملون أحيانا سوطا ناعما من المطاط لا يترك آثارا خارجية على الجلد لكنه يحدث تمزقات داخلية تجعل المتهم يعجز عن الحركة أو النوم ويتمنى الموت في كل لحظة ، أما أكثر تلك الوسائل قسوة ، فكانت الطاولة المعدنية الكهربائية التي يربط اليها المتهم عاريا ، ويبدأ تسخينها بالتدريج حتى يفقد وعيه ، وتحدث له حروقا بالغة تترك على جلده ندوبا طيلة الحياة ، اذا قدر له الخروج من ذلك السجن حيا ، وكان المولج بالتعذيب بهذه الوسيلة يخطيء أحيانا فيسري تيار بالغ القوة فجأة في جسد المتهم فيحرقه فورا ، وتُسمع « طقطقة » عظامه وعموده الفقري ، كما ذكر ذلك شهود عيان عندما قتل المناضل بهروز دهقاني بهذه الطريقة (٢٨) ٠

للسمعة السيئة التي عرفت بها السجون والمعتقلات الايرانية، فان بعض المناضلين كانوا يحملون معهم أقراصا من السيانور ليبتلعوها فور القاء القبض عليهم حتى لا يتعرضوا للتعذيب على أيدي السافاك (٢٩) ، هذا مع الاشارة الى أن ألوف المعتقلين الوطنيين من شباب وشابات ، تحملوا كل مراحل التعذيب بصلابة وصمود ، يستحقان اعجاب الجميع ، ما عدا رجال السافاك طبعا ، وممن اشتهرت أسماؤهم في هذا المجال فاطمة شايكان (٣٠) وشيرين معاضد وشكر الله باكنجاد ٠

في السنوات الاخيرة لجأت السافاك الى عمليات الاغتيال المنظم،

---

(٢٨) الوطنيون الايرانيون امام محاكم الشاه ــ ص ٤٦ .
(٢٩) رحلة الى بلاد الخوف ــ ص ٥٨.
(٣٠) رحلة الى بلاد الخوف ــ ص ٦٠ .

بإطلاق النار على الضحية أو بطعنه بالخنجر (٣١) ، ويجري تحقيق في الجريمة حيث يختم الملف بالادعاء على مجهول ، أو كان عملاء السافاك يفتعلون مع الضحية خلافا فوريا ، ثم يقتلونه ويهربون بسرعة ، أو يجري خطف الشخص المطلوب من منزله أو مركز عمله أو خلال عبوره الطريق ، ثم تختفي آثاره وفي الغالب تجري تصفيته ببرودة أعصاب !

وفي الخارج حاربت السافاك الطلاب الايرانيين الذين يدرسون في أوروبا وأمريكا وكان معظمهم معارضا للنظام الشاهنشاهي ، بعدم تجديد جوازات سفرهم ، أو عدم تصديق وثائقهم العلمية والشخصية ، بالاضافة الى محاربتهم في مصدر عيشهم ودخلهم كذلك (٣٢) ، كما كان عملاء السافاك يتسللون الى مساكن الايرانيين ، من مواطنين وطلاب،في الخارج ويحصلون على أية وثيقة أو دليل يدين صاحب المسكن ، ولا يتعرضون له حتى اذا ما عاد للوطن قبضوا عليه بتهمة الخيانة أو التآمر وعرضوا عليه الوثائق التي سرقوها من منزله (٣٣) .

لم تكتف السافاك بالعمل غير المنظور ، بل ساهم رجالها في قمع المظاهرات مع الشرطة ، وكانوا يمزقون كتب الطلاب ومحاضراتهم ، ويشعلون النار في أثواب الطالبات أو يقومون أمامهن بحركات منافية للذوق والأدب ، ويهينون الاساتذة علنا وقد يضربونهم أمام طلابهم !

---

(٣١) كان لدى السافاك رجال مدربون جيدا على الطعن بالخنجر او على تسديده عن بعد على مواضع قاتلة في جسم الضحية ، ويعرفون باسم « جاقوكشان » .

(٣٢) السافاك ــ ص ٦١ .

(٣٣) المصدر السابق ــ ص ٧٤ .

أما الرقابة على الصحافة وكافة المطبوعات ، وكذلك على المحاضرات والافلام والمسرحيات ، فكانت شديدة صارمة ،وكانت الاجتماعات ممنوعة لأكثر من ثلاثة أشخاص الا باذن مسبق ٠

كانت الرسائل وكذلك المكالمات الهاتفية مراقبة ليلا نهارا ، وكانت أية كلمة يزلق بها اللسان ضد النظام أو الشاه قد تكلف المرء حياته ، وكان السفر للخارج لا يتم الا بعد تحقيق طويل مع الراغب بالسفر ومع أهله وحتى أصدقائه وجيرانه ، ولذلك كان لا يستطيع السفر الا المحظوظون ٠

أما الكتابة فكان لا بد من أن تخلو من أي انتقاد أو استنكار أو تحريض ، وتخلو من وصف الاوضاع السيئة التي يمانيها الشعب ، ولا تحتمل أي نقد مباشر أو بشكل غير مباشر ، لأن الكلمة الصادقة قد تعرض صاحبها لمصير مجهول ، قد يكون اغتيالا سريعا أو سجنا طويلا لا نهاية له ، فقد اعتقل المؤلف المسرحي « محسن يلقاني » والمخرج المسرحي « سعيد سلطانبور » لعرضهما مسرحية « المعلمين » التي تصور حياة هذه الفئة بواقعية ، وقد سجن يلقاني أربع سنوات قابلة للتمديد (٣٤) ٠

والشاعر « نسيم خاكسار » اعتقل لأن قصائده تصف الحياة المريرة التي يعيشها أهل خوزستان ، بينما النفط يجري من حولهم ليصب في خزانات أوروبا ! والباحثة الاجتماعية (ويدا حاجبي تبريزي » التي أنهت علومها في باريس ورجعت لخدمة بلادها ، اختطفها السافاك من الشارع سنة ١٩٧٢ وحكمت بالسجن ثماني سنوات لأن أبحاثها الاجتماعية دلت بالأرقام على بشاعة الفقر واستفحال المرض وتدني التعليم المسيطر على

---

(٣٤) رحلة الى بلاد الخوف ــ ص ٢٢ ٠

قطاعات واسعة من الشعب الايراني ، وقد شوهدت في سجنها مكبلة اليدين والقدمين في زنزانة منفردة وآثار التعذيب ظاهرة على جسدها .

أما جريمة « علي أشرف درويشيان » التي سُجن بسببها عامين فقد كانت اعارة كتبه الشخصية الى أصدقائه ، وتحريضهم على القراءة والاطلاع !

ومن الجرائم البشعة التي ارتكبها السافاك ضد الطلاب الأبرياء اقتحام مكتبات الطلبة وتمزيق محتوياتها ، وهذه المكتبات أسسها طلاب الجامعات لتكون مراكز لتبادل الكتب فيما بينهم حتى لا يكونوا تحت رقابة رجال السافاك اذا ما استعاروا كتابا معينا من مكتبة الجامعة أو المكتبات العامة ، لأن السافاك كانت تعتقل الشباب بحسب نوعية الكتب التي يقرأها !

لقد كان مجرد وصف الليل بالسواد يعني الاشارة للسلطة ، أما التطرق ، في مقال أدبي ، الى ذكر شروق الشمس أو بزوغ الفجر بعد حلكة الليل فكان يعني تلميحا بالثورة ، وعند اعدام الشاعر الشعبي « خسرو كلسرخي » سنة ١٩٧٣ لم يعد أحد بعد ذلك يجرؤ على ذكر الوردة الحمراء (كلسرخ بالفارسية) لأنه قد يعني تذكير الناس بالشاعر الشهيد ويصبح عرضة للسؤال والجواب !

بسبب هذا الارهاب ضد الفكر والثقافة فقد نقص عدد الكتب المنشورة في ايران ، فبينما بلغ عددها أربعة آلاف كتاب سنة ١٩٧٠ لم يتجاوز عددها ألف كتاب سنة ١٩٧٥ وكان بعضها مترجما والبعض الآخر أكاديمي بحت ! وقد اضطر الاديب « علي أصغر تجويدي » الى نشر رسالة مفتوحة للشاه في مايو

١٩٧٧ يقول فيها : « نحن نستأذنك يا صاحب الجلالة بأن تسمح لنا بنشر مؤلفاتنا بحرية ! » وفي الشهر التالي من السنة نفسها أعلنت الجبهة الوطنية أن الطغيان الشاهنشاهي قد وصل الى كل شيء !

حتى ان مهدي بازاركان عندما نشر كتابا علميا عن الحرارة الحيوية وتقلبات المناخ أحرقت السافاك كتابه ، ليس لمضمون الكتاب ، ولكن لأن بازاركان نفسه من المناضلين الذين تكرههم السافاك ، كما أن الملا علي أكبر هاشمي سجن أربع سنوات لنشره كتابا عن سيرة « أمير كبير » المصلح الايراني المظيم في القرن التاسع عشر ، وقد لاقى الكتاب رواجا هائلا ٠

والطالب « حسين طباطبائي » الذي كان يدرس الجيولوجيا في ألمانيا الغربية اختطفته السافاك من الشارع وحكمت عليه بالسجن عشر سنوات،لمرافقته للمحامي الالماني هيلدمان كمترجم، عندما جاء للتعرف الى أحوال المعتقلين السياسيين في طهران ، وقد طرد هيلدمان من البلاد فورا بعد مصادرة أوراقه ووثائقه ، وقد علق هيلدمان أنه لم يستطع التعرف الى أحوال المعتقلين السياسيين ، لكنه غادر البلاد وهو متأكد أن عددهم ازداد واحدا !

ومهندس المناجم « لطف الله ميسمي » اعتقل سنة ١٩٧١ أثناء حفلة زفافه ، وعندما استطاع أهله زيارته سنة ١٩٧٤ ، وكان ذلك من الأمور النادرة ، كانت عيناه عمياوين ويداه مبتورتين !

والمناضل « منوجهر حامدي » كان ماركسيا صلبا ، استطاع الخروج من ايران سرا سنة ١٩٥٩ ، وكان له دور كبير في انشاء

رابطة الطلبة الايرانيين في أوروبا ، وفي سنة ١٩٦٩ تدرب مع الفدائيين الفلسطينيين ، وشكل مع بعض رفاقه مجموعة أبو علي اياد المقاتلة ، وعاد مع رفاقه الى ايران سرا سنة ١٩٧٤ ، وقامت تلك المجموعة بتسديد ضربات ناجحة لمؤسسات النظام وبعض أركانه ، غير أنه اعتقل سنة ١٩٧٦ وانقطعت أخباره منذ ذلك الوقت .

وخريج كلية الحقوق في طهران « مسعود رجوي » وكان أحد الاعضاء البارزين في منظمة مجاهدي الشعب الايراني ، اعتقل سنة ١٩٧١ مع خمسة وسبعين من رفاقه ، وحكم معظمهم بالاعدام ، لكن ضغط القوى التقدمية في ايران وخارجها ، عدلت حكم الاعدام الى السجن المؤبد (٣٥) ، ولم يخرج من سجنه الا بعد انتصار الثورة .

و « الرفيقة الأم » هو لقب فاطمة شايكان الذي اشتهرت به ، وكانت عضوا في منظمة فدائيي الشعب الماركسية ، وعندما جاء السافاك لاعتقال ولدها « نادر » رفضت تسليمه لهم فقتلوه أمام عينيها سنة ١٩٧٣ ، وفي السنة التالية اعتقلت أثناء قيامها بمهمة فدائية ، وحكم عليها بالسجن اثنا عشر عاما ، ونتيجة للتعذيب الوحشي الذي تعرضت له شلت يداها ، كما سقط ولداها ، وأعمارهما ١١ و١٤ سنة ، صريعين برصاص السافاك سنة ١٩٧٦ ، وبعد بضعة أشهر لحق بهما ابن شقيقهما نادر قتلا برصاص الشرطة وكان عمره تسع سنوات فقط (٣٦) .

أما « صديقة رضائي » فتلقب « بأم المجاهدين » حيث سقط

---

(٣٥) رحلة الى بلاد الخوف ــ ص ٥٤ .
(٣٦) المصدر السابق ــ ص ٦٠ .

لها أربعة أبناء كانوا جميعا ، بالاضافة اليها ، أعضاء في منظمة مجاهدي الشعب الايراني ، وكانت السافاك قد أعدمت ولديها « رضا ومهدي » سنة ١٩٧١ ، واشتهرت قصيدة مهدي التي خاطب بها أمه قبيل اعدامه وهذه مقاطع منها :

« يا أمي روحي سترجع ثانية
فلا تدوري في الشوارع بعين باكية
شمس عمري الشديدة الاشتعال
قد تغرب ، تغرب عند الظهر تماما
ألست أنت من قلت لي
أن طريق الله هي طريق الشعب ؟
وأنه في سبيلها فلتجاهد بحياتك
لأن رجال الحق هم طليعة الاحرار
حيث تخلص نفسك من سلطة كل اسار » .

كما قتل ولداها الآخران ، واحدهما يدعى أحمد ، تحت التعذيب بعد أن قتلا « جاويد » أحد ضباط السافاك . وقد تعرضت الأم خلال سجنها الى تعذيب وحشي ، فكانت تعلق بالسقف من يديها عدة ساعات ، وتضرب بالسوط على قدميها حتى تدميا ، ولم تتمكن السافاك من انتزاع كلمة واحدة منها ، كما سجنت بنتاها أيضا ، من زوجها الاول ، واحداهما حكمت بالسجن مدى الحياة ، والثانية ، وكان عمرها لا يتجاوز أربع عشرة سنة ، سجنت ثلاث سنوات ، ولم يكن لدى السافاك أي دليل ضدها !

وهناك أكثر من عائلة نكبت بقتل كل أفرادها ، أو معظمهم ، فعائلة مفتاحي أعدم منها شقيقان ، وعائلة أحمد زاده أعدم

منها شقيقان واختفت شقيقة ثالثة !

و « شكر الله باكنجاد » قبض عليه مع ١٧ من رفاقه قرب الحدود العراقية سنة ١٩٧٠ ، وكان عائدا مع مجموعته الى ايران سرا بعد أن تدرب مع رفاقه في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين ، وقد عرفت مجموعته بمجموعة فلسطين ، وقد حكم عليهم جميعا بالاعدام ، لكن ضغط الرأي العام العالمي خفف الحكم الى السجن المؤبد ، وقد تسرب للخارج التعذيب الوحشي الذي يلقاه باكنجاد ورفاقه ، سئل الشاه في مؤتمر صحافي عالمي عن ذلك ، فأنكره ، لكنه اعترف ضمنا بوقوع بعض حوادث التعذيب أحيانا ، وان زعم ، ان ذلك لم يكن سياسة دائمة !

وفي حديثنا عن بطولات المناضلين الوطنيين من الرجال ، لا يمكننا أن نغفل ذكر المناضلات الايرانيات اللواتي تعرضن للتعذيب والاعتقال ، وأظهرت جرأة وشجاعة خارقتين ، بل ان بعضهن أحرزن شهرة أسطورية !

فعندما حاصرت السافاك المناضلة « شيرين معاضد » والشاعرة الرقيقة « مرضية اسكوئي » في أحد المنازل بغية القبض عليهما ، قاتلتا ببسالة نادرة حتى استشهدت مرضية وجرحت شيرين ، وبعد اعتقالها صمدت للتعذيب ورفضت اعطاء أية معلومات عن الوطنيين ، وقد استطاع أحد الصحافيين أن يلمحها في فناء السجن وقد غطت الحروق معظم جسدها !

أما « أشرف دهقاني » فقد أصبحت بطولتها على كل لسان ، فقد اعتقلت سنة ١٩٧١ وكان عمرها ٢٢ سنة ، وحكمت بالسجن عشر سنين ، وقد صمدت للتعذيب المتواصل ستة أشهر دون أن

تفيد السافاك بأية معلومات ، وقد جلدتْ بالسياط وهي عارية ، وكانت تربط الى مقعد وتترك عليه في حجرة مظلمة ورطبة ، وقد ألقوا عليها أفاعي غير سامة كانت تلتف على جسدها ، كما ملأوا زجاجات بالماء الغالي ووضعوها على صدرها وبطنها ، فأحدثت لها حروقا شديدة ، وأكرهوها على شرب مياه قذرة ، وحرموها من الطعام فترات طويلة ، وكسروا أصابع احدى يديها ، وأخيرا أحضروا شقيقها « بهروز » وظلوا يعذبونه أمامها حتى مات بعد أحد عشر يوما ، وقد تمكنت في ٢٦ مارس ١٩٧٣ من الهروب من سجن قصر الرهيب ، وبعد أن استراحت فترة استعادت بها حيويتها قامت بعدة عمليات مسلحة ضد النظام !

ولم ينج رجال الدين من التعذيب والموت في سجون السافاك ، فمات آية الله سعيدي في السجن في ربيع سنة ١٩٧٠ ، وآية الله آذرشاهي عذب حتى الموت في صيف ١٩٧٤ وكان عمره ٦٥ سنة ، وآية الله محمود طالقاني العالم الديني الكبير وامام مسجد هدايت في طهران أمضى ما يزيد عن أحد عشر عاما من عمره في سجون النظام ، وقد سجن أيضا ابنه وابنته وكانا قد تدربا مع الفدائيين الفلسطينيين ، كما أن ابنا آخر له كانت تطارده السافاك لانتمائه الى منظمة مجاهدي الشعب ، ونتيجة للضغط الشعبي والعالمي أطلق سراح طالقاني في صيف ١٩٧٨ فاستقبله عند خروجه من السجن ما يقرب من ربع مليون شخص هتفوا بحياته ونددوا بالديكتاتورية !

وآية الله محمد منتظري حكم بالسجن عشر سنوات ، وقد عمل في بيروت كضابط ارتباط بين المقاومة الفلسطينية والثوار

الايرانيين وعرف بين أصدقائه باسم (أبو أحمد) •

العدالة الشاهنشاهية :

كان المعتقلون السياسيون يمثلون أمام المحاكم العسكرية المشكلة طبقا لقانون سنة ١٩٥٧ ، وهو القانون نفسه الذي تشكل بموجبه جهاز السافاك • وكانت المادة ٧٩ من قانون العقوبات تحتم حضور لجان منصفة أثناء النظر بالقضايا السياسية • كما أنه بموجب القوانين السارية يحق للمتهم الدفاع عن نفسه وتوكيل محام ، كما لا يجوز توقيف أي شخص أكثر من ٢٤ ساعة بدون تقديمه للمحاكمة •

كما تحتم القوانين كذلك اجراء محاكمات عادلة وعلنية ومنح المتهم الوقت الكافي وكذلك محاميه لتهيئة دفاعه ، كما لا تمنع حضور أهل المتهم وأقربائه أو المراقبين والصحافيين ، كما أنه كان واجبا على سلطات السجون تهيئة المكان والطعام المناسبين للموقوفين ، وعدم ممارسة أي تعذيب جسدي أو معنوي يعرض جسد المعتقل أو حياته للضرر أو الخطر •

لكن عدالة الشاه ضربت بكل تلك النصوص والقوانين عرض الحائط ، وأنزلت بالمعتقلين أشد أنواع التعذيب والتنكيل ، وساقت المعتقلين الوطنيين الى ساحات الاعدام فرادى وجماعات في قسوة ووحشية لا يعرفها الا نظام فاشي عريق ، أو حكم ديكتاتوري غاشم !

لقد جرت معظم المحاكمات بسرية مطلقة ، ولم يسمح لأهل المتهمين أو أقربائهم بحضورها ، كما منع الصحافيون الايرانيون

والأجانب من حضور جلسات المحاكم ، ولم يسمح بحضور تلك المحاكمات أو بمقابلة بعض المتقلين الا في حالات استثنائية معدودة ، ولفترات وجيزة جدا ، ونتيجة لضغوط عالمية واسعة قامت بها لجان الدفاع عن حقوق الأنسان الدولية ومنظمة العفو الدولية والهيئات التقدمية في أنحاء مختلفة من العالم ، ومن المحامين الذين تمكنوا من حضور بعض جلسات تلك المحاكم ، أو التحدث خلسة الى المتقلين ، كان المحامون الفرنسيون كريستيان بورجيه ونوري البلا وهنري ليبرتاليس والمحامية مادلين فيرون !

كان القضاة ورجال الادعاء العام وحتى المحامون في المحاكم العسكرية من العسكريين ، وكان بعض أولئك المحامين من الضباط العاديين الذين لا يعرفون الكثير عن القوانين والاجراءات القانونية ، ولم تقبل المحاكم العسكرية اشتراك محامين مدنيين ، حفاظا على سرية الجلسات ، ولاجراء محاكمات سريعة ، لأن المحامين المدنيين « يقبضون الأمر بجدية ، فيعدون مرافعات طويلة وجادة ، مما لا يتفق مع طبيعة تلك المحاكم التي كان هدفها انزال أشد العقوبات بالمتهمين وليس تحقيق العدالة ! » وعندما قام العقيد كودرزي بالدفاع عن المتهمين كما يمليه عليه ضميره ، لفقت له تهمة الرشوة ونحي عن منصبه !

في حالات كثيرة كانت تجري تلاوة لائحة الاتهام ، ومناقشة المتهم ومرافعة الدفاع في جلسة واحدة قصيرة يصدر بعدها الحكم بالاعدام ، وفي حالات كثيرة أيضا ، خصوصا اذا كان عدد المتهمين في قفص الاتهام كبيرا ، كان المحامون العسكريون يسلمون مرافعاتهم الخطية لهيئة المحكمة ، لتقرأها في وقت آخر حتى

لا يتعطل سير الجلسات !

واستئناف الحكم كان على غير طائل ، بل انه في حـالات كثيرة حكمت محاكم الاستئناف العسكرية بعقوبات أشد ، فعندما حكم على « ويدا حاجبي » بالسجن سبع سنوات ، استأنفـت الحكم ، فكان قرار محكمة الاستئناف الحكم عليها بعقوبة ثماني سنوات ! أما الأكثر غرابة من كل ما ذكرنا ، فهو تجديد العقوبة على السجناء الذين يخشى من خطرهم على النظام اذا أصبحوا طلقاء ، اذ عند انتهاء عقوبة بعض السجناء ، كان يجري تلفيق بعض التهم لهم ثم سوقهم الى المحاكم من جديد ليقضوا فتـرة عقوبة جديدة قد تطول سنوات (٣٧) ، وهذا الأمر لم يعرف له تاريخ القضاء مثيلا !

أما التوقيف الذي لا يجوز أن يتجاوز ٢٤ ساعة ، فانه كان يمتد أشهرا وسنوات ، وأبلغ دليل على ذلك « صفر قهرماني » الذي لقب بالسجين العتيق لأنـه أوقف سنـة ١٩٤٧ بتهمـة الشيوعية ، وظل معتقلا حتى أخرجه الثوار في فبراير ١٩٧٩ ، وقد ماتت زوجته أثناء اعتقاله ، كما سمح له بمشاهدة ابنته ، بعد عشرين سنة من اعتقاله ، عندما جاءت تستأذنه بالزواج ممن تحب !

أما التعذيب ، وسوء التغذية ، والمعاملة ، فقد تحدثنا عنها طويلا في الصفحات السابقة .

عند انتصار الثورة ، وجد الثوار في سجون طهران وحدها أحد عشر ألف سجين سياسي ، وكان ألوف غيرهم قد أعدموا أو جرت تصفيتهم !

---

(٣٧) رحلة الى بلاد الخوف ــ ص ٣٢ .

الجيش :

كان الجيش قبيلة الشاه المدللة ، ينفق على تجهيزه ، ويعتني بأفراده بما يتناسب مع الاهداف العديدة التي أخذ يعمل على تحقيقها بواسطته • اذ اضافة الى المهمة الكلاسيكية للجيش بالدفاع عن حدود البلاد ، فقد أوكل الشاه لجيشه مهمتين أخريين احداهما داخلية والأخرى خارجية •

كانت مهمة الجيش الداخلية المساهمة مع الشرطة في قمع الاضطرابات والتصدي للمظاهرات ، مما أخذ يضعف من الرابطة بين الجيش والشعب ، ولما صار الجيش اليد القوية التي يثبت بها الشاه نفوذه ، عمل على تقوية دور الجيش في الحياة الايرانية فوسع من صلاحيات المحاكم العسكرية ، وأنشأ مؤسسات شبه عسكرية (مثل كتائب المعرفة وجيش الصحة) ليجعل للجيش سيطرة على الريف وأهله (٣٨) •

لولا الجيش لكان النظام الشاهنشاهي قد انهار ، قبل سقوطه الفعلي بعشرين سنة على الاقل ، فالجيش كان رأس الحربة التي قضت على حركة مصدق ، وأعادت الشاه الهارب في أوروبا، سنة ١٩٥٣ ، والجيش هو الذي قمع ثورة الخميني الأولى سنة ١٩٦٣ وتسبب في سقوط عشرين ألف شهيد ، كما كان الجيش هو الذي تصدى للثورة الاخيرة منذ ١٩٧٧ وحتى سقوط الشاه في مطلع سنة ١٩٧٩ ، وساعده على ذلك فرض نظام الأحكام العرفية ونظام منع التجول في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٨ •

أما المهمة الخارجية التي كان الشاه يعد لها جيشه فقد كانت

---

(٣٨) ايران غربة السياسة والثروة — ص ٢٦ •

تحقيق أحلامه الامبراطورية واحياء أمجاد الفارس القديمة ، وقد ركز الشاه اهتمامه على الخليج حيث بدأ يلعب دور « جيمس بوند » ، وكانت له بضع كتائب وسرب من الطائرات تقاتل الوطنيين في جبال ظفار في عُمان ·

كان الشاه يعرف كيف يعامل أفراد جيشه ويتعامل معهم ، فكان دائم الاتصال بكبار الضباط ، وكان يعرف معظم جنرالاته بأسمائهم ، كما ارتبط بعلاقات شخصية وصلات مصاهرة ببعض القادة الكبار ، ولتظل علاقته بأفراد جيشه وثيقة ، منع ترقية أي ضابط برتبة رائد فما فوق الا بعد اطلاعه الشخصي ، ومنح الضباط امتيازات عديدة مثل السكن الرخيص ، وحق امتلاك سيارة جديدة كل سنتين معفاة من الرسوم الجمركية ، وسمح لهم باستخدام عناصر عسكرية كمرافقين وسائقي سيارات وطهاة في منازلهم ، كما فتح لهم تعاونيات الجيش لتبيعهم بأسعار منخفضة جدا ، كما أدخل جميع أفراد الجيش بالضمان الصحي الذي كان يشمل العسكري نفسه وعشرة من أفراد أسرته سواء كانوا والديه وأشقائه وشقيقاته ، أو زوجته وأبناءه ، وكان ذلك ميزة كبيرة للعسكريين اذا عرفنا المشقة والتكاليف الباهظة التي كان يعاني منها المدنيون في التطبيب أو في أسعار الحاجيات ·

لقد قام الشاه بشراء أحدث الأسلحة وأكثرها تطورا وتزويد جيشه بها ، بحيث تحولت ثكنات الجيش الايراني في السنوات الأخيرة من حكم الشاه الى أخطر مستودعات للأسلحة غير النووية في العالم كله !

لم يؤد هذا الانفاق الضخم ، الى انشاء جيش قوي يفوق طاقة البلاد وحاجتها ، فحسب ، بل أدى كذلك الى المساهمة في سد جزء

كبير من العجز في الميزان التجاري للولايات المتحدة ، وعمل على زيادة استنزاف الثروة في ايران (٣٩) ، وبينما كانت النفقات العسكرية لا تتجاوز مئة مليون دولار سنة ١٩٥٤ ، اذ بها تتجاوز عشرة مليارات دولار سنة ١٩٧٨ ، والجدول التالي يبين تصاعد تلك النفقات :

سنة ١٩٥٤	٧٨ مليون دولار	سنة ١٩٧٣	٢٤٥٢ مليون دولار
سنة ١٩٦٤	٢٤١ مليون دولار	سنة ١٩٧٤	٣٦٨٠ مليون دولار
سنة ١٩٧٠	٩٦١ مليون دولار	سنة ١٩٧٧ ،	٩٤٠٠ مليون دولار
سنة ١٩٧١	١٣٥٢ مليون دولار	سنة ١٩٧٨	اكثر من ١٠ ملياراتدولار
سنة ١٩٧٢	١٨٤٧ مليون دولار		

كان ارتباط الشاه بالولايات المتحدة يتجلى أكثر شيء في الناحية العسكرية ، اذ أن القسم الاعظم من الصفقات العسكرية كان معقودا مع الولايات المتحدة ، كما أن المستشارين والمدربين الأجانب في الجيش الايراني كانوا جميعا من الاميركيين ، وبينما كان عددهم سنة ١٩٤٧ لا يتجاوز بضعة أفراد يقومون بمهمة عسكرية محدودة في الجيش الايراني ، فان عددهم وصل الى حوالي ـ ٣٨ ـ ألفا (وبعض المصادر ترفعه الى ـ ٤٥ ـ ألفا) سنة ١٩٧٨ ، وكان لهم الاشراف والسيطرة على كافة أقسام الجيش وعلى مختلف أسلحته البرية والجوية والبحرية ، وقد ساهمت النفقات العسكرية في امتصاص حيوية وازدهار الاقتصاد الايراني ، اذ بينما كانت تشكل ١ر٢ ٪ من الانتاج القومي العام سنة ١٩٥١ اذ بها تصل سنة ١٩٦٧ الى ٧٥ر٧ ٪ ، ثم ترتفع سنة ١٩٧١ الى ١ر١٤ ٪ (٤٠) .

---

(٣٩) ايران غربة السياسة والثروة ــ ص ١٨ .
(٤٠) المصدر السابق ــ ص ١٧ .

ونظرا للعلاقة الاستثنائية التي كانت تربط النظام الشاهنشاهي بحكومة الولايات المتحدة ، فقد حصل الشاه على أسلحة بالغة التعقيد ، لم تزود بها كثير من الدول الاعضاء في حلف الاطلسي نفسه ، وقد اشترت ايران في سنة ١٩٧٧ وحدها أسلحة أميركية بمبلغ /٤٢١٣/ مليون دولار ، ولما كانت تلك الأسلحة بحاجة الى صيانة وتشغيل ، فقد ظلت ايران تستقبل الخبراء الاميركيين ، وترسل عناصرها العسكرية الى الولايات المتحدة للتدريب ، وقد بلغ عدد الايرانيين الذين تدربوا في الولايات المتحدة بين سنتي ١٩٤٩ ـ ١٩٧٩ أكثر من أحد عشر ألف عسكري من مختلف الرتب والاختصاصات !

مكن فرض نظام التجنيد الاجباري من حشد جيش عامل يتجاوز نصف مليون مقاتل ، وكان بذلك خامس قوة عسكرية في العالم ، وأقوى جيوش الشرق الاوسط وأكثرها تسليحا ! وقد توزعت هذه القوات على أسلحة الجيش المختلفة كما يلي :

/٢٨٥/ ألفا في القوات البرية (يضاف اليهم ٧٤ ألفا يشكلون القوات الخاصة المدربة على حرب الشوارع والمختصة بقمع التمرد والاضطرابات) وكان لديها أكثر من ٣٣٠٠ دبابة معظمها من صنع اميركي ٠

/١٠٠/ ألف في القوات الجوية ، التي كانت تملك حوالي ألف طائرة معظمها أميركي ، وبينها طائرات ف ـ ١٤ وف ـ ١٦ المتطورة والمجهزة بصواريخ « فونيكس » المتقدمة ، ويضاف اليها حوالي ألف طائرة هليكوبتر ، معظمها مجمع في ايران بترخيص من شركة « بل » الاميركية ، التي وصل عدد موظفيها في فرع الشركة في ايران في أواخر سنة ١٩٧٨ الى ٣٤٠٠ موظف ٠

/٢٨/ ألفا في القوات البحرية التي كانت تمتلك اثنتين وسبعة قطعة ما بين بوارج ومدمرات وزوارق صواريخ وكاسحات ألغام وسفن انزال وأربعة عشر زورق هوفركرافت .

يضاف الى ذلك الحرس الامبراطوري (٤١) الذي كان يضم اثني عشر ألف جندي مجهزين بأحدث الاسلحة ومدربين تدريبا عاليا ، وكان يجري اختيارهم بعناية وبدقة بالغة ، بحيث لا يختار الا أهل الثقة الذين لا يعرفون غير الشاه سيدا ، ولا يأتمرون الا بأمره ، ومن بينهم كان يختار أفراد فرقة الخالدين (٤٢) الذين يبلغ عددهم أربعة آلاف جندي وكانوا يشكلون نخبة النخبة في الجيش الايراني وزهرة شبابه التي تدين بالولاء التام للشاه ، وكانت لهذه الفرقة قيادتها وهيئة أركانها المرتبطة بالشاه مباشرة ، وهي التي كانت آخر فرق الجيش الامبراطوري التي استسلمت للثوار بعد سقوط نظام الشاه ، وكان أفرادها يلقون بأسلحتهم وهم يجهشون بالبكاء كالنساء ليس خوفا على أنفسهم أكثر مما هو حزن على الشاه ونظامه ، ولا عجب في ذلك فقد علموهم أثناء التدريب أن يهتفوا باسم الشاه قبل الوطن وبعد اسم الله مباشرة (٤٣) .

---

(٤١) كارد شاهنشاهي .

(٤٢) اي « جاويدان » وقد شكلت على غرار فرقة الخالدين التي كانت في زمن كوروش قبل الف وخمسمائة سنة ، وكانت تسمى كذلك لان عدد افرادها كان لا يزيد او ينقص عن عشرة الاف مقاتل .

(٤٣) اي خدا ـــ شاه ـــ ميهن .

السياسة الخارجية :

كانت مصلحة الشعب الايراني ، وموقع بلاده المهم في الشرق الاوسط ، يتطلب انتهاج سياسة خارجية تتسم بالحياد بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وتوثق علاقات حسن الجوار مع الدول المتاخمة لحدودها ، وتطبع علاقاتها الخارجية بالنهج المسالم والديبلوماسي ، لكن الذي حدث خلال السنوات الثلاثين من حكم الشاه كان نقيض ذلك تماما ، أي أنه كان ، نتيجة لتلك السياسة ، ضد مصالح الشعب الايراني بشكل أساسي •

فقد عملت الحكومات الايرانية المتعاقبة ، خلال حكم محمد رضا شاه ، على توثيق علاقاتها بالانظمة المحافظة والرجعية والكولونيالية والامبريالية ، بينما اتسمت علاقاتها بالدول التقدمية والوطنية بالجمود وبالتوتر الدائم ، وبذا كان الشاه يسير في سياسته الخارجية عكس القاعدة المعروفة في السياسة الوطنية فقد كان يصادق من يعادي شعبه ، ويعادي من يصادق شعبه •

أما جيرانه العرب ، فقد كان الشاه يستخدم معهم سياسة العصا الغليظة ، ويتعامل معهم بمنتهى التصلب والتعصب ، محاولا من خلال تلك السياسة ، تحقيق أحلامه في السيطرة على الخليج ، أو على الاقل اتخاذ صفة الشريك الاكبر في سياسة الخليج •

ففي علاقاته مع العراق اتخذ الشاه جانب العداء منذ سقوط الملكية في العراق سنة ١٩٥٨ وخروج العراق من حلف بغداد ، وفي سنة ١٩٦٩ ألغى الشاه من جانبه معاهدة سنة ١٩٣٧ لتنظيم الملاحة في شط العرب ، وقام بحشد قواته على الحدود مع العراق ،

مما اضطر المراقبين الى حشد قواتهم على حدود ايران ، وفي سنة ١٩٧٥ وقعت اشتباكات مسلحة على الحدود بين البلدين كادت تتطور الى حرب شاملة بينهما •

ومنذ قيام الثورة الكردية في العراق وايران هي المحرض والممول الاول لها ، وظلت كذلك حتى تم الاتفاق بين البلدين على عدم تدخل أحدهما بشؤون الآخر فانتهى التمرد الكردي بكل سهولة •

وعلاقة ايران بالبحرين كانت المطالبة الدائمة بضمها اليها ، حتى انه خصص مقعد خال في البرلمان الايراني منذ سنة ١٩٥٩ ليشغله نائب عن البحرين عند تحريرها ! وبعد اجراء استفتاء شعبي باشراف الأمم المتحدة الذي أدى لقيام دولة البحرين سنة ١٩٧١ ، أسقطت ايران كل مطالبة لها بالبحرين واعترفت بحكومتها ، وان اتسمت العلاقات بين البلدين بالجمود •

ولم تكد دولة الامارات العربية المتحدة تظهر للوجود ، حتى قامت القوات الايرانية باحتلال ثلاث من جزرها هي طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى في نوفمبر ١٩٧١ ، بحجة ضمان حرية المرور للناقلات المحملة بالنفط الايراني في مضيق هرمز ، ولا تزال تحتل هذه الجزر حتى الآن •

أما علاقاته بعُمان فقد كانت جيدة لأن السلطان قابوس استعان بالقوات الايرانية للقضاء على ثورة ظفار في بلاده ، وقد بلغ عدد تلك القوات في أوج الثورة العمانية حوالي خمسة آلاف جندي ، وقد تم سحبهم جميعا بعد قيام الحكم الثوري في ايران •

أما علاقات الشاه بمصر فهي تختلف بحسب الحاكم الموجود

على رأسها ، فطيلة حكم عبد الناصر اتسمت العلاقات بين البلدين بالعداء الشديد ، وبعد مجيء أنور السادات للحكم تحسنت العلاقات بين البلدين وقدم الشاه لمصر أكثر من مليار دولار من القروض والمساعدات ، كما أخذت ايران تخطط لاستثمار مليار دولار آخر في مشاريع مختلفة في مصر ، وقد ارتبط أنور السادات ومحمد رضا بصداقة شخصية متينة ، هي التي جعلت الشاه يتطلع الى النزول في مصر كأول بلد يقيم فيه بعد خروجه من ايران عند نجاح الثورة الشعبية ٠

أما علاقة ايران بجارها الشمالي الكبير ، الاتحاد السوفياتي ، فقد اتصفت بالتناقض ، اذ بينما هي عداء وحرب لا هوادة فيها على الصعيد السياسي والايديولوجي ، فقد كانت صداقة وتماونا واسع المدى في المجال الاقتصادي ، وبينما كان يجري الترحيب بالخبراء السوفيات ، كانت السجون تتلقى المزيد من الشيوعيين وحتى اليساريين الايرانيين ٠

وبينما كان يجري انشاء المشاريع المشتركة مع السوفيات (مثل سد نهر أرس) وتمد خطوط لأنابيب النفط والغاز لنقله الى روسيا ، كان الشاه يسمح للاميركيين بانشاء المزيد من محطات التجسس الاليكترونية على طول حدود بلاده مع الاتحاد السوفياتي وتترك لهم أمر ادارتها ٠

بدأت العلاقات بالتحسن بين ايران والاتحاد السوفياتي منذ أوائل الستينات عندما رأى الشاه أنه بامكانه تحسين علاقاته بالسوفيات ليرتاح من جهة حدوده الشمالية ويتفرغ لعلاقاته مع دول الخليج ، وقد استفاد الشاه من سياسته بعدم قطع شعرة معاوية مع السوفيات حتى في أشد سنوات علاقاته بالولايات

المتحدة ، وهكذا في سنة ١٩٦٢ اتفق البلدان على تبادل المعونة الفنية والاقتصادية ، وفي السنة التالية قام بريجنيف بزيـارة طهران ورد له الشاه الزيارة في سنة ١٩٦٥ حيث جرى التوقيع على اتفاق اقتصادي يشتري الاتحاد السوفياتي بموجبه عشرة مليارات متر مكعب من الغاز الايراني سنويا ، وفي السنة التالية بدأ انشاء مجمعات الحديد والصلب في أصفهان بمعاونة تقنية من السوفيات ، ومدت أنابيب النفط الى الاتحاد السوفياتي ، وفي سنة ١٩٧٢ أثناء زيارة الشاه لموسكو جرى توقيع اتفـاق اقتصادي جديد لمدة خمس عشرة سنة ، وآخر للتبادل الثقـافي مدته خمس سنوات ، وبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين سنة ١٩٧٦ حوالي ٤٤٥ مليون دولار ٠

اذا كانت علاقات ايران بالاتحاد السوفياتي قد اتسمـت بالتناقض ، فان العلاقة مع اسرائيل اتصفت بالغرابة والمراوغة :

فمع ان ايران تجاور أكثر من بلد عربي ، وتعتبر جزءا من العالم الاسلامي ، الا أنها كانت من أوائل الدول التي اعترفت باسرائيل على أساس الواقع (دوفاكتو) وذلك سنة ١٩٥٠ ، وأقامت معها علاقات تجارية واقتصادية متعددة ، وظلت ايران المصدر الرئيسي لتزويد اسرائيل بالنفط ، الرخيص نسبيا ، طيلة الثلاثين عاما الماضية !

في سنة ١٩٥٠ حضر لاسرائيل مبعوث ديبلوماسي ايرانـي بصفته « مبعوثا فوق العادة الى فلسطين » ثم انتبهت الحكومة الايرانية لغلطتها فأسمته رسميا « الممثل الخاص لايران في دولة اسرائيل (٤٤) » ، وقد ظل التمثيل الدبلوماسي عند هـذا

(٤٤) الصهيونية وآسيا واسرائيل — ص ١٦٧ ٠

المستوى رسميا ، لكن مكتب اسرائيل في طهران تحول الى سفارة فعلية ، وكان في نشاطه وعدد موظفيه يضارع سفارات الدول الكبرى .

منذ يوليو ١٩٦٠ أخذ الشاه يعمل على توطيد علاقاته باسرائيل ، وعندما تأكد عبد الناصر من ذلك هاجم سياسة الشاه بهذا الخصوص ، مما أدى الى قطع العلاقات الديبلوماسية بين ايران ومصر ، وأرسل الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الازهر آنذاك ، يستفسر من الشاه عن مدى تلك العلاقة ، فزعم الشاه في جوابه له بأن العلاقة لا تزال عند المستوى نفسه الذي بدأت به سنة ١٩٥٠ .

لم يعبأ الشاه باعتراض عبد الناصر ضد سياسته مع اسرائيل، وأخذ يعقد معها سلسلة من الاتفاقيات الثقافية والفنية ، فقامت اسرائيل بمشاريع عديدة لانشاء المساكن وشق الطرق والارشاد الزراعي وتعمير المناطق المنكوبة بالزلازل وانشاء أقنية الري وبناء شبكات المجارير في المدن الايرانية ، وقد بلغ حجم العمليات التي قامت بها شركة مقاولات اسرائيلية واحدة ، هي شركة سوليل بونيه ، حوالي ستمائة مليون دولار ، بالاضافة الى حوالي ستين شركة اسرائيلية أخرى كان لها نشاطات متعددة في ايران .

أما اسرائيل فكانت تتزود من ايران بستين ألف برميل من النفط يوميا بموجب اتفاق خاص مع ايران ، وقد استوردت ايران من اسرائيل سنة ١٩٦٨ بضائع بقيمة /١٥٠/ مليون دولار ، وفي السنوات الاخيرة كان يعمل في ايران ثلاثة آلاف خبير اسرائيلي .

لم يغفل الشعب الايراني عن خطورة علاقة حكومته

باسرائيل ، ولذلك كان يعبر عن سخطه عن هذه العلاقة بمهاجمة المؤسسات اليهودية في كل مظاهرة تقوم في طهران وفي المدن الايرانية الاخرى ، وقد حاولت السافاك التخفيف من العداء لاسرائيل بنشر شعار « الكفر ملة واحدة » أي طالما ان الدول الكافرة واحدة ، فلماذا يُعترض فقط على العلاقة مع اسرائيل وحدها ؟ وعند انتصار الثورة في فبراير ١٩٧٩ كان من أول ما قام به الثوار اقتحام مركز البعثة الاسرائيلية في شارع « كاخ » في طهران ، ومصادرة محتوياته ، وتحويله الى سفارة فلسطينية يقيم فيها ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية ٠

أما بالنسبة لعلاقة الحكم الايراني بحكومة الولايات المتحدة ، فقد كانت علاقة من نوع خاص ، تجاوزت الأعراف الديبلوماسية لتصبح في النهاية علاقة التابع بالمتبوع ٠

كانت العلاقات الديبلوماسية بين ايران والولايات المتحدة قائمة منذ فترة طويلة ، لكنها لم تكن وثيقة أو ناشطة ، وبعد الحرب العالمية الثانية أخذت الولايات المتحدة تعمل على تقوية نفوذها في مختلف أنحاء الشرق الاوسط ، فقدمت في سنة ١٩٤٨ مساعدة عسكرية لايران بلغت عشرة ملايين دولار ، ونتيجة لضغط الولايات المتحدة دخلت ايران عضواً في حلف بغداد سنة ١٩٥٥ ، وفي سنة ١٩٦٠ قدم الجنرال الاميركي « هيدن » على رأس مجموعة من المستشارين المسكريين للعمل في الجيش الايراني وتدريبه على الاسلحة المتطورة التي بدأت تتزود بها ايران من الولايات المتحدة،وعندما تزايد عدد أولئك المستشارين في ايران وأقامت معهم عائلاتهم ، ولتأمين وضع مستقر لهم ، خصوصا بعد ازدياد المعارضة للوجود الاميركي في ايران ،

أصدرت الحكومة الايرانية قانون الحصانة الذي يمنح لكل الاميركيين في ايران حصانة ديبلوماسية ، تجعلهم فوق القانون الايراني .

هذه السياسة الخارجية أضعفت هيبة النظام الشاهنشاهي في الخارج ، وكثرت عدد أعداء ايران وينطبق عليها المثل الايراني الشهير « من كبر مساحة سقفه كان عليه أن يجرف ثلجا أكثر عنه » .

الأزمة الاقتصادية :

في الظاهر كان الاقتصاد الايراني مزدهرا ولا يعاني من أية أزمة ، وكانت الاحصاءات الرسمية تشير الى سير البلاد نحو الهدف الذي حدده الشاه لها بأن تصبح « يابانا » ثانية في آسيا في مطلع الثمانينات ، لكن كل مطلع على أوضاع الاقتصاد الايراني كان يعرف أن عائدات النفط الضخمة (٤٥) كان معظمها يضيع في صفقات الاسلحة التي تعاقد عليها الشاه مع حكومة الولايات المتحدة ، وفي اغراق الاسواق الايرانية بالبضائع الاستهلاكية مُن شتى بلدان العالم، بحيث استنزفت ثروات البلاد، ونقص النقد النادر لديها ، وتدنت مستويات المعيشة لفئات واسعة من الشعب الايراني بسبب التضخم النقدي والارتفاع الهائل في الاسعار ، خصوصا وان الفلاحين الذين كانوا يمدون

---

(٤٥) انتجت ايران ٢٩٣ مليون طن من النفط سنة ١٩٧٦ درت عليها عائدا قدره ٢٣ مليار دولار ، وبذلك كانت ثاني بلدان الشرق الاوسط انتاجا للنفط بعد السعودية .

أسواق المدن بالسمن واللحم والالبان والصوف بكميات كبيرة وبأسعار متدنية ، نزح عدد كبير منهم الى المدن ، هربا من سوء الوضع الاقتصادي في الريف ، وطلبا لحياة أفضل في المدن !

يتجمع القسم الاعظم من الايرانيين في طهران وفي الشمال الايراني ، حيث يغزر المطر وتجود المحاصيل المختلفة ، ذلك لأن القسم الباقي من ايران اما أراض صحراوية قاحلة ، يصعب العيش فيها ، مثل صحراء بلوجستان في جنوب شرق البلاد ، أو صحراء « لوت » في الوسط ، وأما هضبة وعرة يصعب زرعها وارواؤها كما هو الحال في القسم الاكبر من وسط البلاد .

ان المشكلة الاساسية التي تجعل حياة معظم الايرانيين في الريف صعبة ومستوى معيشتهم متدنيا هي قلة الاراضي الزراعية وسوء التربة ، وكذلك النقص الواضح في الماء ، ومع ان الارض الزراعية لا تتجاوز عُشر مساحة البلاد كلها ، فان الفلاح يضطر الى ترك ثلثي تلك المساحة بورا ليزرع الثلث الآخر كل عام ، وقد زاد الامر سوءا تحكم الاقطاعيين في مصادر المياه الجوفية والسطحية ، واستيلاؤهم على أخصب الاراضي وأوفرها انتاجا، وهذا الوضع المتوارث منذ قرون لم يعمل الشاه على تغييره ، لأن الحلول الزراعية التي نادى بها كانت سطحية ، أو ان معظمها لم يطبق تماما ، كما شرحنا ذلك في الفصول السابقة ، مما أدى الى نكسة زراعية وبالتالي ازدياد تأزم الوضع الاقتصادي في البلاد !

كانت منطقة طهران وحدها تبتلع ٤٥ ـ ٥٠ ٪ من الدخل القومي العام ، في حين أن سكانها لا يمثلون أكثر من عشر السكان فقط ، كما أن الشمال الايراني كان يستهلك وحده ٣٥ ٪ من

مجموع الاستهلاك العام في ايران كلها (٤٦) ٠

لقد بلغت حركة الاستيراد ذروتها سنة ١٩٧٧ ، وكان معظمها بضائع استهلاكية وكمالية ، وكانت نسبة ضئيلة جدا منها لوسائل الانتاج ، وقد بلغت قيمة الاستيراد في ذلك العام ما يقرب من /١٥/ مليار دولار ، وكانت ستتجاوز هذا الرقم بكثير سنة ١٩٧٨ لولا الشلل الذي أصاب التجارة نتيجة للاضطرابات التي وقعت آنذاك ! وهذا الاستيراد الضخم ، مع ضعف امكانيات الموانىء الايرانية أدى الى عرقلة حركة التفريغ ، بحيث أن بعض السفن كانت تضطر للانتظار ثمانية أشهر ليتم تفريغها في الموانىء الايرانية ، وقد دفعت ايران سنة ١٩٧٧ وحدها ما يقرب من مليار دولار كغرامات تأخير فقط !

اذا كنا ، في الفصول السابقة ، قد عرضنا بشكل مفصل صورة الوضع لدى الفلاحين في ايران ، فان وضع العمال لم يكن أفضل حالا ، ويكاد يوازي بؤس الفلاحين وشقاءهم ٠ والدليل على سوء الوضع لدى العمال ، انهم كانوا يقومون باضرابات ومظاهرات مستمرة ، رغم القمع الوحشي الذي كانوا يتعرضون له ، ورغم الارهاب المسلط فوق رؤوسهم من فصل من العمل أو اعتقال طويل الأمد ، ان لم يصل الامر الى القتل أو الاغتيال بواسطة عملاء السافاك !

ففي يونيو ١٩٥٩ أضرب ثلاثون ألفا من عمال مصانع الطوب في طهران مطالبين بتحسين أحوالهم ، وفي يناير ١٩٦٢ حدثت اضرابات عمالية عدة في طهران وضواحيها لرفع مستوى الأجور ، وفي ابريل ١٩٧١ أضرب ألفان من عمال النسيج في مصانع

---

(٤٦) ٠ ايران غربة السياسة والثروة ــ ص ١٣٦ ٠

كرج قرب طهران مطالبين بزيادة أجورهم التي لم تكن لتزيد عن ٢٥٠ قرشا لبنانيا يوميا • وفي أغسطس ١٩٧٤ أضرب عمال مصنع « ايرانا » للبلاط احتجاجا على فصل أربعة من زملائهم فصلا تعسفيا ، وفي تاريخ غير بعيد من ذلك الوقت قام عمال شركة النفط في تبريز بالاضراب من أجل رفع أجورهم المتدنية ، وقد قامت الشرطة بتفريقهم واعتقال بعضهم •

يرجع قسم كبير من أسباب تعاسة العمال ، الى قيام أصحاب العمل بالتحايل على القانون واستغلال جهد العمال الى أقصى حد مع تقديم أدنى ما يمكن من الأجر ، وكانت الرقابة الحكومية في هذا المجال ضعيفة أو معدومة •

فقانون العمل الصادر منذ سنة ١٩٤٦ يحدد ساعات العمل بثمان وأيام العمل بستة ، ومع ذلك فان المبدأ السائد في معامل السجاد كان أن تفتح عند شروق الشمس وتغلق عند غروبها ، واذا علمنا أن عدد العاملين بصناعة السجاد التي كانت تمثل ١٨ ٪ من قيمة صادرات ايران غير النفطية (سنة ١٩٧٦) كان يقرب من مليون شخص معظمهم من الاطفال ، أدركنا أي بؤس كانوا يعيشون فيه ، خصوصا اذا أضيف لذلك الأجور المتدنية جدا التي كانوا يتقاضونها ، وكان أجر الاطفال حتى سن العاشرة يتراوح من ٥ ــ ١٠ ريالات يوميا ، ومن ١٠ ــ ١٥ ريالا لمن هم فوق العاشرة ودون الخامسة عشرة ، رغم ان الحد الأدنى للأجر كان محددا رسميا بخمسة وأربعين ريالا في اليوم (٤٧) ، وهو لم يزد منذ سنة ١٩٦٠ ، وهناك صناعات محدودة كانت تدفع لعمالها أجرا أعلى من الحد الادنى بقليل ، كمصانع

---

(٤٧) أي حوالي ١٥٠ قرشا لبنانيا .

السيارات (٤٨) التي كان أجر العامل العادي فيها ٦٥ ريالا ، ومصانع التبغ ٧٢ ريالا ، ومصانع المرطبات والمشروبات ما يقرب من ٨٥ ريالا .

ساهمت الاضرابات العمالية المتكررة ، وكذلك اغلاق الاسواق ، خصوصا البازار ، في شلل الانتاج وتعطيل الحركة التجارية خلال عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨ مما أدى الى تأزم الوضع الاقتصادي أكثر من السابق (٤٩) . حتى انه في أواخر سنة ١٩٧٨ فقدت المواد الاساسية من السوق ، واضطر المستهلكون الى الوقوف في صفوف طويلة أمام محلات بيع المواد الغذائية والوقود ، بل ان طوابير المشترين أمام أكشاك بيع السجاير والكبريت صارت من المناظر المألوفة في طهران وبعض المدن الايرانية الأخرى .

زاد الوضع الاقتصادي سوءا قيام الشاه ، منذ سنة ١٩٧٤ ، بتقديم مبالغ ضخمة من عائدات النفط كمساعدات وقروض لبعض الدول الأوروبية لتتجاوز أزماتها الاقتصادية والمالية ، وبذلك كان يحقق مكاسب سياسية وشهرة شخصية على حساب مخططات التنمية لشعبه ، فقد قدم لفرنسا مليار دولار كدفعة مسبقة لبناء خمسة مفاعلات نووية في ايران ، وقدم لبريطانيا مليارا ومئتي مليون دولار قروضا لشركات تجهيز صناعية ، ومئة مليون دولار كمساهمة في شركة كروب الالمانية لفك أزمتها ، وثلاثة مليارات دولار لايطاليا بدل مشاريع مشتركة لم

---

(٤٨) يوجد في ايران مصانع لتجميع سيارات مرسيدس وسيتروين ومازدا وليلاند .

(٤٩) ايران غربة السياسة والثروة — ص ٣٦ .

يتم تحديدها ، ومليارَي دولار لافغانستان كمساعدة للنظام القائم فيها ، ليحافظ على الخط السياسي الذي كان يرضي الشاه ! كما قدم مئة مليون دولار لبنغلادش مساعدة لها على تجاوز صعوباتها الاقتصادية ، وأعطى الهند /٢٥٠/ مليون دولار لتطوير صناعات الفولاذ والصلب فيها ، وخمسين مليون دولار لسوريا مساعدة ، كما أن حصة مصر كانت مليار دولار لفتح القناة وتعميرها ، ولم ينس البنك الدولي فقدم له مليار دولار لمساعدة الدول النامية ، ورغم الارباح الهائلة التي كانت تحققها الولايات المتحدة من بيع السلاح لايران واستغلال نفطها فقد قدم الشاه لشركة « غرومان » للطيران /٧٥/ مليون دولار لتغطي العجز الحاصل في ميزانيتها ، وقد أدت تلك القروض والمساعدات الى استنزاف رصيد ايران المالي ، واضافة الى المبالغ الضخمة التي دفعها الشاه ثمنا للأسلحة التي استوردها ، فقد اضطرت ايران منذ سنة ١٩٧٦ الى تعديل كثير من خطط التنمية ، بحيث جمدت العمل ببعض المشاريع ، وألغت البعض الآخر ، بينما كسب الشاه صورة الامبراطور الغني الذي يوزع المنح والهبات على جيرانه وأصدقائه ، ليفرج كربتهم وينال بركة دعائهم !

الفساد الاداري والخلقي :

اذا كانت بعض الصفحات من عهد الشاه ، ليست كلها سوداء ، فان الجانب الخلقي من عهده كان أسود شديد السواد ،

---

(٥٠) ايران غربة السياسة والثروة ــ ص ٥٢ .

ذلك انه كان يمارس ، وأعوانه من حوله ، عملية ذبح لروح الأمة الايرانية وخنق لجوهر تراثها الديني والروحي معا •

ففي الشؤون الادارية كانت المحسوبية والرشوة متفشيتان كما أن الكفاءة لم تكن شرطا أساسيا للتعيين في مناصب الدولة ، حتى في أدنى مستويات الوظائف وأقلها أهمية ، بل كان الولاء للنظام هو الشرط الأهم ، ولذلك كان الهم الاكبر للوزراء وكبار الموظفين استغلال وظائفهم في سبيل جمع ثروات غير شرعية عن طريق الرشوة والسمسرة والاختلاس وغير ذلك ، وكان الشاه يلجأ كل بضع سنوات الى حملة تطهير يقـدم لها بعض كبـار الموظفين أو ضباط الجيش ويشغل الرأي العام أشهرا عدة بسيرة وسير محاكماتهم ، ويحـاول الظهور بمظهر الملك الغيور على مصلحة شعبه ، والحقيقة ان هؤلاء الذين يقدمون للمحاكمة ، سواء من الموظفين المدنيين أو من ضباط الجيش ، يكون قد انتهى دورهم ولم يعد الشاه بحاجة لخدماتهم ، فعندما قدم « أبو الحسن ابتهاج » رئيس مجلس الاعمار الى المحاكمة بتهمة تبذير أموال الدولة ، لم يخش ابتهاج أن يصرح علنـا أن الشاه وأسرتـه يتصرفون بأموال الدولـة بلا حسـاب ، ويودعون أموالهم في مصارف الولايات المتحدة ، وان احدى الشركات الاميركية قدمت عرضا لالتزام طريق طهران ــ نوشهر يزيد عن منافستها اليابانية بعشرين مليون دولار ، ومع ذلك فقد صدرت الأوامر العليا بأن يرسو الالتزام على الشركة الاميركية ، وازاء هذه الفضائح ، لم تعد الصحافة الايرانية تذكر شيئا عن محاكمة ابتهاج ولفلفت القضية كلها •

أول قانون صدر لمكافحة العبث بالأموال العامة كان سنـة

١٩٥٩ باسم قانون « من أين لك هذا (٥١) » ، وكان يفرض على كل الموظفين المدنيين والعسكريين وكذلك الوزراء تقديم تقرير سنوي عن ثرواتهم ومستوى دخلهم لمراقبة الدخل غير المشروع ، ونتيجة ذلك القانون طرد /٣٧٠٠/ موظف في تلك السنة ، عجزوا عن تحديد مواردهم المالية ، فاتهموا بالفساد ، وكان معظمهم من صغار الموظفين !

الشاه نفسه كان يملك عشرة قصور في ايران ، بالاضافة الى المنازل الفخمة التي يملكها في بيفرلي هيلز في كاليفورنيا ، وسانت موريتز في سويسرا وفي أكابولكو في المكسيك ، وكذلك له عقارات يستثمرها في اسبانيا وبريطانيا •

كما كان الشاه يمتلك أفخر السيارات المصنوعة خصيصا له ، وكان ثمن بعضها يصل الى مليون ليرة لبنانية • أما طائرته الخاصة المسماة « شاهين » فقد كانت من نوع بوينغ ٧٠٧ ، وكانت مجهزة تجهيزا خاصا ، فقد كانت تضم مكتبا وغرفة نوم وأخرى للجلوس ، وكان حمامها ودورة المياه فيها من الذهب الخالص وبلغ ثمنها مع تجهيزاتها /١١٥/ مليون دولار وبذلك كانت أغلى طائرة في العالم (٥٢) •

أما الامبراطورة فرح فقد كانت شديدة الاناقة والبذخ ، وتنفق مبالغ سخية على شراء ملابسها وحاجاتها من الخارج خصوصا من باريس ، وقد ثبت من الوثائق التي عثر عليها في شركة النفط الايرانية بعد نجاح الثورة ، أن الشاه كان يمنح

---

(٥١) بالفارسية « ازكجا اورده‌اي ؟ » .

(٥٢) بعد أن سافر الشاه على الطائرة بعد خروجه من ايران ، تمكن طيارها وملاحوها من الافلات بها من المغرب والعودة لايران .

زوجته /١٢/ مليون دولار سنويا من عائدات النفط •

في سبيل تحقيق أمجاده الشخصية حمل الشاه بلاده نفقات طائلة لا مبرر لها عندما أقام في أكتوبر ١٩٧١ احتفالا ضخما بين آثار برسيبوليس (تخت جمشيد) في وسط ايران احتفالا بذكرى مرور /٢٥٠٠/ سنة على قيام الامبراطور كوروش بتأسيس أول أمبراطورية فارسية ، وقد دعا الى الاحتفال معظم ملوك ورؤساء العالم ، وأمام ذلك الحشد الكبير جرى تتويج محمد رضا بهلوي أمبراطورا ، وحمل لقب آريامهر (شمس الآريين (٥٣) » ، كما توجت فرح ديبا كأول أمبراطورة في تاريخ ايران ، وقد قدرت تكاليف الاحتفال بمليار دولار ، بينما جملتها البيانات الحكومية لا تتجاوز /٥٠/ مليون دولار ، ترى كم من المستشفيات والمدارس والمنتزهات كان من الممكن انشاؤها بذلك المبلغ الضخم ، لخدمة جموع الشعب الايراني ، بدل انفاقها لارضاء جنون العظمة عند الشاه ؟ ويقال ان جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا الراحل ، لم يكتف برفض حضور ذلك الاحتفال ، بل علق بقوله : لا أرغب بالاحساس بأنني سخيف جدا •

أما أفراد الأسرة المالكة فقد كانوا يعملون بالسمسرة والتهريب وحتى ترويج المخدرات ، ورغم ان الصحافة الايرانية لم تكن تنشر شيئا عن فضائحهم ، لخضوعها لرقابة السافاك الصارمة ، فان الشعب أخذ يتسرب اليه الكثير من تلك الفضائح

---

(٥٣) اللقب الرسمي للشاه طويل جدا وهو اعليحضرت همايون محمد رضا شاه بهلوي اريامهر شاهنشاه ايران وترجمته صاحب الجلالة المباركة محمد رضا شاه بهلوي شمس الاريين ملك ملوك ايران •

عن طريق الصحافة الاجنبية ، ويبدو أن الأميرة أشرف ، توأم الشاه ، كانت « أشرفهم » اذ لم تضبط الا مرة واحدة في سويسرا وهي تهرب المخدرات والمجوهرات في حقائبها ٠

وهناك مجال آخر استفاد منه الشاه وأسرته وهو مؤسسة بهلوي (٥٤) للأعمال الخيرية ، حيث كان الشاه يأمر باقتطاع /١٢٠٠/ دولار لكل فرد من أسرة بهلوي ، حتى لو كان طفلا رضيعا ، وتوضع هذه النفقات في باب « العائلات المستورة » ، ونتيجة لهذه المداخيل غير المشروعة ، أصبحت العائلة البهلوية من أكثر العائلات الايرانية ثراء ، أما الشاه نفسه فقد صار أحد أغنى عشرة رجال في العالم ٠

بعد قيام الثورة وهروب الشاه ، ثبت أن الشاه وأسرته سحبوا قبل هروبهم حوالي /١٤٠/ مليار ريال من المصارف الايرانية ، وبقي في حسابهم /٩٦/ مليونا فقط ، هذا عدا عن ملايين الدولارات التي جرى تهريبها للخارج خصوصا في سنتي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ ٠ وتقدر بعض المصادر المالية الاموال التي هربت للخارج بحوالي /١٥/ مليار دولار ٠

لم يقصر رجال الحاشية الملكية في الاستفادة من وضعهم ، فعندما كان الشاه يعود من رحلة الى الخارج ، كانت تلحق به طائرة ضخمة تحمل مشترياته وأفراد حاشيته ، وكان نفوذ أي خادم بالقصور الملكية يفوق ، في بعض الأحيان ، نفوذ كثير من الوزراء ، وكان كل شيء يرد الى ايران وعليه عبارة « خاص بالبلاط الملكي (٥٥) » يعبر كافة مراكز الحدود ، سواء كانت

---

(٥٤) بنياد بهلوي ٠

(٥٥) مخصوص دربار شاهنشاهي ٠

مراكز برية أو بحرية أو بالمطارات ، دون تفتيش أو مراقبة ، وبذا كان أي واحد من رجال البلاط يدخل ما شاء من البضائع الى البلاد دون أن يدفع عنها رسوما أو ضرائب .

من مظاهر الفساد الأخرى انتشار زراعة وتعاطي المخدرات ، وقد ساهم بعض أفراد الأسرة البهلوية في ترويج تلك المخدرات ، وكما أسلفنا سابقا في القبض على الأميرة أشرف في سويسرا ، ثم اطلاق سراحها فورا ، فقد قبض على هوشنك دولو وهو من أصدقاء الشاه ، في سويسرا أيضا وهو يهرب مخدرات !

في سنة ١٩٦٩ صدر قانون يجيز زراعة الأفيون ، كما صدر قانون آخر يمنع بيع المخدرات وتعاطيها ، وكانت العقوبات تصل الى الاعدام ، وخلال السنوات العشر الماضية أعدم حوالي /١٥٠/ شخصا بتهمة التجارة بالمخدرات ، ورغم ذلك فقد انتشر الادمان بشكل خطير بين طبقات الشعب كافة ، وبينما كانت مجالس « الكيف » في بيوت الأثرياء وأصحاب النفوذ لا تتعرض لمداهمات الشرطة ، كان المدمنون من الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى يساقون الى السجون والمعتقلات ، وليس الى المصحات وأماكن المعالجة ، وفي احصاء جرى قبل بضع سنوات تبين أن ٧٣ ٪ من طلاب المدارس في طهران عرفوا المخدرات ، وقد بلغ عدد المدمنين في طهران وحدها حوالي /٦٠٠/ ألف ، وتشاهد في شوارع طهران عشرات اللافتات التي تعلن عن وجود عيادة لطبيب مختص بمعالجة الادمان (٥٦) .

وكانت مظاهر فساد كثيرة تثير الاستنكار والغضب في نفوس رجال الدين الايرانيين ، مثل دور اللهو والاندية الليلية ،

---

(٥٦) يزشك ترك ترياك .

خصوصا وأن معظم العاملين فيها كانوا من الفنانين والفنانات الأجانب الذين كانوا يستنزفون مبالغ لا بأس بها من ثروة البلاد المالية (٥٧) ، بالاضافة الى الانتشار الواسع لبيوت الدعارة والبغاء (٥٨) ، وكذلك للحانات والبارات ، ناهيك عن بيع الكتب والصور الخليعة في زوايا الشوارع وعلى جوانب الطرقات ، وكانت معظم دور اللهو ومراكز بيع المشروبات الكحولية مملوكة من اليهود والبهائيين ·

وكانت سيطرة اليهود والبهائيين على الاقتصاد الايراني تكاد تكون سيطرة كاملة ، وكان للشاه علاقة شخصية بكثير من زعماء اليهود والبهائيين في ايران ، وكان حبيب القانيان المليونير اليهودي الايراني صديقا شخصيا للشاه ، وكان يقدم الهبات للشاه ولاسرائيل معا (٥٩) ·

كان خطأ الشاه الاكبر أنه اهتم ببناء التقدم التكنولوجي لايران على حساب القيم الانسانية لشعبها ، فحاول قطع الصلة بين الشعب وتراثه الديني والفكري لادخال فكر وثقافة غريبة عن روحه وعن جوهر أصالته ، أما خطيئته الكبرى فكانت استخدام الأسلوب الديكتاتوري ، وفرض جو من الارهاب على الشعب كاد أن لا يكون له مثيل في التاريخ ، ورغم أن الدستور كان شبه مجمد ، فان الشاه وحكوماته المتعاقبة كانت تشير الى الدستور كرمز لايران الديموقراطية ويحتفل بيوم الدستور

---

(٥٧) في سنة ١٩٦٤ كان في طهران وحدها الف ارتيست اجنبية .

(٥٨) بلغ عدد المومسات في طهران سنة ١٩٧٣ حوالي عشرة الاف ، بالاضافة الى الاف أخرى في تبريز وشيراز وعبادان .

(٥٩) قامت الثورة باعدامه وبمصادرة ممتلكاته .

كميد وطني ، وقد أدى هذا كله الى قيام ثورة شعبية جامحة لم تكتف بتغيير شخص الشاه بل عملت ، عندما سنحت لها الفرصة ، على اقتلاع النظام الملكي من جذوره ·

الثورة الاسلامية :

ترجع سيطرة الصفة الدينية على الثورة الشعبية التي قامت في ايران ، ليس فقط الى شخصية الخميني ونفوذه الكبير ، بل أيضا الى قوة النفوذ الشعبي لدى رجال الدين الشيعة ، رغم المحاولات المتعددة من رضا شاه وابنه محمد رضا للقضاء على هذا النفوذ أو التخفيف من أثره ، على مدى خمسين عاما أو تزيد ·

كانت ايران (٦٠) احدى الدول الاسلامية التي تتبع المذهب السني ، وكان عدد الشيعة فيها ضئيلا جدا ، حتى القرن السادس عشر عندما جاء الصفويون للحكم ، وهم أسرة تركية ، وكانوا هم أنفسهم يشكلون طريقة صوفية شيعية ، فعملوا على نشر المعتقد الشيعي حسب المذهب الجعفري الاثني عشري ليضمنوا قاعدة دينية تسند سلطتهم وتوحد الشعب من حولهم ، وليجعلوا من المذهب الشيعي حائلا بين العثمانيين السنيين ومحاولاتهم المستمرة للسيطرة على ايران (٦١) ·

---

(٦٠) من مقال في النهار العربي والدولي في ١٩ فبراير ١٩٧٩ بقلم طلال مجذوب .

(٦١) المذهب الشيعي ثلاثة فروع رئيسية : الجعفري (وينتشر في ايران) والزيدي (ويسود في اليمن) والفاطمي واتباعه مبعثرون في دول عربية واسلامية شتى ومنهم اليوم الاسماعيليون والبهرة ، ويتركزون

ان العقيدة الاساسية في المذهب الشيعي هي الاعتقاد بأن النبي قد أوصى بأن يكون علي بن أبي طالب خليفة بعده ، وقد ظل هذا الحق يتوارثه آل علي حتى غياب الامام الثاني عشر « محمد بن الحسن المهدي » في سامراء في العراق سنة ٨٧٨ ميلادية (٦٢) ، وعند ذلك أصبح المراجع الدينيون الشيعة هم نواب الامام الغائب ، خصوصا وأن طريقة تقليدهم مرجعيتهم لا تتم انتخابا ولا تعيينا ، بل ينالها من أجمعت عليه الآراء وكثرت عليه الفتاوي وقلده تلامذته وبالتالي أصبح مقصدا ومرجعا لغيره من الشيعة ، وهذه الطريقة هي الطريقة الاكثر ديموقراطية بحيث لا يصل لمركز المرجعية الشيعية الا الاكثر علما والأمنع خلقا ، وعلى الشيعة أن يسمعوا له ويطيعوه ، وهو بهذه الصفة يعتبر بنظر الشيعة الأصل ، بينما يعتبر الحاكم الزمني تابعا له وخاضعا لرأيه ومشورته !

ومنذ أربعة قرون ، أي منذ العهد الصفوي ، أصبحت أقدار ملوك ايران ، رهن الحكم الذي يصدره المرجع الشيعي عليهم ، فان أحسنوا في سيرتهم وعدلوا في سريرتهم نعموا بالاستقرار في حكمهم والاستمرار على عروشهم ، وان أساؤوا حمل الأمانة واستبدوا بمواطنيهم فان الأمر « بالتحريم والتجريم » ضدهم يصدر من المرجع الشيعي الأعلى ، قاطعا كحد السيف ، ولا يعود

بشكل خاص في الهند وباكستان ، وفي بعض انحاء ايران ، وفي عمان وفي شمال افريقيا ، وكذلك في كينيا وتنزانيا واوغندا .

(٦٢) لذلك يسمى الذين يعتقدون بأن حق الخلافة ينتهي عند الامام الثاني عشر الغائب بالامامية او بالاثني عشرية ، وهو المذهب الرسمي السائد في ايران ، ويعرف ايضا بالجعفري نسبة للامام جعفر الصادق .

أمام الملك الا الخضوع والتسليم'!

حدث ذلك مع ناصر الدين شاه عندما أصدر المرجع الشيعي سنة ١٨٩٠ فتوى بتحريم تدخين التبغ وتجريم كل من يدخنه ، مما اضطره أخيرا الى الغاء امتياز شركة التبغ ، وفي زمن محمد علي شاه أصدر المرجع الشيعي في النجف الأشرف فتوى بتحريم التعاون معه والخضوع لحكمه ، لأنه جمد الدستور وحل المجلس النيابي ، وقد أدى ذلك لهزيمته فيما بعد ، وفي السنوات الاخيرة أصدر آية الله الخميني سلسلة من الفتاوي والتحريمات كان لها أثر بالغ في اضعاف مركز الشاه وبالتالي سقوطه !

ففي سنة ١٩٧٥ أعلن الخميني تحريم الدخول بحزب « رستاخيز » مما أدى الى قيامه ميتا ، وأدى اعتبار التقويم الفارسي القديم الذي فرضه الشاه في السنوات الاخيرة من حكمه أمرا محرما ، الى اضطرار الشاه الى الغاء هذا التقويم في سنة ١٩٧٦ والعودة الى التقويم الهجري الشمسي ، الذي يعتبر التقويم الاسلامي لايران ، وفي الأشهر الاخيرة من حكم الشاه أعلن الخميني أن ترك الجيش الذي يستخدمه الشاه لضرب الشعب يعتبر أمرا محللا ، فكانت النتيجة أن فر من الجيش أكثر من أربعين ألفا ما بين ضباط وجنود ! وكانت آخر تلك الفتاوي تلك التي أصدرها الخميني في ديسمبر ١٩٧٨ وأعلن فيها تحريم بقاء الشاه وأسرته على أرض ايران ، ووجوب تنحيه عن الحكم فورا ، وبذلك كان الاسلام سببا في سقوط العرش الايراني مرتين : الأولى في القرن السابع الميلادي وسقط فيها العرش الساساني ، والثانية في أيامنا هذه وسقط فيها العرش البهلوي !

ان المصدر الأول لقوة المراجع الدينية الشيعية هو أنهم الأوصياء والورثة الشرعيون لآل البيت حتى عودة الامام الغائب (الذي يطلقون عليه لقب امام الزمان) الوريث الشرعي للامامة ، الذي سيعود في صورة المهدي المنتظر ويكون ذلك من علامات اقتراب الدنيا من نهايتها !

بناء على هذا الاعتقاد فان في صلب العقيدة الشيعية اعتبار الحكام في ايران غير شرعيين لأنهم ليسوا ورثة آل البيت ،وبذلك يكون موقف أولئك الحكام ضعيفا ، حتى اذا ما ظهر منهم أي انحراف أو فساد ، كانت فتوى المرجع الشيعي كافية لاعادتهم الى طريق الحق ، أو الى عزلهم اذا لم يرتدعوا !

أما المصدر الثاني فهو الاستقلال المالي عن السلطة ، فقد كانت بحوزتهم ثروة وقفية عقارية وزراعية ضخمة ، بالاضافة الى السيولة النقدية الهائلة التي كانت تتوفر لديهم من نصيب الخُمس وهي ضريبة يؤديها الشيعة عن خمس أرباحهم الصافية السنوية ، وكذلك من نصاب الزكاة الذي يؤديه المؤمنون الشيعة الى المرجع الديني في حيهم أو قريتهم ، اضافة الى التبرعات التي تنهال على العتبات المقدسة والمزارات الدينية ، وهذه المصادر كلها أغنت رجال الدين الشيعة عن الاعتماد على الحكام ومكنتهم من بناء المياتم ومدارس الفقه ودور العلاج والحسينيات في شتى أنحاء البلاد ، مما أكسبهم نفوذا شعبيا واسعا ، ولا يزال كثير من المؤمنين الشيعة يتبعون الطريقة القديمة في ايداع الأموال المتوفرة لديهم عند كبار رجال الدين في منطقتهم ، لعدم ميلهم للتعامل مع البنوك ، وهذا كان يزيد في القدرة المالية لرجال الدين !

والمصدر الثالث من مصادر قوتهم هو الاجتهاد الذي ظل مسموحا به ومتاحا لكل من اكتملت فيه شروطه من تضلع فقهي وقدرة عقلية واستقامة خلقية لا يشوبها شيء ، وبذلك كانت بيد المرجع الديني الشيعي القدرة على مواجهة كل مشكلة طارئة أو مسألة جديدة بفتوى يشهرها كسلاح فعال يستخدمه لمصلحة الشعب لدفع بلاء واقع أو ردع سلطان غاشم أو رد حق هضيم ، فهو بهذه الفتوى يحرم أمرا أو يجرم أميرا مما يجعل الحاكم يخضع لارادة المرجع الديني حتى لا يخسر سلطانه !

والمصدر الرابع كان وجود مركز المرجع الشيعي الأعلى خارج الاراضي الايرانية ، في النجف الاشرف بالعراق ، مما كان يجعله خارج سلطان الحكومة الايرانية ، فيكون أكثر قدرة على الحركة ، وأكثر حريـة في التعبير عن ضمير الشعب في ايران ، وكان نفي أي مرجع ديني من ايران يمنحه شرعية وشعبية لا حدود لهما ، ذلك ان هذا النفي يعتبره عامة الشيعة « غيبة » للمرجع الديني ، مما يزيد من قدرة « الغائب » وأهميته في نظر الشيعة ، وهذا ما حدث للامام الخميني عندما نفاه الشاه من ايران ، اذ ازدادت جماهيريته وسطع نفوذه وفاق نفوذ كل المراجع الدينية التي ظلت مقيمة في ايران رغم أن بعضها تعرض للسجن والتعذيب أو الاضطهاد !

تحرك الجماهير ضد النظام :

يمكن القول أن الشعب الايراني ظل في حالة قلق واضطراب وعدم استقرار طيلة عهد محمد رضا شاه ، وان التعبير عن ذلك الوضع كان يقتصر على الاضرابات والمظاهرات وأحيانا حركات

التمرد التي كان يجري التصدي لها من قبل الشرطة أو الجيش أحيانا ، وان هناك حالتين فقط وصل فيهما الأمر الى حد الثورة وكاد يقضي على النظام الملكي برمته ، وهاتان الحالتان هما حركة مصدق سنة ١٩٥٣ وثورة الخميني الأولى سنة ١٩٦٣ ٠

بعد القضاء على ثورة الخميني سنة ١٩٦٣ ، ونفيه خارج البلاد ، أخذ الشاه ، كما شرحنا ذلك مفصلا يشدد قبضته على الحكم مستخدما وسائل القمع الوحشية ضد كل معارضة ، ولكن ردة الفعل الشعبية كانت أشد عنفا وصلابة من قمع النظام لها ، وكان التمرد والاضراب يتحول تدريجيا الى ثورة جماهيرية شاملة ، ما لبثت أن انتصرت وقضت على النظام الملكي من أساسه ٠

لقد شل الارهاب كل نشاط ، ومنع أي تحرك حر للمعارضة الشعبية . لكن ارهاب السافاك لم يستطع أن يسيطر على ثلاثة أماكن كان الشعب يتنفس من خلالها فيتناقل الاخبار والاسرار ويتبادل المعلومات والتعليمات ، وهذه الأماكن هي الحسينيات والمساجد والمقابر !

أما المقابر فكان يجتمع فيها ألوف المواطنين لتشييع الموتى أو الشهداء ، يلفهم الحزن ويسيطر عليهم الغضب وطلب الثأر ، وفي تلك المقابر ، خصوصا مقبرة جنة الزهراء (٦٣) ، كانت تلقى المراثي والخطب وترفع الشعارات وكلها تدعو الشعب للثورة وتنادي بسقوط الظالمين ، وأما الحسينيات فكان يجتمع فيها أعداد كبيرة من الايرانيين في المناسبات الدينية ، خصوصا في مناسبات العزاء الديني ، حيث تتلى سيرة الحسين ، أو غيره

---

(٦٣) بهشت زهرا . وهي مقبرة الشهداء في طهران .

من أئمة الشيعة ، ويشدد الخطباء على مقاومته للظلم وتضحيته بنفسه في سبيل معتقده ، ويحثون الشعب على التضحية بنفسه في سبيل وطنه ، والمساجد كان يجتمع فيها المؤمنون خمس مرات كل يوم ، مما يتيح للمناوئين للشاه للاجتماع بحرية وتنظيم خطط المعارضة ونفخ نار الثورة في الجماهير ، خصوصا وأن بعض خطباء المساجد كانوا من أشد المعارضين لنظام الشاه • وهكذا استطاعت مقابر وحسينيات ومساجد الشعب أن تهزم قصور وسجون ومخافر الشاه •

لقد اشتد تحرك الجماهير ضد الشاه منذ سنة ١٩٧٧ حيث كسر الناس حاجز الخوف ، وانطلقوا علنا يهتفون بسقوط الشاه وبعودة الخميني وبالحرية للشعب الايراني كله !

ان معظم الثورات في ايران كانت ثورات يشعلها أهل المدن وتنحصر أحداثها ونتائجها في المدن ، بينما يظل الريف ، وهو الذي يضم الأغلبية الساحقة من الايرانيين ، بمعزل عنها ، أما هذه المرة فقد شارك الريف بكل جماهيره الكادحة في الثورة ومدها بالدم والضحايا حتى انتصرت !

لقد ساهم نزوح مئات الألوف من الفلاحين من قراهم الى المدن الى أن يصبح هؤلاء عاطلين عن العمل ، فكانوا يشاركون في الاضرابات والمظاهرات التي كثر حدوثها في السنوات الاخيرة من حكم الشاه ، وخلال فترة قصيرة يتعلم أولئك الفلاحون السذج أشياء كثيرة عن حقوق الأفراد ونضال الشعوب ويشاهدون بأنفسهم وحشية النظام في قمع حركة الجماهير ، فيصبحون « ثوارا » بالقوة ، وعندما يعجزون عن ايجاد عمل يعيشون منه ، يرجعون الى قراهم فيصبحون ، حتى بدون أن يقصدوا أحيانا ،

« دعاة » للثورة ، فيحدثون أصدقاءهم وأهلهم في القريـة عما شاهدوه وسمعوه في المدينة ، فيشحنون أهل القرية بروح التمرد والثورة ، وبذلك بدأ الريفيون لأول مرة يشعرون أن ثـورة المدن هي ثورتهم ·

وهناك عامل آخر طبع هذه الثورة بطابع الثورة الشاملة ، وهي مشاركة الطبقة البورجوازية الوطنية بالثورة ، خصوصا تجار « البازار » في طهران ، واذا كانت ثورة ١٩٠٦ انطلقت في البداية من البازار في طهران ، فان الثورة الشعبية الاخيرة كان للبازار فيها دور رئيسي ساهم في سقوط الشاه ، لأن البازار لا يزال يعتبر عصب الحركة التجارية في طهران ، حيث يضم هذا البازار ما يقرب من /٥٠/ ألـف محل يعمـل فيها حوالي /٢٠٠/ ألف شخص ويرتاده يوميا ما يقرب من نصف مليون شخص ، وتعقد فيه صفقات تجارية تبلغ بضعة مليارات مـن الريالات كل يوم · وقد حارب النظام هذه الطبقة من التجار ، وعمل على مضايقتها ، فأخذ البهائيون واليهود يسيطرون على التجارة الداخلية والخارجية بمساندة من النظام ، كما أنه في سنة ١٩٧٧ وحدها عقدت مئتان وخمسون جلسة محاكمة التجار من البازار حكم عليهم فيها بغرامات مالية كبيرة ، كعقاب لهم على وطنيتهم ، مما جعل تجار البازار يشاركون أبناء الشعب في الثورة واغلاق محلاتهم ، كما أنهم تبرعوا بمبالغ كبـيرة لمصلحة الثورة خصوصا في النصف الثاني من سنة ١٩٧٨ ·

هذه العوامل كلها ساعدت على قيام الثورة ، ولكن جميـع الشخصيات والزعماء الذين شاركوا في الثورة ، سواء كانوا من العلمانيين أو المتدينين ، ومن اليمين أو اليسار ، كانوا يفتقرون

الى الزعامة الجماهيرية الساحقة ، ولذلك برز الخميني كقائد للثورة بلا منازع ٠

لقد كان الخميني تجسيدا للطهارة والغضب معا ، والطهارة ملح الثورة والغضب بركانها ، كما أن الصفة الرئيسية في الخميني أنه مستقيم كحد السيف لا يقبل مساومة ولا يرضى أنصاف الحلول ، لذلك كانت ثقة الجماهير به مطلقة تكاد تصل الى حد التقديس ! هذا بالاضافة الى أن الجهاز الديني كان منظما أبدع تنظيم ، فقد كانت هناك لجنة عليا مؤلفة من مئتي شخص من أبرز رجال الدين وأساتذة الجامعات كانت تتلقى التعليمات من الخميني في منفاه ، وتنظمها ثم تتولى نشرها بين أفراد الشعب من خلال شبكة رجال الدين التي يزيد عدد أفرادها عن مئة وخمسين ألفا ، ينتشرون في كل حي وقرية في كل أرض ايران ، وكانت هناك لجان منظمة للاهتمام بالشؤون المالية والاجتماعية والاعلامية للثورة ، وكانت وظيفة بعضها الاشراف على مبيت واطعام آلاف المتظاهرين القادمين من خارج العاصمة طهران ، وقد استفادت التنظيمات الاسلامية من آخر مبتكرات التقنية الغربية ، فكانت خطب الخميني ونداءاته وتعليماته تنقل بواسطة الأشرطة (كاسيت) من منفاه في العراق ثم في فرنسا الى طهران ، وخلال ساعات تكون ألوف النسخ من هذه الأشرطة قد جرى تسجيلها وأخذت تتداولها الأيدي سرا ، لتستمع اليها في زوايا المنازل وداخل المساجد ، وراجت سوق تلك الأشرطة حتى ان الطلب عليها فاق الطلب على كافة الاشرطة المسجلة لكبار المطربين والمطربات الايرانيين ، رغم ان بائعها كان يتعرض للاهانة ولمصادرة بضائعه ، بينما يكون السجن

والتعذيب نصيب من يشتريها ، وضربت تلك الاشرطة الرقم القياسي في الرواج «Best Sellers» ، وفقد الاعلام الحكومي رونقه وجمهوره رغم المليارات من الدولارات التي أنفقت عليه ·

صيف وخريف ١٩٧٨ :

أخذت الثورة ، منذ صيف سنة ١٩٧٨ تشتد عنفا وتزداد اتساعا ، حتى شملت قطاعا واسعا من جماهير الشعب بحيث صار من الصعب قمعها أو الحد منها !

عمل الشاه على اجراء بعض التعديلات والتراجعات محتقا بعض المطالب الشعبية لكسب عطف الجماهير وتخفيف النقمة على نظام حكمه ، فألغى ، في صيف ١٩٧٨ العمل بالتقويم الفارسي وأعاد التقويم الهجري الشمسي ، كما أعلن عن استعداده لاعادة العمل بالمادة الثانية من الدستور التي تعطي للعلماء حق مراجعة القوانين قبل صدورها ، كما عمل على تغيير حكومات عدة لارضاء المعارضة ، ففي هذا العام (١٩٧٨) كان رئيس الوزراء شريف امامي ثم جاء الجنرال غلام رضا ازهاري ، وقد حاول الشاه اقناع كريم سنجابي ، زعيم الجبهة الوطنية بقبول رئاسة الحكومة لكن هذا رفضها ، وقد تمكن الشاه من اقناع أحد المعارضين البارزين « شاهبور بختيار » بتولي رئاسة الحكومة ، وقد اشترط هذا شرطين لقبول المسئولية أولهما مغادرة الشاه البلاد لفترة معينة تهدأ فيها الاوضاع ، وثانيهما منحه صلاحيات استثنائية لاجراء بعض الاصلاحات التي يطالب بها المعارضون ،

وقد قبل الشاه الشرطين لمنح شاهبور بختيار الفرصة لكسر حدة الثورة وحفظ العرش للأسرة البهلوية !

استمرت الثورة في التصاعد ، لأن تعليمات الخميني جاءت واضحة قاطعة : لن تتوقف الثورة حتى تقتلع جذور الأسرة البهلوية من أرض ايران كلها !

اشتركت في الثورة جميع طبقات الشعب وفئاته من عمال وفلاحين ومثقفين وطلاب وحتى بعض موظفي الدولة وكثير من عناصر الشرطة والجيش ، ولقد ساهم بالثورة كل الايرانيين من مختلف الأعمار ، حتى الاطفال كانوا يرمون الحجارة على الجنود من سطوح الأبنية ، بل ان بعضهم استخدم « النقيفة » كسلاح فعال وكاتم للصوت ، ورمت النسوة من النوافذ البندورة الفاسدة والزرنيخ على الجنود ، وقامت العجائز بالمساعدة في اقامة المتاريس في الشوارع ، وكانت نساء كثيرات يقمن بطبخ الطعام وتهيئة الخبز والشاي والحلوى للمقاتلين ، بعد أن عاشت طهران في الأسابيع الاخيرة من الثورة بلا كهرباء وفي بعض الأحيان بلا ماء !

وعندما وقع الصدام الرهيب بين المتظاهرين والجيش في يوم الجمعة الثامن من سبتمبر ١٩٧٨ قتل حوالي أربعة آلاف شخص (كان بينهم سبعمائة امرأة) معظمهم كان في طهران ، وقد دعي ذلك اليوم « بالجمعة الأسود » وأصبح حافزا جديدا للثورة للتخلص من نظام الشاه ٠

في الأسابيع التالية ازدادت مقاومة الشعب ضراوة ، وشملت كل مرافق الحياة ، فشلت الأسواق ، وأغلقت معظم المخازن ، وتوقفت العديد من وسائل النقل للنقص الظاهر في الوقود ،

وتوقفت النوادي الليلية والملاهي ، وأخذ الناس يلتزمون بيوتهم منذ الغروب ، ولا يعـود في الشوارع الا المناضلون ورجـال الجيش ، وفي ٦ نوفمبر ١٩٧٨ توقفت كل الصحف عن الصدور احتجاجا على الرقابة التي كانـت مفروضـة عليها ، وفي ٢٦ ديسمبر من نفس السنة توقف عمال النفط في عبادان عن ضخ النفط وشحنه ، تضامنا مع نداء وجهه الخميني من مقـره في نوفل لوشاتو بفرنسا (٦٤) ، وقد أدى ذلك كله الى تعرية النظام الملكي بحيث بدا واضحا ان الشاه وحفنة من رجال قصره وبعض جنرالاته يقفون في مواجهة الشعب كله ، وكان لا بد من حسم الأمر ، فكان الحل خروج الشاه برحلة طويلة وهذا ما حدث •

خروج الشاه من البلاد :

غادر الشاه البلاد مع زوجته في ١٦ يناير ١٩٧٩ وجرى له في مطار طهران وداع رسمي حافل ، وقد حمل الشاه معه صندوقا صغيرا زعم أن به ترابا من أرض ايران ، وقد تشكل مجلس وصاية على العرش برئاسة جلال طهراني حتى عودة الشـاه المزعومة (٦٥) !

---

(٦٤) بدأ تصدير النفط من جديد في ٥ مارس ١٩٧٩ وكانت اول شحنة نفط في عهد الثورة مرسلة الى اليابان وقد قرر مدير شركة النفط الايرانية الجديد حسن نزيه منح العمال قيمة تلك الشحنة مكافأة لهم علـى تضامنهم مع الثورة .

(٦٥) بعد خروج الشاه من ايران حط في مصر بضيافة السادات ، ثم انتقل الى المغرب لبضعة اسابيع ومنه الى جزر البهاما واخيرا استقر في المكسيك وهو اليوم في بناما تحت حراسة دائمة .

أخذ بختيار يعمل بنشاط كبير لتحقيق أهم المطالب التي كان ينادي بها الناس فحل جهاز السافاك الرهيب ، وقد وافق مجلس الشيوخ الايراني نهائيا في ٦ فبراير على قانون الغاء جهاز السافاك ، وعلى قانون محاكمة الوزراء والموظفين المتهمين بالرشوة والفساد ، كما أطلق عدد كبير من السجناء السياسيين والموقوفين احتياطيا،ومنح الصحافة حرية كاملة فمادت للصدور، لكن الخميني ظل على اصراره في رفض حكومة بختيار لأنها تشكلت بأمر من الشاه وهو نفسه ليس الحاكم الشرعي للبلاد ، وأمر الخميني بختيار بأن يستقيل فورا اذا أراد المحافظة على سمعته وكرامته ، لكن بختيار أصم أذنيه وأعلن أنه الحاكم الشرعي للبلاد !

وقد لخصت احدى المتظاهرات رأي شعبها بحكومة بختيار بقولها للمراسلين الاجانب : « نحن لا نقبل بحكومة بختيار لأنه كالماء الفاتر ونحن أصبحنا في درجة الغليان » •

لم يؤد خروج الشاه من البلاد الى خمود الثورة ، بل بالعكس، كان ذلك دافعا للثوار لتحقيق انتصارات أخرى ، والقبض على السلطة نهائيا ، ولذلك استمرت المظاهرات ووقع المزيد من الصدام بين الجيش والشعب وسقط المزيد من الضحايا ، وقد أخذ التمرد بين عناصر الجيش يزداد ، ورفض كثير من الطيارين الطيران بطائراتهم المحملة بالقنابل لالقائها على جموع الثوار ، كما أخذ كثير من عناصر سلاح الجو يشتركون بالمظاهرات المناوئة للنظام ، وهكذا أخذ يظهر تفسخ النظام وبدء انهيار بنيانه ، خصوصا وأن عددا متزايدا من أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ أخذ يقدم استقالته من منصبه بناء على أوامر الخميني •

عودة الخميني للوطن :

أعلن الخميني في يناير ٧٩ أنه سيعود لأرض الوطن لتشكيل سلطة شرعية تنهي حكم الأسرة البهلوية وتستلم السلطة وتقيم نظاما اسلاميا خالصا ·

أعلن رئيس مجلس الوصاية أنـه ذاهب للقاء الخميني في باريس للتفاهم معه ، وبعد مقابلته له أعلن استقالته من مركزه وبقائه في باريس ·

عندما أعلن الخميني عن عزمه العودة للوطن حاول بختيار تأخير عودته أو منعها ، وعرض أن يسافر الى باريس للقـاء الخميني ، لكن هذا رفض استقباله الا اذا كان قادمـا بفرض الاستقالة ، وعندما تأكد عزم الخميني على المجيء لايران أمر بختيار باغلاق كافة مطارات ايران بحجة المحافظـة على حياة الخميني ، ولكن الأمور كانت تتطور لمصلحة الخميني ، اذ أعلن بعض قطاعات الجيش عدم رغبتهم بالنزوع للشوارع لمقاومـة المظاهرات ، كما أن عشرات الألوف من المواطنين أخذوا بالزحف الى مطار مهراباد لاستقبال الخميني ، عند ذلك لم يجد بختيار بدا من اعادة فتح المطارات والسماح للخميني بالعودة ·

وفي الأول من فبراير ١٩٧٩ كانت العودة الظافرة للخميني بعد غيبة استمرت خمسة عشر عاما عن أرض الوطن ، ونزل الخميني من الطائرة الفرنسية في مطار مهراباد ليجد ما يقرب من مليوني شخص في استقباله ، وتوجه فورا الى مقبرة الشهداء حيث تلا الفاتحة على أرواحهم ، وبعد ذلك اتخذ من مدرسـة سبهسالار الدينية مركزا له ، وأعلن أنه لا يزال مصمما علـى اعتبار الحكومة القائمة غير شرعية ، وأنه سيعمل على تشكيـل

حكومة اسلامية جديدة ، وأعلن أن مهدي بازاركان هو رئيس الحكومة الجديدة •

استمر شاهبور بختيار يمارس الحكم باعتباره رئيس الوزراء الشرعي ، واستمر الشعب بالتظاهر ، وكانت المظاهرات تتسع يوما بعد يوم ، بينما أخذت تخف مقاومة الجيش لها ، وكخطوة ودية نحو الخميني منع بختيار رجال الجيش من التصدي للمظاهرات ، حتى كان صباح الثامن من فبراير عندما تظاهر مليون شخص كان بينهم حوالي ألف من جنود وضباط سلاح الجو بملابسهم العسكرية •

في صباح اليوم التالي (٩ فبراير) نشرت الصحف صور المظاهرات وكانت صور العسكريين بينهم ، فأسرع رئيس أركان الجيش للاعلان أن الصور مزورة لأن العسكريين لا يشتركون في المظاهرات ، وكان اشتراك العسكريين دليلا على مدى الانقسام بالجيش !

في مساء اليوم نفسه ، أثناء سريان منع التجول ، قامت مجموعة مؤللة من فرقة الخالدين بمهاجمة ثكنة فرح آباد الجوية، القريبة من طهران ، لتأديب الجنود الذين خرجوا عن الولاء للشاه باشتراكهم في مظاهرة الأمس ، وكان ذلك الهجوم الشرارة التي أشعلت معركة طهران ونقلت ايران من عهد الى عهد •

معركة طهران :

استمر القتال حتى صباح السبت في العاشر من فبراير ، ولم يتمكن المهاجمون من الحرس الامبراطوري من الدخول الى القاعدة ، خصوصا بعد أن أخذ المناضلون يتقاطرون الى الثكنة

لنجدة عناصر سلاح الجو ، واتخذ الثوار من جامعة طهران مركزا للقيادة ولغرفة العمليات.، وقد تمكن الثوار خلال هذا اليوم من القضاء على المهاجمين لثكنة فرح آباد ، ومن السيطرة على قسم كبير من وسط طهران ، كما هاجموا السجن المركزي وسجن أفين وبقية سجون طهران وأخرجوا منها ما يقرب من /١١/ ألف معتقل ، وقد أسروا بعض جنرالات الجيش وأوقفوهم في احدى طبقات المدرسة الاسلامية حيث يقيم الخميني ، وفي عصر هذا اليوم أعلن أمير حسين ربيعي قائد السلاح الجوي تأييده للثورة.

استمر القتال بين أنصار الثورة وأنصار النظام الملكي طيلة يوم السبت وطيلة ليل الأحد ، وفي صباح الأحد الحادي عشر من فبراير اقتحم الثوار مقر البعثة الاسرائيلية ، فأحرقوا أثاثها ورموا بهِ الى الشارع ، وصادروا الوثائق التي عثروا عليها ونقلوها الى مركز القيادة ، وفكوا الاجهزة الاليكترونية الموجودة في المقر ، وعلقوا على مدخلها لافتة تشير الى أنها أصبحت سفارة جمهورية فلسطين .

كما استطاع الثوار الاستيلاء على معظم الأبنية الرسمية من دوائر ووزارات في طهران ، وقد أحرقوا معظم محتوياتها أو بعثروها في الشوارع . وفي ظهر هذا اليوم صدر البيان التاريخي باسم رئيس أركان الجيش « عباس قره باغي » معلنا وقوف الجيش على الحياد في الصراع بين حكومتي بختيار وبازاركان ، وقد وفر ذلك البيان الهام كثيرا من الضحايا والجهد على الثورة، وسهل لها طريقها ، كما أنه أسقط آخر ورقة كانت بيد بختيار ، وبعد ذلك بساعات أعلن وزير الزراعة « منوجهر كاظمي » أن رئيس الوزراء شاهبور بختيار استقال ، ثم اختفى عن الانظار ،

ولم يعرف مصيره (٦٦) ٠

بعد وقوف الجيش على الحياد ، لم يعد هناك من قوة تقف في وجه الثوار ، فاستولوا على مبنى الاذاعة والتلفزيون ، بعد انسحاب القوة العسكرية التي كانت تحرسه ، ودعيت الاذاعة صوت الثورة الايرانية ، وأصبح صادق قطب زاده مسؤولا عن الاعلام في النظام الجديد ٠ كما تمكن الثوار من محاصرة مركز فرقة الخالدين وشل نشاطها ، وقد قتل هذا اليوم الجنرال بدري لورستاني قائد القوات البرية بأيدي رجاله لأنه كان يريد الاستمرار في المقاومة ، كما قبض على الجنرال منوجهر خسروداد قائد الحرس الامبراطوري بعد فشله بالهرب بواسطة طائرة هليكوبتر ٠

وحوالي الظهر استطاع الثوار الاستيلاء على ثكنة « عشرت آباد » الضخمة ، بعد أن تم حرق قسم من أبنيتها بواسطة قنابل مولوتوف ، وقد استسلم ألفا جندي وضابط كانوا فيها ، وقدم لهم الثوار ثيابا مدنية ليتمكنوا من الخروج بها دون التعرض للقتل أو الايذاء ، وهكذا لم يكد ينتهي اليوم الثاني من القتال حتى كانت معظم أركان العهد الملكي تتهاوى تحت ضربات الثوار المتلاحقة ٠

وفي هذا اليوم ، كذلك ، أعلن سعيد جوادي رئيس مجلس النواب أن المجلس أصبح بحكم المنحل بعد أن قدم جميع الاعضاء

---

(٦٦) ظهر شاهبور بختيار بعد بضعة اشهر من اختفائه في باريس علنا ، واخذ ينتقد سياسة الحكومة الاسلامية ، ويبشر بسرعة سقوطها ، وقد نظم مع بعض انصاره في لندن مهرجانا كبيرا مناوئا لسياسة الجمهورية الاسلامية ٠

الباقين في المجلس استقالاتهم منه ·

تميز اليوم الثالث من معركة طهران ، وهو يوم الاثنين ١٢ فبراير ، بعمليات تطهير الجيوب التي ظلت تقاوم لآخر لحظة، وقد استفاد الثوار من عشرات آلاف قطع السلاح التي استولوا عليها من المخافر والثكنات العسكرية خصوصا ثكنة عشرت آباد ، وكان من بين الأسلحة التي أصبحت بحوزة الثوار الرشاشات الثقيلة ومدافع الهاون وحتى الدبابات والسيارات المصفحة ·

وطبقا للاتفاق الذي أبرم بين قيادة الثوار ورئاسة أركان فرقة الخالدين ، تم تسليم الحرس الامبراطوري بدون اطلاق نار ، اذ تقدمت لجنة ثورية من أربعين شخصا على رأسها ملا الى الثكنة وتسلمت بناءها ومستودعاتها ، وأطلقت الجنود الذين كانوا يبكون بحرقة وألم للانكسار الذي حل بهم ، بينما جرى التحفظ على كبار الضباط فيها !

لقد أصبحت جميع الثكنات العسكرية في طهران بأيدي الثوار وهي عباس آباد وجمشيد آباد وفرح اباد وعشرت اباد ، كما سيطر الثوار على كافة المراكز العسكرية من كليات ومعاهد ومخافر ، وفي الساعات الاخيرة من هذا اليوم سقط قصر نياوران الملكي بدون مقاومة ، بعد أن سيطر الثوار قبل ذلك على القصور الملكية الأخرى كلستان ومرمر وسعد آباد وأخذ الثوار يتجولون في غرف هذه القصور وأجنحتها كيفما شاؤوا بعد أن كان محرما عليهم الاقتراب من أسوارها !

وهكذا أصبحت طهران في قبضة الثورة ، وارتفع الهتاف مدويا من حناجر مئات الألوف من المقاتلين المنهوكي القوى والتعبين بعد قتال دام حوالي ستين ساعة متواصلة وكان الهتاف

« الله أكبر انتصرنا (٦٧) » .

عشية الانتصار ، في اليوم الثالث ، أخذ المقاتلون يحاولون اختلاس فرصة قصيرة للراحة ، في ذلك الجو الحماسي الرائع ، الذي سيطرت فيه روح من التسامح الديني بحيث ان كل القضايا والمشاكل والعقد كانت تحل بالصلاة على النبي .

انتقل رئيس الوزراء بازاركان الى المقر الرسمي للحكومة ، وعين الجنرال محمد ولي قرني رئيسا جديدا لأركان الجيش (٦٨) والجنرال محمد علي نوروزي قائدا للشرطة . وألقى الخميني من التلفزيون أول رسالة عامة له بعد انتصار الثورة : طالب فيها الايرانيين بتسليم كل الاسلحة التي لديهم الى قيادة الثورة وتجميعها بالمساجد ، واعتبر بيع الاسلحة في هذا الظرف كفرا ، وحرم حمل السلاح الا على جنود الاسلام ، واختتم رسالته بالتهديد بقتل كل من يرتكب عملا مخلا بالأمن ، أو يقوم بالهجوم على مراكز الجيش أو الشرطة لأن هؤلاء أصبحوا ضمن الثورة ، وأخيرا طمأن الاقليات غير الاسلامية في ايران على حياتها ومستقبلها .

ان الثورة الاسلامية في ايران لم تقدم جزءا ضئيلا مما قدمته ثورة فيتنام أو ثورة الجزائر من ضحايا وشهداء ، بل انها لم تخسر من رجالها بقدر ما خسرته الثورة الفلسطينية التي لا تزال تسير على درب الآلام والتضحيات ، اذ أن مجموع ضحايا الثورة طيلة عهد الأسرة البهلوية لم يتجاوز ستين ألفا ، ومع ذلك كله

---

(٦٧) وبالفارسية : الله اكبر وبيروز شديم .

(٦٨) بعد بضعة اشهر من تعيينه عزل من وظيفته ، ثم قامت جماعة متطرفة تدعو نفسها « بالفرقان » باغتياله .

فقد كان انتصارها قاطعا وزائما ، فغير مركز ايران ووجهها ، ونقلها من معسكر الى آخر ، كما أن له تأثيراته الفاعلة في مجرى الأحداث في الشرق الأوسط ، ولا يرجع ذلك الى قوة السلاح الذي كانت تحمله الثورة الايرانية ، فسلاح الثوار كان بسيطا وضئيلا ، بينما كان النظام الشاهنشاهي يملك آلة حربية فاقت كل ما عرفه الشرق الأوسط من قوة عسكرية ، بل يرجع ذلك الى الايمان العميق بقدرة الشعب ، هذا الايمان الذي صهرته خمسون عاما من الاضطهاد والقهر ، فكانت القبضات مضمومة جيدا بالغضب ، وكانت الأفئدة مندفعة بروح الاستشهاد ، وكانت صيحة القتال هي الله أكبر ، تزلزل أقدام الظالمين وتخلع أفئدتهم ٠

بدء الحكم الاسلامي :

في اليوم التالي لسقوط طهران ، بدأ بازاركان يمارس سلطاته فأعلن في ١٣ فبراير أسماء وزرائه ٠

وحتى تطبق الحكومة المبادىء الاسلامية أصدرت سلسلة من القوانين الفورية فحرمت تعاطي المسكرات وأمرت باتلاف المخزون منها واغلاق الحانات والبارات في كافة أنحاء البلاد ، وأمرت بجلد كل من يتعاطى الكحول علنا ، كما حظرت استيراد اللحوم المجلدة لعدم التأكد من ذبحها على الطريقة الاسلامية وكانت ايران تستورد بقيمة ٦٠ مليون دولار من هذه اللحوم سنويا من أوستراليا ونيوزيلندا وبلدان أخرى ٠

كما جرى حل الحرس الامبراطوري ودمجه بالقوات المسلحة،

وصدر قرار بمصادرة أموال وأملاك الشاه وأسرته في ايران والخارج ، وصادرت أموال مؤسسة بهلوي التي كانت تدر الملايين على الأسرة المالكة ومحاسيبها .

وفي ١٥ فبراير تشكلت المحاكم الثورية الاسلامية السرية التي أخذت تصدر أحكاما بالاعدام على كبار المسكريين والمدنيين الذين ساهموا في خدمة النظام الملكي ومساندته ضد الشعب ، وقاموا بأعمال عدائية متمادية ضد المناضلين الوطنيين (٦٩) ، وكان بينهم أكثر من خمسة عشر جنرالا وستة من النواب والشيوخ ، وثلاثة وزراء سابقين ورئيس وزراء سابق (هو أمير عباس هويدا (٧٠)) .

واذا كان قد أُخذ على هذه المحاكم سريتها وسرعتها وقسوة أحكامها ، فان جميع الذين أدينوا ثبتت التهم عليهم وأتيحت لهم فرصة كافية للدفاع عن أنفسهم ، كما أن القانوني الفرنسي نوري البالا ، الذي قام بجولة تفتيشية على السجون في ايران في عهد الشاه ، شهد أن سجناء الثورة اليوم يعاملون بانسانية ويقدم لهم الطعام الجيد وأن عددهم في سجن قصر بطهران ، وهو سجن الثورة الرئيسي الآن ، لا يتجاوز /١٣٢٩/ معتقلا .

أما في السياسة الخارجية فقد قطعت الثورة كل علاقة لايران

---

(٦٩) تجاوز عدد الذين تم اعدامهم بواسطة محاكم الثورة ٦٠٠ شخص حتى اواخر سنة ١٩٧٩ ، وبين هؤلاء عدد كبير من الذين ارتكبوا جرائم اخلاقية من نساء ورجال .

(٧٠) هو من الاقلية البهائية ، من مواليد سنة ١٩١٩ وقد تولى رئاسة الحكومة منذ ١٩٦٥ حتى اغسطس ١٩٧٧ حيث استقال ثم اصبح وزيرا للبلاط حتى سبتمبر ١٩٧٨ حيث استقال ، واعدمته الثورة في ابريل سنة ١٩٧٩ .

باسرائيل وطردت ٦٧ اسرائيليا بينهم ٢٢ ديبلوماسيا ، وأغلقت مكاتب شركة الطيران الاسرائيلية في طهران (العال) ومنعت التعامل التجاري معها ، وقطعت عنها النفط ، وأعلنت أنها تعتبر نفسها دولة مواجهة مع اسرائيل ، وأن تحرير القدس وفلسطين هو أحد همومها ٠

كما قامت الحكومة الايرانية الجديدة بسحب قواتها المحاربة في عُمان وكذلك قواتها العاملة مع القوات الدولية في الجولان وجنوب لبنان ٠

وبالنسبة للاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، أعلنت أنها ستقف على الحياد ، وألغت كل محطات الاستماع والتجسس الاميركية المقامة على طول الحدود الايرانية مع الاتحاد السوفياتي ، كما أنهت عقود معظم المستشارين والخبراء الاميركيين في الجيش الايراني ، وقطعت كل علاقة لها بجنوب افريقيا لسياستها العنصرية ، وأعلنت تأييدا غير محدود للثورة الفلسطينية ، وألقى جمال سميراني مندوب ايران في هيئة الأمم المتحدة ، خطابا باسم بلاده أدان فيه سياسة اسرائيل ، وكان ذلك الخطاب أبرز علامة على التحول الذي حدث في السياسة الايرانية، لأن ايران في عهد الشاه ، اذا لم تكن مؤيدة للعرب فهي لم تكن كذلك معادية لاسرائيل ، ولقد ندد الخميني نفسه بالمعاهدة المصرية الاسرائيلية باعتبارها خيانة للاسلام ٠ ولما كانت الحكومة الايرانية الجديدة تعتبر نظام الحكم الأفغاني الماركسي ضد مصالح شعبه ، فقد حذرت أفغانستان من التمادي في سياستها، وأغلقت حدودها معها ، وأعلنت أنها تنتظر انتصار الثورة الاسلامية في أفغانستان أيضا ٠

ونظرا للعلاقة الوثيقة التي تربط المقاومة الفلسطينية بالثورة الايرانية ولتأكيد هذه العلاقة قام ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة طهران في ١٧ فبراير ، وفي ١٩ منه افتتح سفارة فلسطين بايران رسميا ، وعين هاني الحسن مديرا لمكتب طهران ، وقد قام بجولة واسعة في مختلف المدن الايرانية ، وكان استقباله أسطوريا ، ويصعب تصوير الحماسة التي قابلت بها الجماهير المشتاقة ياسر عرفات وصحبه وكان هتاف الجماهير فلسطين منصورة واسرائيل مكسورة (٧١) ٠

في أول مارس وصل الخميني الى قم بعد أن أخذت الثورة تثبت أقدامها وقد استقبله في قم مليون شخص ، فألقى خطابا في المدرسة الفيضية ، كعادته قبل خمسة عشر عاما ٠

قيام الجمهورية الاسلامية :

بعد انتصار الثورة خرجت الأحزاب السرية للعلن ، كما أخذت الأحزاب والتنظيمات التي قاتلت نظام الشاه طيلة السنوات الماضية ، بالمشاركة في الحياة السياسية ، وكانت الجماهير الاسلامية العريضة التي قامت بالثورة ، وقادتها شخصية الخميني وتعليماته ، بحاجة الى حزب يبلور فكر الثورة الاسلامية ، ويكون رمزا لاشتراكها في الحياة السياسية ، فقام الحزب الجمهوري الاسلامي بايماز من الخميني ، وتألفت هيئته التأسيسية من الأئمة :

---

(٧١) فلسطين بيروزه واسرائيل نابوده ٠

من جواد باقر وعبد الكريم الموسوي الاردبيلي وعلي خامنه‌ئي وعلي أكبر هاشمي رفسنجاني والدكتور محمد بهشتي ، وتضم لجنته المركزية ثلاثين عضوا ، ويشترط لدخول عضويته أن يكون المنتسب مسلما ومؤمنا بخط الخميني وبحرية واستقلال بلاده وبالجمهورية الاسلامية . وخلال عشرين يوما من اعلان قيامه تجاوز عدد أعضائه أربعمائة ألف .

لم يكن في فكر كثيرين من قادة الحركة الاسلامية كيف سيكون شكل الحكومة الاسلامية القادمة ، فبعضهم كان يريدها جمهورية ديموقراطية اسلامية وبعضهم الآخر جمهورية اسلامية شعبية ، كما أن الاحزاب الاخرى نادت بقيام جمهورية شعبية ايرانية أو جمهورية ديموقراطية شعبية . كما أن كثيرين طالبوا بقيام جمهورية ايران فقط محل النظام الملكي الايراني .

والخميني وحده كان يعرف ماذا يريد ، فهو رغم المظاهرات المؤيدة أو المنددة كان يصر على أن تكون حكومة المستقبل جمهورية اسلامية فقط ، ويبدو لنا فكر الخميني من خلال أماليه على طلابه بالنجف الأشرف حول الحكومة الاسلامية :

« ... واذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عادل وعالم فانه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي منهم ، ووجب على الناس أن يسمعوا ويطيعوا ، ويملك هذا الحاكم من أمر الرعاية والادارة والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وأمير المؤمنين (ع) على ما يمتاز به الرسول والامام من فضائل ومناقب خاصة ، لأن فضائلهم لم تكن تخولهم أن يخالفوا تعاليم الشرع ، أو يتحكموا في الناس بعيدا عن أمر الله ، وقد فوض الله الحكومة الاسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة

نفس ما فوضه الى النبي وأمير المؤمنين من أمر الحكم والقضاء والفصل في المنازعات ، وتعيين الولاة والعمال وجباية الخراج وتعمير البلاد ، وغاية الأمر ان تعيين شخص الحاكم الآن مرهون لمن جمع في نفسه العدل والعلم ، ذلك ان الامامة واجبة ، والامام هو خليفة النبي وولي الأمر بعده ، والعلماء هم ورثة الانبياء ، وجميع شؤون الرسول قابلة للانتقال والوراثة ، ومن جملتها الامارة على الناس وتولى أمورهم من كل ما ثبت للأئمة من بعده، وللفقهاء من بعد الأئمة ، يستثنى من ذلك ما اختص به النبي نفسه بدليل خارجي ... » .

ثم كان الخميني يخاطب طلابه بقوله :

« وأنا على يقين أنكم قادرون على ادارة دفة الحكم عند تقويض أسس الجور والظلم والعدوان ، وكل ما تحتاجون اليه من قوانين ونظم فهو موجود في اسلامنا ، سواء في ذلك ما يتصل بادارة الدولة والضرائب والحقوق والعقوبات وغيرها ، لا حاجة بكم الى تشريع جديد ، عليكم فقط أن تنفذوا ما شرع لكم ، وهذا يوفر عليكم الكثير من الوقت والجهد ، ويغنيكم عن استعارة قوانين من شرق أو غرب . كل شيء ، ولله الحمد ، جاهز للاستعمال ، ويبقى تنظيم الوزارات واختصاصاتها وأعمالها ووظائفها وذلك يتم على أيدي الاختصاصيين بأسرع وقت .

ما ليس في القرآن فموجود في سنة الرسول (ص) أو في حديثه المثبت غير الموضوع وغير المنحول ، أو أنه موجود في خطب الامام علي ورسائله والثابت من أقواله ، أو في ما تركه الأئمة المعصومون من بعده ، وهم اثنا عشر اماما « غاب » آخرهم لحكمة يريدها الله

ليكون من يمد ، ومتى حان الأجل ، المسمى « المهدي المنتظر » بوصفه « صاحب الزمان » » .

في ١١ مارس أرسل الخميني فرمانا الى بازاركان لاعداد الترتيبات لاجراء استفتاء حول الحكومة الاسلامية المقبلة .

وفي يوم الجمعة ٣٠ مارس بدأ الاقتراع الشعبي على الجمهورية (٧٢) الاسلامية ، وكان امام الناخبين المسجلين الذين بلغ عددهم ٢٢ مليونا تقريبا سؤال واحد فقط يجيب عليه بلا أو نعم وهذا السؤال هو : هل تريد جمهورية اسلامية لتحل محل النظام الملكي ؟

أقيمت مراكز الاقتراع في كافة أنحاء البلاد ، في المساجد والمدارس والدوائر الحكومية وغيرها ، كما كان هناك مراكز اقتراع متحركة للوصول الى القبائل الرحل في بعض مناطق ايران ، وكان كل ناخب يأخذ بطاقة واحدة ، بعد التثبت من هويته ، فيمزقها قسمين يضع أحدهما الذي يضم كلمة نعم أو لا في الصندوق ويرمي القسم الآخر خارجا ، وقد سمح لمن كان يحمل بطاقة زوجته أن يدلي بصوته عنها ، وانعدم وجود الغرف السرية ، وكانت بطاقة اثبات الشخصية تختم بختم خاص ، كما كانت تجري تغطية ابهام من يشترك بالاقتراع بحبر خاص يدوم ٢٤ ساعة ، وذلك منعا للتزوير والغش .

سمح لمن يريد نظام حكم غير الجمهورية الاسلامية أن يدون ذلك على بطاقة الاقتراع ، وقد استمر الاقتراع من الثامنة صباحا حتى الثامنة مساء ، وكان الاقبال على الاقتراع شديدا

---

(٧٢) كان عددهم ٠٠٠ر٧٠٠ر١٨ وبعد خفض سن الاقتراع الى ١٦ سنة وصلوا الى ٢٢ مليونا .

خصوصا من أبناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة ، وتخلف عن الاقتراع أنصار النظام الملكي السابق ، وكثير من اليساريين ، كما قاطعها الاكراد السنة لاستيائهم من سياسة الحكومة الجديدة ٠

استدعت الحكومة الايرانية بعض كبار المحامين الدوليين لمراقبة عملية الانتخاب وقد شهد أحدهم (السيد نوري البالا) بأنه رغم عدم انسجام الاقتراع مع ما تعرفه الديموقراطيات الغربية ، الا أن الاقتراع بحد ذاته كان يظهر أن هناك حكومة تستشير الشعب بمصيره منذ /٢٥/ سنة على الأقل ٠٠٠ كما أنه كان يخلو من التزوير الحكومي لأن النتائج كانت معروفة سلفا ٠

في الرابع من ابريل أعلن أن ٢٠ر٢٨٨ر٢٠ صوتا قال نعم وان ٩٦٦ر١٤٠ فقط قال لا ، وبذلك فازت الجمهورية الاسلامية بأغلبية نسبتها ٣ر٩٩ ٪ وأعلن رسميا قيام الجمهورية الاسلامية في ايران ٠

وهكذا قامت أول جمهورية في تاريخ ايران ، وكانت جمهورية اسلامية جعلت من الحكومة الاسلامية الأولى في عهد النبي أو عهد الخلفاء الراشدين فقط مثالا لها ونموذجا تحتذيه ، واعتبرت جميع الحكومات الحالية التي تدعي الاسلام خارجة عن نظام الاسلام وتطبقه بشكل مشوه ٠

ان الجمهورية الاسلامية ستقوم ، كما يقول قادتها ، على تكافؤ الفرص والديموقراطية والحرية والشورى والتوزيع العادل للثروة ، والمساواة والاخاء وصيانة حقوق الانسان ، والانتاجية المفيدة التي تمنع المواطن من الغنى الفاحش بطرق ملتوية على حساب الشعب ٠ وهم يعترفون أن الجهد والتضحيات

التي يجب بذلها للقضاء على الظلم والفساد الذي يسيطر على ايران يفوق بكثير الجهد الذي بذل للقضاء على حكم الشاه نفسه ٠

ويمكن ايجاز أبرز المشاكل التي تواجه النظام الاسلامي الجديد فيما يلي :

١ ـ اقامة المجتمع الاسلامي :

ان اقامة المجتمع الاسلامي في ايران ليست بالسهولة التي نتصورها ، رغم ان معظم الايرانيين من المسلمين ٠ وتبلغ نسبة المسلمين ٩٨ ٪ من الايرانيين ، أما غير المسلمين وعددهم ٢ ٪ فيتوزع كما يلي :

/٨٥/ ألفا من اليهود (منهم ٤٥ ألفا في طهران وحدها) ولهم تجمعات صغيرة في مدن أصفهان وشيراز وعبادان ، وقد غادر معظمهم ايران قبيل نجاح الثورة ، ولا يزيد عددهم الآن عن /٣٠/ ألفا ، بعد أن أعلنت لجنة من المثقفين الناطقين باسمهم عن رغبتهم بالبقاء والاندماج في المجتمع الايراني والمشاركة بالثورة ، ومقاومة الصهيونية والعمل على حفظ الثقافة اليهودية أيضا ٠ ويسيطر اليهود ، مع البهائيين ، على أجزاء عريضة من الاقتصاد الايراني كالبورصة والصيرفة والبنوك والشركات الانتاجية الكبرى ، وتعتبر عائلتا «لطيفيان» و « القانيان » من أكبر العائلات اليهودية الايرانية الثرية ، وقد قامت عائلة القانيان بتقديم مساعدات مالية وقروض للشاه في فترات مختلفة ، كما كانت تقدم مساعدات لاسرائيل ، وبعد قيام الثورة أعدم عميد هذه العائلة « حبيب القانيان» وصودرت

أمواله وممتلكاته لثبوت تماونه المالي مع الشاه واسرائيل !
ولليهود نائب واحد بالبرلمان .

/٣١٠/ ألفا من المسيحيين (بينهم حوالي ٢٨٥ الف أرمني) من الارثوذكس والكاثوليك والكلدانيين والأشوريين ، وأقدم كنيسة أرمنية موجودة في « ماكو » بايران ، ويتجمع المسيحيون في طهران وأصفهان وتبريز وعبادان ، ولهم في طهران وأصفهان عدة كنائس ومدارس وجمعيات ، ويعمل معظمهم في المهن الحرة والحرفية ، وكان لهم نائبان في المجلس وعضو بمجلس الشيوخ وعدة نواب وزراء (حسب الدستور لا يجوز أن يلي الوزارة الا المسلمون) .

/٤٠/ ألفا من الزرادشتيين ويتجمع معظمهم في طهران ويزد وكرمان ، ولهم حوالي ٢٠ آتشكده (معبدا) وعدة مدارس وصحفا ، ويقبلون على التجارة والمهن الحرة ، نسبة المثقفين بينهم ثقافة عالية نسبة كبيرة ، ولهم نائب واحد في البرلمان ، ويوجد منهم جالية كبيرة في الهند يقرب عددها من مئة ألف ويطلق عليهم هناك البارسيين .

أما البهائيون فيقرب عددهم من مئة ألف ويوجد معظمهم في طهران وشيراز ونجف آباد ، ومعبدهم الاكبر « حظيرة القدس » موجود في طهران ، وهم واليهود أصحاب السيطرة على الاقتصاد الايراني ، ومعظمهم يعمل في البنوك وأعمال البناء والمقاولات وفي ادارة الشركات الكبرى ، وبينهم كثير من الأثرياء ، وتربطهم بالبهائيين الايرانيين الذين هاجروا للولايات المتحدة صلات قوية عاطفية ومالية ، وكانوا يساندون النظام الملكي بقوة ويدعمون الشاه .

أما من الناحية الاثنوغرافية فان الايرانيين يتألفون من عدة قوميات أبرزها الفرس الذين يشكلون ٤٠ ٪ ـ ٥٠ ٪ من السكان ويوجد القسم الأكبر منهم في خراسان وفارس ووسط ايران ، والأتراك (ويسمون الآذريين أيضا) وتبلغ نسبتهم حوالي ٢٠ ٪ ـ ٢٥ ٪ ويتجمع معظمهم في أذربيجان ، ويصل عدد الأكراد الى حوالي ١٠ ـ ١٢ ٪ ويعيشون في كردستان ولورستان وأذربيجان الغربية ،أما العرب فان نسبتهم تتراوح بين ٨ ـ ١٠٪ وأغلبهم في خوزستان جنوب ايران ، وهناك قلة تتراوح بين ٤ ـ ٦ ٪ من البلوش والتركمان في بلوجستان وسيستان وعلى حدود الاتحاد السوفياتي ٠

وبينما تسود اللغة الفارسية في طهران وفي وسط ايران ، فانه تنتشر لهجات ولغات عدة كالتركية الآذرية في تبريز وأذربيجان ، والكردية في مناطق الاكراد والبشتو في مناطق البلوش ، كما يتكلم السكان العربية في خوزستان ، بالاضافة الى الكيلكية في منطقة كيلان بشمال ايران ، أما اللغة الاجنبية السائدة فهي الانجليزية ، بعد أن كانت الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية ٠

ولا شك أن هذا الاختلاف الديني والمذهبي والعرقي يحتاج الى سياسة حكيمة منفتحة ، وادارة واعية عادلة لاقامة التوازن بين مختلف العقائد والقوميات لاتاحة الفرصة لبناء مجتمع ايراني متطور تسوده المساواة والعدالة ، وتحكم علاقات طوائفه ببعضها الشعور بالانتماء الى وطن واحد ٠

ولا شك أن الكبت والقمع الذي عانت منه بعض الطوائف والاضطهاد الذي لاحق بعضها الآخر ، في عهد النظام الملكي ،

لا بد من أن يؤدي اليوم بعد قيام الثورة الى تطلع هذه القوميات الى الحرية الكاملة والسعي الى الحصول على حصتها كاملة من ثروة الوطن وتقدمه ، ولا يمكن أن نعزو الحركات التي قامت ، في الأشهر الاخيرة،مطالبة بالحكم الذاتي أو بنوع من الاستقلالية، الى الأيدي الاجنبية ، اذ أن هناك عوامل هامة وقوية لدى هذه الأقليات للقيام بتحقيق مطالبها ، مثلما فعل التركمان في مناطقهم ، وعرب خوزستان وكذلك الاكراد في سنندج ومهاباد وغيرهما .

هذا من ناحية ، ولكن من ناحية أخرى فان اقامة المجتمع الاسلامي يحتاج الى خطوات وئيدة مدروسة ، حتى لا تعود أية خطوة متسرعة بردة فعل عكسية تعوق تقدم المجتمع وتؤدي الى نتائج تضر بالثورة نفسها وبالقائمين عليها .

فقد أصدرت الثورة قرارات على طريق الاسلام منحت بموجبها المرأة حق طلب الطلاق ، ومنع الاجهاض الا بحالة وجود خطر على المرأة أو جنينها ، وألغيت الخدمة العسكرية للمرأة ، كما ألغيت المدارس المختلطة ، ومنعت الأفلام التي تمجد الجريمة والمجرمين وحظرت الأفلام التي تشتمل على مناظر اباحية أو غرامية سافرة ، وعندما تقرر ارتداء العباءة (جادر) للنساء كافة ، قامت مظاهرات نسائية صاخبة تندد بالقرار ، وخلال شهر مارس ١٩٧٩ قامت مظاهرات نسائية ضد ارتداء العباءة بينما قامت مظاهرات مماثلة ترحب بالعباءة رداء وحيدا للمرأة الايرانية ، وطردت بعض الموظفات اللواتي لم يتقيدن بالقرار ، من وظائفهن ، وراحت مجموعات من الرجال المتعصبين ذوي اللحى الطويلة تطوف الشوارع والأحياء لضرب أي امرأة لا

ترتدي الحجاب أو اهانتها ، وكـان شعارهـا « الحجـاب أو الضرب (٧٣) » • كما أغلقت ثلاث مدارس في طهران لرفض تلميذاتها ارتداء العباءة ، وكادت البلاد تشغل عن أمورهـا الهامة بالاهتمام بمن ارتدت العباءة ومن خلعتها من النساء ، خصوصا بعد قيام تحركات أميركية وأوروبية بدعوى الدفاع عن حقوق المرأة الايرانية ، فجاءت داعية حقوق المرأة « كيت ميليت » الاميركية وسارت على رأس المظاهرات المؤيدة لرفع الحجاب ، وبعد أسبوع طردتها حكومة الثورة مع صديقتها « روث مولارد » والمحامي الاميركي « رالف شوغان » ، وأخيرا حسم الخميني الامر باعلانه أن ارتداء الزي الاسلامي للنساء أمر واجب لكنه ليس حتميا • وبذلك همدت الضجة سريعا •

وهناك قرارات عدة اتخذها الخميني ، أو أمر بالبدء بها ، وهي في طريقها الى التنفيذ مثل ايجاد عمل لكافة المومسـات والبغايا بعد أن أبطلت أعمالهن وأغلقت بيوتهن وأصبحـت الدعارة ، التي كان مسموحا بها في عهد الشاه ، أمرا محرما • كما أمر الخميني بالبدء ببناء مساكن متواضعة لأبناء الطبقات الشعبية مستوفية لوسائل الراحة والصحة •

بل ان الخميني أمر أن يصبح استهلاك الماء والكهرباء مجانا للشعب ، وهذا طموح لم يصل اليه أي مجتمع بعد • وفي مايو سنة ١٩٧٩ تشكل الحرس الثوري (٧٤) للدفاع عن الجمهورية الجديدة •

ان الثورة الاسلامية تشدد على الناحية الاخلاقية لجملهـا

---

(٧٣) جادر زدن ياكتك زدن .

(٧٤) باسداران انقلاب .

الأساس في بناء المجتمع الاسلامي ، وقد أصبح من المناظر المألوفة جلد اللواطيين والشاذين جنسيا والسكارى علنا في ساحات المدن والقرى ، بل ان كثيرا من اللواطيين كان عقابهم الاعـدام ، لاستئصال هذه الآفة ، وكذلك الحال للمدمنين على المخدرات فانه يجري جلدهم ، أما الذين يبيعونها فان مصيرهم الموت حتما •

وضع أسس الاقتصاد الاسلامي :

تعمل الثورة الايرانية على اقامة مجتمع اسلامي يتمتـع باقتصاد اسلامي يشرحه الخميني بقوله :

الرأسمالية تستعبد الشعب من خلال مادتها ، والشيوعيـة تسيطر عليه من خلال القهر السياسي ، أما الجمهورية الاسلامية فهي ستقضي على الفساد،وتضمن المساواة السياسية والاقتصادية للجميع في ظل القرآن •

يشرح النهج الاقتصادي الذي ستسير عليه الثورة الدكتور حسن بني صدر (٧٥) بقوله :

في عهد الشاه كان الاقتصاد موجها نحو الاستهلاك ، بشقيه المدني والعسكري ، وكانت ٨٠ ٪ من الموازنة للنفقات الادارية والعسكرية و٢٠ ٪ منها فقط للانتاج ، وهدف الثورة اليوم أن تقلب الأمر بحيث يصبح معظم الانفاق على الانتاج ، كما أن

---

(٧٥) اقتصادي معروف ، كان يدير اقتصاد المدن في مؤسسة الدراسات والابحاث الاجتماعية عندما غادر ايران سنة ١٩٦٣ هربا من الارهاب ، وبقي طيلة تلك الفترة في فرنسا واصدر عدة مؤلفات بالفارسيـة والفرنسية ابرزها نفط وسلطة ، ونفط وعنف ، والنظام المصرفـي الايراني، والاقتصاد التوحيدي ، وهو اليوم رئيس الجمهورية وانتخب في ٢٥ يناير ١٩٨٠ •

الانتاج سوف يتركز ليس على الصناعات التحويلية والتركيبية (التجميع) بل سوف يتركز في الصناعات الثقيلة والأساسية من زراعية وصناعية وبتروكيماوية ٠

كما أن البنوك سوف تصرف معظم قروضها للانتاج وليس لبناء العقارات ولشراء البضائع الاستهلاكية ٠ وبالنسبة للنفط فلسوف تبيعه ايران لمن يحتاجه مباشرة ، بلا وساطة ولا سمسرة، بحيث يكون لها حصة من أرباح الانتاج والبيع والتسويق ، وبهذه الوسيلة تزيد عائدات النفط أضعافا مضاعفة دون حاجة الى زيادة انتاج النفط ، بل ان مصلحة الشعب الايراني تتطلب تخفيض الانتاج ٠

ان منطلق الثورة الاسلامية من الناحية الاقتصادية هو الانسان أو قيمة ما يعمله (ليس للانسان الا ما سعى) ، فالمجتمع الرأسمالي يسيطر فيه الفرد بواسطة رأس المال على الانتاج ، والمجتمع الشيوعي تسيطر فيه الدولة سيطرة تامة ، أما في الجمهورية الاسلامية فان العمل هو الذي يسيطر على رأس المال وبالتالي على الانتاج ، والانسان هو العامل ، وبذلك تحفظ قيمته وكرامته ٠

كما أن الثورة ، من منطق الاسلام ، لا تعمل على تثبيت الفوارق بين الطبقات ، ولا تعمل بالتالي لمصلحة طبقة واحدة ، بل هي تعمل لمصلحة فئات الشعب المختلفة من عمال وفلاحين وطلاب ومفكرين وكسبة وحرفيين وتجار ومهنيين وموظفين ورجال دين ، فهي ليست ثورة بروليتارية ، ولا ثورة بورجوازية وطنية ، بل هي ثورة مجموع الشعب الايراني المسلم ضد من سلبه حقه وحريته ، وهدر ثروته وكرامته ، متمثلا بالشاه

وأسرته والفئة التي كانت تدور حوله • ولقد صدرت قرارات بتأميم المصارف وشركات التأمين ، وصدر قرار بتأميم المدارس الخاصة لكن التنفيذ أرجيء للعام القادم •

والثورة تولي الفلاح أهمية خاصة ، ليس لأنه عانى من الظلم والقهر فترة طويلة فقط ، بل لأن عليه كذلك يقع عبء النهوض بالبلاد من الناحية الزراعية ، وهي تسير حسب قاعدة ان الارض لمن أحياها وما دام يرعاها فنتاجها له ، وكم عانى الفلاح الايراني في السابق من شظف العيش حتى انه كان يخشى الشتاء ليس لأنه يقلل من حركته وعمله في الأرض فقط ، بل لأن برد الشتاء ، خصوصا في وسط هضبة ايران ، قد يضطر الفلاح الى تخزين تموين غذائي لفترة طويلة يشتد فيهـا البرد ويسقط الثلـج بغزارة ، كما أنه يضطر لاتقاء البرد لاتخاذ وسائل تدفئـة لا يملك من ثمنها شيئا ، ولذلك فان معظم المنازل الريفية في ايران تتجه بأبوابها نحو الجنوب اتقاء لريح صرصر عاتية تأتيهم من الشمال ، ولاستقبال شمس الشتاء المحببة اليهم (٧٦) •

وان التركيز في برامج الثورة الاقتصادية على الريف ، قبل المدن ، أمر له أهميته لأن الريف عـانى كثـيرا مـن الاهمال والتخلف ، فمع أن ايران بلد النفط والوقود الرخيص ، لا يزال معظم الريفيين يستعملون روث الحيوانـات كوقـود في أفران القرية أو للاستعمال المنزلي (٧٧) ، وتخلو قرى ايران النائية من الحياة الاجتماعية ، الا من مشارب الشاي والقهوة ، حيـث يجتمع أبناء القرية لتبادل الأحاديث ، خصوصا في أيام الشتاء

---

(٧٦) دراسة في جذور الصراع ــ ص ١٧ •
(٧٧) المصدر السابق نفسه ص ٢٠ •

الباردة ، وقد يتناقشون فيما تنقله الاذاعة من أخبار ،ويتدفأون بأنفاس بعضهم ، ولقد حدث أن مات كثير من القرويين في بعض السنوات التي كان شتاؤها شديد الوطأة ، وذلك بسبب قلة الغذاء ونقص وسائل التدفئة الكافية ·

اذا نجحت الثورة في اقامة مجتمع اسلامي ذي اقتصاد حر ، فانها تحقق نصرا كبيرا يفوق بكثير نصرها السياسي الذي أقامت به جمهوريتها الاسلامية على أنقاض الملكية الشاهنشاهية المتداعية ·

ولما كان الدستور هو البناء الأساسي في أي كيان سياسي ، فقد بدأت الثورة تعمل على تحقيق دستور اسلامي يحل محل الدستور السابق الذي فرضته ثورة ١٩٠٦ الشعبية ، وعملت الأسرة البهلوية خلال سنوات حكمها على تعديل بعض مواده وتجميد مواد أخرى ·

عند الاعلان عن العمل على اقامة دستور اسلامي ظهر الخلاف واضحا بين آية الله الخميني وآية الله شريعتمداري (٧٨) ، فقد كان الخميني يعمل لاجراء استفتاء شعبي على الدستور الاسلامي بعد انجازه لاقراره أو رفضه ، على غرار الاستفتاء الذي جرى في ٣٠ مارس على الجمهورية الاسلامية ، أما شريعتمداري ، وكل الأحزاب الليبرالية واليسارية ، فقد كان ينادي بعرض الدستور

---

(٧٨) هو من كبار رجال الدين الشيعة في ايران ويوازي الخميني في الرتبة الدينية ولكنه يقل عنه في النفوذ الشعبي ، اصله من اذربيجان ويقيم في مدينة قم وعمره الان ٧٦ سنة ، وهو يميل للاعتدال ، ويعارض اللجوء للعنف كحل المشاكل، ولم يسجنه الشاه رغم استمرار معارضته لـه .

الجديد على جمعية تأسيسية منتخبة من كل فئات الشعب ، وبعد المصادقة عليه ، لا مانع لديه من عرضه على استفتاء شعبي ، ومن المقرر أنه بعد اقرار الدستور نهائيا سوف يدعى الشعب لاجراء انتخابات عامة لاستكمال بقية الاجهزة للنظام الجديد ٠

لما وجد الخميني مقاومة قوية لاجراء استفتاء شعبي على الدستور تقرر ، كحل وسط ، انتخاب جمعية من الخبراء اتفق على أن يكون أعضاؤها خمسة وسبعين وتتولى مهمة درس مسودة الدستور واقرارها قبل طرحها على الاستفتاء ، وكان الخميني يعتقد أن عمل الجمعية سيستغرق وقتا طويلا مما يتيح للجماعات الملحدة فرصة تخريب الطبيعة الاسلامية للثورة ٠

انتخب مسيحيان ويهودي وزرادشتي لتمثيل الاقليات ، واشترط لمن ترشح لعضوية لجنة الخبراء أن يكون قد تجاوز الثلاثين من عمره ، وأن يكون معروفا بدائرته الانتخابية مطلعا على الشؤون المحلية وأن يكون غير معارض للنظام الاسلامي الجمهوري في البلاد ، وقد حرم المسؤولون في عهد الشاه من حق الاقتراع أو الترشيح ، كما سمح لرجال الجيش والشرطة بالتصويت ، ولأن الاجراءات المتخذة قبل الاقتراع لم تعجب أنصار شريعتمداري والجبهة الوطنية ، فقد أعلن كريم سنجابي زعيم الجبهة الوطنية ، وشريعتمداري راعي حزب الجمهورية الاسلامية الشعبية عن سحب مرشيحهما للانتخابات وبذلك أصبح فوز أنصار الخميني أكثر سهولة ويسرا ٠

جرت الانتخابات في الثالث من اغسطس في /١٨/ ألف مركز اقتراع في معظم أنحاء البلاد (لأن العرب في خوزستان والاكراد في كردستان قاطعوا الانتخابات) ، وظلت صناديق الاقتراع

مفتوحة من السادسة صباحا حتى السادسة مساء ، ورئيس لجنة الانتخاب أحمد نور بخش وقام بتنظيم عملية الاقتراع الحرس الثوري ولجان الخميني ، وقد كان الاقبال في طهران خفيفا لكنه كان كثيفا في الأرياف ·

أظهرت نتيجة الفرز أن أنصار الخميني فازوا بأغلبية المقاعد ، بينما حصلت المعارضة على ثلاثة عشر مقعدا ، اثنا عشر منها لأنصار شريعتمداري والثالث عشر احتله عبد الرحمن قاسملو الأمين العام للحزب الديموقراطي الكردستاني ، وقد حصل آية الله محمود طالقاني على مليون صوت وهي أعلى نسبة نالها أحد الفائزين ، بينما نال مرشح حزب توده الذي فشل بـ /٤٧٢٢٥/ صوتا ، وقد فازت امرأة واحدة من طهران منيرة خرجي وعمرها ٤٨ سنة ومن أنصار الخميني ·

أعلن المعارضون أن الانتخابات لم تكن نزيهة أو حرة تماما ، ففي بعض المراكز حصل تزوير وضغوط ، وفي مراكز غيرها حدثت أعمال عنف وارهاب ضد معارضي الخميني ، ولقد ألغت اللجنة المشرفة على الانتخابات نتائج خمسين صندوق اقتراع في تبريز ، وتعليقا على ذلك قال شريعتمداري أنه لا مانع من بقاء دستور سنة ١٩٠٦ بعد اجراء التعديلات المناسبة عليه بحيث يتلاءم مع الجمهورية الاسلامية الجديدة ، وأن بقاء الدستور بعد تعديله ينهي الاضطرابات التي بدأت تحدث بسبب الدستور الجديد ، ويحافظ على وحدة الايرانيين في هذه المرحلة المصيرية ·

في ١٩ أغسطس بدأت جمعية الخبراء عملها بعد أن ألقى الخميني بين أعضائها خطابا دعا فيه الى قيام نظام الحزب الواحد ، وطالب الاعضاء بالعمل ضمن الاطار الدستوري

للجمهورية الاسلامية ، وندد بالمعارضين للثورة ومنهم عبد الرحمن قاسملو الذي اختفى عن الانظار •

تبين مما رشح من أعمال جمعية الخبراء أن الدستور يجعل من الدولة الايرانية اسلامية شيعية ، ويجعل السلطة العليا للمرجع الديني الأعلى الذي يسمى المرشد العام حيث على رئيس الجمهورية الاسلامية التقيد بنصائحه وتعليماته ، وفي حال عدم توفر المرجعية العليا لشخص واحد يتولاها بضعة أشخاص من كبار رجال الدين الشيعة •

أقرت المادة /١١/ التي تدعو للوحدة بين الدول الاسلامية ، كما أقرت المادة /١٣/ التي تعترف بالديانات الثلاث في ايران اليهودية والمسيحية والزرادشتية كديانات رسمية الى جانب الديانة الاسلامية •

كما نصت مادة أخرى على مبدأ الفصل بين السلطات الخمس في النظام الجديد وهي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية وسلطة الأمة (أي نواب الأمة) وسلطة الامامة (أي المرشد العام) ، وهناك مادة تجعل من اللغة العربية مادة الزامية في المرحلة الثانوية ، بعد أن كان ذلك مقصورا على الصفوف الثانوية الأولى • كما اعتبر التقويمان الهجريان الشمسي والقمري تقويمين رسميين لايران •

لا شك أنه بعد اقرار الدستور ونشره وبدء العمل به سوف تبدأ الأوضاع في ايران بالاستقرار ، وتتبلور اتجاهات الثورة ويتضح خطها الاسلامي ، وتبدأ سلطات البلاد الخمس مرحلة بناء المجتمع والاقتصاد الاسلامي للجمهورية الاسلامية الايرانية •

انتهى

مصادر الكتاب

اولا : مصادر باللغة الفارسية :

أ ــ الوثائق المنشورة :

ارشيف المجلس الوطني الايراني (١) ، وقد اعتمدت على مجموعات الوثائق التالية :

ــ مجموعة رقم ٦٥٠١/٢٥٨ وهي تضم المنشورات التي اصدرها الثوار ، وبيانات مختلفة صادرة ــ غالبا ــ بين عامي ١٩٠٦ ــ ١٩٠٩ .

ــ مجموعة رقم ٥١٥٦١/٥٥٠ وهي تضم بعض البيانات والبلاغات الصادرة عن الحكومة والمجلس في الفترة بين ١٩٠٧ و ١٩٠٩ ــ غالبا ــ .

ــ مجموعة رقم ٧٦٥١٦/٧٦٢٣ و ٧٦٢٤ وهي تضم النصوص الاصلية للبرقيات الرسمية الصادرة من والي مكتب البرق في طهران لعام ١٩٠٩ .

ــ مجموعة رقم ٥١٩٠/٤٤٤٢٦ وهي تضم النسخ الاصلية للامتيازات التي منحها ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه في فترة حكمهما .

ب ــ المطبوعات :

١ ــ ابراهيم تيموري : عصر بيخبرى يا تاريخ امتيازات در ايران (طهران ١٣٣٢ هـ. ش. ١٩٥٣) .

---

(١) هذا الارشيف غير منظم أو مصنف ، بحيث ان المجموعة الواحدة تضم وثائق مختلفة في موضوعاتها وتواريخها ، كما أن كثيرا من مخطوطاته ووثائقه لازالت مكدسه في صناديق ضخمه ، بعيدا عن ايدي الباحثين. وكانت تجري في مارس ١٩٦٨ عملية اعادة تنظيم وتصنيف جميع محتويات هذا الارشيف وفهرستها من جديد .

٣ ـ احمد كسروي تبريزي : تاريخ مشروطة ايران ـ الاجزاء الثلاثة ، الطبعة الثالثة (طهران ١٣٣٠ هـ. ش ـ ١٩٥١) .
٤ ـ تاريخ هيجده ساله آذربايجان ـ الطبعة الثالثة (طهران ١٣٤٠ هـ. ش ـ ١٩٦١) .
٥ ـ اصغر مهدوي وايراج افشار : مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده در باره سيد جمال الدين مشهور به افغاني (طهران ١٩٦٣) .
٦ ـ انتشارات كاوه : مختصر تاريخ مجلس ملـــي ايرا ن(برلين ١٣٣٧ هـ. ق.) .
٧ ـ انتشارات كيهان : كتاب سال (طهران ١٣٤١ هـ. ش ـ ١٩٦٢).
٨ ـ حافظ فرمانفرمائيان : خاطرات سياسي ميرزا علي خان . امين الدولة (طهران ١٣٤١ هـ. ش ـ ١٩٦٢) .
٩ ـ حبيب الله مختاري : تاريخ بيداري ايران (طهران ١٩٤٧) .
١٠ ـ حسن فصيحي شيرازي : قانون اساسي ومتمم وضمائم آن (طهران ١٣٣٥ هـ. ش ـ ١٩٥٦) .
١١ ـ حسن تقي زاده : تاريخ اوائل انقلاب مشروطيت ايران (طهران ١٣٣٨ هـ. ش ـ ١٩٥٩) .
١٢ ـ حسن حلاج : تاريخ تحولات سياسي ايران (طهران ١٣٣٥ هـ. ش ـ ١٩٥٦) .
١٣ ـ حسين سميعي وامان الله اردلان : اولين قيام مقدس ملي درجنك بين الملل اول (طهران ١٣٣٢ هـ. ش ـ ١٩٦٥) .
١٥ ـ عباس اسكندري : تاريخ مفصل مشروطيت ايران يا كتاب آرزو ـ الجزء الاول (طهران ١٣٢٢ هـ. ش ـ ١٩٤٣) .
١٦ ـ عبد الله مستوفي : شرح زندكاني من ياتاريخ اجتماعي واداري دوره قاجاريه الجزء الاول (طهران ١٣٢٤ هـ. ش ـ ١٩٤٥ .
١٧ ـ علي باشا صالح : نظري بتاريخ حقوق ايران وسازمانهاي قضائي تاشهريور ١٣٤١ (طهران ١٣٤٣ هـ. ش ـ ١٩٦٤) .
١٨ ـ علي اكبر بينا : تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ـ الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (طهران هـ. ش ـ ١٩٦٣) .
١٩ ـ محاضرات غير منشورة القيت على طلاب قسم التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة طهران للعام الدراسي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ .
٢٠ ـ علي اصغر حكمت : نه كفتار در تاريخ اديان ـ الجزء الاول ، الطبعة الثانية (طهران ١٣٤٢ هـ. ش ـ ١٩٦٣) .
٢١ ـ غلام حسين افضل الملك : افضل التواريخ ، مخطوطة برقم ٢١٦/٨٨٨٠ في مكتبة المجلس الوطني الايراني ويبحث في احداث السنوات الاولى من عهد مظفر الدين شاه .
٢٢ ـ فريدون آدميت : فكر آزادي ومقدمـــــه نهضت مشروطيت

(طهران ١٣٤٠ هـ. ش ـ ١٩٦١) .
٢٣ ـ امير كبير وايران ، الطبعة الثانية (طهران ١٣٣٤ هـ. ش ـ ١٩٥٥) .
٢٤ ـ كريم طاهر زاده بهزاد : قيام آذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران (طهران ١٣٣٤ هـ. ش ـ ١٩٥٥) .
٢٥ ـ كميسيون ملي يونسكو در ايران : ايرانشهر ـ الجزء الاول (طهران ١٩٦٣) .
٢٦ ـ محمد اسماعيل رضواني : انقلاب مشروطيت ايران (طهران ١٣٤٤ هـ. ش ـ ١٩٦٥) .
٢٧ ـ محمد حسن اديب هروي خراساني : تاريخ بيدايش مشروطيت ايران ، الطبعة الثانية (مشهد ١٩٥١) .
٢٨ ـ محمد حسن خان اعتماد السلطنة : المآثر والآثار (طهران ١٣٠٧ هـ. ق.) .
٢٩ ـ محمد محيط طباطبائي : مجموعة آثارميرزا ملكم خان (طهران ١٣٢٧ هـ. ش ـ ١٩٤٨) .
٣٠ ـ محمود فرهاد معتمد : سببهسالار اعظم (طهران ١٣٢٥ هـ. ش ـ ١٩٤٦) .
٣١ ـ مذاكرات مجلس شوراى ملي دوره اول (١٣٢٤ ـ ١٣٢٦ هـ. ق.) ضمن الجريدة الرسمية للحكومة الايرانية ، مجموعة برقم ٣٤٩٦٦/٦٧ مكتبة المجلس الوطني الايراني .
٣٢ ـ ملك الشعراء بهار : تاريخ مختصر احزاب سياسي انقراض قاجاريه ـ الجزء الاول (طهران ١٣٢٣ هـ. ش ـ ١٩٤٤) .
٣٣ ـ مهدي ملكزاده : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ـ الجزء الاول (طهران ١٣٢٨ هـ. ش ـ ١٩٤٩) . الجزء الثاني (طهران ١٣٢٩ هـ. ش ـ ١٩٥٠) . الجزء الثالث (طهران ١٣٣٠ هـ. ش ـ ١٩٥١) . الاجزاء الرابع والخامس والسادس والسابع (طهران ١٣٣١ هـ. ش ـ ١٩٥٢) .
٣٤ ـ ناصر الدين شاه : سفر نامه ، الطبعة الثانية (طهران ١٣٤٣ هـ. ش ـ ١٩٦٤) .
٣٥ ـ ناظم الاسلام كرماني : تاريخ بيداري ايرانيان ـ الجزءآن الاول والثاني (طهران ١٣٢٨ هـ. ق.) . الجزء الثالث (طهران ١٣٣٠ هـ. ق.) .
٣٦ ـ نصرت الله فتحي : آزاده كمنام بخاطرات كاظم شاهرخي (طهران ١٣٣٣ هـ. ش ـ ١٩٥٤) .
٣٧ ـ نور الله دانشور علوي : تاريخ مشروطه ايران وجنبش وطنبرستان اصفهان وبختياري (طهران ١٣٣٥ هـ. ش ـ ١٩٥٦) .
٣٨ ـ يحيى دولت آبادي : تاريخ معاصر او حيات يحيى ـ الجزء الثاني (طهران ١٣٢٨ هـ. ش ـ ١٩٤٩) .

جـ ــ مراجع مترجمة عــن اللغات الاخرى :

١ ــ عــن الروسيــة :

٣٩ ــ الكولونيل كاساكوفسكي : خاطرات ــ ترجمة عباس قلي جلي (طهران ١٣٤٤ هـ . ش ــ ١٩٦٥) .

٤٠ ــ م. بافلوفيتش ــ و. تريــــا ــ س. ايرانسكي ــ انقلاب مشروطيت ايران وريشه هاي اجتماعـــسي واقتصادي آن ــ ترجمة م. هوشيار (طهران ١٩٥١) .

٤١ ــ م. س. ايفانوف : انقلاب مشروطيت ايران ــ اصدره معهد الدراسات الشرقية في موسكو سنة ١٩٥٢ بالروسية ، وصدر باللغـــة الفارسية دون اشارة الى اسم المترجم او المطبعة او الناشر . والمعتقد ان الحزب الشيوعي الايراني (توده) قد قام بترجمته ونشره .

٢ ــ عن الانجليزيــة :

٤٢ ــ آن كاترين لامبتون : انجمنهاي سري در انقلاب مشروطيت ايران ــ ترجمة اسماعيل رائين (طهران ١٣٤٥ هـ. ش ــ ١٩٦٦) . نشر في مجلة بعنوان

Middle Eastern Affaires No. 1 Secret Societies and the Persian Revolution 1905-1906.

٤٣ ــ روبرت غرانت واطسون : تاريخ ايران دوره قاجاريه ــ ترجمة ع. مازندراني (طهران ١٣٤٠ هـ. ش ــ ١٩٦١) .

٤٤ ــ مارخام : تاريخ مملكت ايران وسلطنت سلسلة جليلة قاجاريه ــ ترجمة حكيم الملك ، مخطوط برقم ٥٤٦٥/٤٤٧٠٢ بمكتبة المجلس الوطني. الفه ماركهام سنة ١٨٨٣ وترجمه للفارسية حكيم الملك بأمر ناصر الدين شـــاه .

٣ ــ عن الالمانيــة :

٤٥ ــ كشف تلبيس يا دوروئي ونيرنكك انكليس ــ ترجمــة ونشر كاوه (برلين ١٣٣٦ هـ. ق.) عن النص الالماني :

Englische Dokumente Zur Erdrosselung Persiens

د ــ الدوريــــات :

ــ (اختر استانبول ــ مجلة اسبوعية) : عدد صادر في ١٨٩١ .

ــ ايران (طهران ــ جريدة اسبوعية) الاعداد الصادرة بين سنوات ١٨٨٧ ــ ١٩٠١ .

ـ ايران نو (طهران ـ جريدة يومية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ .

ـ ايران اكونومست (طهران ـ مجلة اسبوعية) عدد صادر في اغسطس ١٩٦٧ .

ـ أميد ايران (طهران ـ مجلة اسبوعية) : عدد صادر في اغسطس ١٩٦٧ .

ـ برورش (القاهرة ـ مجلة اسبوعية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٠ ـ ١٩٠١ .

ـ تربيت (طهران ـ مجلة اسبوعية) : عددان صادران في ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ .

ـ تهران مصور (طهران ـ مجلة اسبوعية) : عددان صادران في ١٩٦٧ .

ـ تمدن (طهران ـ مجلة تصدر بالاسبوع مرتين) : اعداده صادرة بين ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ .

ـ جهره نما (القاهرة ـ مجلة اسبوعية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ .

ـ حبل المتين (كلكوتا ـ جريدة اسبوعية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٢ ـ ١٩٠٨ .

ـ حبل المتين (طهران ـ جريدة يومية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ .

ـ حكمت (القاهرة ـ مجلة) : عدد صادر سنة ١٨٩٩ .

ـ خورشيد (مشهد ـ مجلة اسبوعية) : عدد صادر سنة ١٩٠٦ .

ـ روشنفكر (طهران ـ مجلة اسبوعية) : عدد صادر سنة ١٩٦٧ .

ـ سخن (طهران ـ مجلة شهرية) : اعداد صادرة سنة ١٩٦٥ .

ـ صور اسرافيل (طهران ـ جريدة أسبوعية) : أعداد صادرة بين ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ .

ـ مظفري (بوشهر ـ مجلة نصف شهرية) : اعداد صادرة بين ١٣١٩ ـ ١٣٢٠ هـ.ق. .

ـ مساوات (طهران ـ مجلة اسبوعية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ .

ـ مجلس (طهران ـ جريدة يومية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ و ١٩٠٩ ـ ١٩١١ .

ـ نداي وطن (طهران ـ جريدة اسبوعية) : اعداد صادرة بين ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ .

ـ يادكار (طهران ـ تصدر كل شهرين مرة) : اعداد صادرة بين ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ .

ــ يغما (طهران ــ مجلة شهرية) اعداد صادرة سنة ١٩٥٠ و ١٩٦١ .

ثانيا : مصادر باللغة العربيــة :

أ ــ الكتــب المطبوعــة :

٤٦ ــ ابو الحسن بني صدر : ايران غربة السياسة والثروة ــ دار الكلمة ــ بيروت ــ ١٩٧٩ .
٤٨ ــ توفيق علي برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ ــ ١٩١٤ (القاهرة ١٩٦٠) .
٤٩ ــ ثابت المدلجي : الرجل الاعصار جمال الدين الافغاني (بيروت ١٩٥٤) .
٥١ ــ دروس في الجهاد / وثائق ومواقف من مسيرة جهاد الامام القائد آية الله الخميني / منشورات مجلة فلسطين المحتلة ــ ١٩٧٩ .
٥٢ ــ عبد الحميد متولي : القانون الدستوري والانظمة السياسية ــ الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٦٤) .
٥٣ ــ ايران دراسة في جذور الصراع ــ محمد عبد الغني سعودي ــ دار القبس ــ بغداد ــ لا تاريخ طبع .
٥٤ ــ السافاك الوجه الفاشي للامبريالية « اسرار ووثائق » ــ لجنة دعم حركة اليسار في ايران ــ نشر دار ابن خلدون ــ بيروت ــ لا تاريــخ طبـــع .
٥٥ ــ عبد الرحمن الرافعي : جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق (القاهــرة ١٩٦١) .
٥٦ ــ عبد القادر المغربي : جمال الدين الافغاني ــ ذكريات واحاديث ــ (القاهرة ١٩٤٨) .
٥٧ ــ عبد المحسن القصاب : ذكرى الافغاني في العراق (بغداد ١٩٤٥) .
٥٨ ــ العروة الوثقى والثورة التحررية الكبرى ــ نشر دار العرب للبستاني ، الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٥٨) .
٥٩ ــ لوثروب ستودارد ــ حاضر العالم الاسلامي : الاجزاء الاول والثاني والرابع ، ترجمة عجاج نويهض (القاهرة ١٣٥٢ هـ. ق.) .
٦٠ ــ محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريــخ الهجرية بالسنين الميلادية والقبطية (القاهرة ١٣١١ هـ. ق.)
٦١ ــ محمد عمارة : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني (القاهرة ١٩٦٦) .
٦٢ ــ نوفل نعمة الله نوفل : الدستور ــ مترجم عن التركية ، الجزء الاول (بيروت ١٣٠١ هـ. ق.) .
٦٣ ــ مادلين لافو فيرون : رحلة الى بلاد الخوف : تقرير عن العسف في ايران مترجم عن الفرنسية دار ابن خلدون ــ بيروت ــ ١٩٧٨ .
٦٤ ــ وزارة الاعلام العراقية : الوطنيون الايرانيون امــام محاكم

الشاه ـ بغداد ـ ١٩٧٣ .

ب ـ الدوريــــات :

ـ الاهرام : اعداد صادرة في السنوات ١٩٠٥ و ١٩٠٨ و ١٩٠٩ .
ـ المؤيد : اعداد صادرة في ١٩٠٦ و ١٩٠٧ .
ـ المقطم : عدد صادر في ١٩٠٦ .
ـ المنـار : عدد صادر في ١٩٠٨ .
ـ الدستور (القاهرة) : عدد صادر في ١٩٠٨ .
ـ الجوائب المصرية عدد صادر في ١٩٠٦ .
ـ النهار والنهار العربي الدولي اعداد صادرة في ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .
ـ السفير أعداد صادرة في ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .

ثالثا : مصادر باللغــة الانجليزيــة :

ا ـ وثائق غــير منشورة :

— The Public Record Office Archives, P.O. 416/699 No. 23-34.

ب ـ كتــب مطبوعــة :

(65) Browne, B., G. — The Persian Revolution 1905-1909 (Cambridge University Press 1910).
(66) Curzon, G., N. — Persia and the Persian Question, 2 Vol., (London 1892).
(67) Davis, Mrs., Helen Miller, : Constitutions, Blectoral Laws, Treties of States in the Near and Middle East (Duke University Press 1947).
(68) Hogarth, D., G., : The Nearer East (New York 1915).
(69) Hurewitz, J., C., : Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Records 1535-1914 Vol. 1, (United States 1950).
(70) Kitto, J., : The Court and the People of Persia, 2 Vol. (London 1850).
(71) Knight, E., F., : The Awakening of Turkey (London 1909).
(72) Lewis, Bernard, : The Middle East and the West (West Indiana University Press 1964).
(73) Groseclose, Blgin, : An Introduction to Iran, (Oxford University Press 1947).

(74) Sutton, Blwell, and Paul Lawrance, : Persian Oil (Lon
1955).
(75) Marlowe, John : Iran — A Short Political Guide (London
1963).
(76) Pahlavi, Mohammad Reza Chah, : Mission for my countr
(London 1961).
(77) Shuster, W., M., : The Strangling of Persia (New Yor
1912).
(78) Sykes, Blla, C., : Through Persia on a Side Saddle, 1901
(London 1901).
(79) Sykes, P., M., : A History of Persia, 2 Vol., Third Edditio
(London 1930).
(80) Wilber, Donald, N., : Iran, Past and Present (Prince
1950).
(81) Wishard, John, G., : Twenty Years in Persia (1908).
(82) Upton, Joseph, M., : The History of Modern Iran, Seco
Eddition (Harvard University Press 1961).

فهرس